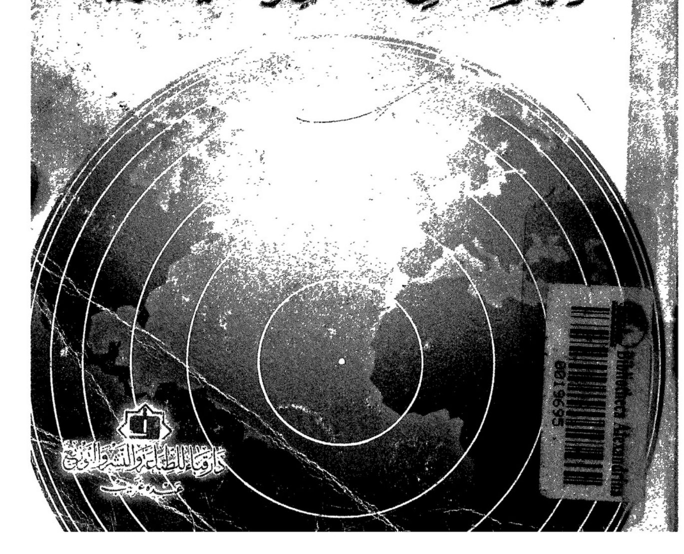
دكتور

أحمد بدر

الإعلام الدولي

دراسات في الاتصال والدعاية الدولية




الإعلام الدولى
دراسات فى الاتصال والدعاية الدولية



الإعلام الدولي

دراسات في الاتصال والدعاية الدولية

الدكتـــور

أحـمـد بــدر

بكالوريوس علوم، ماجستير الصحافة (القاهرة)

ماجستير مكتبات. دكتوراه فى علم المعلومات والعلاقات الدولية (أمريكا)

أستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض

الطبعة الرابعة

مزيدة ومنقحة

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الكتـــــــاب : **الإعـــلام الدولـــى**

دراسات فى الاتصال والدعاية الدولية

المـؤلـــــــف : د. أحمد بدر

تاريخ النشـــــر: ١٩٩٨م

الناشـــــــر : **دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع**

عبده غريب

شركة مساهمة مصرية

المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان

والمطابـــــع المنطقة الصناعية (C1)

ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة٦

ت ، ف : ٢٤٧٤٠٣٨

التوزيـــــــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

رقـم الإيـــــداع : ٩٧/٥١٤٩

الترقيـم الـدولـــى : ISBN

977-5810-24-8



مقدمة الطبعة الرابعة

يعتبر هذا الكتاب ثمرة مباشرة لقيام المؤلف بتدريس مادة "الإعلام الدولي" في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، كما تم تناول بعض جوانب هذا العلم في تدريسي لمادة "الرأي العام والإعلام" لطلبة العلوم السياسية بجامعة الكويت خلال الفترة من ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥.

هذا وتعتبر دراسات الإعلام والاتصال الدولي، من بين الدراسات الحديثة نسبيا في العلوم الاجتماعية، وعلم الإعلام الدولي، علم وليد اعتمد في نموه على علوم عديدة كالإعلام والاتصال والصحافة والعلاقات الدولية والعلوم السياسية وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم السلوكية.

والكتاب يحتوي على ستة أبواب تضم واحداً وثلاثين فصلا وقد قام المؤلف بتعديلات وإضافات وحذف في مواضع كثيرة من الكتاب بغرض تحديثه، هذا ويتناول الباب الأول فى فصلين تاريخ وتطور أساليب الاتصال الدولى.

أما الباب الثاني، فيتناول علاقة الإعلام الدولي ببعض القضايا الأساسية المعاصرة، كحرية الإعلام الدولي وتحديات الاتصال الثقافي بين الدول في العصر الإلكتروني وهذه القضايا مرتبطة ببعضها، ذلك لأن التدفق الحر للأخبار وللمعلومات العلمية والفنية عبر الحدود السياسية، من شأنه أن يضيق من الفجوة الاقتصادية ولكنه من جانب آخر قد يمسخ شخصية الأمة، وينبغي التنويه إلى أننا قد أضفنا في هذا الباب ثلاثة فصول عن التهديدات الكونية لتدفق المعلومات وعن واقع النظام العالمي الإعلامي المعاصر ومقومات إنشاء النظام العالمي الإعلامي الجديد.

أما الباب الثالث فيتناول بالتحليل والوصف بعض الهيئات والأنشطة التي تتم على المستوى الدولي، وقد ناقشنا في هذا الباب الثورة التكنولوجية الاتصالية التي تغطي معظم دول العالم، وأثرها بالنسبة لقضايا التفاهم الدولي والتقدم والسلام.

أما الباب الرابع فيتناول الدعاية الدولية والحرب النفسية، باعتبارهما من بين الأساليب الاتصالية التي تختلف في الدرجة لا في النوع وتهدف جميعها إلى محاولة السيطرة والتحكم في عقل الإنسان وسلوكه.

أما الباب الخامس فيتناول بعض نماذج الدعاية الداخلية والخارجية لألمانيا النازية والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وإسرائيل والجامعة العربية باعتبارها المؤسسة الأم التي تمثل الدول العربية جميعها.

أما الباب الأخير فهو يتناول موضوع "الرأي العام العالمي" من مختلف جوانبه، ذلك لأن الإعلام الدولي يهدف في التحليل النهائي، إلى تكوين وتشكيل الرأي العام العالمي، الذي يمكن أن يؤدي للإنسانية - ولو على المدى البعيد - ما يؤديه الرأي العام الوطني في المجتمعات الوطنية.

لقد جعلت ثورة الاتصال التكنولوجية المعاصرة من عالمنا قرية عالمية بحيث يستطيع كل شعب أن يطلع بالصوت والصورة على أحوال الشعوب الأخرى، ونشاطات قيادتها ومؤسساتها وأفرادها في نفس اللحظة التي تدور فيها الأحداث، ولكن هذا التوحيد التكنولوجي لا يؤدى بالضرورة إلى التوحيد النفسى أو الثقافى، أو على الأقل التجانس بالنسبة للمصالح الوطنية والقومية، التي تفرق بين الأمم، والبحوث المعاصرة لا تدلنا على نتائج نطمئن إليها بالنسبة لتأثير الثورة الاتصالية في هذا المجال ويحاول هذا الكتاب أن يتناول الموضوع بشيء من التفصيل.

وعلى كل حال فإذا كانت دوافع الشر في هذا العالم قوية، فإن بذور المحبة دفينة في وعي الإنسان وضميره أيضا، وهناك أرض مشتركة بين كل الدول والشعوب ليست هي أرض الريفي الساذج من غير شك، وليست هي أرض الكمبيوتر وتكنولوجيا التحكم الآلي أيضا.. ولكنها القاعدة الوسطى التي يمكن أن يقف عليها الإنسان في كل مكان، ليدافع عن كيانه وبقائه واحترامه.. وأن يكون الإعلام الدولي القائم على الدعوة للمحبة والسلام، وعلى الدفاع العقلاني عن المصالح الوطنية والقومية، هو الوسيلة التي تتبعها الدول في عصرنا الحاضر من أجل الوصول إلى الأخوة الحقيقية والسلام.

شيء أكثر من مجرد الشعور العفوي بالأخوة العالمية وشيء أكبر من مجرد السيطرة التكنولوجية المتطورة، هذا الشيء مطلوب منا جميعا أن نتبناه ونقتنع به لنعيش بالأمل في عالم المستقبل.

دكتور أحمد بدر

الباب الأول

تاريخ وتطور أساليب الاتصال الدولى

الفصـــل الأول : تطور الاتصال والإعلام الدولي عبر التاريخ

الفصـــل الثاني : أساليب الاتصال الدولي وفنونه

الفصل الأول

تطور الاتصال والإعلام الدولي عبر التاريخ

مقدمة:

ظاهرة الاتصال بين الأفراد والأمم والشعوب ظاهرة قديمة قدم الإنسان والأمم، لكن الاهتمام بدراسة ظاهرة الاتصال والإعلام والدعاية والرأي العام دراسة منهجية منتظمة قد اتضح في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية كما ظهرت بعض الكتب والدراسات القيمة في الإعلام الدولي في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات، وإن كان المهتمون بدراسة الدعاية الدولية يرصدون الإنتاج الفكري والدراسة في مجالها في الفترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية أيضا.

لقد أشادت الكتب المقدسة منذ القدم بالاتصال والتفاهم بين الأمم والشعوب كما جاء في القرآن الكريم قوله عز وجل: { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا}، ولعلنا نذكر كذلك أن المبشرين والدعاة في الأديان الأخرى سواء أولئك الذين جعلوا من أنفسهم مبشرين أو عينتهم حكوماتهم دعاة ومبشرين، قد جعلوا هدفهم الظاهر نشر الدعوة الدينية بين الشعوب المختلفة الألوان والأجناس واللغات وبالتالي إرساء قواعد الاتصال والتعارف والتعاون بين تلك الشعوب.

هذا وقد أشار أقدم كتاب عن الصحافة في العالم (وهو كتاب ألماني) إلى مفهوم الإعلام الدولي وإلى أهمية توعية المواطن بالشئون الدولية والاتصال بين الشعوب وهذا الكتاب هو:

(Caspar Von Steiler Zeitungs Lust und Nutz (Hamburg 1695)

ونحن نلاحظ أن كثيرا من الصحافة القديمة والحديثة تهتم بالشئون الخارجية وتخصص لها مساحات أكبر أحيانا من الأحداث المحلية ولعل هذا يعود في بعض أسبابه إلى الرقابة التي تحول بين الصحافة وبين التركيز على الشئون الداخلية، وإن كانت هناك تغييرات حدثت منذ أكثر

من مائة عام وذلك بسبب الثورتين الإنجليزية والفرنسية وبسبب غيرهما من الثورات اللاحقة التي أدت إلى حرية أكبر للصحافة.

هذا وقد ظهر سنة (١٩٣٧) أول كتاب يقدم لنا مسحا عن الصحافة الدولية هو كتاب الصحافة والشئون الدولية.

Robert Desmond. The press and world affairs., 1937

وهذا الكتاب هو نفسه الرسالة التي حصل بها مؤلفها روبرت ديزمون على شهادة الدكتوراه من مدرسة الاقتصاد في لندن. كما أصبحت الأفلام السينمائية والإذاعة المسموعة ذات أهمية متزايدة بالنسبة للإعلام الوطني والدولي في ذات الوقت تقريبا.

ولقد كان لظهور التليفزيون في أوائل الخمسينات أثره الثوري على العلاقات التي تتخطى الحدود الوطنية... بل وفتح التليفزيون بالتطورات التكنولوجية الحديثة قنوات تغطي الكرة الأرضية كلها بالمعلومات والصور والأخبار وغيرها من البرامج، وارتبط هذا التطور بأقمار الاتصال الصناعية Communication Satellites وقد أصدرت هيئة اليونسكو الدولية كتابها عن الاتصال في عصر الفضاء وكيفية استخدام الأقمار الصناعية في خدمة أغراض الاتصال الجماهيري[1]

ونحن نلاحظ أن دراسة الإعلام الدولي تعتمد أساسا على دراسة أساليب الاتصال الجماهيري وفنونه كالصحافة والإذاعة والدعاية والإعلام والعلاقات العامة وغيرها، كما يعتمد الإعلام الدولي على دراسة العلاقات الدولية.

ولكننا حين نحلل الإنتاج الفكري في مجال الاتصال بالجماهير سنجد الإسهام الملحوظ لكثير من علماء الاتصال والاجتماع وعلم النفس والسياسة والانثربولوجيا وغيرهم، كما أن دراسة العلاقات الدولية تحتاج إلى علوم عديدة أيضا، كعلم النفس والاجتماع والتاريخ والقانون والعلوم العسكرية والعلوم السلوكية، بل إن دراسة العلاقات الدولية المعاصرة تتطلب التعرف على جوانب

(1) UNESCO. Communications in the Space Age, The use of satellites by the mass media. Paris, 1968.

أساسية في العلوم والتكنولوجيا نظرا لارتباط هذه الجوانب بمشاكل التنمية وتلوث البيئة وخفض التسلح ومشاكل الطعام وغيرها من المشاكل الدولية، ومن هنا يتضح لنا أن طبيعة دراسة الإعلام الدولي تعتمد على دراسات أخرى عديدة أيضا.

وعلى الرغم من أن هناك أدلة كثيرة - سنناقشها بالتفصيل في مرحلة متقدمة - والتي تشير إلى أن الاتصال الحر والمفتوح بين الشعوب لا يؤدي بالضرورة إلى المحبة والعدالة والسلام وتقبل المشاركة في الثروة فلا ينبغي أن تخبو في نفوسنا شعلة الحماس من أجل السلام وتقدم ورفاهية الإنسانية، ذلك لأنه يمكن أن يكون تحقيق هذه الأهداف عن طريق الإعلام الدولي القائم على الحوار المنطقي والحقائق، ووصولا إلى أرض مشتركة تتحقق معها مصالحنا الوطنية والقومية دون أن تتعارض بالضرورة مع مصالح الدول الأخرى. إن التشاؤم في تحقيق هدف الإنسانية والمحبة والسلام لا يأتي من نقص الموارد على الأرض أو من نقص الأساليب التكنولوجية التي تحول الموارد الطبيعية إلى ثروة استهلاكية وإنتاجية، لكن التشاؤم يأتي من الطبيعة الإنسانية التي يتحدد معها النظام الاجتماعي والسياسي المتمثل في السؤال التالي:

من يحكم ومن يحكم؟ من يسود ومن يساد؟ من يأمر ومن يطيع؟ إن الإجابة على هذه **الأسئلة تتحدد معها علاقات القوة التي** تتصل أساسا بالتحكم في عقول الرجال وتطويع الاتجاهات والآراء لتساير مصالح الدول القائمة وذلك بالاستعانة بالإعلام والدعاية.

وعلى كل حال... فكل تغيير تاريخي تم داخل الحدود الوطنية إنما تم بالمفاوضة أو الثورة والعنف، والمفاوضة اتصال وحوار بين الحاكم والمحكوم لتنظيم العلاقة بينهما وما يستتبع ذلك من توزيع الثروة أو المنصب والجاه أو غير ذلك. أما على الصعيد الدولي فيتم التغيير عادة إما بالمفاوضة أو العنف والحرب، وقد أصبحت أسلحة الحرب الحديثة فتاكة مدمرة لا بأصحابها فحسب بل بالعالم كله، ومن هنا كانت المفاوضة والاتصال من أجل تحقيق المصالح الوطنية المشروعة بما في ذلك تنازل الأفراد والشعوب عن بعض مطامعهم هي الحل الأمثل.

والصعوبة هنا ليست بالنسبة للاتصال والحوار بين الدول الكبرى المتنافسة والمتقدمة، لكن الصعوبة تتركز في العالم الثالث، ذلك لأن الدول المتقدمة تعلم مصيرها المحتوم إن هي لجأت إلى الحرب والعنف وبالتالي فقد أرست قواعد علاقاتها على أساس ما يسمى بالتهدئة أو الوفاق (كما

هو الحال بين الدولتين العظيمتين) أو إنها لجأت إلى الاتصال العلمي والاقتصادي والسياسي خصوصا بين دول يمكن أن تتجانس مع بعضها وتشارك في المصالح وبالتالي تقل الصدامات والنزاعات الموروثة (كما هو الحال في دول أوربا الغربية والسوق المشتركة)، أما بالنسبة للعالم الثالث أو العالم النامي أو المتخلف فهنالك تتركز مشكلة الاتصال، ذلك لأن هذا العالم هو العالم المفتوح لممارسة ألعاب القوة والسيطرة من قبل الدول الكبرى. ومن هنا أصبح الإعلام الدولي بين دول العالم الثالث هو أصعب و أخطر أنواع الإعلام، ذلك لأنه ينبغي أن يحاول الوصول إلى التنسيق والتفاهم بين تلك الدول وان يحاول الإعلام في هذه الدول أيضا تخفيف آثار الدعاية الدولية الهدامة أو حتى تحييدها، تلك الدعاية التى تسبق وتحضر للغزو الثقافى أو حتى العسكري من قبل الدول الكبرى.

الاتصال والإعلام الدولي عبر التاريخ:

هناك عناصر ثلاثة على الأقل تدخل في عملية التعبير والاتصال.. وهذه العناصر أو المواد الخام هي الكلمة والصور (أو الرسم) والصوت، ولقد ارتفع الرؤساء والكهان والأطباء والمحامون وغيرهم إما بقوة الكلمة وقدرتهم على التعبير بها أو بقوة السلاح، وما زال للكلمة مفعول السحر في التعبئة الجماهيرية وفي التعليم وفي الاتصال الوطني وعبر الحدود، وعلى كل حال فمنذ فجر التاريخ وعناصر التعبير الثلاثة تستخدم في أشكال الدعاية أو الدعوة الدينية والسياسية، وقد احتوت التوراة والإنجيل والقرآن على مقاطع عديدة تدل على أهمية اتصال الأمم بعضها ببعض. وقد احتوى العهد القديم بوجه خاص على مقاطع تصلح كأمثلة طيبة للاتصال بين الثقافات.. كما احتوى العهد الجديد على لسان المسيح كلماته الأخيرة على الأرض يدعو فيها حوارييه إلى أن يذهبوا ويعلموا جميع الشعوب[٢]، كما جاءت بالقرآن آيات عديدة عن التفاهم والتعارف بين الشعوب التي تنتمي جميعها إلى أصل واحد .

ولقد كان هناك بالعالم القديم دعاية سياسية في عهد اليونان والرومان باستخدام الرموز والمباني الضخمة ذات الفن المعماري المتميز وغيرها، ويقال بأن جريدة Acta Diurna (الأكتا دايورنا) التي أسسها يوليوس قيصر كانت توزع في جميع أنحاء الإمبراطورية

---

(2) St. Matthen, 28

الرومانية... ولقد أصبحت الدعوة الدينية بعد ذلك من أهم أشكال الاتصال بين الثقافات المختلفة وأصبح المبشرون وسيلة اتصال حقيقية بين الشعوب المختلفة اللغات والأجناس.

ولقد تمركزت النشاطات التبشيرية بالكنيسة سنة (١٦٢٢) وذلك بإنشاء التجمع الدعائي Congregatio de Propaganda fide

والذي أصبح أول مركز رئيسي للدعاية في العالم الغربي، ولعل هذا التجمع هو أحد ردود فعل الكنيسة الكاثوليكية لحركة الإصلاح، وكنتيجة لحرب الثلاثين عام (١٦١٨ ـ ١٦٤٨) عندما قام البروتستانت بنشاطات صحفية عديدة خصوصا في السويد.

وعلى كل حال فقد كانت هذه الحروب ميدانا لأشكال عديدة من الدعاية السياسية والدينية والتي كان لها أثرها في بلاد أخرى عديدة، كما حلت اللغات الأوروبية الوطنية محل اللغة اللاتينية منذ العصور الوسطى، وأصبحت هذه اللغات هي وسيلة الاتصال الرئيسية للدول الأوروبية الاستعمارية في أجزاء عديدة من العالم (خصوصا اللغات الإنجليزية والإسبانية **والبرتغالية والفرنسية).**

ويعتبر هذا التطور مع تطور ونمو الصحافة الجماهيرية واختراع الطباعة المتحركة من أعظم ثورات الاتصال في كل العصور، وظهرت قوة الرأي العام منذ القرن (١٩) كقوة لها وزنها في مختلف الأقطار. كما صحبت الشعارات والإشاعات والحملات النفسية مختلف الحركات السياسية في دول عديدة، وكانت بذلك مظهرا من مظاهر الإعلام. وشهد منتصف القرن (١٩) مولد وكالات الأنباء وانتشار المراسلين الأجانب حول العالم. وكان هناك نشاط دائم في الإعلام الدولي منذ عام ١٨٦٤، وكان مصدر هذا الإعلام المؤسسات الاشتراكية الدولية[٣] Socialist International كما شهدت الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى وأثناءها نشاطات عديدة في الإعلام الدولي ولكنها ذات ميل دعائي واضح، إذ استخدمت أساليب الدعاية بواسطة مختلف الدول التي اشتركت في الحرب[٤] وقد استخدمت السينما في الفترة الأخيرة من الحرب كأحد الأوساط التي تخدم أغراض الدعاية، وكان ذلك بواسطة الدعاية الألمانية، وأصبحت مدينة جنيف

---

(3) Julius Brannthal. **cyeschichte der Internationale** (2 vols) Hannover, Verlag J.H.W. Dietz Nachf 1961 -1963.

(4) Harold Lasswell. Propaganda Technique in the World War. N.Y. Alfred Knoff, 1927.

أحد أهم مراكز الاتصال في العالم وذلك بعد تأسيس عصبة الأمم، ولكن السياسة الإعلامية لهذه المنظمة الدولية لم تكن ناجحة بعكس بعض الهيئات الأخرى ذات الصبغة الدولية مثل منظمة الكومنترن (Comentern) Communist International وهي التي أسسها لينين في مارس عام (١٩١٩) وهناك حركات أخرى مثل حركة الفاشيين في العشرينات في أوروبا: وكان لهذه الحركات وظيفة دعائية دولية.

كما خطت الإذاعة المسموعة خطواتها الأولى لتصبح واحدة من أدوات الاتصال المؤثرة سواء بالنسبة للإعلام الوطني أو الدولي... وخصوصا بالنسبة للإذاعة على الموجة القصيرة، بل وأصبحت الإذاعة المسموعة في الثلاثينات أقوى أجهزة نقل للرسالة الإعلامية في جميع أنحاء العالم تقريبا.

واستخدم هذا الجهاز على نطاق واسع بواسطة القوى السياسية المؤثرة والمسيطرة في ذلك الوقت، واستمر استخدام الراديو بصورة متصلة ومتزايدة بواسطة جميع الدول خلال الحرب العالمية الثانية كأحد أسلحة الحرب النفسية، فقد كانت تلك الحرب في بعض جوانبها حربا دعائية، ووسيلتها الأولى الإذاعة المسموعة التي تعبر الحدود الوطنية. وقد أنشئت هيئتان دوليتان بعد عام ١٩٤٥ لترسيخ دعائم التفاهم الدولي عن طريق تيسير انتقال الأخبار والمعلومات بين الدول، وهما هيئة اليونسكو ومعهد الصحافة الدولي I. P. I كما أنشأت الدول الشيوعية سنة ١٩٤٧ في بوخارست برومانيا الكومينفورم (Comminform) Communist Information Bureau التي استمرت مركزا للنشاطات الدعائية للعالم الشيوعي حتى تصفيتها في سنة ١٩٥٦.

وإذا كانت المؤسسات السابقة ذات طبيعة سياسية، فقد أنشئت منظمات دولية للدعوة الدينية كذلك. وذلك لنشر أفكار مختلف الكنائس في العالم الحديث، وعلى سبيل المثال فقد أنشأ المجلس العالمي للكنائس في جنيف قسما خاصا للإعلام، وبدأ منذ عام ١٩٥٤ نظام البث الإذاعي لعدد من الكنائس البروتستانتية ويمكن أن يشار إلى راديو الفاتيكان (Radio Vaticane) الذي تأسس عام ١٩٣١ لبث الإعلام الديني بحوالي ثلاثين لغة.

ونظم الكاثوليك منذ ديسمبر سنة (١٩٦٣) الاحتفال سنويا بما يسمى باليوم العالمي للإعلام الاجتماعي، وأعلن البابا بولس السادس يوم ٧ مايو سنة ١٩٦٧ موعدا للاحتفال باليوم الأول العالمي.

وإذا كانت الدول جميعها ـ خصوصا الدول الديكتاتورية ـ قد استخدمت الإذاعة المسموعة للدعاية السياسية والحرب النفسية منذ الحرب العالمية الأولى فقد رأينا خلال الحرب العالمية الثانية تكوين الجهاز الدعائي الألماني الشهير بقيادة (جوبنز) وتكوين هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C.) كجهاز منافس للجهاز الألماني الشهير، وكمحاولة لكسب الرأي العام في أوروبا والعالم لهذا الجانب أو ذاك.

وقد أسهمت التطورات التكنولوجية الإلكترونية في الحرب العالمية الثانية على اختراع التليفزيون الذي أصبح في وقت قصير الوسط الإلكتروني المسيطر لا على النطاق المحلى الوطنى فحسب بل على النطاق العالمي كذلك. وذلك ليس بالنسبة للبرامج التي يتم تبادلها بين الدول فحسب بل إمكانية البث التليفزيوني لما وراء الحدود بإطلاق الأقمار الصناعية، وهذه قد بدئ في إطلاقها سنة ١٩٦٢ وأصبحنا نتحدث منذ ذلك الحين عن الإعلام أو الاتصال في عالم الفضاء Communication in the space age. وعلى كل حال فعصر التليفزيون أو الفضاء يعتبر بالنسبة للتاريخ الاتصالي ثورة إعلامية واتصالية نظرا لما يتوقع لها من تأثيرات عميقة على كيفية اتصال الشعوب بعضها ببعض وبالتالي على كيفية بناء الجسور بين الشعوب من أجل عالم تسوده روح المحبة والسلام..

الفصل الثاني

أساليب الاتصال الدولي وفنونه

نحن حين ندرس الإعلام الدولي إنما نقصد به الاتصال الدولي أي ما يقابل المصطلح باللغة الإنجليزية International Communication ولعل الهدف الذي يتفق عليه معظم المختصين من دراسة هذا العلم أو الفن الوليد هو المعاونة في تكوين الرأي العام العالمي والعمل على تقليل الاحتكاك والصراع بين الدول... ومع ذلك فينبغي أن نشير إلى أن محاولة السيطرة والتحكم في العقل الإنساني وسلوكه هو محور أساليب الاتصال جميعاً وإن اختلفت الأسماء التي يعبر بها عن أساليب الاتصال وفنونه تبعاً للغرض الذي يراد تحقيقه من عملية الاتصال أو تبعاً لدرجة الترغيب أو الترهيب أو تبعاً لكونها عملية اتصال قصيرة المدى (كالتسلية) أو طويلة المدى (كالتعليم والثقافة) أو تبعاً لكونها عملية اتصال تحضيرية Facilitative أو عملية اتصال تطويعية Persuasive Communication أو غير ذلك من العوامل. وإذا كان محور عملية الاتصال هو السيطرة على الفكر، فهذا المحور هو هدف العلاقات الدولية كذلك، ذلك لأننا نعرف القوة Power في العلاقات الدولية بأنها المقدرة على السيطرة والتحكم في عقول الرجال. لقد استخدمت الكلمة المطبوعة (في الصحيفة والكتاب) والكلمة المسموعة (في الإذاعة) والصورة والصوت في (التليفزيون والسينما) وغيرها من أدوات الاتصال لتحقيق الأهداف المطلوبة. وهناك في الإنتاج الفكري كثير من المصطلحات القريبة من بعضها، ولعل هذه المصطلحات تختلف في الدرجة لا في النوع ومن هذه المصطلحات ما يلي:

- الاتصال الدولي International Communication
- الاتصال الثقافى الدولى International Cultural Communication

أو العلاقات الدولية الثقافية

ـ الاتصال فوق الوطني	Supra-national Communication
ـ الاتصال بين دولتين أو أكثر	Inter national Communication
ـ الاتصال عبر الأوطان المختلفة	Cross-national Communication
ـ الإعلام الدولي	International Information
ـ الإعلان الدولي	International advertizing
ـ العلاقات العامة الدولية	International public relations
ـ الدعاية والاستمالة الدولية	International propaganda and persuasion
ـ العلاقات السياسية الدولية	International political relations
ـ الدبلوماسية الشعبية	Public diplomacy

ويمكن أن نتناول بالمناقشة بعض تلك المصطلحات:

فاصطلاح الاتصال الدولي اصطلاح أكثر شمولا وأكثر اتساعا ولكننا نستخدم مصطلح الإعلام الدولي على اعتبار أن الإعلام يعني الدقة والموضوعية والصدق في نقل الأخبار والحقائق عن الدولة، وعلى اعتبار أن الإعلام يخاطب العقول لا الغرائز والعواطف، وربما كانت الدولة تعتبر نشاطها إعلاما ونشاط الدولة المعادية دعاية... غير أن كلمة إعلام نفسها قد أخذت هي الأخرى تتسم بنفس السمات التي لحقت بكلمة دعاية نتيجة للعبث والتزييف المقصود في الحقائق والأرقام والمعلومات عن الدولة. والذي يهمنا هنا هو أن الإعلام الدولي والدعاية الدولية هما جزءان من ظاهرة واحدة هي ظاهرة الاتصال الدولي وإن كنا نضع الإعلام الدولي على أحد الأطراف باعتباره اتصالا تحضيريا، ونضع الدعاية الدولية على الطرف الآخر، باعتبارها اتصالاً استمالياً.

والمقصود إذن بالإعلام الدولـي : هو تزويد الجماهير في الدول الأخرى بالمعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة بقصد التأثير على تلك الجماهير وإقناعها بعدالة قضايا الدولة وبالتالي تبني جماهير الدول الأخرى لمواقف تلك الدولة.

ودور الإعلام هنا والإعلام الدولي بصفة خاصة: هو نقل الحقائق أو نقل صورة الشيء لا إنشاء هذه الصورة. وبالتالي فان الإعلام الدولي الناجح لا يمكن أن يصدر عن سياسة فاشلة ولا يمكن أن يصدر عن هزيمة عسكرية فالإعلام لا يرسم سياسة الدولة ولكنه معبر عنها فقط.

ولكن الإعلام من الناحية التطبيقية قد استخدم للتأثير الاتصالي على الناس عن طريق نقل بعض الأخبار والحقائق وإغفال البعض الآخر. بل وتعمد بعض الحكومات ـ ضمن نشاطها الإعلامي ـ إلى إصدار ما تسميه ببيانات التغطية Covering Statements (ومن أمثلة ذلك بيان الحكومة الأمريكية بالنسبة لطائرة التجسس U_2 على الاتحاد السوفيتي) أو عن طريق أسلوب عرض بعض الأخبار والصور والحوادث والمعلومات في الصفحة الأولى، أو عن طريق الوكالات الدولية للأنباء أو غير ذلك.

وعلى كل حال فيقصد بالإعلام الدولي نقل المعلومات العلمية والحقائق والأخبار غير الملونة، أكثر مما يقصد به أي شكل آخر من أشكال الاتصال نظرا لأن كلمة الإعلام information تقصر عن التعبير عن ظاهرة الاتصال، فالإدلاء من جانب واحد وهو الإعلام لا يعبر عن التفاعل والمشاركة أو عن رجع الصدى Feed Back الذي تعبر عنه كلمة الاتصال.

الإعلان الدولي:

الإعلان بصورة عامة هو دعاية تجارية للمنتجات وهو يهدف إلى نقل السلعة من مكان إنتاجها إلى مكان استهلاكها عن طريق ترغيب المستهلك في الإقبال على السلعة، وهناك فرق نظري بين الإعلام والإعلان، ذلك لأن الإعلان يتوجه عادة بالدرجة الأولى إلى الغرائز والعواطف لا إلى التفكير العقلاني كما هو الحال مع الإعلام.

وإذا ما نظرنا إلى صحافة العالم نجد اختلافاً كبيراً في نسبة الإعلان للمحتوى التحريري.

فهناك القليل من الإعلانات في صحف الدول الشيوعية المملوكة للدولة، أما في الدول الغربية فقد تصل نسبة الإعلان إلى ٤٠٪ والمواد التحريرية ٦٠٪ وفي الولايات المتحدة الأمريكية تكاد تكون هذه النسبة معكوسة أي ٦٠٪ للإعلان ٤٠٪ للتحرير.

وتختلف طرق الإعلان ونماذجه من دولة إلى أخرى، ومع ذلك فقد تأسست سنة ١٩٥٧ منظمة تضم مختلف الصحف اليومية الأوروبية واقترحت هذه المنظمة التعاون والتنسيق في الممارسات الإعلانية، وأطلقت على نفسها اسم TEAM Top European Advertizing Media وهي تتكون في الوقت الحاضر من ١٧ صحيفة يومية من ١١ دولة، وتكونت هذه المنظمة بمبادرة من الصحيفة اليومية الفرنسية Le Figaro والصحيفة الهولندية في أمستردام المسماة Algemeen Handelsblad. أما بالنسبة للإذاعة فيمكن القول إنه منذ أواخر سنة ١٩٢٠ فقد أصبح ثمن الرسالات الخاصة بالمنتجات بمختلف أشكالها والمذاعة بالراديو عنصرا أساسياً من عناصر تمويل محطات الراديو داخل الولايات المتحدة وغيرها من الدول كما طبق نفس النظام الإعلاني على التليفزيون.

ويمكن أن نلاحظ أن ثمن الرخصة Licence في معظم البلاد الأوروبية يغطي تكاليف الراديو والتليفزيون، كما أن الوقت المحدد للإعلانات التجارية محدود بعدد معين من الساعات حيث لا توجد الإعلانات في غير هذه الفترة المحددة. ويستثنى من هذا الإجراء المتبع راديو لكسمبورج الذي يعتبر محطة إذاعية تجارية ويصل صوت الراديو إلى معظم أجزاء أوروبا سواء على الموجة المتوسطة أو القصيرة، ولا يحتوي راديو لكسمبورج على برامج الإعلانات التجارية من مختلف الدول، لكنه يخدم برنامجه الترفيهي بلغات متعددة.. كما أن هذا النموذج للراديو موجود في أنحاء أخرى من العالم.

ومع ذلك فهناك مشاكل خاصة بالإعلان الدولي وهذه المشكلات تتعلق بنقل الإعلان إلى اللغات المتعددة، وتولي وكالات الإعلان أهمية متزايدة لحل هذه المشاكل عن

طريق دراسة عادات وثقافات الشعوب المختلفة واستخدام اللغة ولهجاتها المحلية في الدول المختلفة.

العلاقات العامة الدولية:

تحاول العلاقات العامة تقديم صورة طيبة للأشخاص أو الهيئات أو الجماعات، أي أنها تقوم بوظيفة دعائية الغرض منها الحفاظ على العلاقات الطيبة وتدعيمها، والعلاقات العامة تستعين في تحقيق أغراضها بالإعلان والإعلام وعرض الأفلام وتنسيق المعارض وغيرها. ويوجد بمعظم الهيئات الدولية برامج وخدمات للعلاقات العامة للتعريف بنشاطات تلك الهيئات وتدعيم علاقتها الطيبة مع الجماعات والهيئات والأفراد.

ويمكن أن نطلق على العلاقات العامة وصف الدعاية المثالية Idealistic Propaganda للأشخاص أو الجماعات أو الهيئات، وذلك بالنسبة لصورتهم العامة، وتختلط في كثير من الأحيان عناصر الإعلان مع عناصر العلاقات العامة، وكثيرا ما تكون حملات العلاقات العامة سلسلة من الإعلانات.

وإذا كنا قد حاولنا أن نربط بين الإعلام الدولي والإعلان الدولي والعلاقات العامة الدولية فهناك أيضا عملية الثقافة الدولية أو العلاقات الثقافية الدولية... ويفرق بعض الباحثين بين الاتصال الثقافى Cultural Communication والاتصال الدولي. وذلك على اعتبار أن الاتصال الثقافي يعتبر عملية تبادل للأفكار والمعاني بين الشعوب مختلفة الثقافات، أما الاتصال الدولي فهو عملية اتصال بين مختلف الأقطار والدول عبر الحدود السياسية (٥) .

ونحن نلاحظ أن الاتصال الثقافي بين الدول والاتصال الدولي قد يكونان شيئاً واحدا في بعض الأحيان، ولكنهما يمكن أن يكونا شيئين مختلفين، ذلك لأن هناك اتصالا دوليا بين شعوب تشترك في ثقافة واحدة (وغالباً ما تستخدم لغة واحدة للتخاطب أيضا) وتفصلها مع ذلك حدود وطنية، والعكس صحيح، أي أنه من الممكن أن تجد اتصالا ثقافيا

(5) Gerhard Meletzke. "Intercultural and International Communication" In **International Communication** ed. by Fisher and Merrill ch. 12.

داخليا أي داخل حدود دولة واحدة وذلك إذا كان داخل الدولة شعوب مختلفة في الثقافات (وغالباً تتحدث هذه الشعوب بلغات مختلفة) أي أنها تكون جماعات أقلية.

الاتصال الدولي والاتصال السياسي والدبلوماسية الشعبية:

يذهب كثير من الباحثين إلى أن الاتصال الدولي لا ينبغي أن يقتصر على مجرد الحملات الإعلامية التي تقوم بها الحكومات، ذلك لأن الاتصال الدولى يشمل المفاوضات التى يقوم بها الدبلوماسيون ونشاطات الوكالات الدولية للأنباء بالإضافة إلى الانطباعات التي يحملها السائحون وغيرهم من البلاد الأخرى.

ولعل هذا الاتصال الدولي أن يشمل كذلك التأثير المتنامي وغير المخطط له المتعلق بتبادل الكتب والأعمال الفنية والأفلام التي توزع في الدول الأجنبية سواء ظهرت في السينما والتليفزيون أم لم تظهر، كما يشمل الاتصال الدولي في رأي هؤلاء الباحثين اللقاءات الدولية عن طريق الطلاب والأساتذة والعلماء وخبراء المعونة الفنية ومكاتبات واتصالات المصالح التجارية والمبشرين والحركات الدينية ونشاطات جماعات الضغط الدولية مثل الاتحادات التجارية وغرف التجارة والأحزاب السياسية (خصوصا الأحزاب ذات الفروع والاتصالات الدولية).

ولعل هذا التعريف الواسع للاتصال الدولي أن يشمل الدبلوماسية الشعبية أيضا، ويعرف البعض الدبلوماسية الشعبية بأنها الطرق التي تستطيع بها الحكومات أو الأفراد أو الجماعات أن تؤثر بصفة مباشرة أو غير مباشرة على الاتجاهات والآراء العامة بحيث يكون لهذا التأثير ثقل ووزن على القرارات التي تتخذها الدولة في المجال الخارجي، وعلى العكس فالدبلوماسية الشعبية تركز على مختلف أشكال الاتصال واللقاءات أي التقاء أمة بأمة أو جماعة بجماعة أو فرد من دولة معينة بفرد من دولة أخرى أو صحافة بصحافة أو برامج إذاعية ببرامج أخرى وهكذا[٦] ..

---

(6) Hoffman, A. (ed) International Communication and the New Diplomay, p. 3.

أما بالنسبة لمصطلح الاتصال السياسي فهو يعني استخدام الدول الوطنية لأساليب الاتصال والإعلام اللازمة للتأثير على السلوك السياسي للجماهير في الدول الأخرى، وبالتالي فنحن ندخل النشاطات الدعائية والإعلامية للوكالات الحكومية في هذه الدراسة، خصوصا نشاطات وزارات الاتصال والدفاع وبعض الاتصالات الدبلوماسية، ولكننا نستبعد من ذلك الاتصال النشاطات التي تقوم بها الجماعات الصحفية والهيئات التي تعنى أساسا بالتعليم والتربية على المستوى الدولي، كما نستبعد أيضا البعثات التبشيرية أو الدينية (٧).

وإذا كنا قد تعرضنا لاصطلاح الاتصال السياسي الدولي فهو قريب من مصطلحات الدعاية السياسية الدولية واصطلاح الحرب النفسية، وعلى الرغم من أنه ليس هناك تعريف واحد للدعاية فيمكن أن نقول بأن الدعاية السياسية تدلنا على الجهود الواعية (المقصودة) التي يقوم بها الداعية لنشر أفكار وآراء أو معتقدات معينة من أجل التأثير على الرأي العام وعلى السلوك الاجتماعي للجماهير دون أن تفكر هذه الجماهير في الأسباب التي دفعتها لتبني تلك الآراء والمعتقدات والبحث عن منطقيتها. وإذا كان التعليم وهو أحد أساليب الاتصال يحاول كذلك التأثير والسيطرة على التفكير وعلى السلوك فان ذلك يتم بطريقة تحث المتعلمين على البحث عن أسباب اتخاذهم لقرار أو فعل معين. كما أن التعليم يهدف إلى تكوين الشخصية المتكاملة للمواطن باعتبار التعليم عملية اتصال طويلة المدى والدعاية تستهدف عادة التأثير الوقتي بالدرجة الأولى، ولو أن الدعاية من جانب آخر تستغل المناهج التربوية التعليمية لغرس مذاهب ومفاهيم معينة خصوصا بالنسبة للتعليم العام وتعليم الصغار (وسنعود إلى مناقشة ذلك عند دراسة التنشئة الاجتماعية السياسية الدولية).

وإذا كان الإعلام يقوم بنقل الحقائق والمعلومات للجمهور فإن الدعاية تهدف إلى غاية محددة هي سوق الجماهير سوقاً لفكرة أو مذهب سياسي معيَن، ويمكن أن تستخدم الدعاية بعض الحقائق المجردة التي ينشرها رجل الإعلام، وذلك كجزء من أساليب الدعاية والانطلاق من هذه الحقائق إلى تفسير يريده الداعية للتأثير الانفعالى على

(7) Fisher, H.d. and Merill, J.C. International Communication, P. 461.

الجماهير، نظرا لأن الدعاية تخلق جوا من الاستهواء والإغراء بصرف النظر عن الموضوع ومنطقيته فالهدف ليس الإقناع المنطقي بل الاغتصاب النفسي واستمالة الجماهير بأي ثمن.

الحرب النفسية : وتعتبر هذه الحرب شكلاً من أشكال الدعاية تهدف إلى تحطيم الروح المعنوية للعدو دون قتال فعلي بالتحام السلاح، من أجل ذلك فتستخدم الحرب النفسية الدبلوماسية وسياسة التلويح باستخدام القوة العسكرية أو الضرر الاقتصادي (المعونات الخارجية) وغير ذلك من الأسباب للتأثير على نفسية العدو وتثبيط همته والقضاء على روح المقاومة فيه وإقناعه بالهزيمة كقدره المحتوم ويجب الإشارة إلى أنه لكي تنجح الحرب النفسية ضد العدو فلابد من دراسة العدو دراسة موضوعية وذلك للتعرف على مقومات شخصيته من دين ولغة وتاريخ وأهداف وأسلوب في الحياة ونظام اجتماعي وسياسي وتركيب اقتصادي وميراث ثقافي وحضاري، وكذلك معرفة المبادئ النفسية والمقدرة على تطبيقها وبدون هذه الدراسة المعمقة لا يمكن التأثير على الفرد أو كسب الحرب النفسية، والعكس صحيح بالنسبة للتخطيط ضد الحرب النفسية.

وللحرب النفسية أسماء متعددة منها الحرب الباردة والحرب الأيديولوجية وحرب الأعصاب والحرب السياسية وحرب القوة الفكرية، وهي تهدف في المجال الخارجي إلى التأثير على آراء وسلوك وعواطف جماعات أو دول أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة. وذلك من أجل متابعة سياسة الدولة ومصالحها.

وأخيرا فهل سيتحدد الاتصال الدولي بالضرورة في إطار العلاقات السياسية حيث تتغلب المصالح الوطنية على المصالح الإنسانية أم هل يستطيع الإعلام الدولي أن يكون صوتا ثالثا يتفق على قواعد مشتركة للانطلاق منها في تربية الشعوب وتثقيفها؟ وهذا يقودنا إلى التعرف على ما يسمى بالتنشئة الاجتماعية السياسية الدولية International Political Socialization هذه التنشئة التي تهتم ببناء أو زرع اتجاهات مشتركة Attitudes على اتساع العالم كله.

التنشئة الإجتماعية السياسية الدولية : للتنشئة الاجتماعية السياسية مفهومان أحدهما ضيق والآخر واسع عريض ويقصد بالمفهوم الضيق: أنها تلك العملية التي تؤدي إلى التشريب "التعليم" المقصود للمعلومات السياسية والقيم والممارسات الفعلية، وذلك عن طريق الهيئات التعليمية المسئولة عن ذلك بصورة رسمية في كل دولة.

أما التعريف الواسع: فيتضمن كل تعلم سياسي رسمي أو غير رسمي غير مقصود أو مخطط له بحيث تتصل هذه العملية بجميع مراحل دورة الحياة للفرد.. كما تشمل هذه العملية أيضا التعلم السياسي الصريح الواضح والتعلم غير السياسي الذي يمكن أن يؤثر على السلوك السياسي (وذلك مثل تعلم الأفراد بعض الاتجاهات الاجتماعية ذات الارتباط بالسياسة) أو اكتساب الأفراد لصفات شخصية لها علاقة بالسياسة.

والكاتب يؤيد هذا التعريف الواسع لعملية التنشئة الاجتماعية السياسية ولكن ينبغي أن نسجل هنا صعوبتها على المستوى الدولي. ذلك لأن هذه العملية تدلنا على الطرق التي ينقل بها المجتمع ثقافته السياسة من جيل إلى جيل، كما أن هذه العملية يمكن أن تخدم في الحفاظ على المؤسسات والمعايير السياسية العزيزة لدى مجتمع معين. ومن الواضح أن المجتمع الدولي ليس لديه هذه المواصفات بل هناك نظم سياسية متصارعة ؛ وقد تهدف بعض النظم إلى تغيير النظم السياسة في دول أخرى بما يتفق مع ما تمارسه أو تقتنع به من نظام سياسي،[١٩٥] ومع ذلك فلا ينبغي أن نفقد الأمل في أطفال العالم حيث يمكن أن يشتركوا في تعاليم واحدة تحض على عدم الكراهية والحقد مع المتابعة العقلانية للمصالح الوطنية والقومية. وإذا ما حدث ذلك فانه سيعتبر ثورة فى العلاقات الإنسانية على المستوى الدولي..

وبعد هذا العرض السريع لأشكال الاتصال الدولي وأساليبه وفنونه، يمكن أن نقول بأن علم الاتصال الدولي هو علم تخليقي يعتمد بصفة أساسية على علم العلاقات الدولية وعلوم الاتصال والإعلام، ولكنه يعتمد بدرجات متفاوتة أيضا على العلوم السياسية وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأنثروبولوجيا وغيرها..

ومن هنا كان على المتخصصين في الاتصال الدولي أو الباحثين في هذا المجال أن يتناولوا أحد جوانبه فقط، وذلك حتى يمكن الوصول إلى نظرية متكاملة للإعلام الدولي، فالباحثون في قوانين الإعلام وتاريخه مثلا يمكن أن يتبنوا اتجاهات البحث المقارنة الدولية، أما نظم الاتصال الجماهيري في البلاد المختلفة فهي ذات ارتباط وثيق بشكل النظام السياسي والاجتماعي لتلك الدول وهكذا.

ولعل هذه النتيجة هي التي تعطينا بعض المؤشرات عند تناولنا للبحث ومناهجه في مجال الإعلام الدولي، إذ حاولت أن أضيف إلى المجالات والمناهج المتعارف عليها بعض الدراسات السلوكية في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، باعتبارها ذات ارتباط وثيق بمجال الإعلام الدولي.

الباب الثاني

الإعلام الدولي

وقضايا الحرية والثقافة والعلم والتنظيم والمعلومات

الفصل الثالث : العوامل السياسية والتعليمية والاقتصادية وعلاقتها بحرية الإعلام الدولي.

الفصل الرابع : رحلة المعاناة مع صحافة العصر الحاضر وجهود الأمم المتحدة.

الفصل الخامس : الإعلام الدولي وتحديات الاتصال الثقافي.

الفصل السادس : الإعلام العلمي الدولي وتأثير العلم على العلاقات الدولية.

الفصل السابع : التهديدات الكونية لتدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية.

الفصل الثامن : واقع النظام العالمي الإعلامي المعاصر.

الفصل التاسع : النظام العالمي الإعلامي الجديد وبعض مقومات إنشائه.



الفصل الثالث

العوامل السياسية والتعليمية
والاقتصادية وعلاقتها بحرية الإعلام

أولا: البعد السياسي لمشكلة حرية الإعلام والمسئولية الاجتماعية:

يعتبر كثير من المسئولين الحكوميين - خصوصا في الدول النامية - أن مصطلح "حرية الصحافة" يعني أن تمارس الصحافة ما تشاء من سياسات، دون أي ضوابط ودون اعتبار للصالح الوطني على وجه الخصوص. بل لعل بعض هؤلاء المسئولين يساوون بين "الصحافة الحرة" و "الصحافة المعادية"، ذلك لأن الصحافة قد استطاعت أن تسقط أحزابا سياسية وحكومات عديدة، أبعدتها عن السلطة، ومن هنا يتكون شعور متبادل من عدم الثقة بين الحكومة ووسائل الإعلام.

وإذا كانت بعض الحكومات تنظر بارتياب إلى مصطلح "الصحافة الحرة"، فان الذين يعملون بالإعلام، لهم تحفظات أيضا على مصطلح "الصحافة المسئولة" ذلك لأنهم يرون أن هذا الالتزام معناه أن يكونوا دائما على اتفاق مع السلطة وأن يؤيدوا كل حكومة.

أي أن كل جانب يركز على مصطلح واحد، ويتجنب المصطلح الآخر. الصحفيون يؤكدون على "الحرية" والسياسيون والحكومات يركزون على "المسئولية".

هذا ويرى بعض الباحثين[٨] أن الصحافة تستطيع أن تنمو كوسيلة إعلام صادقة، بدلا من أن تكون مجرد أداة دعائية إذا توافرت لها الشروط التالية:

(أ) الاستقرار السياسي وسماحة الحكومة ومقدرتها على تقبل ومواجهة النقد.

---

(8)Floyd G. Arpan, "What is a responsible press for Emergent Nations ?" (In International Communication edited by Fischer and Merrill, p. 167).

(ب) درجة الأمن الممنوحة للمواطن الفرد، ورغبته في الحصول على المعلومات الصادقة، أي وجود رأي عام ناضج.

(جـ) مستوى التعليم وقلة نسبة الأمية بين أفراد الشعب، ذلك لأنه كلما ارتفعت نسبة التحصيل الفكري، كلما اتسعت اهتمامات الناس، وكلما كانت حاجتهم للمعلومات كبيرة.

(د) الاستقرار المالي لوسائل الإعلام، فالصحف التي يتم صدورها عن طريق الإعانات المدفوعة من الحكومة أو الأحزاب السياسية، لا تستطيع الوصول إلى درجة مناسبة من الحرية والاستقلال في عرضها للأنباء، ذلك أن الصحيفة ينبغي أن تكون قادرة على تمويل نفسها بنفسها، دون أن تضطر عن طريق التدخل الاقتصادي إلى الالتزام بمن يدفعون لها فواتير وجودها.. والتدخل الاقتصادي هذا قد يأتي من مصادر عديدة كالحكومات أو الأحزاب أو الرأسمالية الفردية أو الإعلانات أو غير ذلك من المصادر..

وينبغي أن نقرر هنا أن الدول التي لديها صحافة حرة ومسئولة لم تصل إلى ذلك بقوة سحرية في لحظات، وإنما استغرقت عملية ولادة الصحافة الحرة والمسئولة والمستقرة، أجيالا عديدة.. استغرقتها في التجربة والخطأ وفي تدريب أفرادها وفي تنمية وعيهم الاجتماعي وحسهم الوطني وبلورة الأفكار التي تخدم الصالح الوطني، ويلتزم بها الجميع حكومة وصحافة ومواطنين.. فضلا عن إرساء قواعد واضحة للسلوك الأخلاقي وإمكانية وضع الضوابط الذاتية والتنظيمية داخل المؤسسة الصحفية نفسها، باعتبارها سلطة من السلطات ولها علاقات واضحة ومقننة مع السلطات الأخرى الثلاث: القضائية والتشريعية والتنفيذية، وذلك في المجتمعات الديموقراطية الدستورية..

ولكن المعركة التي تحارب اليوم هي معركة من أجل السيطرة والتحكم في عقول الرجال. فالإعلام الدولي والدعاية الدولية، يمكن أن توجه أو تحول، لا مسار الأفراد فحسب، بل مسار أمم بأسرها كذلك..

من أجل ذلك فنحن حين ندرس صحافة أمة معينة، نحاول أن نتعرف على فلسفة الإعلام بها، ذلك لأن هذه الفلسفة تعكس عادة النظام السياسي القائم، ومع ذلك فلو اتحدت نظم سياسية في دول مختلفة على المبادئ العامة الفلسفية، فإنها ستختلف بالتأكيد في التطبيق والممارسة، وذلك يرجع في رأينا لبلورة هذه الأمة أو الدولة لما تراه صالحها القومي وبناء قوتها الذاتية أمام غيرها من الدول.

[National Interests and Power versus other nations and states]

ومن هنا يصبح من المناسب أن نستعرض في عجالة فكرة المسئولية الاجتماعية والحرية في كل من النظم الديموقراطية والشمولية وتأثيرات ذلك على الاتصال الدولي..

لقد حاول كل من فريد سيبرت وزملاؤه[٩]، أن يضعوا المسئولية الاجتماعية كواحدة من النظريات الصحفية الأربعة أي إلى جانب نظريات الحرية Libertartian Theory والتسلطية والشيوعية، وأصبح كتاب سيبرت وزملائه، حجة يرجع إليها في مختلف الدراسات الإعلامية والمقالات العلمية و الرسالات الأكاديمية وإن كانت هذه النظريات الأربعة قد تعدلت فى الكتب والدراسات الحديثة إلى ستة.

ودعاة المسئولية الاجتماعية يؤكدون انبثاق مفهومها من نظام الحرية الصحفية ولكن نظرية أو مفهوم المسئولية الاجتماعية تضع قيودا معنوية وأخلاقية عديدة على الصحافة، وإذا لم تأت هذه المسئولية بالاختيار، فلابد أن تنظمها أو تفرضها الحكومة على وسائل الإعلام.. أي أن مفهوم المسئولية الاجتماعية يتضمن اعتراف وسائل الإعلام بأنها يجب أن تقوم بخدمة عامة لتبرر وجودها..

وإذا كان هناك اتجاه عالمي نحو الشك أو عدم الرضى بالحرية الأكاديمية كما دعا إليها ميلتون ولوك وجيفرسون وغيرهم.. وإذا كان هذا الاتجاه الجديد يتضمن مفهوم المسئولية الاجتماعية، فمن الذي يحدد ويقرر ماهية هذه المسئولية الاجتماعية؟ فتشارك الصحافة بذلك في إظهار الجوانب الإيجابية للمجتمع لا مجرد الجوانب السلبية فقط..

---

(9)Fred S. Siebert, Theodore Peterson and Wilbur Schrumm, Four Theories of the Press Urbana, Univ., of Ill Press, 1956.

الواقع أن تدخل الحكومة أمر لا مفر منه، وإن كنت أقصد بالحكومة هنا، أي في المجتمعات الديموقراطية الدستورية، ليس السلطة التنفيذية، وإنما سلطة الصحافة كفرع من فروع الحكومة، بحيث يعبر هذا الفرع عن قيم المجتمع وطريقة الحياة التي يرتضيها، وبحيث تعكس الصحافة مفاهيم المجتمع السياسية والفلسفية والاجتماعية، في إطار الصالح الوطني وبناء القوة الوطنية الذاتية مرة أخرى.

وإذا صح هذا التحليل فان كل النظم الصحفية في العالم تدين بنظرية المسئولية الاجتماعية، ذلك لأن نظام الصحافة الماركسي والشيوعي مثلا يعتبر نفسه مسئولا اجتماعيا نحو نظامه الاجتماعي، وإن كانت الصفوة الحاكمة في الحزب الشيوعي هي التي تحدد وتعرف مضمون هذه المسئولية.. والصحافة الرأسمالية مسئولة اجتماعيا نحو النظام الاجتماعي الرأسمالي، وإن كانت الصفوة الحاكمة هي التي تحدد مضمون هذه المسئولية داخل إطار فلسفة التعدد Pluralism.

أما في نظام الصحافة التسلطي Authoritarian، فيعمل الصحفي بمهنة الصحافة كامتياز خاص يمنحه أو يمنعه عنه الزعيم الوطني. والصحفي بذلك ملتزم بتأييد الزعيم وحكومته، والمسئولية الاجتماعية هنا تكمن في سلطة الدولة والتوازن الوطني والحفاظ على الوضع القائم..

ولعل الصحافة أن تكون حرة بعد هذا كله في حدود مفهوم المسئولية الاجتماعية لكل نظام من النظم، وهي مسئولة اجتماعيا وحرة مرة أخرى في حدود الصالح الوطني وبناء القوة الذاتية الوطنية.. واستطراداً من هذا المفهوم، فان استخدام الإعلام والدعاية الدولية قد تفسر وتطوع لخدمة هذا الغرض. ومن هنا يصبح من بين مهام الدعاية الدولية أن تشتري الصحافة المحلية في بلاد أخرى، وأن تعمل على تحطيم الروح المعنوية لشعب معاد أو أن تعمل على زيادة التمزق الداخلي في هذه الدولة أو تلك..

ولعل هذا الذي نقوله هو خطة تتبعها الدول الكبرى في عصرنا الحاضر مع الدول الأصغر منها..

ثانيا ـ التعبير الكمي عن علاقة التعليم والتطور الاقتصادي والمشاركة السياسية بالحرية الصحافية:

لقد وضع ولبر شرام ـ وهو أحد علماء الاتصال الجماهيري ـ الملاحظة التالية في مقالة عن التحدي الذي يواجه بحوث الاتصال(١٠) :

إذا قام أحد الباحثين بدراسة كتاب الاتصالات الدولية World Communications الذي نشرته هيئة اليونسكو الدولية، أو إذا قام بدراسة عشرين مقال في مجلة الصحافة الفصلية Journalism Quarterly عن الصحافة في عشرين دولة، فسيتضح أمامه أن تطور النظم الصحفية الوطنية، يرتبط بعوامل عديدة من بينها نسبة الأمية (وعلى الأصح نسبة معرفة القراءة والكتابة) في كل دولة، والناتج الإجمالي القومي، وتوزيع الثروة والسكان.. إلى غير ذلك من العوامل..

ولكن نوعية هذه العلاقة أو الارتباط بين تلك العوامل وتطور النظم الصحفية غير معروف على وجه التحديد.. ولعل نقص المعلومات والبيانات الدقيقة عن صحافة الدول المختلفة.. كان من بين الأسباب التي لم تدفع بالدراسات المقارنة الصحفية للأمام ولم تساعد على تحديد تلك العلاقات والروابط ولم تؤد بالتالي إلى نظرية للاتصال يثق فيها عدد كبير من الدارسين والباحثين .

ومع ذلك ولحسن الحظ فقد أدت جهود الباحثين في دول مختلفة وجهود الهيئات الدولية وخصوصا هيئة اليونسكو ومعهد الصحافة الدولي.. إلى ظهور عدد من الدراسات والبحوث والكتب ذات الأثر الملموس في تقدم وإثراء المعلومات عن نظرية للاتصال والصحافة المقارنة.. ومن بين هذه الدراسات كتاب دانيل ليرنر عن انحسار المجتمعات التقليدية The Passing of Traditional Society وكذلك الكتاب الذي أصدره معهد

(10) In Ralph O. Nafziger and davif M. White (eds.) Introduction to Mass Communications Research. Baton Rouge, Louisiana State Univ. Press, 1958; p. 17.

الصحافة الدولي بعنوان الصحافة في الأقطار التسلطية The Press in Authoritarian Countries والذي اشتمل على مسح وتقييم لدرجة الرقابة التي تمارس على الصحافة في أقطار العالم.

وإذا ما قورنت تقييمات معهد الصحافة الدولي مع تلك البيانات والمعلومات التي قام العالم ليرنر بتحليلها فسنضع أيدينا على بداية إجابة جزئية على السؤال التالي: كيف ولماذا يتطور أحد النظم الصحفية في بلد معين بمعدل أسرع من غيرها ؟

وليس هناك جديد بالطبع إذا ذهب أحدنا إلى القول بأن النظام الصحفي الحر يوجد عادة في البلاد التي تقل فيها نسبة الأمية والتي يتوفر لها دخل عال للفرد.. ولكن الجديد في ذلك أن نقرر في ثقة تعتمد على الدليل أن هناك علاقة بين العوامل الثقافية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية وبين الحرية والرقابة على الصحف، وان هذه العلاقة يمكن التعرف عليها بطريقة ثابتة ومحددة ومنهجية..

ولقد قام الباحث ريموند نيكسون[11] بالتصدي لهذه المشكلة وبدراسة لاختبار الفرض الخاص بالعلاقة بين تلك العوامل وبين الحرية الصحفية، وقد جمع لهذا الغرض أحدث البيانات والمعلومات التي أصدرتها هيئة الأمم المتحدة وهيئة اليونسكو والمتعلقة بنظم الصحافة الوطنية.. ثم قام نيكسون بتنظيم وترتيب هذه البيانات في أعمدة معينة وأمامها وموازٍ لها البيانات والمعلومات التي أصدرها معهد الصحافة الدولي (والمنظمة الوليدة وهي جمعية الصحافة للأمريكتين).. كما قام بالتحقق من المعلومات والبيانات من مصادر أخرى.

ولقد كانت النتائج التى توصل إليها هذا الباحث ذات أهمية ودلالة كبيرة وخصوصا إذا تم تحليل هذه النتائج على ضوء نظرية ليرنر السابق الاشارة إليها فى كتابه "انحسار المجتمعات التقليدية".

---

(11) Raymond B. Nixon, "Factors Related to Freedom in National Press Systems, In **International Communication**, edited by Heinz-Dietrich Fischer and John C. Merrill New York, Hostings House Publ., 1970,115.

ولعل إسهام ليرنر فى هذه الناحية يتركز فى الدور الديناميكى لوسائل الاعــلام فـى بناء المجتمع الحديث وفى الحفاظ على استمراريته. أما تحليـل البيانـات والمعلومـات التـى اصدرتها الأمم المتحدة واليونسكو فيدلنا على الأهمية الأساسية لتعلم القراءة والكتابة..

وعلى سبيل المثال فقد وجد جولدن Golden[١٢] أن هناك علاقة ارتبـاط (بمعـدل ٨٧,) بين تعلم القراءة والكتابة وبين التصنيع كما أن هنــاك علاقـة ارتبـاط Correlation (بمعدل ٨٤,) بين معرفة القراءة والكتابة ومستوى الدخل الفردى..

وينبغى أن نشير إلى أن هذه العلاقة السابقة هى علاقة إسـتاتيكية وتتصـل بصـورة غير مباشرة فقط بالصحافة وبالنظم السياسية.. ولكـن ليرنر وضـع هـذه العوامـل الثقافيـة والاجتماعيـة والاقتصاديـة فـى نظريـة عامـة للتحديث تشـمل قنـوات الاتصــال وتشـمل المشاركة السياسية كذلك.

ولقد استمد ليرنر الفرض الذي وضعه مـن التـاريخ، ذلـك لأنـه رأى أن تحديـث الديموقراطيات الغربية قد أظهر عـدة مكونـات وعنـاصر متتابعـة لهـا تـأثيرات وتطبيقـات عالمية - مـن وجهـة نظـره - وسـنناقش ذلـك بالنسـبة للمجتمعـات الشـيوعية والمجتمعـات المتنامية في الشرق العربي وأفريقيا وآسيا بعد قليل.. ولكن ما يهمنا هنا بالنسبة لما ذهـب إليه ليرنر فـي الديموقراطيـات الغربيـة علـى وجـه الخصـوص أنـه وجـد أن التحضـر أو التمدن Urbanization (والتصنيع جزء منه) يؤدي إلى زيادة التعليم وتقليل نسبة الأميـة، وأن زيادة التعليم تؤدي بدورها إلى زيادة التعرض لوسائل الإعلام،.. وأن زيادة التعـرض لوسائل الإعلام يتم جنبا إلى جنب مع كل من المشاركة الاقتصادية الأعرض (زيادة دخـل الفرد) ومع المشاركة السياسية (التصويت). أي أن تحليله هذا السابق يعتبر حقيقة تاريخية في الديموقراطيات الغربية.

(12) H. H. Golden, "Interacy and Social Change in under developed Countries," in **Rural Socity**, 20: 1-7 (1955).

ولقد توصل ليرنر - بناء على البيانات والمعلومات المجمعة من مطبوعات الأمم المتحدة واليونسكو عن (٥٤) دولة - إلى بعض المعايير في العوامل الأربعة التالية يضمها نموذجه عن التحديث:

١ ـ التمدن: Urbanization نسبة السكان الذين يعيشون في المدن وتزيد على(٥٠) ألف نسمة.

٢ - القراءة والكتابة: Literacy نسبة الأشخاص البالغين (ممن تزيد أعمارهم على ١٥ سنة) القادرين على القراءة والكتابة بلغة واحدة.

٣ - المشاركة في وسائل الاتصال: نسبة الذين يشترون الصحف ويمتلكون أجهزة راديو ويذهبون للسينما (وكل هؤلاء يضمهم رقم معياري واحد One Index number)

٤ ـ المشاركة السياسية: متوسط نسبة التصويت في آخر أربعة انتخابات قومية. كما وجد ليرنر أن معاملات الارتباط المتضاعفة لهذه المتغيرات الأربعة هي ما يلي: التمدن (٠,٦١) القراءة والكتابة (٠,٩١)، المشاركة في وسائل الإعلام (٠,٨٤)،المشاركة السياسية (٠,٨٢).. وكل واحد من هذه المعاملات يمثل درجة الارتباط بين المتغيرات الثلاثة المتبقية[١٣].

ولكن إظهار هذه العلاقات المنهجية بين المتغيرات الأربعة يعتبر مجرد مقدمة لإسهام ليرنر الرئيسي وهو إضافة متغير الشخصية الخاص بالتقمص Empathy ويعرف ليرنر التقمص بأنه المقدرة على أن يرى الشخص نفسه في مكان الآخرين.

ولقد استطاع ليرنر أن يتعرف على الأفراد الأكثر مقدرة على التقمص في العينة المسحية التي تضمنت مقابلة (١٣٥٧) مفحوصا في ستة بلدان من أقطار الشرق الأوسط، وذلك باستخدام أداة التحليل التي وضعها لازرزفيلد المعروفة باسم "أداة تحليل البناء الكامن" Latent Structure Analysis في تحليل الاستجابات لهؤلاء الأفراد، وذلك

(13) Daniel, Lerner, The Passing of Traditional Sociey Glenoe. Ill. The Free Press. 1958, pp. 46,63.

بالنسبة لتسعة أسئلة معبرة عن موضوعات مختلفة.. ومن أمثلة هـذه الأسئلة مـا يلـي: إذا كنت رئيسا للحكومة أو محررا في إحدى الصحف أو مديرا لمحطة إذاعة فما هي الأشياء التي تفكر في القيام بها وتنفيذها ؟

وقد وجد ليرنر أن الذين لديهم مقدرة أكثر على التقمص يتمتعون بشخصية متحركة mobile personality، ولعل هذه الشخصية هي التي تمكنهم من التعبير عن أفكارهم في موضوعات عديدة.. وتسهم وسائل الإعلام ـ بما تقدمه من آراء ومقترحات ودراسات ـ في بناء مثل هذه الشخصية القادرة على التقمص والمشاركة في الأمور العامة.. ووسائل الإعلام بذلك تؤدي خدمة لا يمكن الاستغناء عنها..

ولقد كان من بين النتائج التي توصل إليها ليرنر في دراسته: أن نظام الاتصال يعتبر أحد مؤشرات التغيير، كما أن نظام الاتصال يعتبر أيضا أداة التغيير في النظام الاجتماعي الكلي..

أما بالنسبة للنتائج الإحصائية للدراسة التي قام بها ريموند نيكسون عن العوامل المتعلقة بالحرية في النظم الصحفية الوطنية.. فقد أيدت هذه النتائج الإحصائية بشدة الفرض الذي وضعه نيكسون بأن هناك علاقة محددة ومنتظمة بين درجة الحرية في النظام الصحفي الوطني والمتغيرات الثلاثة التالية كما يلي:

ـ مستوى الدخل القومي	٠,٦٤
ـ نسبة البالغين الذي يعرفون القراءة والكتابة	٠,٥١
ـ نسبة الصحف اليومية لكل ألف من السكان	٠,٦٣

وكل واحد من معاملات الارتباط هذه له دلالة عند مستوى ال ١٪.

وبمعنى آخر إن هذه العلاقة الارتباطية ستوجد بمحض الصدفة في أقل من فرصة واحدة في المائة.

أي أنه كلما ارتفع مستوى الدخل كلما وجدت الظروف المهيأة لحرية الصحافة بما يصحبها من ديموقراطية سياسية، كما أن تعلم القراءة والكتابة له علاقة بحرية الصحافة، ولكن ليس بنفس الدرجة كما هو الحال بالنسبة لمستوى الدخل.. كما أن الإحصائيات تدعم كذلك ما يكشفه تاريخ الصحافة من أن ارتفاع نسبة توزيع الصحف والحرية الصحفية يسيران جنبا إلى جنب.

ولا نستطيع إلا أن نؤيد ما ذهب إليه الباحثان بالنسبة لهذه العلاقات الارتباطية في الديموقراطية الغربية التقليدية، ولكن هذه النتائج لا تنسحب بصورتها هذه على المجتمعات الشيوعية ذات مستوى الدخل المرتفع كما أنها لا تنسحب على أقطار عديدة في المجتمعات المتنامية ذات الدخل المنخفض وذات الأمية العالية، كما هو الحال في كل من الهند ومصر اللتين تتمتعان بحرية صحفية واضحة وبديمقراطية سياسية تعتمد على المؤسسات الديمقراطية.. ولعل الإجراءات الاستثنائية التي اتخذتها حكومة أنديرا غاندي قد أدت إلى سقوطها، كما أن الإجراءات الاستثنائية التي مارستها مراكز القوى أيام حكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هي التي أدت إلى سقوطها وعودة الحرية السياسية والحرية الصحفية جزء منها ـ بعد ثورة مايو سنة ١٩٧١.

ولعل ريموند نيكسون نفسه كتب تبريرات مستفيضة عن عدم تحقيق النموذج الذي ذهب إليه خارج الديمقراطيات التقليدية الغربية.. ولعله في تبريراته تلك قد ركز على العوامل الخارجية أو المفروضة على المجتمعات الأخرى والتي حالت دون تحقق الحرية الصحفية رغم توفر مستوى الدخل العالي ونسبة الأمية المنخفضة..

الفصل الرابع

رحلة المعاناة مع صحافة العصر الحاضر وجهود الأمم المتحدة

أولا ـ رحلة المعاناة مع صحافة العصر الحاضر[١٤]:

في يناير من عام ١٩٦١ نشرت كل من جريدة نيويورك تايمز ومجلة التايمز تقريرا عن حرية الصحافة في البلاد المختلفة.. وقد اعتمدت الصحيفتان في معظم جوانب هذا التقرير على نشرات معهد الصحافة الدولي الخاصة بهذا الموضوع، وسنتناول فيما يلي جزءا مما نشرته هاتان الصحيفتان..

تتعرض الصحافة في كثير من البلاد لرقابة مكشوفة أو مقنعة، كما تستخدم طرق الضغط والرقابة على أشكال ودرجات متفاوتة.. وإذا أخذنا عام ١٩٦٠ على سبيل المثال لاستعراض أحوال الصحافة في العالم فسيتبين لنا أن تلك السنة هي عام الاستقلال للعديد من الدول.. ولكنها لم تكن كذلك بالنسبة للصحافة.. ذلك أن الرقابة عند المصدر the source حيث تمسك الحكومة الأخبار عن الصحفيين ـ تعتبر أكثر الأشكال الشائعة عن الرقابة، وهناك طريقة أخرى للرقابة، مطبقة في مناطق كثيرة وتتمثل في تحديد سفر وانتقال المراسلين الأجانب أو إغلاق خطوط اتصالهم وتهديدهم بالتسفير من البلاد .

هذا وتكلف وكالة الاسوشيتدبرس Associated Press مكاتبها في البلاد المختلفة بإعداد تقرير عن الرقابة وغيرها من الظروف التي تؤثر على الانتقال الحر للأخبار والمعلومات عبر الخطوط الجوية.

وفيما يلي بعض نتائج هذا التقرير السابق الإشارة إليه:

---

(14)Time, January 6, 1961 and New York time, January 1, 1961.

طرق الضغط والرقابة:

إذا كانت حرية الصحافة قد اختفت عام ١٩٦٠، فإنها اختفت في بلاد يكفل دستورها حرية الصحافة.. بل لعل دساتير دول العالم كله ـ ومن بينها دساتير الدول الشيوعية ـ تكفل حرية الصحافة في بنودها، وربما تتخذ هذه المواد مكان الصدارة فيها، والشئ المؤسف أن صحافة العالم تفقد حريتها شيئا فشيئا.. فقد عدد معهد الصحافة الدولي خمسا وثلاثين دولة فقط ـ من بين مائة وخمس وأربعين دولة ـ تعتبر فيها الصحافة حرة فعلا.. ويمكن لنا أن نتبين بعض أمثلة لطرق الضغط والرقابة فيما يلي:

في كوبا: اختفت الصحافة الحرة بعدما أوقفت الصحيفة المستقلة information تحت ضغط فيدل كاسترو الذي شدد الرقابة عند المصدر بالإضافة إلى مضايقة الصحفيين.. وتقليل ما ينشر عن نقد نظامه إلى أقصى حد.. كما أن المطبوعات الأجنبية الواردة إلى كوبا تصادر وتعاد إلى المكان الذي جاءت منه.

في فورموزا: سجن الناشر الصحفي لي شن Lei Chen لأنه تجرأ وجاهر بنقد شاينج كاي شيك.

في أندونيسيا: إبان حكم الرئيس سوكارنو طلب من المحررين والصحفيين أن يقسموا يمين الولاء لنظامه (حيث قال: إن واجب صحافتنا أن تلتزم بتأييد الديمقراطية الموجهة) أو أن يفقدوا تراخيص صحفهم.. وفي أكتوبر الماضي ألغت أندونيسيا التراخيص الممنوحة لخمس وستين صحيفة، ثم أعادت التراخيص لخمس وخمسين فقط.. وذلك لأن العشرة الباقية لم تعد تراخيصها تتمتع برضى الحكومة.

في سيلان: التي تمارس ديمقراطية ذات أسلوب خاص ـ هددت رئيسة الوزراء مسز باندرانيكا بالاستيلاء على أكبر صحيفتين في البلاد لمعارضتهما لها أثناء الانتخابات.

في فيتنام الجنوبية: لا يعتقل الصحفيون وحدهم ولكن يعتقل العمال المشتغلون في المطابع الصحفية.. بل كثيرا ما تعتقل الحكومة هؤلاء الصحفيين والعمال وجميع أفراد عائلاتهم.

في اليمن: يتولى الإمام بنفسه فرض الرقابة على جميع البرقيات التي تخرج من البلاد.

في مصر: قام رجلها القوي جمال عبد الناصر بتأميم جميع الصحف المصرية.

أما في أفريقيا: فإننا نجد أنه من بين سبع عشرة دولة أفريقية نالت استقلالها هذا العام، فان نيجيريا هي الدولة الوحيدة التي ولدت بصحافة حرة.. إذ لم يعمد حكام أفريقيا - بعد أن تحررت بلادهم من الاحتلال الأجنبي - إلى إتباع المثل والمقننات التحررية Libertarian Standards، ولكنهم قاموا باتباع ما تسير عليه أقدم دول أفريقيا السوداء - ليبيريا - التي أخضعت الصحافة وكبلتها خلال المائة والثلاث والأربعين سنة الماضية.

هذا وتتفاوت درجات الحرية والضغط وطرق ممارستها في البلاد المختلفة فبعض الدول التي تخضع صحافتها للرقابة، تسمح للمراسلين الأجانب بتجميع الأخبار وإرسالها للخارج ثم تفرض الرقابة على الصحف والمجلات الأجنبية التي تشمل تحقيقات هؤلاء المراسلين.... وبعض الدول التي تدافع بحرارة عن حريات الشعوب على منصة الأمم المتحدة تفرض القيود على حرية شعوبها هي ولا تسمح للصحافة في بلادها أن تنشر الحقائق.

العيش مع المعاناة:

هناك درجات واشكال مختلفة من الرقابة على الصحافة وقد تكون رقابة غير عقلانية أو منطقية.

ففي المغرب أوقفت صحيفة " صدى المغرب " L'Echo du Maroc لمدة ثلاثة أيام لأنها أسقطت من اسم الملك محمد الخامس واحد من الأحرف

(an m from Mohammed)

أما في جنوب أفريقيا فهناك صحافة حرة، ولكن هناك تهديدا قانونيا مستمرا للصحفيين والمحررين الذين يمكن تغريمهم أو سجنهم حسب نصوص القانون.

أما في الهند فيتمتع الصحفيون بالحرية ولكن ذلك يرجع إلى شخص الزعيم نهرو الذي اختار عدم تطبيق مواد قانون العقوبات المتعلقة بالصحافة.. وقد قال أحد الصحفيين إن نهرو يسمح لي بمعارضته ونقده فهل ستسمح لي بذلك الحكومة القادمة؟.

وفي فرنسا التي اشتهرت بحرية الصحافة، فان الرقابة الصحفية قد أصبحت عادة حكومية في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية.. عادة يتبعها ديجول أكثر ممن سبقوه.. ففي حالة الطوارئ التي تعيشها فرنسا بسبب حرب الجزائر، لا يسمح للصحف بنشر المقالات العنيفة عن تلك الحرب، بل ويرفع دائما على رءوس الصحف التهديد بتطبيق المادة (٣٠) من الدستور التي تتيح حتى للسلطات المحلية باتخاذ جميع الإجراءات الضرورية للرقابة على الصحف.

وهناك بلاد أخرى تخضع صحافتها للرقابة عن طريق شرائها أو التحكم في لوازم الطباعة كالورق والأحبار.. ففي غانا قام كوامي نيكروما بصرف مبلغ ثمانية ملايين دولار خلال ثلاث سنوات على صحيفتي (أخبار المساء) Evening News و (غانا تايمز) Ghana Times ولما لم يفلح ذلك في التغلب على صحيفة المعارضة Ashanti Pioneer قام نيكروما بإيقافها.

وفي أيرلندا يطبق نوع من الرقابة الأخلاقية الذاتية الصارمة لتجنب أي نقد على الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

وحتى في حالة وجود حرية الصحافة فإنها نادرا ما تكون آمنة، فالأرجنتين التي تحررت من سيطرة بيرون، قامت بمصادرة صحفها في مناسبات متعددة أثناء المظاهرات التي قامت ضد الحكومة.

أما صحافة الولايات المتحدة الأمريكية.. فيذهب البعض إلى الاعتقاد بأنها من أكثر صحافة العالم ممارسة للحرية.. ولكن معهد الصحافة الدولي قد استبعد الولايات المتحدة الأمريكية من القائمة التي أعدها عام ١٩٦٥ للدول التي تسود فيها حرية الصحافة

بصورة مكتملة على اعتبار أن هناك ميلا متزايدا لدى الحكومة الأمريكية في التحكم في الأخبار وتطويعها بشكل غير مباشر (*).

أما في ألمانيا الشرقية.. فأهلها يمكن أن يزوروا برلين الغربية على ألا يعودوا ومعهم الصحف الصادرة هناك، أو تهريب أي نسخ منها في ملابسهم الداخلية. وفي إسرائيل نجدها تطبق رقابة عسكرية على جميع الأخبار، ويقول المسئولون بأن الرقابة مفروضة في إسرائيل منذ أن أصبحت دولة عام ١٩٤٨ وهي ضرورة في زعمهم بسبب حالة الحرب بينها وبين الدول المحيطة بها.

ثانيا: جهود الهيئات الدولية والأمم المتحدة بالنسبة لحرية الإعلام:

هناك مشكلات عديدة بالنسبة لحرية الإعلام أهمها مشكلة اختلاف المفاهيم الوطنية عن الحرية وتطبيقاتها في الدول المختلفة.. ذلك أن هذا المفهوم يختلف مثلا في الاتحاد السوفيتي عنه في أمريكا ويختلف في ذات الوقت بين الدول التي تنتمي إلى مجموعة أيديولوجية متناسقة كالسويد وأمريكا أو كالاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا مثلا.. ومن هنا تنبع صعوبة الدراسة الموضوعية لمشكلة حرية الإعلام، دون الوقوع في مصيدة استخدام مفهوم الباحث أو الكاتب كمنطلق لهذه الدراسة أو كمعيار حرية الصحافة في الدول الأخرى.

ويمكن اعتبار مشكلة الإعلام مشكلة دولية ذات ارتباط وثيق بالإعلام الدولي، وقد ظهر الاهتمام بها في المحافل الدولية والمؤتمرات الحكومية فضلا عن اهتمام الأمم المتحدة الخاص بهذه المشكلة.

(*) أصدرت المحكمة العليا الأمريكية حكما في عام ١٩٦٤ ينص على:

(أ) عدم شرعية الرقابة المسبقة على الصحافة.

(ب) عدم جواز تقديم الصحافة للمحاكمة بتهمة نشرها بيانات قذف أو تشهير. إلا إذا ثبت للمحكمة بشكل قاطع أن هناك تعمدا وسوء نية مقصودة.

هذا وقد تلجأ الحكومات إلى أساليب عديدة للرقابة على الصحف ومن أهم هذه الأساليب وضع القوانين التي تحد من حرية الصحافة، أو التدخل الاقتصادي.. ويحدث ذلك في النظم الغربية والنظم الشيوعية والنظم في العالم الثالث أيضا..

وإذا كانت النظم التي تؤمن بالحرية الصحفية ترى ضرورة اتباع ميثاق الأخلاقيات الصحفية، فإن تنظيم وتعيين هذه الأخلاقيات والمسئوليات والمعايير، قد يزيد عن الحد الذي تصبح بعده الصحافة مقيدة..

وأخيرا فهناك العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الوطنية وارتباطها بحرية الصحافة، فضلا عن أن درجة الحرية الصحفية هي أحد المؤشرات التي تدل على الحرية السياسية العامة للأمة.. ويذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى القول بأن هذه الحرية الصحفية يمكن قياسها بدرجة منهجية دقيقة(١٥).

وربما تعود مناقشة هذه المشكلة على المستوى الدولي إلى المؤتمرات الدولية للصحفيين والتي عقدت في شيكاغو وفي بلجيكا عام ١٨٩٣، ولم تحقق هذه المؤتمرات شيئا يذكر سوى بعض التوصيات التي محتها الدعاية والرقابة خلال الحربين العالميتين(١٦).

كما اهتمت عصبة الأمم بهذه المشكلة، وعقدت من أجلها عدة مؤتمرات تحت رعايتها عام ١٩٢٧ فى جنيف وعام ١٩٣٢ في كوبنهاجن وعام ١٩٣٣ في مدريد، وقد كانت أهداف مؤتمر خبراء الصحافة الذي عقد في جنيف ما يلي:

(أ) البحث في الوسائل التي تكلف الانتقال السريع للأخبار الصحفية بأقل تكلفة مع نظرة إلى تقليل مخاطر سوء التفاهم الدولي.

---

(15) Ralph L Lowenstein, Press Freedom as a Political Indicator **In International Communication** by Fischer and Merrill (eds).N.Y. Hostings House Publishers, 1970, 129-40.

(16) William Reed, (50 Years of Resolutions From state for U.N.Talks) **Editor and Publisher,** V. 80 N. 16, April, 12, 1947 p. 17.

(ب) مناقشة جميع المشاكل الفنية التي يرى الخبراء أن حلها سيؤدي إلى تهدئة الرأي العام في الدول المختلفة..

وقد ظهرت رغبة عصبة الأمم في القضاء على انتشار المعلومات الكاذبة عن الدول في مؤتمر مكاتب الصحافة الحكومية الذي عقد عام ١٩٣٢، وقد أصر المجتمعون على ألا تكون الإجراءات التي تتخذ لتحقيق هذا الأمر ماسة بالحريات الأساسية للصحافة، وقد نوقشت هذه المشكلة ذاتها في مؤتمر مكاتب الصحافة الحكومية الذى عقد عام ١٩٣٣ ولكن شيئاً محددا لم ينبثق عن هذه المؤتمرات. .

أما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد اهتمت هيئة الأمم المتحدة بمشكلة حرية الإعلام وجاء ذكر حقوق الإنسان ومن بينها حرية الإعلام سبع مرات في ميثاق الأمم المتحدة.. كما نوقشت هذه المشكلة في الجمعية العامة والمجلس الاقتصادي والاجتماعي مرات عديدة.. وتضمن دستور اليونسكو أنه " لما كانت الحروب تبدأ في عقول الرجال، فينبغي أن تبنى دفاعات السلام في عقول الرجال أيضا " فضلا عن ضرورة الاهتمام بالإعلام عن حقائق العلم والثقافة والتربية من أجل بناء وتدعيم السلام.

ولقد تركز نشاط هيئة الأمم المتحدة في مجال حرية الإعلام في اتجاهين رئيسيين أولهما: الاتجاه القانوني حيث تحاول الدول الأعضاء إرساء قواعد عالمية مشتركة تلتزم بها المؤسسات الاجتماعية والقانونية، وثانيهما هو الاتجاه العملي حيث تختار هيئة الأمم عدة مشكلات محددة، لاتخاذ إجراءات مشتركة بخصوصها على المستوى الدولي عن طريق المنظمات المتخصصة (كاليونيسكو والاتحاد الدولي للمواصلات والاتحاد الدولي للبريد....)..

وفي عام ١٩٤٨ عقد مؤتمر الأمم المتحدة الخاص بحرية الإعلام في جنيف وكان هدف ممثلي الحكومات المجتمعة (٥٤ عضوا)، العمل من أجل السلام والتقدم عن طريق إرساء قواعد سياسية للأمم المتحدة في مجال الإعلام..

وأعلن المؤتمر كما أعلنت الجمعية العمومية في اجتماعها الأول، أن حرية الإعلام هي حق إنساني أساسي، وأن الإعلام الحر والكافي يعتبر ركيزة الحريات التي تعمل من

أجلها الأمم المتحدة.. كما جاء في المادة التاسعة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أن لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير.

ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون تدخل، واستقاء وتلقي وإذاعة الأنباء والأفكار، دون تقيد بالرقعة الجغرافية أو بأي وسيلة كانت..

وداخل هذا الإطار من حرية الإعلام، عملت هيئة اليونسكو ـ وهي إحدى وكالات الأمم المتحدة المتخصصة ـ عملت على عقد الاتفاقات الخاصة بتسهيل انتقال المعلومات حول العالم بالإضافة إلى كثير من النشاطات الاتصالية الأخرى.

ومع ذلك فيمكننا أن نقول بأن هذا الحماس في مؤتمر حرية الإعلام وفي قرارات الجمعية العامة، قد ترجم إلى عدم مبالاة من قبل العديد من الحكومات.. كما أن جهود الأمم المتحدة لتحديد مفهوم حرية الإعلام وإعلان ذلك في وثيقة ترضى عنها أغلبية الدول، ولم تلق إلا نجاحا محدودا للإيديولوجيات المتصارعة والحرب البادرة وعدم الاتفاق على الحقوق والحريات أمام الواجبات والمسئوليات التي يتضمنها مفهوم حرية الإعلام.

ويمكن أن نشير هنا إلى موقف الدول النامية المؤيد بشدة " للواجبات والمسئوليات " في مسودة هذا الميثاق المقترح ومغارضتهم بالتالي " لاتفاق البث الدولي للأنباء " الذي يمنح مراسلي الدول المتقدمة إعلاميا، مزايا وتسهيلات دون أن تقابل هذه المزايا التزامات ومسئوليات محددة لحماية الدول النامية.. وقد اعتبر بعض ممثلي الدول النامية أن نشاطات هؤلاء المراسلين تضر في كثير من الأحيان بمصالح وكرامة وهيبة الدول النامية..

وينبغي أن نؤكد في عرضنا لجهود الأمم المتحدة أن هذه هي أول مرة في التاريخ تحاول فيها الدول الكبرى والصغرى والمتوسطة، أن تعبر عن وجهة نظرها بالنسبة لمشكلة حرية الإعلام، كما أنه إذا كانت مشكلة حرية الإعلام تعني تقليديا التحرر من رقابة وقبضة الحكومة، وأن المحاكم وحدها هي المسئولة عن فرض العقوبات على الصحافة في حالة خطئها، فإن الأمم المتحدة تبحث هذه المشكلة لا في إطار مفهومها

التقليدي فحسب، ولكنها تبحثها للوصول إلى اتفاق على المستوى الدولي تلتزم به الحكومات الوطنية، وخصوصا أن هناك رغبة لدى جميع أعضاء الأمم المتحدة للوصول إلى نوع من الاتفاق يبعد خطر عودة الديكتاتورية بشكل جديد، لتستخدم كما استخدمت النازية والفاشية من قبل، قوة الكلمة وقوة السيف لإخضاع الشعوب..

وإذا كانت محاولات الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ للوصول إلى اتفاق بشأن حرية الإعلام، لم تصل إلى غايتها، فليس معنى ذلك وقوف الأمم المتحدة عاجزة أمام هذه القضية، ذلك أن الأمم المتحدة قد تمكنت من الوصول إلى بعض الإنجازات الهامة التي يمكن أن نشير إليها فيما يلي:

١ ـ توصل مؤتمر جنيف لحرية الإعلام في عام ١٩٤٨ إلى مشروع " اتفاقية نقل الأنباء وحق التصحيح ".

٢ ـ في عام ١٩٤٩ تضمنت المادة التاسعة عشرة من " الميثاق العالمي لحقوق الإنسان " نصا عاما عن حرية الإعلام.

٣ ـ في عام ١٩٦٦ تضمنت المادة التاسعة عشر من " الاتفاقية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية " فقرات تشير إلى الحق في الحرية والتعبير، كما تشير إلى الضوابط والقيود التي ترد على استخدام هذه الحريات.

٤ ـ في عام ١٩٦٨ أشار القرار رقم ٢٤٤٨ الصادر عن الدورة الثالثة والعشرين ـ دون غيره من القرارات السنوية المتصلة بموضوع حرية الإعلام أشار إلى "أثر وجود احتكارات في ميدان وسائط الإعلام " على " تحقيق الحرية فيها تحقيقا كاملا ".. بينما كانت مشروعات الاتفاقيات والقرارات السابقة أسيرة الفهم الضيق لمعنى حرية الإعلام حيث كانت تكتفي بحديث عن المصدر التقليدي المباشر للحجر على الآراء وهو "القهر الحكومي". وعلى الرغم من التقدم الموضوعي الذي أحرزه هذا القرار في موقف الأمم المتحدة من حرية الإعلام إلا أن استكمال مناقشة " مشروع الاتفاقية الدولية لحرية الإعلام" مازال قيد الدراسة حتى اليوم.

ثالثا ـ حرية الإعلام في ضوء الظروف الجديدة الحالية(١٧):

هناك عدة حقائق وظروف تستدعي مناقشة قضية الحرية الإعلامية في وجهها المعاصر وأهمها:

١ ـ إن الإعلام يعيش بعد ١٩٦٢ في ثورة تكنولوجية عظمى، بدأتها الولايات المتحدة بإطلاق قمرها الصناعي ذى الشبكة الاتصالية الضخمة المعروف باسم تلستار، والذي يتجاوز إرساله حدود البلاد الإقليمية والقومية ويمتد ـ بعد تطوره فنيا عام ١٩٦٤ ـ ليغطي أطراف القارات. ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد، فهناك احتمالات قوية للتوصل إلى نوع من الأقمار الصناعية ذات قوة أعلى Synchronous تستطيع أجهزة الاستقبال العادية أن تلتقط إشارتها، والأمر مرتهن باكتشاف مصدر أفضل للطاقة، أو بتجهيز الأقمار الصناعية الحالية بمفاعلات ذرية. ومثل هذه الطاقة التكنولوجية الضخمة، وما تتضمنه من احتمالات التعاظم والتطوير، تنشأ عنها ـ بل لعله قد نشأ بالفعل ـ عدة مشاكل سياسية واجتماعية وفنية منها الدولي ومنها المحلي وهي على عمومها تحتاج إلى تشريع وتنظيم لابد أن تأخذه الأمم المتحدة في الحسبان ومن هذه المشاكل: منازعات الملكية الأدبية، وصراع الإذاعات الموجهة، وتداخل الإشارات بين الأقطار والصعوبات اللغوية والثقافية الناشئة عن مخاطبة جماهير مختلفة الانتماءات والاهتمامات، وتخطيط البرامج التعليمية الدولية.. الخ. وهناك مشروعات اتفاقات ذات طابع دولي أو ثنائي تتعلق بحرية الإعلام، أو بنقل الأنباء وحق التصحيح الدولي، أو بغيرها من المشروعات الفردية التي تقدم بها مؤخرا بعض الباحثين أو بعض مراكز البحوث الإعلامية، هذه المحاولات لم تتناول في صلبها المسائل السياسية والاجتماعية الجديدة المترتبة على اتساع الطاقة الإذاعية عن طريق التلستار الأمريكي، أو شبكة التليفزيون الأوروبي Eurovision، أو شبكة التليفزيون الدولي Intervision، وإنما كان اهتمامها

---

(١٧) هاني حلاف "قضية حرية الإعلام والأمم المتحدة" السياسة الدولية، العدد (٣١)، يناير ١٩٧٣، ص ٧٦-٧٨.

مركـزا فـي تشـريع وتقنيـن الضمانـات اللازمـة لحريـة الصحفـي أو المراسـل الإعلامـي، وضمـان معاملتـه علـى نحـو معين عنـد العمـل أو الانتقـال، بالإضافـة إلـى تيسـير مهمتـه مـن الناحيـة التنظيميـة والمهنيـة، وغير ذلـك مـن الأمـور التـي لا تتصـل بالسياسـات الإعلاميـة الدوليـة، بقـدر اتصالهـا بنواحـي الحيـاة المهنيـة الضيقـة.

٢ ـ هناك مشروع الاتفاقية الدولية لحرية الإعلام المعروض أمـام الجمعيـة العامـة للأمم المتحدة وخصوصا أن دولا كثيرة انضمت في الفترة الأخيرة إلى الأمم المتحدة، بمـا تمثله من ثقافات متميزة، ومدارس قانونية مختلفة، ومشـاكل وأوضـاع محليـة ومسـتويات اقتصادية خاصة، مما يستدعي بنودا خاصة في هذا المشروع تتصل بحق الدول الصغرى والنامية في الحصول أصلا على الأنباء بطريقة أيسر ماديا، وأكثر عدالـة، واكثر حيـدة، وتتضح خطورة هذا الأمر إذا ما وقفنا على:

المؤشرات التالية:

١ ـ حجم ونسبة تدفق الأنباء إلى هذه المناطق من العالم.

٢ ـ نوعية مصادر الأنباء القائمة بالتغطية في هذه المناطق.

٣ ـ تكاليف هذه التغطية.

بالنسبة للمؤشر الأول تكفي دراسة لليونسكو أجراها عام ١٩٦١ لوسائل الاتصـال الجماهيري في الدول النامية، لتكشف عن أن ٧٠ في المائة من سكان العالم يفتقرون إلـى أبسط وسائل الإعلام فهناك ما يقرب من ١٠٠ دولـة ومنطقـة فـي أفريقيا وآسيا وأمريكـا اللاتينية، تفتقر إلى الحد الذي أوصت به اليونسكو، وهو عشر نسخ من الصحف اليوميـة، وخمسة أجهزة راديو، وداران للسينما، وجهاز تليفزيون لكل مائة نسمة من السكان. وترى الدراسة أنه " من المحتمل أن يكون الموقف الحقيقي أسوأ من ذلك ".

أما **المؤشر الثاني**، وهو نوعية الأنباء المتوفرة لهذه الدول والمناطق المختلفة، فنكتفي بنقل ما أحصاه الدكتور مختار التهامي(١٨) من أخطاء وتشويهات وقعت فيها، أو قدمتها بعض وكالات الأنباء العالمية. فمما لاحظه على هذه الوكالات الأجنبية:

(أ) إطلاقها لفظ الإرهابيين على الوطنيين المناضلين ضد الاستعمار في آسيا،أفريقيا وأمريكا اللاتينية، ونحن نلاحظ أيضا أن الإسرائيليين يطلقون هذا الوصف على الفدائيين الفلسطينيين المناضلين وتتناقل كثير من الوكالات الأجنبية هذه الأوصاف..

(ب) نقلها أنباء يقصد منها المبالغة في تصوير بدائية الشعوب المستعمرة والشعوب تحت الوصاية، بغرض الإيماء إلى شعوب العالم بأن هذه الشعوب لا تصلح لحكم نفسها بنفسها.

(جـ) لعبت هذه الوكالات - ولا تزال تلعب - دورا أساسيا في الحرب الباردة، وفي بث روح الكراهية بين الشعوب.

(د) تعمل هذه الوكالات، بما تنشره من أخبار كاذبة أو مثيرة على التمهيد للانقلابات الرجعية التي تحدث في أنحاء شتى من العالم بوحي من الاستعمار العالمي.

(هـ) تتجاهل هذه الوكالات نقل الأخبار التي تساعد على الحلول السلمية للمشكلات العالمية، والتي من شأنها أن تلفت نظر الضمير العالمي إلى قضايا الشعوب المستعمرة أو المتخلفة أو المضطهدة، مثل أخبار الهنود الحمر في أمريكا والسكان الأصليين في استراليا ونيوزيلاندا وفلسطين وجنوب أفريقيا، وحركات الثورة في أريتريا.. الخ.

وهكذا كان الاعتماد على وكالات الأنباء بصورتها الحالية أمرا يفتقد الحياد والموضوعية الكاملة، مما دفع بعض المفكرين إلى المطالبة بإنشاء وكالة أنباء عالمية تابعة للأمم المتحدة، تقدم خدماتها الإعلامية لكل مناطق العالم، وحبذا لو امتد نشاطها للدول والمناطق غير الأعضاء في الأمم المتحدة.

---

(١٨) مختار التهامي. الصحافة والسلام العالمي. دار المعارف، ١٩٦٨.

غير أن افتقاد العدالة والموضوعية والحيدة في مصادر الأنباء، لا يرجع فقط إلى وكالات الأنباء العالمية وإنما يكمن مصدره الأساسي، في بعض الأحيان، يكمن في نظام الاحتكار وسيطرة رأس المال الفردي على الأجهزة الإعلامية، مما يجعل المادة الإعلامية المقدمة من خلال هذه الأدوات، خاضعة دائما لمصالح أصحابها في توسيع الربح، أو مناصرة موقف دون آخر.

وبخصوص المؤشر الثالث وهو ما يتعلق بالتكاليف فإنه إذا كانت حرية الإعلام تعني لدى الدول الصغرى النامية، الحصول على الأنباء أصلا، ثم الحصول عليها من مصادر محايدة وبطريقة عادلة فان المستوى الاقتصادي لكثير من هذه البلاد يدخل أيضا في تحديد مفهوم حرية الإعلام لديها. ونظرة سريعة إلى تكاليف الحصول على الأنباء في بعض المناطق، كفيلة ببيان الحاجة الماسة إلى تضمين الاتفاقية القادمة بنودا خاصة في هذا الشأن، تتناسب مع قدرتها الاقتصادية المحدودة.

لقد أشار ويلبر شرام[١٩] Shramm إلى أن الفروق في أجور نقل الأنباء لقاء الخدمات ذاتها تبلغ ٥٠٠ في المائة في أمريكا اللاتينية، و ٦٠٠ في المائة في أفريقيا، و ٧٠٠ في المائة في آسيا. وفي بعض الأحوال تبلغ الرسائل المرسلة في اتجاه معين، ضعف أجور الرسائل المرسلة في الاتجاه المضاد. وترسم إحدى الدراسات التي قدمت إلى حلقة البحث المنعقدة في يوغوسلافيا سنة ١٩٦٨ لدراسة " وسائل الاتصال الجماهيري والتفاهم الدولي " صورة لما يمكن أن يكون عليه التعاون الدولي بخصوص تكاليف البرقيات وأجور الإرسال الإذاعي، وذلك من واقع علاقات دول الكومنولث البريطاني.

والأمل منوط – على أي الأحوال – بالمنظمات الفنية للأمم المتحدة (كاتحاد المواصلات الدولي) في أن تقوم بمعاونة الدول النامية في إنشاء شبكات الاتصال اللاسلكي، مما قد ييسر من عملية إرسال الأنباء وتلقيها، ويخفض من تكاليفها على نحو ما اقترحه فرانسيس وليمز F. Williams في مؤلفه Transmitting World News. وكما قد يسهم اقتراح إنشاء وكالة أنباء دولية تابعة للأمم المتحدة في حل مشكلة حيدة

---

(١٩) شرام، ويلبر. وسائل الإعلام والتنمية القومية ص ٤٢٠.

الإعلام، كما يمكن أن يسهم في حل مشكلة التكاليف، وذلك بأن تقدم هذه الوكالة خدماتها مجانا، حتى تستفيد منها الدول الصغيرة والمستعمرات الفقيرة.

٣ ـ الحقيقة الثالثة التي تواجه الأمم المتحدة اليوم والتى ستناقش فى ظلها كل المسائل المدرجة في جدول الأعمال، بما فيها مشروع اتفاقية حرية الإعلام. يعيش العالم الآن عصر الوفاق Detente بين المعسكرين السوفيتي والأمريكي منذ صيف ١٩٧٢، إلا أن ذلك لا يعني تنازل الطرفين الرئيسيين عن الفلسفات الأساسية ومن بينها فلسفة الحرية التي تحكم الحياة الداخلية والخارجية لكل منهما. وما من شك في أن مناقشة " فلسفة الحرية" كانت خارج نطاق محادثات نيكسون وبريجنيف. ولا حاجة بنا إلى التذكير بأنه حتى الاتفاق العام الذي عقده الزعيمان الكبيران بإيقاف الحرب الباردة بين الدولتين، لم يمنع الاتحاد السوفيتي بل وفي الفترة الأولى التي أسماها بعض المعلقين " شهر العسل " في العلاقات بين الدولتين ـ من أن يرسل احتجاجا إلى الولايات المتحدة، بسبب استخدامها الطاقة الاتصالية الضخمة للتلستار في بث الإذاعات التي تصل إلى شرق أوروبا، بما تحمله من خطورة نشر القيم الغربية، والمناهج الليبرالية في المجتمعات الشيوعية وبما تنطوي عليه من خطورة إعادة تشكيل الرأي العام الشعبي داخل الكتلة الشرقية، بما لا يتفق والمصالح السوفيتية الحاكمة.

وخلاصة هذا كله أن وسائل الإعلام تمثل الآن واحدة من أقوى وسائل النضال في المجال الدولي، وربطها بالالتزامات القانونية الملموسة يمثل استعدادا لانتهاج سياسة سليمة، وتعاون دولي. واحترام تام، لأهداف ومبادئ الأمم المتحدة، واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية التي تنبع من مصالح جميع الدول والشعوب، ونظرا لأنه لا توجد ظروف من هذا القبيل في المجال الدولي، أو في النشاط الخاص بالحماية القانونية لحرية الإعلام فإنه من المتعذر تحقيق نتائج هامة.

ومن ناحية أخرى يرى بعضهم أن التوصل إلى اتفاق بين الدول بخصوص حرية الإعلام، أمر ما يزال بعيدا، بحكم أن الأمم المتحدة ــ وهي مؤسسة تربط بين الحكومات ــ ليس من اختصاصها " تسوية المسائل التي يفترض أنها خاصة بسلطة الهيئات التشريعية الوطنية " على أن هناك موقفا

متفائلا يرى أنه بفضل إخضاع دور وسائل الإعلام في العالم المعاصر، للعديد من الدراسات والتحليلات الاجتماعية والسيكولوجية والثقافية، وبفضل شيوع الاتجاه الاجتماعي الذي يطالب بمعالجة مضمون الحقوق داخل إطار العلاقات الاجتماعية، فان الهوة التي كانت فيما مضى تفصل بين وجهات النظر قد أخذت في التضاؤل.

ويستدل على صحة هذا الرأي بنجاح الأمم المتحدة في إصدار قرار في الدورة (٢٣) يشير إشارة صريحة إلى " عرقلة الاحتكارات المسيطرة على وسائط الإعلام لحرية الإعلام والتقدم الاقتصادي والاجتماعي العام " (قرار الجمعية العام رقم ٢٤٤٨ ـ الدورة ٢٣). بالإضافة إلى عقد اتفاقية الحقوق المدنية والسياسية عام ١٩٦٦ التي وافق عليها القطبان الكبيران بما تتضمنه من وجود لبعض القيود على استخدام الحرية في الإعلام لا تقل كثيرا عن القيود الواردة في المادة الثانية من المشروع القديم للاتفاقية الدولية لحرية الإعلام سنة ١٩٥١. وإذا كانت هاتان الخطوتان تمثلان اقترابا أمريكيا سوفيتيا لم يكن قائما من قبل، فهو على أي الأحوال اقتراب ظاهري لم يتجاوز بعد الهدف الثابت لكليهما، وهو حماية الوضع الراهن واحتكار وسائل الإعلام.. سواء أكان ذلك في صورة ملكية خاصة أم كان بتوجيه من الدولة.

أما الدول النامية التي تحررت حديثا، فلديها سبب آخر للتردد فيما يتعلق بتقنين حرية الإعلام، إذ تخشى من أن يتيح ذلك للدول الكبرى، إمكانيات أكبر لممارسة سيادتها عن طريق وسائل الدعاية. ومن جملة الاعتبارات السياسية السابقة، نخلص إلى أن المخرج الناجح للوصول إلى تنظيم حرية الإعلام، هو في ضرورة تأكيد الصلات بين الاحترام العام لحقوق الإنسان، والعمل من أجل تنظيم هذه الحرية الإعلامية، فالمسألة ليست في صياغة الأسلوب، وإنما في الاهتمام بالحيلولة دون إبعاد حرية الإعلام عن حماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية.

الفصل الخامس

الإعلام الدولي وتحديات الاتصال الثقافي

ليس للثقافة تعريف واحد يتفق عليه الباحثون في مجالات المعرفة المختلفة، فمنهم من يعرفها في معناها العام، بأنها أسلوب الحياة في مجتمع معين، ومنهم من يراها معبرة في تجريدها عن المعرفة والتقاليد والمهارات والمعتقدات التي تشترك فيها جماعة من الناس في زمن معين.. وتحرص الجماعة على انتقال ثقافتها من جيل إلى جيل، كما أن بقاء ثقافة معينة واستمرارها، رهن بفاعلية الاتصال داخل تلك الجماعة أو بينها وبين الجماعات الأخرى.

أي أن هناك علاقة متبادلة بين العناصر الثقافية وعوامل الاتصال، ولعل أحد العناصر الثقافية الأساسية في كل العصور والأمم، هي مقدرة الإنسان على التعبير عن أفكاره (آرائه) ومشاعره (اتجاهاته) عن طريق اللغة، كما تعتبر اللغة واحدا من الحواجز الرئيسية أمام انتقال الثقافات بين الشعوب المختلفة..

هذا وتبادل الأفكار والمشاعر بين الشعوب، يمكن أن يتم عن طريق الاتصال المواجهي، أو عن طريق وسائل الإعلام المختلفة. وخصوصا إذا أتيح لها أن تعبر الحدود السياسية وتتحدث بلغة الذين توجه إليهم.. أو عن طريق السياحة أو غير ذلك من الطرق..

وتظهر آثار تبادل الأفكار والمعاني والثقافات بين الشعوب في عادات أو مستحدثات الملبس أو المأكل، وفي التذوق الموسيقي والأداء المسرحي أو في غيرها من النماذج السلوكية العامة..

هذا وتعتبر الأفلام بأشكالها المختلفة التسجيلية أو الإخبارية أو أفلام السينما من أفضل أشكال الاتصال الثقافي بين الشعوب..

كما أن تبادل الأشخاص (الطلاب والأساتذة والخبراء والسائحين.. الخ) يعتبر من بين أهم الأساليب الثقافية الفعالة[٢٠]، إلى جانب تبادل البرامج الإذاعية والموسيقية والرياضية وتبادل الكتب والمطبوعات وغيرها.. ويعزي لتبادل الأشخاص أهمية أكبر نظرا لما تهيئه الخبرة المباشرة (التدريس أو الدراسة والبحث في بلد أجنبي)، من فهم أكثر عمقا للشعب الآخر، كما أن كل طالب أو أستاذ يعمل بالخارج يعتبر ممثلا لثقافة بلده وهو الذي يفسرها لزملائه الأجانب.. ولقد تبين أن العلاقات المباشرة أو المواجهة هي أكثر أساليب الاتصال تأثيرا وخصوصا إذا دعمتها الكلمة المطبوعة والفيلم السينمائي والتراث الموسيقى والفلكلور وغير ذلك مما يعكس الثقافة الوطنية.

نمو الثقافة العالمية مع ثورة الاتصال:

إذا كان هناك نظام اجتماعي عالمي يتكون ببطء في عالمنا المعاصر، فإن وسيلة نموه هي ثورة الاتصال المتمثلة في وسائل الإعلام، ومادة هذا النظام لابد أن تتكون من معلومات وثقافات وطنية تتلاحم مع بعضها في انسجام مرة وفي صدام مرة أخرى.

ولم تعد الدول الكبرى أو الصغرى، بناء على ثورة الاتصال هذه، تعبر عن نفسها ببرنامج إذاعي معين (كصوت أمريكا مثلا) وإنما ما يقوله الرئيس الأمريكي أو الرئيس المصري أو عضو الجمعية الوطنية الفرنسية أو الأستاذ في معمله أو جامعته باليابان، هذا كله يمكن أن يذاع وأن يرى في نفس اللحظة التي حدث أو قيل فيها..

وعلى ذلك فإن الإعلام حين يتصل بقضايا السياسة الخارجية، ذات الأهمية الحيوية لن يكون ببساطة إعلاما بين حكومة وحكومة، ولكنه سيكون بفضل ثورة الاتصال بين شعب وشعب، حتى التصريحات غير المقصودة ستلف حول العالم لتعطي صورة معينة لهذا الشعب أو ذاك، أي أن الاتصال والدعاية قد زادت أهميتها حتى أصبحت مساوية للقوة العسكرية ذاتها نظرا لعدم إمكان استخدامها..

---

(20) McMurry, R.E. **The Cultural Approach;** another way in international Relations. Chapel Hill, 1947, p. 240.

وسيزيد تبعا لذلك الاستخدام الدعائي والمتناقض أحيانا لكلمات الحرية والديمقراطية والسلام وغيرها، لمحاولة السيطرة على عقول الشعوب وأفكارها ولكن الشعوب بعد حين ستتبين الحق من الباطل، ذلك لأنها في كل مكان ضد الظلم السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، وضد الاستعمار والعنصرية ومع السلام الحقيقي والحرية الفعلية التي تحفظ للفرد كرامته وتعطي للدولة حقها، ولعل ذلك أن يمهد الطريق أمام الثقافة العالمية التي ستتكون من الأجزاء الأصيلة للثقافات الوطنية لأن الزبد يذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض..

والوصول إلى ما يمكن أن يسمى بالثقافة العالمية، طريق طويل من غير شك، ذلك لأن الدول الكبرى تريد أن تفرض ثقافتها على الدول الأصغر منها، وذلك يقودنا إلى إلقاء بعض الضوء على إحدى هذه الثقافات الديناميكية في عصرنا الحاضر..

الدبلوماسية الثقافية

والهجوم الثقافي السوفيتي :

يذهب فردريك بارجهورن[٢١] أستاذ العلوم السياسية في جامعة ييل بأمريكا إلى أن الأساليب الفنية الهامة للسياسة الخارجية السوفيتية، مازالت غير معروفة تماما، وأحد هذه الأساليب يتمثل في المزج المركب للدعاية مع الخديعة مع التبادل الثقافي أو ما يسمى بالدبلوماسية الثقافية، وذلك لخدمة أهداف السياسة الخارجية السوفيتية..

ويتضمن هذا الأسلوب في ذات الوقت جهود وأهداف الكرملين للحفاظ على التحكم في تفكير الرعايا السوفيت ووقايتهم من التأثيرات الغربية على وجه الخصوص.

وفي عرض فردريك بارجهورن للدبلوماسية الثقافية بين الشرق والغرب، يذهب إلى أن فرنسا كانت أول الدول الكبرى الغربية، التي وضعت برنامجا موسعا رسميا منظما للعلاقات الثقافية حيث بدأت على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، القيام بأعمال دينية وتعليمية وأثرية في الشرقين الأدنى والأوسط.. وكانت وزارة

---

(21) Frederick C. Barghoorn. **The Soviet Cultural Offensive**. Princeton, Princeton University Press, 1960, ch. I and VII passim.

الخارجية هي التي تدير هذا البرنامج، والذي يتضمن إنشاء المدارس وإلقاء المحاضرات وإهداء الكتب والاهتمام بتشجيع اللغة الفرنسية ونشر الثقافة الفرنسية خارج حدود فرنسا.

ودخلت المملكة المتحدة مجال الدبلوماسية الثقافية عام ١٩٣٤ بإنشاء المجلس البريطاني الذي يهدف إلى جعل الفكر والحياة الإنجليزية معروفة على نطاق واسع خارج إنجلترا، وتشجيع تعليم اللغة الإنجليزية وتوفير الكتب الإنجليزية التي تتضمن إسهام الإنجليز في الأدب والعلم والفن في البلاد الأخرى.. وقاد هذا المجلس النشاط الثقافي في أنحاء متفرقة من العالم باستثناء الاتحاد السوفيتي، وكان للمجلس تأثير ملحوظ في الهند وبلاد الكومنولث.

أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، فقد بدأت متأخرة في مجال الدبلوماسية الثقافية، وذلك بإنشاء قسم العلاقات الثقافية عام ١٩٣٨، ضمن وزارة الخارجية، وكان نشاط القسم محدودا في المجتمع الغربي حتى عام ١٩٤٣، ثم بصدور قانون فولبرايت عام ١٩٤٦ وتوفر ميزانيات من الهيئات الخاصة الأخرى، كمعهد التعليم الدولي، أصبح من الممكن للولايات المتحدة أن تقوم ببرنامج تبادل الطلاب والأساتذة والخبراء، خصوصا مع ألمانيا الاتحادية وغيرها من الدول الأوروبية في أول الأمر..

وفي عام ١٩٥٧ أنشئت في وزارة الخارجية الأمريكية هيئة الاتصالات بين الشرق والغرب، وذلك بتنمية وتنسيق سياسات الوزارة الخاصة بتبادل الأشخاص والخبرات بين أمريكا ودول الكتلة السوفيتية، وأنشأ الاتحاد السوفيتي في هذه السنة أيضا لجنة الدولة للعلاقات الثقافية مع الدول الأجنبية..

هذا وتعني الدبلوماسية الثقافية بالنسبة للسوفيت، الاستخدام المنظم للمواد الثقافية والعلمية والفنية والإعلامية والرموز والأشخاص والأفكار كأدوات لخدمة السياسة الخارجية وللأغراض الدعائية..

كما تهدف الدبلوماسية الثقافية السوفيتية كذلك إلى خلق وتدعيم صورة مرغوبة عن تفوق الثقافة السوفيتية على "الثقافة البرجوازية"، بحيث يظهر التناقض واضحا وحادا بين الثقافتين.. ويضيف بارجهورن في كتابه السالف الذكر، أن العلاقات الثقافية أو التبادل

الثقافي، لا يعني في الواقع تبادلا للأفكار والثقافات، ولكنه يعني بث التأثير والفكر الماركسي من جانب واحد، ويستثنى من هذا كله التبادل في مجال العلوم والتكنولوجيا..

ومع ذلك فينبغي أن نشير إلى أن هناك تصريحات لكل من ستالين وخروشوف عن احترام ثقافات الدول الأخرى " وتميز ثقافة كل أمة عن الأخرى، وأن الصفات المميزة لكل ثقافة هي التي تمثل إسهامها في الثروة العامة لثقافات العالم "، ولعل هذا الاتجاه هو اتجاه مرحلي يخدم الدبلوماسية الثقافية السوفيتية وخصوصا في دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، التي تحس إحساسا عميقا بالوطنية والصراع ضد الاستعمار..

ومن أمثلة الكتابات المنشورة داخل الاتحاد السوفيتي التي تحترم ثقافة الدول الأخرى (وذلك كمنهاج مرحلي) ما جاء في المجلة الأدبية The literary Gazette عدد أغسطس ١٩٥٥ حيث جاء فيه ما يلي :

يمكن مقارنة خيوط العلاقات الثقافية المتبادلة، بالأوعية الدموية للثقافة، وقطع الاتصالات يؤدي إلى الركود، ولكن العلم يحتاج في نموه لتبادل المعلومات المتعلقة بالاكتشافات الحديثة، كما أن إنجازات الفن والعلم يتم فهمها بطريقة أفضل على أساس مقارن..

وعلى الرغم من أن حجم الاتصال والتبادل بين الاتحاد السوفيتي وأوروبا الغربية وأمريكا، أكبر من حجم الاتصال والتبادل مع أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، إلا أن الصحافة السوفيتية تخصص مساحات أوسع في صفحاتها، لأخبار التبادل مع دول العالم الثالث، مما يعكس أهمية ودلالة هذه المناطق في إستراتيجية الاتحاد السوفيتي وحساباته، ومن هنا أعربت الدوائر السوفيتية في مناسبات عديدة عن تقديرها وإعجابها بالثقافات الوطنية وبإحياء التراث الوطني لهذه الشعوب التي خرجت من ربقة الاستعمار الغربي أو مازالت تحاربه.

وإذا كان الدين يمثل جزءا من ثقافة الأمة، بل لعله المعبر عن طريقتها في الحياة، فتبذل الحكومة السوفيتية جهدا ملحوظا للتخفيف لدى أفريقيا وآسيا من الأثر السيئ للدعاية السوفيتية المناهضة للدين، حيث تبرز الصحافة السوفيتية الزيارات التي قد يقوم بها بعض

المسلمين الإندونيسيين أو المصريين لآسيا الوسطى السوفيتية، أو ما يقوم به المسلمون السوفيت من زيارة لمكة أو المدينة أو القاهرة، وعمل المقابلات مع إمام مسجد موسكو الذي ينتقد في هذه المقابلة أفكار الغرب للحرية الدينية في الاتحاد السوفيتي..

ومع ذلك وفي نفس الوقت تقريبا، تنشر المجلة الفلسفية السوفيتية، مقالات تندد فيها بالبوذية وبالإسلام وبالمسيحية، باعتبارها أدوات للظلم الاجتماعي والردة السياسية.. بل أذاع راديو موسكو بعد انتهاء زيارة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٨، محاضرة للأستاذ كليموفيتش أكد فيها على أن الإسلام ـ كأي ديانة أخرى ـ يمثل بقايا المجتمعات المتخلفة التي جاوزها الاتحاد السوفيتي وخلفها وراءه[٢٢].

وعلى كل حال، فهذه إشارة سريعة إلى استخدام التبادل والاتصال الثقافي من جانب واحد للتأثير على الشعوب الأخرى، حيث قد تتبع سياسة مزدوجة، تمتدح أمام ممثلي تلك الثقافة أصالتها الوطنية ورفضها للاستعمار الأجنبي، مع التأكيد على حرية الأديان من جانب، أما الجانب الآخر وهو الحقيقي فهو الإصرار على الخط الإستراتيجي للأيديولوجية الشيوعية الرافضة لأي دين سواها..

وليس معنى ذلك أن الغرب ـ وقد ذكرنا نبذة عن مؤسساته وأهدافه الثقافية ـ يحترم الإسلام أو الثقافة التي جاء بها العرب.. بل لعل تأييد الغرب لإسرائيل يرجع في جزء منه للدعاية الإسرائيلية التي تقيم تحالفا بين اليهودية والمسيحية ضد الإسلام (Judo Christianity) وخصوصا أن لدى الغرب حقدا وكراهية مترسبة في أعماقه منذ انتصار الإسلام على أوروبا في العصور الوسطى

ومع ذلك فان الغرب في التحليل النهائي، يمثل ـ مع الشرق العربي مهد الأديان السماوية جميعا ـ نقطة ارتكاز حضارية بين الذين يؤمنون بالله وبالرسل وبين الذين لا يؤمنون إلا بالشيوعية دينا ومذهبا..

وفهم هذه الركائز الثقافية ضروري لوضع إستراتيجية ثقافية عربية معاصرة تواجه المتغيرات الدولية في عالمنا المعاصر.. ولعل إبراز الدين في قالب عصري يتفق

(22) Problems of Communism, Vol. VII, No. 4, July / August, 1958, p. 46.

مع العلم الحديث هو أحد عناصر الأصالة الثقافية العربية فضلا عن عناصر الثقافة العربية الأخرى المتمثلة في التراث اللغوي والموسيقى والعمارة والفنون والآثار ... الخ.

وبعد فيبدو أن شعوب الأرض متفقة على أهمية تعبئة كل القوى التي يمكن أن تبني الثقة والتفاهم بين الشعوب.. وتعتبر القيم الثقافية الأصيلة لكل شعب، من بين هذه القوى البناءة التي تثري بتبادل الثقافة العالمية الواحدة وهي التي تأخذ من كل الثقافات الوطنية.. وفي عالم تمزقه الفلسفات السياسية والاجتماعية المتصارعة، من العسير أن يجد الحكيم أرضا وسطا، إلا بالتقاء الثقافات وزيادة أسباب التعاون وتقليل أسباب الاحتكاك بين الدول..

ولابد من الاعتراف أن كثيرا من البرامج الحكومية الخاصة بالعلاقات الثقافية الخارجية، تستخدم كأدوات لخدمة أهداف السياسة الخارجية والصالح الوطني فحسب، ولكن هناك أيضا بعض البرامج الثقافية التي تهدف إلى التعاون الفعلي والبناء والتبادل الثقافي والفائدة المشتركة التي تعود على الطرفين من وراء ذلك..

إن الإعلام والاتصال الدولي، القائم على تبادل الثقافات بين الشعوب من أجل تفاهم أكبر وتعاون أوثق، هو التحدي الذي ينبغي أن يتصدى له المفكرون في كل مكان، من أجل تدعيم السلام وإرساء قواعد التقدم المستمر.

الفصل السادس

الإعلام العلمي الدولي
وتأثير العلم على العلاقات الدولية[٢٣]

أولاً : تقديم وتعريف :

تحفل كتب العلاقات الدولية بنظريات عديدة، تشرح لنا أهداف وطبيعة العلاقات الدولية، ومن بين هذه النظريات يمكن أن نشير إلى ما يذهب إليه الواقعيون من اعتبار العلاقات الدولية علاقات قوة ومصلحة [Power and Interest]، أي علاقات بناء القوة الوطنية والسعي وراء المصلحة الوطنية، كما يمكن أن نشير إلى ما يتفق عليه خبراء العلاقات الدولية من دراستها لظواهر التعاون والصدام بين الدول [Cooperation and Conflict] وإذا كان هذا هو مدخلنا النظري لطبيعة هذه العلاقة فما هو دور العلم والتكنولوجيا في العلاقات الدولية؟

هذا ويفيد الإعلام الدولي من أساليب الاتصال المختلفة لخدمة السياسة الخارجية للدولة بالدرجة الأولى وهو بهذا المعيار يعتبر ظاهرة أو جزءا من ظاهرة العلاقات الدولية.

ونحن في هذا الفصل سنركز على الإعلام الدولي بمعنى الانتقال الحر للمعلومات العلمية والتكنولوجية الحديثة بين جميع دول العالم، حتى يفيد العلماء والمتخصصون والجمهور العام من هذه المعلومات في بناء مقومات السلام وتنمية الصناعة والزراعة وألوان النشاط الاقتصادي الوطنية، ولا يعني مصطلح السلام في هذه المناقشة مجرد غياب الحرب، ولكنه يعني مقومات ومتطلبات تحقيق الظروف الاجتماعية والاقتصادية للسلام..

---

(٢٣) يعتمد هذا الفصل قبل التعديل الحالي على مقال المؤلف التالي :

أحمد بدر. العلم والتكنولوجيا في السياسة الدولية. مجلة السياسة الدولية، القاهرة، أكتوبر، ١٩٧٥.

وهنا ينبغي أن نشير إلى أهمية المعلومات العلمية والفنية كأحد العناصر الأساسية في عملية التنمية الاقتصادية وفي القرارات السياسية والإستراتيجية للدول.

فقد ذهب كاريل هاسكينز(٢٤) في الدراسة المستفيضة عن العلم والسياسة في العشر سنوات القادمة والتي نشرت في مجلة الشئون الخارجية الأمريكية، إلى القول بأن المعرفة والمعلومات، تعتبر المصدر الرئيسي للاقتصاد، بل وتزيد أهمية هذا المصدر عن جميع المصادر الاقتصادية الأخرى.. ذلك لأننا يمكن استزراع المعرفة كما نستزرع أصناف القمح الجديدة، وبناء على ذلك فان العنصر الحاسم في إنقاذ Salvation الدول النامية، كما هو الحال في الدول المتقدمة هو ضرورة الاستخدام الناجح والفعال لنظم المعلومات في معناها العام، وهذه النظم تشمل التعليم والعلم والثقافة والإفادة منها في تطوير الزراعة والصناعة وغيرها من الأنشطة الاقتصادية.

كما ينبغي الإشارة إلى أن القرارات السياسية والاستراتيجية للدول في الوقت الحاضر، تبنى على المعلومات العلمية، وإذا لم تبن هذه القرارات على قدر مناسب من الحقائق والمعلومات، فان الافتراضات والبدائل التي يضعها القادة وأصحاب القرار وتنبؤاتهم، ستكون خاطئة، وفي هذا ما فيه من إضرار بمصالح الدولة وسياستها الخارجية..

ومن هنا كان على أجهزة الإعلام الوطنية، أن تكون قادرة على التمييز بين الغث والسمين في الإعلام العلمي الدولي، كما ينبغي أن تتخذ الإجراءات على الساحة الدولية لجعل هذا الإعلام العلمي موضوعيا يهدف إلى تقديم المعرفة والعلم لا للغرض الدعائي بل بهدف تدعيم مقومات السلام بين الشعوب.

---

(24) Caryl P. Haskins. "Science and Policy for a New decade," ((**Foreign Affairs,**)) 1975.

ثانياً : التحليل التاريخي للتقدم العلمى والتكنولوجي :

إن دور العلم في السياسة الدولية كما يظهره التحليل التاريخي للتطور التكنولوجي يمكن إجماله في الاعتبارات التالية :

(أ) أن التطورات التكنولوجية التي تؤثر في التغيير السياسي تكون عادة نتيجة عوامل متعددة وليس نتيجة عامل واحد.. كما أن التغيرات الأساسية في العلاقات الدولية هي نتائج عوامل فنية وغير فنية.

(ب) إن الآثار والفائدة السياسية للتغير التكنولوجي والعلمي لا تظهر نتيجتها بطريقة منتظمة متساوية وتلقائية بين الدول في مراحل التطور المختلفة..

فالتطور الاقتصادي في دول آسيا وأفريقيا مثلا. يشوبه كثير من التعقيد والصعوبة نظرا لأن هذه الدول – خلافا لدول أوروبا – قد بدأت تأخذ بأسباب الثورة الصناعية والتنمية في الوقت الذي تهبط فيه نسبة الوفيات في هذه الدول بشكل ملحوظ تبعا لتقدم العلوم الطبية والمستوى الصحي.. ومثل آخر تقدمه التجربة الأمريكية بالأسلحة النووية.. فإن الميزات التي كانت تستمتع بها الولايات المتحدة نتيجة لاحتكار السلاح النووي، لم تدم طويلا وخصوصا بعد اكتشاف الاتحاد السوفيتي للأسلحة النووية وللصواريخ العابرة للقارات، وتبع ذلك تدهور كبير في ميزان الأمن الأمريكي.. وإذا كانت الولايات المتحدة تعتبر بميزان القوة الصناعية أقوى دول العالم اليوم، إلا أن هذه القوة الصناعية العلمية أقل عند حسابها بالنسبة إلى الحربين العالميتين السابقتين.. ذلك لأن قوة التدمير ورخص الأسلحة النووية "النسبي" ومداها وتطور وسائل نقلها قد حرم الولايات المتحدة من ميزة اعتمادها على الحرب في أرض حلفائها.. وحرمها ميزة الوقت وميزة بعدها عن القارة الأوروبية بصفة خاصة.. وإذا كان تفوقها الصناعي في الماضي أدى إلى هزيمة أعدائها في الحربين العالميتين الماضيتين فان تفوقها الصناعي المعاصر لا يحول دون التدمير الشامل لأرضها وأهلها ومنشآتها..

(جـ) تطورت التكنولوجيا في السنوات الأولى من الثورة الصناعية مستقلة عن التقدم في المعرفة العلمية الأساسية. فقد بنيت وصممت آلات البخار مثلا قبل أن تكتشف

القوانين العلمية الأساسية التي تحكم عمل هذه الآلات البخارية.. ومع ذلك فانه منذ أوائل القرن الماضي.. اعتمد التطور في التكنولوجيا اعتمادا متزايدا على التقدم في المعرفة العلمية الأساسية عن العالم المادي.. فالقنبلة الذرية مثلا لم تكن تعتمد في إنشائها على البحوث الأساسية في الطبيعة النووية فحسب، ولكن كثيرا من التطبيقات التكنولوجية لهذه المعرفة الجديدة قد تمت على يد علماء الطبيعة النظرية أنفسهم.. أي أن المسافة بين العلم الأساسي والتطبيقات العلمية قد قلت بشكل ملحوظ..

(د) أن الاختراعات التكنولوجية تنمو بمعدل متضاعف ففي السنوات الثلاثمائة الأولى بعد اختراع الأسلحة النارية كان التحسين في الإنتاج الأصلي الخام بطيئا للغاية، مما دعا بنجامين فرانكلين إلى أن يفكر جديا في تسليح الجيش الأمريكي بالسهام والأقواس[٢٥] وبالمقارنة فان تسعين سنة فقط قد مرت ما بين تجربة أول سفينة بخارية ناجحة واختفاء الشراع من السفن الحربية.. وكذلك فإن ستين سنة فقط تفصل ما بين طيران أورفيل رايت وهو الذي حلق في السماء بطائرة بدائية وبين وصول أول صاروخ إلى القمر..

(هـ) أن تكاليف الحصول على المعلومات العلمية الجديدة وتكاليف التطبيقات التكنولوجية لها في تزايد مستمر، على الأقل في عدد غير قليل من المجالات العلمية الهامة، فقد وصلت المعلومات العلمية الآن في حجمها (تتضاعف كل ١٠ ـ ١٥ سنة) وتعقدها الموضوعي واللغات التي تنشر بها إلى درجة لم يسبق لها مثيل.. مما دعا الكثير من العلماء وخبراء الإعلام العلمي إلى القول بأن إجراء البحوث من جديد عاد أرخص واسهل من البحث في الإنتاج العلمي العالمي والتعرف على البحوث التي سبق إجراؤها وتطبيقها في مكان ما من العالم.. وقد تنبهت لذلك الدول الرأسمالية كالولايات المتحدة فتزايد بالتالي اعتماد ميزانيات البحوث على الأموال الحكومية بعد أن كانت غالبية البحوث في الجامعات تقوم على الموارد الخاصة فقط.. واعتماد البحوث المتزايد في المعدات على الأموال الحكومية يرجع من غير شك إلى الحاجة إلى مصدر غني يقوم بتمويل هذه البحوث متمثلاً فى الحكومة الاتحادية.. ولا يغيب عن الذهن أن هذه البحوث تدور حول نقاط معينة وفي مجالات محددة، وتخشى الولايات المتحدة أن تسمي ذلك

---

(25) Ellis A. Johnson, "The Crisis in Science and Technology and its effect on Military Development" ((**Operations Research** January-February 1958.))

تخطيطا.. مخافة أن يقال أنها تأثرت بالفكرة الاشتراكية.. بل يقال أن ذلك تشجيع للبحوث في مجالات حيوية أو أن ذلك محاولة للتنسيق بين البحوث التي تجري في الجامعات والهيئات المختلفة عن طريق الأموال الحكومية(٢٦).

ويبدو أن هذه الاتجاهات تشير إلى تزايد ارتباط العلم في عصرنا الحاضر بالحكومة سواء في الدول الشيوعية أو الرأسمالية أو غير المنحازة.. كما تشير هذه الاتجاهات أيضا إلى أن الدول الكبرى وحدها هي التي تستطيع أن تحصل على التكنولوجيا العظيمة، وتشير أخيرا إلى أن الدول الكبرى فقط هي التي يمكن أن تحصل على العلم العظيم. وربما كان هذا التحليل التاريخي للتقدم العلمي حافزا للدول العربية والأفريقية والآسيوية على أن تصب إمكانياتها العلمية في أعمال علمية مشتركة من أجل الصالح الذي يعود عليها جميعا.. وذلك من أجل تضييق الهوة التي تفصل بينها وبين الدول المتقدمة.. ومن أجل محاولة الوصول إلى التكنولوجيا العظيمة وإلى العلم العظيم كذلك.

ثالثا: التنافس والتعاون بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي:

إذا اعتبرنا أن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية هما القطبان الرئيسيان اللذان تتجمع حولهما دول المعسكر الشيوعي والمعسكر الغربي على التوالي.. فان العالم قد شهد تأكيدا حاسما لحقيقة العلم الوطنية واتخاذه وسيلة القادة والسياسيين في كل من المعسكرين للتنافس الأيديولوجي والاقتصادي والعسكري.. كما كان العلم وسيلة لخدمة أهداف السياسة الخارجية لكل منهما..

فمن الطريف مثلا أن تقوم البحوث في المجتمع الشيوعي على تطويع نظريات العلم الحديث للجدلية المادية وذلك من أجل الدعاية للأيديولوجية الشيوعية وفلسفتها(٢٧) كما تقوم دعاية الولايات المتحدة على الحرية في العلم ونشر المعلومات العلمية عبر

(26) Theodore H. White, "U.S. Science The troubled Quest," **"The Reporter,"** September 23, 1954, p. 24.

(27) Paul S. Epsteirı; "The Diamat and Modern Science **Bulletin of the Atomic** Scientisis; August; 1952. See also : Justav S.F. wetter, "dialectical Materialism and Natural Sciences," Soviet Literary January - March. 1958.

"الحدود الوطنية دفاعا عن أيديولوجية الحرية" و" العالم الحر" رغم ما تؤكده الحقيقة من أن كلا من المعسكرين يحتكر الكثير من المعلومات العلمية ويعتبرها أسراراً غير قابلة للنشر.. كما أن العلم هو القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها كل من المعسكرين في استعراض القوة العسكرية والاقتصادية وبالتالي القوة السياسية.. وربما كان التصريحان التاليان، وأحدهما لعالم أمريكي والآخر لعالم سوفيتي، مصداقا لهذه الحقيقة.. قال الدكتور كيليان مستشار الرئيس الأمريكي السابق للشئون العلمية والتكنولوجية :

في هذه المنافسة التي لا تهدأ والتي تواجه "العالم الحر" ليس هناك مجال أمام العالم الحر أقل من تعبئة جميع الكفايات والمصادر العلمية والتكنولوجية فيه من أجل بناء القوة.. إن تطوير العلم والتكنولوجيا في العالم الحر يجب أن يدفع بأقصى ما يمكن، فذلك أمر حيوي وحاسم بالنسبة إلى القوة الاقتصادية والعسكرية، وبالتالي بالنسبة إلى التقدم والاستقرار السياسي والثقافي لدول العالم الحر(٢٨).

كما جاء في تقرير البروفسور كلديش رئيس أكاديمية العلوم السوفيتية ما يلي:

إن العلم تحت النظام الرأسمالي يكون معزولا عن العمال.. وإن تقدم التكنولوجيا يزيد من جيش العاطلين، ويستخدم هذا التقدم بواسطة رأس المال ضد مستوى معيشة العمال كما يستخدم في سباق التسليح.. يجب أن نقيم مكاسبنا وانتصاراتنا العلمية وأن نتبين أفضل الطرق لتطوير العلوم والتكنولوجيا حتى يحتل الاتحاد السوفيتى عن جدارة المكان الأول فى العالم فى جميع المجالات العلمية والتكنولوجية الحاسمة(٢٩).

وينعكس هذا التنافس كذلك على ما يسمى بحرب المعامل وحرب إعداد المهندسين والعلماء ورصد الميزانيات الضخمة للبحوث الأساسية والتطبيقية.. فقد جاء في أحد التقارير الحديثة التي أعدت لمؤسسة العلوم القومية الأمريكية أن الاتحاد السوفيتي ينفق على التعليم مثل ما تنفقه الولايات المتحدة، رغم أن ثروة الأخيرة تعادل ضعفى ثروة

(28) U.S., Congress, Senate, **Coordination of Infornation on current Scientific Research and development supported by The U.S. Government.** 87th. Congr. 1st Seas, 1961 Rept 263 p. 212.

(29) Keldysh's Report to Nationwide Conference of Scientists, Current Digest of Soviet Press, vos. 13 (No 24, 1961) p. 14.

الاتحاد والسوفيتى ومع هذا الانفاق المتساوي على التعليم في كل من الدولتين سيكون لدى الاتحاد السوفيتي في الستينات ٤ ملايين خريج من الجامعة، منهم ٢,٥ مليون من العلماء والمهندسين.. وهذا العدد يمثل أكثر من ضعف عدد العلماء والمهندسين في الولايات المتحدة.. ويقول التقرير أن هذا العدد الضخم من المهندسين والعلماء هم المصدر الفعلي للقوة السوفيتية[٣٠].. ومما يزيد من خطورة هذا التنافس في رأي الأمريكيين أن المهارات السوفيتية الإدارية المتفوقة تظهر في مقدرة السوفيت على إنتاج الأسلحة الحديثة في حوالي نصف الوقت الذي تنفقه الولايات المتحدة[٣١] إن هذا التنافس الحقيقي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي هو تنافس من أجل القيادة العلمية للعالم وما يتبعها من تأكيد للقيادة السياسية داخل كل من المعسكرين المتنازعين، ومن إغراء لبعض الدول غير المنحازة بالانحياز لأحد المعسكرين.. ومع ذلك التنافس الفعلي أو في التصريحات فهناك تعاون علمي متزايد بين العملاقين، ولعل هذا التعاون يرجع إلى عام ١٩٥٥ في مؤتمر جنيف للسلام، وفي عام ١٩٥٨ اتفقت كل من أكاديمية العلوم في موسكو والأكاديمية القومية للعلوم (أمريكا) على ترتيبات زيارة وتبادل العلماء، وفي عام ١٩٧٠ زاد التبادل إلى أربعة أضعاف بين الهيئتين المذكورتين، ولكن هناك تعاون علمي ثنائي بين الهيئات المتناظرة في كل من البلدين كالمعهد القومي للصحة والملاحة البحرية وإدارة الفضاء ومؤسسة الطاقة النووية ووقع كل من الرئيس نيكسون وكوسيجن رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي اتفاقا للتعاون العلمي والتكنولوجي بين البلدين[٣٢].

رابعاً : النمو السكاني والإنتاج العالمي في مجال الصناعة والزراعة واستراتيجية السلام:

لعل أخطر تحول يواجه مجتمعنا المعاصر هو تضاعف عدد سكان العالم أربع مرات خلال هذا القرن، وهذا الانفجار السكاني يؤدي من غير شك إلى عوامل الاحتكاك والحقد والحرب لا إلى مجتمع التعاون والتكافل والسلام إذا لم يوظف العلم والمعلومات العلمية لخدمة العالم النامي من أجل ملء الفجوة بينه وبين العالم الصناعي الغني المتقدم..

---

(30) Nicholas Devitt. N.S.F. Report. **Time**, January 26, 1962, p. 69

(31) Ellis A. Johnson, op. cit., p. 16.

(32) Physics Today, August, 1972, p. 69.

وعلى كل حال فقد نما عدد سكان العالم من (٤٠٠) مليون عام ١٥٠٠، إلى بليون نسمة عام ١٨٢٥، وفي عام ١٩٣٠ تضاعف عدد السكان ليصبح ٢ بليون نسمة ثم أضيف بليون جديد عام ١٩٦٠ وبليون آخر عام ١٩٧٥، ويتوقع إضافة بليونين في الأعوام التالية.

والآن ينبغي أن نشير إلى أن الدول النامية وهي التي تكون ثلثي سكان العالم تنتج ٣٥٪ فقط من الإنتاج العالمي للطعام، ٧٪ فقط من الإنتاج العالمي الصناعي، أما الباقي وهو ٩٣٪ من الإنتاج الصناعي العالمي فتنتجه الدول المتقدمة[٣٣].

والصورة السابقة توضح لنا كيف يمكن للتعاون العالمي الأصيل المنزه عن الغرض والأيديولوجية وفرض التبعية والاستغلال، أن يملأ الفجوة بين الدول المتقدمة والنامية وأن يحول المد الانفجاري في الزيادة السكانية من أن تكون سببا في الحرب إلى أن تكون دعامة لبناء السلام.

وإذا تأكد دور العلم في ميدان المنافسة بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي في المجالات الاقتصادية والعسكرية فان دور العلم في تطوير اقتصاد الدول النامية هو همها الأكبر، وأن المعركة التي تخوضها هذه الدول هي معركة ضد التخلف.. متخذة العلم سلاحها الأساسي. وفي هذا الصدد قال الرئيس أنور السادات في افتتاح مؤتمر علماء أكاديمية البحث العلمي[٣٤]"إننا تحت أي ظروف لن ندخر وسعا في سبيل الإفادة من علوم وتكنولوجيا العصر، وأعتقد اعتقادا جازما أن قضية العلم والمعرفة إذا كانت تشكل قضية حيوية بالنسبة لنا ولجميع دول العالم فإنها بالنسبة لمصر وللدول النامية، إنما تشكل قضية مصيرية وعلينا ألا نسمح بأن نتخلف عن اللحاق بمسيرة العصر لنعوض ما فاتنا نتيجة التحديات التي فرضت علينا، وفي يقيني أن مشاكل الإنسان مهما عظمت وتعقدت

---

(٣٣) انظر في ذلك :

Doty Paul "The Commmunity of Science and the Search for Peace, Science, V; 173 No. 4001, september 10-1971 p. 998.

انظر أيضاً : السياسة الدولية، القاهرة، العدد ١٩، يناير ١٩٧٠، ص٢٧.

(٣٤) الاهرام، ١٩٧٦/١٢/١٥.

وأن تطلعات البشر مهما عزت وعلت فإنها سوف تجد لها في العلم والبحث العلمي الإجابة والحلول".

ولقد طالبت الدول النامية في كثير من المؤتمرات الدولية بكسر احتكار العلم ونشر المعلومات العلمية والفنية وطرق الإنتاج الحديثة بين هذه الدول من أجل التنمية السريعة للإنتاج فيها.. والسبب في المطالبة بكسر الاحتكار العلمي والتكنولوجي يرجع إلى أن تكاليف الحصول على المعلومات العلمية والفنية وكذلك تكاليف الحصول على المنتجات الصناعية في تزايد مستمر، فإذا لم تتح للدول النامية الحصول على المعلومات العلمية والفنية والمنتجات التكنولوجية الحديثة.. أي أن تعتمد على العلم المتقدم بتكاليف تستطيعها فان الهوة التي تفصل بين الدول المتقدمة والدول النامية ستزيد اتساعا.

ولما كانت المعلومات العلمية والفنية قد وصلت اليوم في حجمها وتعقدها الموضوعي واللغات التي تنشر بها إلى درجة لم يسبق لها مثيل في التاريخ فان على العلماء وخبراء الإعلام في الدول النامية مهمة عسيرة هي أن يختاروا من بين الفيض الهائل من المعلومات الأجنبية المعلومات العلمية التي تتفق مع مشاكلهم المحلية وتخدم مراكز الإعلام والتوثيق في هذا المجال إذ تتولى جمع وتحليل ونشر وترجمة المعلومات العلمية والفنية التي تستجيب لاحتياجات المجتمع ومطالبه...

وخلاصة القول أن اختيار المعلومات العلمية والفنية يجب أن يتم داخل نطاق المشكلات الوطنية، وأن تقصر المسافة - إلى أقصى حد - بين مرحلة "المحاولة والخطأ" ومرحلة "التجريب" والإنتاج الفعلي النهائي[٣٥] نظراً إلى أن إمكانيات الدول النامية محدودة من حيث رأس المال الذي يمكن أن تستثمره في البحوث العلمية ومن حيث عدد المهندسين والعلماء فيها..

---

(35) Jack Baranson, ((National Progress for science and Technology in the Underdeveloped Areas, ((**Bulletin of the Atomic scientists,**)) vol. 16 (May 1960).p. 152 and 154.

إن كسر الاحتكار العلمي وخفض تكاليف الحصول على المعلومات العلمية وعلى المنتجات النهائية، يعتبر من الأمور الحيوية بالنسبة إلى التنمية في الدول المتخلفة. وعلى الدول المتقدمة واجب في هذا الاتجاه نحو الدول النامية..

وهذا الواجب ليس منة ولا صدقة بل هو واجب يمليه هدف الاستقرار العالمي وتستلزمه إستراتيجية السلام.. وقد قال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في مؤتمر دول عدم الانحياز الذي عقد في بلجراد سنة ١٩٦١ :

" يجب أن يكون واضحا في الأذهان أنه لا استقرار في عالم نرى فيه هذه الفوارق الضخمة بين مستويات المعيشة في الدول المختلفة "... وفي مكان آخر يقول "أن عالمنا الذي نعيش فيه اليوم عالم واحد.. مصيره في الحرب والسلم واحد.. ولقد شاركنا جميعا في خلق حضارة الإنسان عبر التاريخ.. وانتقلت مراكز المعرفة من قارة إلى أخرى. ونتيجة لذلك فان كلا منا له نصيب في التقدم الناتج عن الحضارة الإنسانية كلها.. لقد ساهمنا جميعا في إنشاء الثروة التي تستمتع بها الدول المتقدمة اليوم.... ولو أني لا أريد أن أثير آلاما قديمة... فانه لا مناص من القول بأن التقدم الصناعي في كثير من دول أوروبا - على سبيل المثال - قد بني على الثروة التي استنزفت بصفة منتظمة من آسيا وأفريقيا[٣٦]".

خامساً : بعض هيئات التعاون العلمي ومجالاته:

تعتبر هيئة الأمم المتحدة ذات أثر فعال في هذا المجال وخصوصا عن طريق مجموعة الوكالات المتخصصة كمنظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية والزراعة ومنظمة التربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) والوكالة الدولية للطاقة الذرية... وغيرها... ويمكن أن يتحقق هذا التعاون الإقليمي كما هو الحال بين دول السوق الأوروبية المشتركة والدول العربية والدول الأفريقية...

---

(36)Translated by the Author From, Gamal Abdel Nasser, **Speech** Detivered at the Conference of **Non-Aligned Nations held in Belgrade,** September, 1, 1961. (Cairo, Infornation dept.)

ومجالات التعاون العلمي الدولي تمتد على مدى واسع يشمل مختلف العلوم الأساسية والتطبيقية التي تتصل برفاهية الإنسان واستقرار السلم وصيانته والابتعاد عن الحرب والعدوان.. ولمعظم المجالات العلمية الهامة جانب سلمي وآخر حربي.. فاستخدامات الطاقة الذرية في ميدان السلم يمكن أن يحقق المعجزات باعتبارها مصدرا للطاقة الإنتاجية لا ينضب.... واستخداماتها في الحرب لا تخفى على القارئ.. واستخدام "الفضاء الخارجي" في السلم متعدد الجوانب كالتليفزيون الدولي والأرصاد التي تخدم الزراعة.. وغيرها.... واستعمالاته الحربية

مخيفة خصوصاً مع تعدد الدول التي تستطيع أن تضع الأسلحة النووية في هذا الفضاء الخارجي.. فحين تهبط أسلحة الدمار الشامل من الفضاء على إحدى الدول فإنها لن تستطيع على الفور ـ وربما لن تستطيع إلى الأبد ـ تحديد الدولة المعتدية حتى ترد العدوان الواقع عليها.. "واستخدام المناطق القطبية وأعالي البحار" في البحث عن الثروات والكنوز المدفونة أمر يغتبط له أهل السلام، واستعمالاتها في إخفاء الغواصات الحربية والأسلحة النووية هو منطق أهل الحرب..

ولما كانت معظم الوكالات الدولية التي تهتم بتقدم العلوم والتكنولوجيا لا تخلو من صراع القوى التقليدي ومن تضارب المصالح السياسية ـ الظاهرة والخفية ـ فقد الكاتب أن يبرز هنا بشيء من التفصيل التعاون الدولي في السنة الجيوفيزيقية الدولية..

(أ) السنة الجيوفيزيقية الدولية :

تعتبر السنة الجيوفيزيقية الدولية أكبر مشروع علمي تعاوني تم تنفيذه على نطاق دولي.. فالإعداد لهذا العمل العلمي الجبار، الذي تم تمويله إلى حد كبير عن طريق إسهام الحكومات إسهاما مباشرا، تضمن تعاون وعمل آلاف المتخصصين وتكونت من أجل تنفيذه اللجان الوطنية المعاونة في جميع الدول المشتركة.. ويعتبر هذا المشروع مثلا حيا لما يمكن أن يؤدي إليه التعاون الدولي من نتائج مثمرة يتعذر ـ بل يعتبر من المستحيل ـ الوصول إليها عن طريق دولة واحدة.

لقد تم تنفيذ هذا المشروع بمساندة الحكومات المختلفة.. وأيدته الهيئات العسكرية في الدول المختلفة تأييدا واسع النطاق ولو أنه ليس برنامجا عسكريا، كما ساعدت منظمة اليونسكو في إنجاح المشروع وخصوصا في مراحله الأولى وذلك عن طريق المنح المالية

" للمجلس الدولي للاتحادات العلمية " وإنشاء سكرتارية مركزية ولجان دولية للتخطيط للمشروع.. كما أسهم في إنجاحه مواطنون من سبع وستين دولة.. وتولت كل دولة تنفيذ البرنامج الخاص بها وتم التنسيق بين مختلف اللجان الوطنية عن طريق جماعة من المسئولين الرسميين الذين لم يتقاضوا مقابل ذلك أجرا(٣٧).

وحققت السنة الجيوفيزيقية الدولية لقاء بين العلماء السوفيت والأمريكيين بعد عزلة نسبية في الحقبة التي سبقتها.. واكتشف العلماء في كل من المعسكرين أنه في دنيا العلم – على الأقل – فان التعايش السلمي والمنافسة السلمية يمكن أن يكونا من الحقائق العملية (٣٨).

وينبغي ألا يفوتنا هنا أن الحكومات المختلفة وافقت على الاشتراك في هذا المشروع بعد أن رأت أن ذلك يتفق مع مصالحها القومية ومع أهدافها الوطنية.

(ب) مراكز المعلومات الجيوفيزيقية العالمية :

كان من بين القرارات التي اتخذها المسئولون عن السنة الجيوفيزيقية تأسيس ثلاثة مراكز علمية تتجمع في كل واحد منها مجموعة كاملة من المعلومات والبيانات العالمية التي تتصل بالبيئة الجيوفيزيقية، وذلك ضمانا ضد التدمير الذي قد يصيب أحد هذه المراكز العالمية نتيجة لكارثة طبيعية أو إنسانية. والمركز الأول بالولايات المتحدة والثاني بالاتحاد السوفيتي والثالث في غرب أوروبا... ويلاحظ أنه لا يوجد في الجزء الجنوبي من الكرة الأرضية (أمريكا اللاتينية، أفريقيا، آسيا) أى مركز معلومات مماثل ولكن من المتفق عليه أن علماء نصف الكرة الجنوبي يبعثون بمعلوماتهم إلى واحد من المراكز الثلاثة سالفة الذكر وهذا ينقلها على الفور إلى المركزين الآخرين... وتستطيع أي هيئة أو فرد باحث في أي مكان من العالم.. أن يحصل على نسخ مصورة للمعلومات التي يريدها من أي مركز يختاره.. وعن طريق هذه المراكز الثلاثة أمكن التحكم في جميع المعلومات

(37) Philip C. Jessup and Howard F. Taubenfeld **Controls for Outer Space and the Antarctie Analogy** (New York : Columbia University Press 1959.)
(38) Walter Sullivan. "The International Geophysical Year **"Internation Conciliation**, No. 52. (January 1959) P. 327-328.

العلمية والفنية العالميـة... واسـتخدمت الحاسبات الآليـة فـي حفـظ واسـترجاع المعلومـات الجيوفيزيقية واستخدمت في ذلك أكواد تلغرافية دولية تسمى "سيازموا" للتسهيل والإسراع في نقل واسترجاع المعلومات من جميع أنحاء العالم(٣٩).

وينبغي الإشارة إلى أن هذه المراكز الثلاثة تجمـع المعلومـات مـن حوالـي سـتمائة محطة سيزمولوجية منتشرة في جميع أنحاء الأرض وترسل تقاريرها بصفة مسـتمرة إلـى هذه المراكز.

وتؤدي هذه المراكز عملها بنجاح باهر.. ومن الطريف أن نذكر هنا أن كثيرا مـن المعلومـات الشمسـية مثـلا تصـل مـن أقصـى المراصـد السوفيتية إلـى نقطـة التجمـع فـي كولورادو بالولايات المتحدة قبل أن تصل المعلومـات التـي تقابلهـا مـن مراصـد الولايـات المتحدة ذاتها... ويعتبر كثير من المعلقين أن هذا مثل نادر وينبغي أن يحتذى به في مجال التعاون العلمي الدولي(٤٠).

(جـ) اليونيسست والتعاون الدولي في مجال الإعلام العلمي والفني :

لقد أصبـح العـالم بفضـل العلـم كالقريـة الصغـيرة.. أي أن المسـافات البعيـدة لـم تعـد حقـا بعيـدة.. وأصبـح انتقـال البضـائع والنـاس والمعلومـات يتـم فـي سـرعة متزايدة بفضـل التكنولوجيـا المعـاصرة... ولـم تعـد أي دولـة تسـتطيع أن تكتفـي ذاتيـا بمـا تنتجـه مـن معلومـات ذلـك لأن علماءهـا وباحثيهـا لابـد أن يلمـوا بكـل مـا وصلـت إليـه المعرفـة الإنسـانية فـي أي مكـان فـي العـالم حتـى يسـتطيعوا البـدء مـن حيـث انتهـى الآخـرون.. والبديـل لذلـك هـو إنفـاق الوقـت والجهـد والمـال واكتشـاف معـارف سبق اكتشـافها وتطبيقهـا فـي أمـاكن مختلفـة مـن العـالم.

ولكن تكاليف الحصـول علـى المعلومـات فـي ارتفـاع مستمر.. وإمكانيـات الـدول النامية محدودة ولا تستطيع أن تتحكم في هذا الفيـض العـالمي مـن المعلومـات، ومـن هنـا

---

(39) Tuzo Wilson, JGY 1 The Year of the New Moons, (New York ; Alfred A. Knoph, 1961) P. 139.

(40) Walter Sulivan, Assault on the Unknown, The International Geophysical Year (New York ; McGraw-Hill Co., 1961) P. 35.

فستزيد الفجوة بين الدول المتقدمة والنامية.. مع عدم استطاعة لحاق الدول النامية بالتطور العلمي والتكنولوجي العالمي المعاصر.

ومن هنا فقد اهتمت هيئة اليونسكو بدراسة إمكانية إنشاء نظام عالمي للإعلام العلمي (اليونيسست) تفيد منه الدول جميعاً وخصوصاً الدول النامية.

لقد أسفرت الدراسة التي قامت بها منظمة اليونسكو الدولية بالتعاون مع المجلس الدولي للاتحادات العلمية حول إنشاء شبكة عالمية للإعلام العلمي عن إمكانية تنفيذ هذه الشبكة الدولية وأطلق عليها اسم UNISIST وتضم اليونيسست عدة دول تشمل عدة فروع علمية، كما تضطلع بمهام متعددة من أجل إيجاد شبكة مرنة عالمية للإعلام العلمي تنضم إليها على أساس اختياري، الشبكات الإعلامية القائمة والمستقبلة التي تعمل بانفراد أو بتعاون ينقصه التنسيق.

لقد أشارت اللجنة المشتركة من اليونسكو والمجلس الدولي للاتحادات العلمية - بعد دراسة دامت أربع سنوات - إلى أن النظام العالمي للإعلام العلمي هو خدمة ضرورية وممكنة في نفس الوقت.. كما أشارت إلى إمكانية قيام هذا النظام العالمي من الناحية الفنية ومن الناحيتين السياسية والاقتصادية كذلك..

وينبغي أن نشير إلى أن اهتمام اليونيسست بالدول النامية لا يعتبر المحاولة الأولى للإجابة على السؤال الذي يطرح في هذا الخصوص " وهو كيف يمكن للدول النامية أن تنفتح على فيض المعلومات الهائل في العالم ؟" ذلك لأن هناك محاولات أخرى سبقت دراسة اليونسكو هذه، إذ قامت اللجنة الاستشارية الخاصة بتطبيق العلوم والتكنولوجيا من أجل التنمية، والتابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة في عام ١٩٦٤، ١٩٦٥ بمراجعة وتقييم دور المعلومات العلمية والفنية في عملية التنمية والتطوير، كما قامت منظمة التنمية الصناعية التابعة للأمم المتحدة في عام ١٩٦٩ بدراسة مماثلة..

واهتمت هذه الجهود بنقل المعلومات التكنولوجية للاستخدامات المحددة Concrete Uses ولفترة قصيرة الأجل نسبيا، وذلك عن طريق الاتصال الشخصي والتدريب في الشركات الصناعية العالمية.. ولكن هذه الجهود لم تول اهتمامها لمصادر

"المعلومات العلمية الأساسية" Basic التي تدعم البحث العلمي، وذلك لأن العلم يعتمد على الهندسة لتطوير الأدوات، كما أن الأساس العلمي يساعد الدولة في تطوير التكنولوجيا الخاصة بها وينسحب ذلك على البلاد النامية والمتقدمة على السواء.

المزايا التي يمكن أن يقدمها اليونيسست :

هناك مزايا كثيرة يمكن أن نتوقعها من اليونيسست.. فهناك توفير تحصل عليه الدول في المدى البعيد.. وذلك عن طريق إعادة توزيع الأعمال والتخلص من التكرار الذي لا لزوم له.. وسيؤدي ذلك إلى نظم أفضل اقتصاديا.. وهذا التوفير من غير شك سيتم الحصول عليه فقط بعد فترة مبدئية سيزيد خلالها الإنفاق للوصول إلى المقننات المقترحة للأداء.. إن تكاليف إمداد العلماء بالمعلومات سيستمر في الزيادة والارتفاع.. وسيقدم اليونيسست إمكانيات للتحكم في هذه التكاليف المتصاعدة وذلك عن طريق التخطيط المسبق للاتفاقيات التعاونية..

وفوق هذا كله، فان شبكة أفضل للإعلام الدولي ستزودنا بأداة أكثر فعالية للعلماء كأفراد.. وللهيئات المسئولة والبحوث العلمية ولواضعي سياسة وتخطيط العلم في الدول، ولمديري نظم الإعلام وللقائمين بتدريس المواد العلمية في المعاهد المختلفة.

إن معلومات أفضل تعني علماء أفضل.. إن إنتاجية العلماء وإرضاء متطلباتهم الفكرية تتأثر بصفة مباشرة بدرجة اكتمال ونوعية المعلومات المتاحة لهم ودرجة ارتباطهم بأبحاثهم وحاجاتهم في دراساتهم..

إن الفوائد والمزايا التي يمكن أن تجنى من نظام إعلامي علمي وفنى فعال ومؤثر على المستوى الإعلامي.. سوف تظهر في زيادة إنتاجية جهود التنمية والبحوث على المستويات الوطنية والدولية..

إن المعلومات العلمية ليست للبحث والتنمية وحدهما ولكنها تقع في موطن القلب أيضا بالنسبة للعملية التعليمية. ونحن لا نستطيع الفصل بين المجالات العلمية والتعليمية والبحثية على مستوى الدراسات العليا، أي بعد درجة

البكالوريوس، وعلى ذلك فان معلومات ونظما إعلامية ستدعم مشروعات التعليم الوطنية في العلوم البحتة والتطبيقية نفسها.

وأخيرا فان مبدأ وجود العلاقات المتبادلة على الصعيد الإعلامي سيعمل على تقليل " عدم المساواة " الحالية في توزيع مصادر المعلومات في العالم.. مع مزايا خاصة إضافية تعود على الدول النامية.. ومن المأمول فيه أن يقوم هذا النظام الإعلامي العلمي على إزالة الحواجز الإدارية والفنية والثقافية والاجتماعية.. بالإضافة إلى المعاونة في تخفيف المشاكل الاقتصادية المتمثلة في نقص الميزانيات المناسبة والتجهيزات والأفراد المدربين، وهذه المعوقات هي التي تحول بين الدول والانفتاح على المعلومات العلمية والفنية الموجودة فعلا [٤١].

وإذا كان اليونسست هو ميلاد السبعينيات والثمانينيات، فإن التسعينيات تشهد شبكات عالمية كالإنترنت، وتقف الهيئات الدولية كاليونسكو عاجزة عن أن تعاون الدول الفقيرة فى الحصول على المعلومات من خلالها فتكاليف الحصول على المعلومات فى تزايد مستمر.

سادساً : مشكلة التنظيم الدولي مشكلة سياسية :

لقد زادت الاكتشافات العلمية، وخصوصا في المجال العسكري، من الإحساس بوحدة المصير الإنساني.. وأصبحت تتردد على الألسنة اليوم عبارات "العلم الدولي من أجل الإنسانية" و "حكومة عالمية تحتكر استخدام الطاقة الذرية والفضاء الخارجي" وغير ذلك من العبارات التي تعبر عن أمل الإنسانية أن يكون العلم خادما للرفاهية الإنسانية وليس سيف عذاب مصلت على رقابها وأن تنتقل بذلك المعلومات العلمية والتكنولوجية بحرية بين مختلف الدول، والأمر الذي يجب أن يكون واضحا في الأذهان أن تحقيق هذه الآمال يعتمد على القرارات السياسية التي يراها قادة الدول وزعماؤها متفقة مع مصالحهم القومية وأهدافهم الوطنية.. وليست رهينة بقرارات العلماء ومنطقهم.. لقد غير العلم

(٤١) أحمد بدر. النظام العالمى للاعلام العلمى. محلة الثقافة العربية. العدد الثانى ١٩٧٤، ص ٢٦٥.

والتقدم العلمي في كثير من طبيعة مفهوم المصالح القومية والأهداف القومية لدى السياسيين وألقى عليهم من غير شك مسئولية خطيرة عند اتخاذ قراراتهم السياسية.. فكلما زادت سيطرة العلم على الطبيعة زادت الحاجة إلى سيطرة السياسيين على أنفسهم وزادت الحاجة إلى حكمتهم وسلامة تقديرهم... ذلك لأن مشكلة التنظيم الدولي مشكلة سياسية وإن أضفى عليها العلم أبعادا جديدة وخطيرة.. ويمكن مناقشة هذه الحقيقة في الاعتبارات التالية :

(أ) العلم الوطني والعلم الدولي :

ربما كان من الملائم أن نوضح أنه حين يقال أن العلم " دولي " فليس معنى ذلك أن ما ينتجه علماء الدنيا من المعرفة هو " ملك " للدول جميعها.. بل معناه أن حقائق الطبيعة مفتوحة للجميع، أي لمن يشاء أن يكتشف هذه الحقائق متخذا الطرق العلمية إلى ذلك.. ولكن العلم كان دائما في خدمة الدول وليس في خدمة الهيئات الدولية. وكانت جهود الحكومات الوطنية هي الدافع الأكبر والممول الأول للمشروعات العلمية والتكنولوجية.. وذلك لأنه أمر يتصل بالصالح الوطني والأهداف الوطنية قبل أن يكون تحقيقا لمصلحة إنسانية عامة مجردة. والعلم "دولي" بمعنى أن الكتل البناءة للمعرفة الإنسانية قد أسهمت فيها عقول كثيرة من كل ركن من أركان الدنيا. ولكن صفة "الدولية" في استخدامه وتيسير أسباب تطبيقه في مختلف الدول يتم تبعا لإمكانياتها المادية والدولية هنا هى مجرد أمل يسعى بعض العلماء والساسة لتحقيقه. وتصريحات الساسة البراقة في هذا المجال شيء وسياسة دولهم شيء آخر. فقد قال الرئيس الراحل كيندي في إحدى خطبه "إنه في مجال العلم نكتشف هذا العالم الذي يجعل منا" جميعا "حلفاء طبيعيين"[٤٢]، كما قال إدلاي ستيفنسون رئيس وفد أمريكا السابق في الأمم المتحدة أمام حشد من علماء الدنيا "نحن الذين نحاول أن نحفظ السلام بين أمم ودول متنافرة، لا نملك إلا أن نحسدكم ونعجب بوحدتكم وبصفاء غرضكم.. هل نستطيع نحن جميعا في الأمم المتحدة أن نحذو حذوكم ونتحد من أجل إنهاء الحرب الباردة والخلافات. ونركز على فن إقرار السلام

(42) Dean Rusk "Building an International Community of Science and scholarship, ((Department to state Bulletin, vol. 44 (May : 1961) P. 625.

حتى نستمتــع بفوائــد هــذا العصــر الذي يتميــز بتقــدم تكنولوجي وعلمي هائــل لم يسبق له مثيل(٤٣)"

ولكن الحقيقة الباقية هي أن الدول النامية تحصل على العلم الأمريكي مثلا بتكاليف باهظـة ومتزايدة لا تتحملهـا الميزانيـات المحـدودة المرصـودة فـي هـذه الـدول للبحـوث العلمية.. ومن المعروف كذلك أن الولايات المتحدة لا تقـدم معونتهـا العلميـة أو الفنيـة أو الاقتصادية إلا ووراءها شروط سياسية أو على الأقل ضغط سياسي تريد به أن تؤثـر فـي اتجاه سياسة الدول الأخرى لتتمشى مع السياسة الأمريكية الخارجية.. .

(ب) ثورة الاتصال والتوحيد التكنولوجي للعالم :

لقـد عمـل العلـم للتوحيـد التكنولوجــي للعــالم، فــألغت وســائل المواصــلات الحديثــة المســافات الجغرافيــة البعيــدة.. ويســر العلــم وســائل تبــادل المعلومــات والخبـرات، وتنقل الأشخاص من مكـان إلـى آخـر فـي سرعة بالغـة.. فـأدى ذلـك إلــى تدعيم كل من الدبلوماسية الثنائيـة والجماعيـة بمـا يسـره العلـم مـن وسـائل الاتصـال المباشـر والفوري بين الزعمـاء وقـادة الـدول، وبمـا يسـره العلـم كذلـك مـن سـرعة انتقــال مندوبــي الــدول إلــى المؤتمــرات والاجتماعــات الدوليــة بــل واصبحــت المؤتمرات تعقد اليوم دون ضـرورة انتقـال المندوبين إلــى أمــاكن بعيـدة أي بواسـطة المؤتمرات المحسبة عن طريـق الأقمــار الصناعيــة ولكــن هـذا التوحيـد التكنولوجــي للعــالم لـم يـؤد إلـى التوحيـد أو علـى الأقـل التجـانس السياســي أو النفسـي لشـعوب العــالم.. بــل إن كثـيرا مــن الــدول الشـيوعية والرأســمالية يعمــد إلــى اســتخدام الاكتشـافات التكنولوجيـة فـي مجـالات الاتصـال والإعـلام فـي الحـد مــن نقـل التجـارب الإنسـانية التـي تخـالف معتقداتهـا السياسـية والاجتماعيــة إلــى شـعوبها. ومــن الواجـب الإشـارة إلـى أن الـدول غير المنحـازة تعمـل عـن طريـق فلسفة الحيـاد الإيجـابي وعـدم الانحيـاز، للوصـول إلـى هـذه الوحـدة النفسية ركـيزة الوحـدة السياسـية ــ بيـن شـعوب العـالم أجمـع.. وكـانت مصـر فـي طليعـة تلـك الـدول غـير المنحـازة التـي تسـير فـي

(43) Adlai Stevenson. "Science. Diplomacy and Peace, **Department of State Bulletin**, vol. 45 (September 4, 1961) P. 402.

هذا الطريق، إذ ينص ميثاق العمل الوطني فيها على وجوب الاستفادة " بفكر مفتوح من كل التجارب الإنسانية، يأخذ منها ويعطيها، لا يصدها عنه بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالعقد ".

فاستخدام الاكتشافات العلمية والتكنولوجية الحديثة التي أحدثت ثورة في عالم الاتصال الدولي من أجل تحقيق المجتمع المتجانس كركيزة للوحدة السياسية والنفسية للعالم، هو في التحليل النهائي قرار السياسيين لا العلماء..

(جـ) العلم والحكومة العالمية :

إن فكرة إنشاء الحكومة العالمية فكرة قديمة راودت ـ ولا تزال تراود كثيرا من المفكرين والسياسيين.. وكانت عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى، وهيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية دافعا في هذا الاتجاه..غير أن الدافع الأكبر في إحياء أمل تحقيق الحكومة العالمية كان في التقدم العلمي والمعلومات الهائل وما أكده من وحدة المصير الإنساني...

وكان برنارد راسل معبرا عن هذا الاتجاه حين أورد الشروط التالية اللازمة لاستقرار العالم في دراسته المستفيضة عن العلم وأثره في المجتمع :

الشرط الأول : " حكومة واحدة للعالم جميعه تملك احتكار القوات المسلحة في العالم كله وقادرة على فرض السلام".

الشرط الثاني : هو التوزيع العام للثروة بين شعوب العالم حتى لا يكون هناك مجال لحقد أو حسد بين الشعوب بعضها وبعض.

الشرط الثالث : وهو يفترض أن الشرط الذي سبقه قد تحقق، تحديد النسل في كل مكان حتى لا يزيد عدد السكان بدرجة كبيرة.

الشرط الرابع : هو أن تتاح للأفراد جميعا إمكانيات المبادرة وحوافز الإنتاج، وأن يتم أكبر توزيع للقوة يتفق مع حفظ الإطار الاقتصادي والسياسي الضروري(٤٤).

ومن الواضح أن تحقيق هذه الشروط لا يتطلب منطق العلماء وحدهم.. بل يستلزم في الدرجة الأولى حكمة السياسيين وقادة الدول.. وأبادر فأضرب لذلك مثلا.. فلو افترضنا وجود حكومة عالمية تعمل وفق دستور دولي.. فهل سيقبل الشعب الأمريكي مثلا أن يعطي هذه الحكومة العالمية سلطة فتح حدود الولايات المتحدة لاستقبال ١٠٠,٠٠٠ من المهاجرين الروس، ٢٥٠,٠٠٠ من المهاجرين الصينيين، ٢٠٠,٠٠٠ من المهاجرين الهنود كل عام ؟ هل سيقبل الشعب السوفيتي مثلا أن يعطي هذه الحكومة العالمية سلطة فتح حدود الاتحاد السوفيتي لاستقبال نصف مليون صيني كل عام.. وكل من الصين والاتحاد السوفيتي يدينان بالمذهب الشيوعي ؟.. إن الإجابة عن هذا السؤال ستكون بالنفي.. وكذلك الحال بالنسبة إلى الشروط العلمية المنطقية الأخرى التي وضعها راسل.. ذلك لان القرارات السياسية لا تتخذ عادة على أساس الصالح العام للإنسانية، وإنما تبني على أساس حساب القوة الوطنية والمصلحة الوطنية وتأثرها صعودا أو هبوطا ـ بهذه القرارات...

إننا نقرأ الآن التاريخ الإنساني أكثر مما قرأناه من قبل.. نقرؤه لنتأمل تاريخ الحضارة الإنسانية.. كيف ظهرت الحضارة القديمة ونمت وازدهرت ثم طواها الاضمحلال والزوال.. هل نعيش الآن نحن البشر في عصر ذهبي ولكنه مؤقت لحضارة بلغت شأوا كبيرا لم تبلغه حضارة من قبل ؟ هل مقدر لحضارتنا هذه العلمية الصناعية أن تتعثر وتزول كما زالت حضارات الرومان العظيمة ؟.. لقد بدأنا نعي نحن البشر أننا نواجه المشكلة الأولية والأساسية وهي مشكلة البقاء. ليس بقاء امتنا وحدها بل بقاء الجنس البشري بأسره.

(44) Bernard Russell, **The Impact of Science on Society**. (New York : Simon and Schster, 1953), p. 113. Paul W. Walter. Will the political Scientists Fll the void?

إن العلم قد منح الإنسان فرصة رفاهية العيش وأمده بإمكانيات الاستقرار والسلام.. ولكن حكمة السياسيين هي القادرة على أن تضع ذلك كله موضع التنفيذ وتحفظ الحضارة من الاضمحلال، ولعلنا نتذكر دائما حكمة عالم التاريخ ارنولد توينبى حين ذكرنا بأن درس التاريخ هو ضرورة الملائمة Adaptation مع الظروف المعاصرة.

لقد سُئل البروفسور ألبرت أنشتاين أبو النظرية النسبية ومن أشهر علماء العصر : لماذا بعد أن وصل العقل الإنساني إلى هذا الحد الهائل من حل أسرار الذرة ومن اكتشاف الفضاء - لماذا عجز عن أن يكتشف الوسائل التي تحفظ الإنسانية من الدمار نتيجة الاكتشافات العلمية العسكرية.. ؟ فأجاب العالم الكبير : إن الإجابة في غاية البساطة وهي أن مشاكل السياسة أعقد واصعب كثيرا من مشاكل العلم والفيزياء[٤٥].

(45) Annals the American Academy, "**Politics and Social scienses**, vol. 516 (1961). cloo."

الفصل السابع

التهديدات الكونية لتدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية(*)

مقدمة:

عندما قدم ماكلوهان Mcluhan فكرته عن القرية الكونية عام ١٩٦٤م، كانت هذه الفكرة تتضمن شبكة الاتصالات عن بعد والتي ستنسحب على العالم كله من أجل إتاحة المعلومات لكل الشعوب على هذه الأرض... وقد شهد العالم منذ ذلك الوقت النمو المطرد لعصر المعلومات الإلكتروني بشبكاته المعلوماتية العملاقة المعقدة (مثل الانترنت) والتي تحمل على مدار الساعة كميات هائلة من المعلومات... وتطورت الشبكات المعلوماتية مع تطور تكنولوجيا الاتصالات حتى أصبح من الممكن أن نطلق على عصرنا الحاضر القرية الكونية المعلوماتية التي كانت مجرد فكرة عند ماكلوهان منذ أكثر من ثلاثين عاما.

ولقد أكد توفلر Toffler على التحول إلى المعلوماتية كمصدر أساسي لقوة الأمم، وقد كان من أثر ذلك بروز ثلاث قضايا حاسمة تهدد بقلب الميزان الحساس في علاقات الدول، بل ربما تكون عائقا يحول دون التطور والتقدم وهذه القضايا هي:

أولا : تخصيص وتوزيع ترددات الراديو Radio Frequency allocation.

ثانيا : النظام الاتصالي المعلوماتي العالمي الجديد (NWICO).

ثالثا : تدفق البيانات عبر الحدود (TDF & TBDF).

(*) تعتمد هذه الدراسة إلى حد كبير على مقتطفات من المرجع التالي :

– Surprenant, Thomas T. (1985) Global Threats to information. **Annual Review of Information Science and Technology** ,V. 20, pp 3-25.

وهذه القضايا الثلاث لا تعالج كل واحدة منها بمفردها، ولكنها تمثل سلسلة مترابطة nexus تجسد مشكلات المعلومات المرتبطة بالتحرك نحو القرية الكونية المعلوماتية.. إن عدم معالجة هذه القضايا الثلاث من شأنه أن يحد من التدفق العالمي للمعلومات. كما يتوقع كثير من الباحثين أن تصبح حرب المعلومات حقيقة عند بداية القرن الحادي والعشرين وأن هذا الصراع ليس بالضرورة بين الدول المتقدمة والنامية فقط، ولكنه صراع يشمل الجوانب الاقتصادية السياسية والثقافية والدينية جميعا..

أولا : تخصيص ترددات الراديو :Radio Frequency

لقد شهد عقد الثمانينات مناقشات طويلة عن البيئة العالمية ومواردها التي يمكن استغلالها، وإحدى جوانب هذه البيئة هي ترددات الراديو أو المجال المغناطيسي الكهربائي Electromagnetic Spectrum والذي يعتبر موردا كونيا.. وتنتج تداخلات الترددات (RFI) عند إساءة استخدام البيئة، حيث تأتي هذه التداخلات من بث الاتصالات المتنافسة في نفس مكان المجال المغناطيسي الكهربائي. وهذه التداخلات تتراوح في نتائجها بين الصعوبات الطفيفة في استقبال الإشارات إلى الإطفاء الكامل Complete Blackout.. وعلى سبيل المثال فإن الطنين Buzz الذي قد يوجد في الراديو من التداخلات (RFI) يعتبر إحدى المضايقات الصغيرة، ولكن عجز رادار الطائرة عن التشغيل الجيد بسبب الإشارات المتنافسة قد يؤدي إلى كارثة.

وحتى يمكن تنظيم استخدام هذه البيئة والتحكم فيها فقد قام الاتحاد الدولي للاتصالات عن بعد (ITV) التابع للأمم المتحدة بالمعاونة في إعداد سلسلة من المعاهدات التعاونية الاختيارية مع أكثر من مائة وخمسين دولة ومعظمها من الدول النامية.. أي من الدول التي لديها نظم متخلفة للاتصالات عن بعد رغم حاجتها الماسة لمثل هذه الأنشطة كما يتم مراجعة التفاوض في هذه المعاهدات كل عشرين سنة لتحديد وتخصيص الترددات خلال هذه الفترة.

ولقد أوضح الباحث دورديك[٤٦] Dordich لنا حجم قضية المعلومات الدولية في عالم التجارة، وخلص من ربط القضايا الثلاث السابق الإشارة إليها إلى ثلاث نتائج مترتبة وهي :

(أ) لقد تحقق لدى معظم الدول أنها لا تستطيع الدخول في المنافسة على المستوى الدولي بالنسبة لتطوير صناعات المعلومات، إلا إذا كان لديها اتصالات عن بعد كافية.

(ب) هناك مخالفات أرضية محتملة تأتي عن طريق دمج أو التقاء تكنولوجيات الحاسبات الآلية والاتصالات.

(جـ) هناك طلبات ضخمة على خدمات المعلومات تأتي من الشركات المتعددة الجنسيات وغيرها من شبكات المعلومات .

ثم يذهب الباحث إلى أن هذه القضايا قد وقعت في قبضة السياسة والمصالح وبالتالي أصبحت من بين عوامل زيادة التوتر.

ويمكن الإشارة في هذا العرض المختصر، إلى الربط الذي يتم بين هذه القضية وقضية النظام العالمي الجديد للمعلومات والاتصالات (NWICO) حتى تم ربط تخصيص الترددات هذا بأنشطة الاتصالات بهيئة اليونسكو الدولية، وذلك لتشجيع تطوير البيئة التحتية الاتصالية للدول وهي اللازمة لإنشاء النظام العالمي الجديد للمعلومات والاتصالات.

ثانيا : النظام العالمي الجديد للمعلومات والاتصالات (NWICO)

تكمن فكرة هذا النظام في محاولة العديد من الدول لمواجهة المشكلات المرتبطة بما أطلق عليه البعض "الاستعمار المعلوماتي" information Imperialism فالاتصال نشاط محوري لجميع الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية

(46) Dordick, Herberts (1983). The Emerging World information Business . **Columbia Journal & world Business** Spring, V.18 (1), 69-76.

والسياسية. ويدعو النظام العالمي الجديد إلى إجراء تغييرات هيكلية في الاتصال على المستوى العالمي وصولا إلى عدالة أكثر ومساواة أكثر وتفاعل أكبر بالنسبة لتبادل المعلومات.. فضلا عن ضرورة مزيد من الاعتماد على الذات والحفاظ على الهوية الثقافية.. وفي مختلف الاجتماعات التي تمت بهذا الخصوص رددت الدول النامية مقولتها بأن الدول المتقدمة تكنولوجيا قد احتفظت بنوع من الاستعمار خلال احتكارها لشبكة الاتصالات عن بعد. وانه لابد للدول النامية أن تكون لديها نوع من التحكم على الجوانب التكنولوجية والإدارية لتدفق المعلومات على المستوى العالمي.. وأن يكون له دور بالنسبة لتدفق المعلومات إلى هذه الدول ومنها. ولعل الفصلين التاليين من هذا الكتاب يبرزان هذه المشكلة بشيء من التفصيل.

هذا ويعتبر تقرير ماكبريد MacBride Report هو المصدر المفتاحى للنظام العالمى الجديد للاتصالات والمعلومات (NWICO) وهو الذي رعته هيئة اليونسكو الدولية وصدر عام ١٩٨٠ وقام بإعداده عدد (١٦) ممثل من دول العالم ذوي خلفيات سياسية وثقافية مختلفة..

ولقد كانت المناقشات الحادة التي واكبت تقرير ماكبريد وما تمخض عنه من وثيقة النظام العالمي الجديد، من بين الدوافع التي أدت إلى انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من هيئة اليونسكو عام ١٩٨٤

ثالثا : تدفق البيانات عبر الحدود (TBDF) Transborder Data Flow

لقد أصبحت قضية تدفق البيانات عبر الحدود بسرعة قضية رئيسية لكل من الدول ورجال المال والأعمال، وتعرف بأنها "البث الإلكتروني للبيانات عبر الحدود السياسية وذلك من أجل معالجتها أو اختزانها في ملفات الحاسب الآلي".. وتعتبر هذه القضية من بين القضايا التي ظهرت مع تعقد شبكات الاتصال عن بعد الإلكترونية وبالتالي فقد تلقفها صناع السياسة وواضعوا القرارات السياسية الوطنية.. ومن بين القضايا المثارة ضمن هذه القضية الرئيسية: السيادة الوطنية/ مفهوم التدفق الحر للمعلومات/ الخصوصية الوطنية والشخصية/ حماية الصناعات والتجارة الوطنية/ المعلومات كمورد وطني هام.

ولعل أول قانون يصدر انطلاقا من هذا التطور التكنولوجي قد صدر عام ١٩٧٠ فى ولاية هيس Hesse بألمانيا الغربية.. حيث تناول هذا القانون موضوع الخصوصية Privacy وأمن البيانات التي يتم إعدادها أو معالجتها بواسطة الحاسب الآلي(٤٧).

وقد وضع القانون الشروط التي يمكن على ضوئها تجميع البيانات واختزانها واستخدامها، على أن يتم أثناء ذلك حماية حقوق المواطن للتأكد من صحة المعلومات، ويعتبر هذا القانون أساس مجموعة الخطوط المرشدة guidelines التي اقترحتها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) وقد تم خلال السنوات الماضية أشكال عديدة من التشريعات لحماية الدول والأفراد.. ويلاحظ هنا أن جميع القوانين كان لها تأثير بالنسبة للحد من تدفق المعلومات وهذا بدوره يؤدي إلى تأثير اقتصادي على جميع الداخلين في العملية.. وقد وقفت الولايات المتحدة الأمريكية مدافعة عن التدفق الحر للمعلومات، وفي نفس الوقت لم تكن قادرة على إصدار القوانين الاتحادية نظرا لعدم وضوح السياسة المعلوماتية الأمريكية.

بعض النتائج :

في كل يوم يمر، تتضح لنا حقيقة القرية الكونية وتتبلور فكرتها التي بدأت مع ماكلوهان عام ١٩٦٤، ولكن المؤسف هو زيادة الصدمات في عصر المعلومات حيث أصبحت المعلومات إحدى عناصر قوة الأمة المعاصرة، وإذا كان مفهوم القرية الكونية هدفا عظيما، فإن تحقيق هذا المفهوم لن يصبح حقيقة ذات أثر في تنمية الشعوب إلا إذا كان هناك اتفاق بالنسبة لبيئة ترددات الراديو وللنظام العالمى الجديد للاتصال والمعلومات ولتدفق المعلومات الإلكترونية عبر الحدود السياسية .

ونظرا لأن معظم المشكلات لها جذورها في التكنولوجيا الإلكترونية المتطورة في الدول المتقدمة - خصوصا الولايات المتحدة - فيجب على الجميع تقديم قدر كبير من المرونة على جميع المستويات لإنجاح ونمو هذه القرية الكونية.. ويجب ألا يؤخذ التفوق

(47) Sandinas, J., Sawyer, S. (1983). Transbborder Data Flow Regulation and Multinational Corporations. **Telecommunications**. Nov. V. 17 (1) ,59-60

التكنولوجي على أنه تفوق سياسي وثقافي ومعلوماتي.. وهذا ما يستدعى صياغة سياسة وطنية ودولية مناسبة لكل من الدول المتقدمة والنامية.

وتتجه الأنظار عادة للولايات المتحدة الأمريكية وضرورة استعادة عضويتها في المنظمات الدولية المعنية، ذلك لأن انسحابها من الساحة الدولية دون تبرير كاف سيزيد من التوترات بين مختلف الدول الأعضاء، بل يطمح الأعضاء في هذه المنظمات أن تتخذ الولايات المتحدة موقع القيادة في السلوك الدولي عن طريق المفاوضات والحلول الوسط والرغبة في الوصول إلى حلول مقبولة لجميع الأطراف.

ويقترح البعض تخصيص بعض الأقمار الصناعية لمجموعة من الدول لإنشاء شبكات المعلومات الإقليمية، على أن يحل محلها أقمار صناعية أخرى أكثر تطورا عندما تدعو الحاجة إلى ذلك.. فضلا عن ضرورة تدريب كوادر من الفنيين ومن المهنيين في المعلومات من الدول النامية القادرين على التحكم المحلي.

وأخيرا فيرى بعض الباحثين ضرورة مراجعة تقرير ماكبريد خصوصا بالنسبة لبعض جوانب هذا التقرير والتي يمكن تطبيقها بأقل قدر من التوتر بين الدول.. فهناك فرصة ذهبية لمختلف دول العالم بالنسبة للمشاركة في ثروة المعلومات من أجل الفائدة التي ستعود على الجميع.. وإذا ما فقد العالم هذه الفرصة فإنه يفقد إمكانية تحسين نوعية الحياة على هذا الكوكب.. السنوات القليلة القادمة هي اختبار تحدي للإبداع الإنساني في كيفية الإفادة القصوى من شبكة الاتصالات والمعلومات الكونية بطريقة مقبولة للجميع..

الفصل الثامن

واقع النظام العالمي الإعلامي المعاصر(*)

أولا: في الإعلام والعلاقات الدولية:

يلعب الإعلام دورا بارزا في العلاقات الدولية، سواء بالنسبة لكونه وسيلة اتصال بين الشعوب أو بالنسبة لكونه إدارة للتفاهم والمعرفة بين الأمم.. ومحتوى الإعلام هو المعلومات.. بمستوياتها وأشكالها المختلفة العلمية والتكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، ويمكن أن تكون هذه المعلومات بواسطة ثورة تكنولوجيا الاتصال في متناول طالبيها في أي مكان من الأرض، ولكن المعلومات في عالمنا المعاصر تتميز بعدم التوازن الأساسي الذي يعكس عدم التوازن العام فى مجالات سياسية واقتصادية على الصعيد العالمى، ومن أمثلة عدم التوازن هذا:

١ ـ عدم التوازن الكمي الصارخ بين الشمال والجنوب:

وقد نشأ عدم التوازن هذا بسبب التفاوت بين حجم الأنباء والمعلومات الصادرة من العالم المتقدم والموجهة إلى البلاد النامية.. وهذا التدفق يسير في اتجاه عكسي، إذ يصدر ما يقرب من ٨٠٪ من الأخبار العالمية عن وكالات الأنباء الكبرى، ولا تغطي هذه الوكالات من أخبار البلاد النامية سوى نسبة تتراوح بين ٢٠٪ إلى ٣٠٪ على الرغم من أن هذه البلاد المتنامية تشكل ما يقرب من ثلاثة أرباع البشرية.. وهذا يؤدي إلى احتكار فعلي من جانب الدول المتقدمة.

(*) يعتمد هذا الفصل والفصل الذى يليه إلى حد كبير على مقال الأستاذ مصطفى المعمودى وزير الإعلام التونسي السابق بعنوان : ((ما هي الأسس لإقامة نظام عالمي جديد للإعلام)) نظرا لأن مقالته أو وثيقته هذه ذات اتساع وذيوع وتأثير في الوسط الإعلامي ونشرت في مصادر عديدة من بينها مجلة الاتصال **Journal of Communication** vol.29.No. 2, Spr. 1979.

٢ ـ عدم المساواة في مصادر المعلومات:

تحتكر وكالات الأنباء الخمسة الرئيسية العالمية الإمكانيات المادية والبشرية، في حين لا يتوفر في ثلث البلدان النامية تقريبا وكالة وطنية واحدة لها نفس مواصفات تلك الوكالات العملاقة.. كما أن عدم التوازن هذا موجود في توزيع طيف الذبذبات الإذاعية بين البلدان المتقدمة والنامية.. فالأولى تتحكم في حوالي ٩٠٪ من مصادر الطيف، بينما لا تملك الدول النامية الوسائل التي تحميها من الإذاعات الأجنبية، ومن العسير على الدول النامية أن تدخل في منافسة، وخصوصا أن بعض هذه الإذاعات تبث إذاعاتها من داخل الدول النامية نفسها..

أما بالنسبة للتليفزيون، فلا يقتصر الأمر على أن ٤٥٪ من الدول النامية لا تملك كياناً تليفزيونيا خاصا بها، ولكن يزيد من حدة هذا التفاوت أن البلاد النامية نفسها تذيع عددا كبيرا من البرامج المنتجة أصلا في الدول المتقدمة.

٣ ـ هيمنة فعلية ورغبة في السيطرة:

وتظهر هذه الهيمنة والسيطرة في عدم الاكتراث الملحوظ لدى وسائل الإعلام في الدول المتقدمة، ولاسيما في الغرب، بمشكلات واهتمامات وتطلعات الدول النامية. إن القوة المالية والصناعية والثقافية والتكنولوجية التي تدعم العمل الإعلامي في البلدان المتقدمة، لا تجعل من البلاد النامية إلا مجرد مستهلكة للمعلومات التي تباع مثل أي سلعة أخرى.

ومن الواضح أن هذه السيطرة الإعلامية تتم عبر التحكم في تدفق المعلومات الذي تقوم به الوكالات غير الوطنية العاملة في معظم الدول النامية دون أي عوائق أو حواجز، مستعينة في عملها هذا الضخم بتكنولوجيا العصر المتقدمة المتمثلة في الوقت الحاضر بالتوابع الفضائية لشبكات الإعلام التي تسيطر عليها كليا الاحتكارات الدولية الكبرى.

٤ ـ نقص المعلومات عن الدول النامية:

يتم نقل الأحداث الجارية عن الدول النامية إلى العالم عن طريق وسائل الإعلام غير الوطنية، وتحاط الدول النامية علما ـ في ذات الوقت ــ بما يجري في الخارج عن طريق نفس القنوات.. ومعنى ذلك أن الدول النامية لا ترى نفسها وأحداثها وأخبارها من خلال تصورها ووقائعها هي، ولكن الدول النامية ترى نفسها من خلال ما تريده لها الدول المتقدمة متمثلة في وكالاتها تلك التي تجهز أخبار الدول النامية وترشحها وتستقطع منها بل وتشوهها أحيانا.. وهكذا تفرض الدول المتقدمة رؤياها على الأحداث بما يتفق مع مصالحها وقيمها هي تحديا لقيم أخلاقية أو سياسية للدول النامية، فمعايير الاختيار هنا للأخبار والأحداث تقوم على أساس المصالح الأساسية والاقتصادية للبلدان التي تترسخ فيها هذه الوكالات..

ومن الملاحظ أن هذه الوكالات ــ إذا اهتمت بأخبار الدول النامية ـ فإنها تبرز الأزمات الطاحنة والإضرابات ومظاهرات الشوارع.. الخ.. وعندما تقدم صحافة الدول الصناعية مشكلات وإنحيازات وتطلعات العالم الثالث بطريقة موضوعية، فإن ذلك يتم عادة على شكل ملاحق خاصة تتقاضى مقابلها أثمانا باهظة.

٥ ـ استمرارية وبقاء الحقبة الاستعمارية:

يعكس النظام الإعلامي المعاصر شكلا من أشكال الاستعمار السياسي والاقتصادي والثقافي، وذلك يتمثل في تفسير أحداث الدول النامية، وتسليط الأضواء على أحداث قد تكون أهميتها بالنسبة للدول النامية محدودة، وفي تجميع وقائع جزئية متفرقة وإبرازها على أنها قضية كلية واستخلاص نتائج من هذا كله، تتفق مع مصالح الشبكات غير الوطنية وبالتالي مصالح الدول الكبرى الممولة لهذه الشبكات.. أي أن الأخبار العالمية تغطي فقط بالقدر الذي يتلائم مع تلك المصالح.

أضف إلى ذلك أن المعلومات التي يتم بثها تشوه وتلون استنادا إلى القيم والمعايير الأخلاقية والثقافية والسياسية الخاصة بدول معينة تحديا لقيم ومعايير

الأمم الأخرى.. ومن الواجب التأكيد هنا على استخدام هذه الوكالات تسميات ومصطلحات ونعوتا وصفات وتعاريف مغرضة تكررها بصفة مستمرة.

٦ ـ التأثير الخارجي في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية:

تمارس الدول المتقدمة نوعا آخر من الهيمنة على مؤسسات الاتصال بالعالم الثالث بالإضافة إلى ما سبق الإشارة إليه من تحكمها في تدفق وبث الأخبار. وتتمثل تلك الهيمنة في تملكها لوسائل الإعلام عن طريق الاستثمار المباشر، وكذلك احتكار الإعلان بواسطة وكالات الإعلان الرئيسية وهي التي تعمل بأسلوب خدمة مصالح الشركات الصناعية والتجارية ذات الجنسيات المتعددة والتي تسيطر بدورها على المعاملات التجارية.

وهناك شكل آخر من السيطرة يتمثل في التأثير الذي تمارسه المؤسسات الدعائية وتعوق به التطور الاجتماعي.. هذا فضلا عن أن المجلات الإعلانية وبرامج التليفزيون تعتبر أدوات للسيطرة الثقافية، حيث تبث للدول النامية رسالات ربما تكون ضارة بثقافتها وتتعارض مع قيمها ومسيئة لجهود التنمية فيها.

٧ ـ الرسالات غير الملائمة للمناطق التي تبث إليها:

كثيراً ما تتجاهل وسائل الإعلام الكبرى عمداً الأخبار الهامة للدول المتنامية مفضلة عليها معلومات أخرى تهم الرأي العام في البلد الذي تنتمي إليه وسائل الإعلام الكبرى، ومعنى ذلك أن هذه الأخبار التي تبثها وسائل الإعلام الكبرى إنما هي أخبار مفروضة على تلك الدول، ولا تستجيب لاحتياجات جمهور القراء أو المستمعين. فضلا عن تجاهلها الأقليات والجاليات الأجنبية التي تعيش على أرضها وتختلف احتياجاتها فيما يتعلق بالمعلومات عن احتياجات أهل تلك البلدان.

ثانيا: الإطار الدولي المعاصر:

إن التركيز شبه الاحتكاري للقوة في مجال الاتصال في أيدي قلة من الدول المتقدمة، قد أدى إلى عجز في تلبية احتياجات وتطلعات المجتمع الدولي في مجال الإعلام

المتوازن.. ومما يزيد من سوء هذا الوضع، عدم توفر الإطار والتركيبات القانونية الدولية المناسبة. ويمكن مناقشة الاعتبارات التالية في هذا الصدد:

١ ـ الحقوق الفردية وحقوق المجتمع:

تشير الفلسفة السائدة حتى اليوم إلى إبراز حقوق عدد صغير من الأشخاص أو الهيئات في هذا المجال دون اعتبار كاف لحقوق ومصالح الجماعات المكونة للمجتمع.

٢ ـ حرية الإعلام أم حرية القائم بالإعلام:

تعني حرية الإعلام عادة حرية الرأي والتعبير ولكنها في واقع الأمر تطبق على أنها حرية القائم بالإعلام.. وبالتالي فقد أصبحت هذه الحرية أداة للسيطرة في أيدي أولئك الذين يتحكمون في وسائل الإعلام. ونتج عن هذا كله ـ بلغة القانون ـ تقديس حقوق القائم بالإعلام، وإغفال واجباته ومسئولياته تجاه من يقوم بإعلامهم..

٣ ـ الحق في الوصول إلى مصادر المعلومات:

ويفهم هذا الحق بطريقة متحيزة، إذ يفيد منه أولئك الذين لديهم مصادر الحصول على المعلومات وبثها.. وقد مكن هذا الوضع الواقعي من تحويل هذا الحق إلى امتياز لبعض الشركات والقوى الغنية لبسط سيطرتها على قنوات المعلومات.

٤ ـ عدم فاعلية حق التصحيح:

ينظم القانون الدولي حق التصحيح بطريقة غير فعالة وذلك عند مقارنته بالقانون الوطني في بعض البلاد. وليس هناك وسائل مناسبة تمكن الدول من تصحيح المعلومات الكاذبة أو غير الدقيقة المتعلقة بها سوى اتفاقية عام ١٩٥٢ وهذه الاتفاقية نفسها ليست في صالح الدول النامية.

٥ ـ عدم وجود القواعد الدولية التي تحكم السلوك المهني:

وقد أدى ذلك إلى زيادة في عدم التوازن المشار إليه مسبقاً، كما لم تحرز جهود اليونسكو أو الأمم المتحدة في هذا الصدد أية فاعلية بالنسبة لإرساء قواعد سلوك دولية تناسب حاجات الفرد والمجتمع.

٦ ـ عدم التوازن في مجال حقوق المؤلف:

تنظم اتفاقية برن لعام ١٨٨٦ حماية حقوق المؤلف كما تنص الاتفاقية العالمية لعام ١٩٥٢ المعدلة عام ١٩٧١ والتي تشرف عليها هيئة اليونسكو على حماية أقل شدة من اتفاقية برن، كما أدت اتفاقية فلورنسا إلى مزيد من تشجيع للأعمال الفكرية من البلدان الصناعية للدول النامية، وعلى كل حال فإن النظام العالمي للنشر والتوزيع السائد اليوم ـ تحت ستار حماية حقوق المؤلف ـ قد أدى إلى سيطرة بعض المصالح التجارية في الدول المتقدمة وأسهم بصورة غير مباشرة في تحقيق السيطرة الثقافية والسياسية لهذه البلدان على المجتمع الدولي.

٧ ـ عدم التوازن في توزيع مصدر الطيف:

تدعم المادة التاسعة من نظام الإذاعة مصالح مكتسبة لبعض الدول المتقدمة بالنسبة لتوزيع الطيف Spectrum وهذا من شأنه أن يحرم البلدان الحديثة الاستقلال من الوسائل الكافية لإسماع صوتها للعالم الخارجي.

٨ ـ عدم التنظيم والتنسيق في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية وفي مجال الأقمار الصناعية:

ينتظر أن يؤدي عدم التوازن الحالي إلى تدعيم حقوق الدول الأكثر قوة في مجال الاتصال بحيث يتوقع غزو حقيقي من الإذاعات والبرامج التليفزيونية للأراضي الوطنية والمساكن الخاصة مما يقترب وصفه إلى شكل من أشكال الاغتصاب العقلي.

ثالثا: بعض جوانب امتيازات الدول المتقدمة في نظام الرسوم والنقل والاتصال:

لقد تمكنت الدول المتقدمة بفضل سبقها التكنولوجي ونظام رسوم المواصلات الدولية الذي وضعته، من أن تستفيد من أوضاع وامتيازات احتكارية سواء عند تحديد فئات نقل المطبوعات والمواصلات السلكية واللاسلكية أو في استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات مما أدى إلى عدم توازن واضح وخصوصا في المجالات التالية:

١ ـ المواصلات السلكية واللاسلكية:

تقوم النماذج والأنماط الراهنة لشبكات المواصلات السلكية واللاسلكية على معايير الربح وحجم عملية الاتصال والحركة Traffic، مما يؤثر بشكل خطير على تنمية الإعلام والاتصال في البلدان النامية.. إذ يلاحظ مثلا تركيز شبكات الاتصال في البلاد المتقدمة وعدم وجود اتصالات مباشرة من البلاد النامية، مما قد يؤدي إلى استقبال برامج التليفزيون المنتجة في البلاد الصناعية فقط، دون إمكانية للإرسال نحو تلك البلدان.

أما فيما يتعلق بالرسوم فالوضع غريب وغير منطقي في بعض جوانبه حيث تكلف الاتصالات عبر مسافة ما بين نقطتين داخل البلاد النامية أكثر مما تكلفه بين نقطتين بينهما نفس المسافة في البلاد المتقدمة، كما يتكلف نقل الرسالة نفسها بين بلد متقدم إلى بلد نام أقل مما لو نقلت في الاتجاه المعاكس.

هذا وتتمتع وكالات الأنباء الكبرى ـ نظراً لكثافة حركة رسائلها، باستخدام الدوائر كل الوقت بتكلفة لا تزيد في بعض الأحيان عن متوسط الاستخدام اليومي لمدة ساعة واحدة.

٢ ـ الأقمار الصناعية:

على الرغم من أن مؤتمر جنيف لعام ١٩٧٧ قد حاول وضع الإجراءات التي تحول دون الاستخدام الرشيد للأقمار الصناعية، فمازالت البلاد النامية مهددة بالاستخدام

الفوضوي للفضاء الخارجي، مما قد يزيد من اختلال التوازن الذي يؤثر على شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية الحالية.

٣ ـ توزيع طيف الترددات الإذاعية:

يعتبر طيف الترددات موردا طبيعيا ولكنه محدود، ويسيطر عدد قليل من الدول المتقدمة على حوالي ٩٠٪ من مصدر الطيف. أما البلاد النامية فعلى الرغم من أنها تعطي مساحة أوسع إلا أنها تملك قنوات أقل مما تملكه البلاد المتقدمة، أما كثافة الطاقة لكل كيلو متر مربع فهي أقل بمقدار أربع مرات في البلاد النامية عنها في البلاد المتقدمة.

٤ ـ نقل الصحف والمطبوعات:

هناك عدم توازن أيضاً في مجال نقل الصحف والمطبوعات كما هو الحال في مجال المواصلات السلكية واللاسلكية.

وإذا كانت اتفاقية البريد العالمية وهي التي تحكم تعريفات ورسوم توزيع الصحف، تسمح بتخفيضات اختيارية بحد أقصى ٥٠٪ على التعريفات المطبقة على المواد المطبوعة بالنسبة للصحف والدوريات والكتب والنشرات فإن البريد الجوي يخضع لحد أدنى من الأسعار لا يشجع على نقل المطبوعات القليلة التداول، أي تلك التي تنتجها البلاد النامية بالذات.

رابعاً: درجة التطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي وأثرها على عدم التوازن المعاصر في الإعلام الدولي:

الوضع الجائر غير العادل أو غير المتوازن بين الدول المتقدمة والدول النامية ليس في الإعلام والاتصال فحسب، بل هو عدم توازن في مختلف المجالات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والاجتماعية والسياسية والحضارية. والتخلف الذي تعانيه الدول النامية له أسباب عديدة، وترد كثير من الدول النامية أسباب تخلفها إلى الاستعمار الذي نهب أرضها وثروتها وإبقاها في فقر وجهل عشرات بل مئات السنين..

ومن هنا فإن تصحيح وضع الإعلام على المستوى الدولي بين الذين يملكون والذين لا يملكون يحتاج إلى وقت طويل تتعدل فيه بسواعد أبناء الدول النامية أحوالها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويأتي بعد ذلك وأثناءه تعديل أوضاع الإعلام الذي يعكس عادة درجة التطور في المجالات المختلفة.. وهو في ذات الوقت يساعد في عملية التطوير والتحديث والتغيير.

وأخيراً فإن إنشاء نظام إعلامي عالمي جديد.. هو نوع من المثالية في العلاقات الدولية.. وهي علاقات يؤمن المؤلف بأنها بعيدة ـ طبقاً للظروف المعاصرة ـ عن المثالية.. والواقعية تدعونا إلى العمل المستمر الدءوب من أجل تقريب الهوة بين الأغنياء والفقراء بإجراءات واقعية فعالة على مستوى الدول والمنظمات الدولية..

الفصل التاسع

النظام العالمي الإعلامي الجديد
وبعض مقومات إنشائه

تقديم :

ليس هذا النظام المقترح وصفة جاهزة قادرة على تحويل الوضع الجائر الحالي إلى وضع أكثر عدلا بين ليلة وضحاها، ذلك لأن الوضع الحالي هو نتاج تاريخ طويل من العلاقات والتطورات الدولية، ومن هنا فإن تغيير هذا الوضع يحتاج إلى تدابير وإجراءات مادية محددة وفعالة على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية أكثر مما يحتاج إلى مناقشات أكاديمية..

هذا ويهدف النظام العالمي الجديد للإعلام ـ القائم على المبادئ الديمقراطية ـ إلى إقامة علاقات متوازنة وعادلة في مجال الإعلام بين الدول المتقدمة والدول النامية. وأن تتأكد حرية الإعلام بطريقة عادلة ومتساوية بين جميع الدول. كما ينبغي ألا تستمر البلاد النامية كمستهلكة للمعلومات فحسب، بل أن تكون منتجة ومستقلة أيضاً في قطاع المعلومات والإعلام..

أولا : الأهداف التي يجب أن تسعى إليها الدول النامية :

١ ـ وضع وتحديد سياسات الإعلام الوطنية، وذلك باعتبارها ضرورية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في كل دولة، وينبغي أن تكون تلك السياسات ذات طبيعة إثارة مواطنيها في صالح التنمية.

٢ ـ اتخاذ الإجراءات اللازمة للتبادل الأمثل للبرامج الإخبارية على المستويات الإقليمية وشبه الإقليمية وتعزيز المشاركة الإيجابية لجميع الدول النامية في تشغيل المراكز والشبكات الدولية للإعلام والمعلومات.

٣ ـ مضاعفة اتفاقات التبادل بين أجهزة المعلومات ومعاهد التدريب والبحوث والمنظمات الوطنية والإقليمية والدولية المتصلة بطريق مباشر أو غير مباشر بقطاع الإعلام وأن يصحب ذلك أيضاً تبادل الصحفيين والتقنيين وذلك بهدف تعزيز التفاهم المشترك.

٤ ـ تعزيز وتنمية التنظيمات والبنى القائمة وخصوصا بين الدول غير المنحازة مع العمل في ذات الوقت على التعاون مع الدول المتقدمة والمنظمات الدولية المعنية وذلك في مجالات إقامة وسائل الإعلام وتدريب الأفراد المؤهلين، والحصول على المواد والتجهيزات المناسبة وذلك في إطار الاعتماد الجماعي على النفس.

٥ ـ تنظيم وتعزيز المعونة للبلاد المتنامية.

٦ ـ الاهتمام بصفة خاصة بالمعلومات التي توفرها مراكز تجميع الأخبار الوطنية في البلاد النامية عن القضايا التي تهمها.

٧ ـ إثارة اهتمام وسائل الإعلام في البلاد المتقدمة إلى جوانب اختلال التوازن والنقص في النظام الإعلامي الحالي وذلك عن طريق عقد الاجتماعات والمؤتمرات والندوات بين المسئولين في كل من البلاد المتقدمة والنامية.

٨ ـ تنظيم حملة واسعة النطاق في مجال الإعلام في جامعات الدول المتقدمة والنامية، وذلك بهدف تدريب أو إعادة تدريب المهنيين وإلى غرس قيم النظام الاقتصادي الدولي الجديد والنظام العالمي الإعلامي الجديد.

٩ ـ تحقيق ديمقراطية موارد المعلومات وهيكلها البنائى، ويتضمن ذلك على المستوى الأفقي ـ إنشاء وكالات أنباء وطنية وأجهزة للتعاون والمعونة المشتركة بين البلاد النامية، مثل وعاء وكالة الصحافة للدول غير المنحازة أو الاتحادات الإقليمية (الأفريقية ـ العربية ـ الآسيوية ـ أمريكا اللاتينية) أما على المستوى الرأسي فيعني الحد من احتكارات وكالات الأنباء الكبرى وذلك بتشجيع عقد اتفاقات دولية تستهدف الاستخدام المتساوي والعادل لجميع وسائل الاتصال بما فيها الأقمار الصناعية.

١٠ ـ إنشاء نظام يعزز التدفق الحر والمنصف بين البلاد المتقدمة والنامية وذلك من حيث المضمون والحجم والكثافة.

١١ ـ تطبيق سياسة وطنية لتشجيع الإبداع الأدبي والفني، وذلك بوضع نظام ضريبي يساعد على ذلك بقدر الإمكان.

١٢ ـ تشجيع إنشاء أو تطوير الجمعيات الوطنية للمؤلفين، وذلك لتحقيق إدارة أفضل لموارد الدول المعنية بالنسبة لاستقلال الأعمال الفكرية على اختلاف أنواعها.

ثانيا : الأهداف التي يجب أن تسعى إليها الدول المتقدمة :

١ ـ لفت أنظار الجمهور إلى أنشطة الدول النامية مع التأكيد على زيادة اعتماد الدول بعضها على بعض.. ذلك لأنه من غير المعقول أن يظل الرأي العام في البلاد المتقدمة غير مدرك لاتساع الفجوة بين بلاده والبلاد المحرومة أو أن يتخذ موقف اللامبالاة.

٢ ـ المساعدة على نزع الطابع الاستعماري للإعلام باتخاذ مواقف موضوعية لطموحات واهتمامات الدول النامية، والبعد في ذات الوقت عن إثارة البغضاء أو التمييز العنصري أو الديني أو السياسي أو أي لون آخر من ألوان التمييز وكل ما من شأنه تحريف أو تشويه أنشطة الدول النامية.

٣ ـ المعاونة في إيجاد توازن بالنسبة لتدفق المعلومات عن طريق تخصيص مساحة أكبر في الصحف وفي البرامج الإذاعية والتليفزيونية للأخبار التي تهم الدول النامية، وكذلك بالنسبة للأخبار التي تهم المهاجرين العاملين في تنمية البلاد المضيفة.

٤ ـ تعزيز التفاهم المتبادل عن طريق زيادة التعريف بثقافات وحضارات الدول النامية.

٥ ـ التأكد من التزام الصحفيين باحترام قوانين البلاد النامية وقيمها الثقافية.

٦ ـ وضع حد للأنشطة المريبة التي تقوم بها المحطات الأجنبية المنشأة خارج الحدود الوطنية.

٧ ـ الاهتمام بالمعلومات التي توفرها مراكز تجميع الأنباء الوطنية في البلاد النامية، وذلك بالنسبة للأحداث المتصلة بهم، وتشجيع وسائل الإعلام على الاشتراك في هذه الأوعية والمراكز، وذلك بهدف التنويع والتوازن في الأخبار الخاصة بهذه البلدان وزيادة المساحة المخصصة لها.

٨ ـ التأكد من حصول المراسلين على أكبر قدر من المعرفة عن البلاد الموفدين إليها وذلك حتى يتمكنوا من تقييم المشكلات بطريقة صحيحة، وعدم التسرع في إصدار الأحكام ورؤية أحداث الدول النامية بمنظار أيديولوجي مشوه.

ثالثاً : الأهداف التي يجب أن تسعى إليها المنظمات الدولية :

٢ ـ توسيع وتنويع نطاق المساعدة التي تقدمها هيئة اليونسكو وغيرها من المنظمات الدولية إلى البلاد النامية وتوفير الوسائل اللازمة للتنسيق والربط بين المساعدات الثنائية والمتعددة الأطراف وذلك لزيادة فعالية هذه المساعدات.

٢ ـ معاونة الدول النامية في تطوير وسائل الإعلام على المستويين الوطني والإقليمي وذلك بروح الاكتفاء الذاتي الجماعي.

٣ ـ إتاحة الفرصة أمام الدول النامية للتعبير عن مطالبها في المحافل الدولية والعمل على تحقيق فكرة النظام العالمي الجديد للإعلام.

٤ ـ تأييد جهود البلاد النامية الرامية إلى صياغة وتبني سياسات إعلامية وطنية وتعزيز البحوث الرامية إلى نقل التكنولوجيا وإقامة مراكز التوثيق الإعلامي.

٥ ـ وضع ضريبة في البلاد المتقدمة التي تصدر إنتاجا أدبيا أو فنيا، يخصص ريعها للمساعدة في تمويل الصندوق الدولي لحقوق المؤلف الذي تشرف عليه هيئة اليونسكو.

٦ ـ توسيع وتنويع نطاق المساعدة الممنوحة للبلاد النامية ومساعدتها على استخدام علوم الاتصال في تطويرها الاجتماعي، وذلك عن طريق إجراء الدراسات التي تعكس الحقائق وتتفق مع حاجات البلاد النامية.

٧ - منح أقصى قدر ممكن من المساعدة الفنية والمالية لمؤسسات بحوث الإعلام وذلك وفقاً لاحتياجات كل بلد وكل إقليم.

٨ - العمل بالسرعة الممكنة وبالاشتراك مع المراكز التدريبية للاتصال الجماهيري الموجودة في جميع البلاد النامية، على تنفيذ برنامج لإعداد وتنسيق مناهج معاهد وأقسام الإعلام ومناهج دورات التدريب المهني في هذا المجال على أن تتلائم هذه البرامج مع الاحتياجات المهنية والعملية لكل بلد وكل إقليم، وتحقيقاً لهذا الغرض ينبغى إنشاء مجلس أو هيئة استشارية مؤلفة من مدراء المعاهد أو الأقسام أو البرامج الجامعية المختصة بالإعلام.

٩ - القيام - من خلال المنح الدراسية وما يماثلها من إجراءات - ببرنامج تدريبي جامعي متقدم في علوم الاتصال، على أن يتفق هذا البرنامج مع حاجات البلاد النامية وأهدافها وإمكاناتها.

١٠ - المساعدة على صياغة برامج بحوث وإقامة مراكز تدريب من أجل تمكين البلاد النامية من إنتاج برامج إذاعية وتليفزيونية تهدف إلى خدمة أهداف النظام الاقتصادي الدولي الجديد.

١١ - منح قطاع الاتصال الجماهيري وضعاً يلائم أهميته التي لا ريب فيها وتأثيره الواضح في جميع قطاعات النشاط الأخرى، وذلك من أجل إقامة علاقة سهلة ومنسجمة مع القطاع الثقافي والقطاع التربوي وغيرهما من القطاعات الأخرى، والتي تتسم بقلة الارتباط بالإعلام في الوقت الحاضر.

١٢ - وضع خطة واضحة بشأن استخدام نظم الإرسال عن طريق الأقمار الصناعية، على أن تحترم في جميع الحالات حقوق السيادة لكل دولة.

١٣ - تشجيع واختيار وتقييم تكنولوجيا الاتصال الحديثة والزهيدة التكاليف والسهلة الاستعمال، وذلك لتمكين توصيل رسالة التنمية إلى الجماهير التي لا تصلها أخبار هذه الرسالة في الوقت الحاضر.

١٤ ـ المعاونة في إنشاء مراكز التوثيق والحفظ التاريخية في البلاد النامية.

رابعاً : تعريف جديد لحق الاتصال من النواحي القانونية :

لن تسود العدالة في الإعلام الدولي ما لم يعد تعريف وتحديد وتطبيق حق الاتصال على نطاق واسع، كما ينبغي النظر إلى الإعلام، على أنه ميزة اجتماعية وإنتاج ثقافي وليس اعتباره سلعة أو بضاعة مادية، ومتى نظر إلى الإعلام من هذه الزاوية، فلابد لجميع البلاد من أن تتمتع بحق الانتفاع بمصادر المعلومات، فضلا عن الاشتراك في عملية الاتصال، وينبغي أن تتغلب الاعتبارات الاجتماعية والثقافية على الاعتبارات الفردية والمادية والتجارية، فالإعلام كالهواء والنور، ينبغي إتاحته للجميع على قدم المساواة، أي أن الإعلام ليس امتيازا لقلة من الأفراد أو الهيئات تمتلك الوسائل الفنية والمالية التي تمكنها من السيطرة عليه، بل يجب فهمه على أنه وظيفة اجتماعية نابعة من داخل المجتمعات و الثقافات والمفاهيم الحضارية المختلفة.

وضمن الإطار القانوني لحق الاتصال ينبغي مراعاة ما يلي :

١ ـ تعزيز مفهوم جديد لحرية الانتفاع بمصادر المعلومات لوضع حد لاختلال التوازن بين الأمم في هذا المجال، مع تنظيم جميع الأنباء ومعالجتها ونقلها عبر الحدود، وخصوصا بالنسبة لشبكات المعلومات الدولية وذلك من أجل حماية حياة الفرد الخاصة وضمان احترام كرامة المجتمعات والأمم.

٢ ـ ينبغي للنظام الإعلامي الجديد أن يؤمن للبلاد النامية حقها في استعادة المحفوظات والوثائق التاريخية المتعلقة بتراثها، ولا سيما تلك التي في حوزة الدول التي استعمرت البلاد النامية في السابق، واعتبار هذا الإجراء وسيلة لتعزيز التعاون والسلام، وبالتالي ينبغي اعتبار ما يسمي بمبدأ قاعدة الخمسين عاما غير قابل للتطبيق على البلاد المعنية.

٣ ـ الحاجة تدعو اليوم أكثر من أي وقت مضى لوضع قواعد للسلوك المهني في مجال المعلومات والإعلام على الصعيد الدولي. وذلك بالاعتراف بالرقابة الذاتية لمنظمات

الإعلام المهنية فيما يتعلق بهذه القواعد.. والهدف يتركز في ضرورة إقامة جهاز فعال يحمي الصحفيين أمام أصحاب المؤسسات التي يعملون بها، ومقابل ذلك ينبغي على الصحفي مراعاة قواعد "السلوك المهني" أو "الضمير المهني".

٤ ـ إن حماية الصحفيين تعتبر عنصرا أساسيا في النظام العالمي للإعلام والمعلومات، وينبغي أن تتسع هذه الحماية لتشمل العلاقات بين الصحفي وأصحاب المؤسسة التي يعمل فيها، وأن تمكنه من صون حرية الفكر والتحليل أمام أي ضغوط محتملة وذلك أثناء تأديته لواجباته المهنية.

٥ ـ يجب تعزيز حق التصحيح وذلك بغرض عدم إعطاء معلومات زائفة أو مغرضة أو مشوهة، وفي مثل هذه الحالات ينبغي استجواب الفرد أو الكيان القانوني المتهم بانتهاك مبادئ الواجبات المهنية أو بنشر معلومات كاذبة أو تتسم بالتحيز، أمام هيئة ثلاثية دولية تضم ممثلين عن الدول وممثلين عن المهنة أو أشخاصا مشهودا لهم بالنزاهة والحياد والكفاءة في مجال الإعلام.

٦ ـ لقد أشارت المنظمات الدولية المسئولة عن تخصيص الترددات إلى أن الموارد الطبيعية لكل من الطيف المغناطيسي الكهربائي والمدارات الأرضية الثابتة محدودة. وأن قلة هذه الموارد تجعل من الضروري إعادة النظر في التوزيع الحالي لموارد هذا الطيف، وتنظيم استخدام الفضاء الخارجي لأغراض الاتصالات السلكية واللاسلكية، ولعل مما يزيد هذه المهمة إلحاحا حسب التوقعات الحالية، أن يبدأ البث الإذاعي المباشر من الأقمار الصناعية في العقد القادم.

ولهذا الغرض فمن الضروري مراعاة ما يلي :

(أ) تأمين حقوق البلاد التي مازالت خاضعة للسيطرة الأجنبية في الحصول على حصة عادلة من ترددات الطيف.

(ب) تعديل المادة (٩) في اللوائح الإذاعية وإعادة تقييم قاعدة "الأولوية لمن سبق" فيما يتعلق بالإفادة من الترددات.

(حـ) وقف الاستخدام الحر للفضاء الخارجي، ريثما تبرم اتفاقية دولية تضمن بصورة مرضية توفير واستخدام الموارد التقنية للمواصلات السلكية واللاسلكية الحديثة بوجه عام. وينبغي أن تشكل الوثائق الختامية للمؤتمر العالمي الإداري للإذاعة بالراديو عن طريق الاقمار الصناعية، الذي عقد في جنيف ١٩٧٧ أساسا لهذه الاتفاقية.

ويجب على الدول النامية أن تنسق جهودها داخل الإطار الشامل لنظام الأمم المتحدة، وذلك لإعطاء القضايا التي تدخل ضمن اختصاص الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية (إينو) أهمية تتجاوز المحتوى التقني المجرد.

خامسا : الجوانب التقنية والمالية :

تشمل الخطوات التي ينبغي اتخاذها في هذا الصدد ما يلي :

١ ـ بالنسبة للمواصلات السلكية واللاسلكية :

ـ إعادة تصميم النمط الحالي للشبكة العالمية للمواصلات السلكية واللاسلكية.

ـ تشجيع إنشاء مراكز أو نقاط اتصال في البلاد النامية وإقامة اتصالات مباشرة بين هذه البلاد كلما أمكن ذلك.

ـ العمل على تخفيض تعريفات المواصلات فيما بين البلاد النامية.

٢ ـ بالنسبة لاستخدام الأقمار الصناعية :

ـ استخدام هذه التوابع لبث برامج الراديو والتليفزيون من البلاد النامية التي لم تتمكن حتى اليوم من إذاعة تلك البرامج على نحو كاف بالوسائل التقليدية.

٣ ـ بالنسبة لتوزيع طيف الترددات :

ـ ضمان توزيع الترددات توزيعا عادلا، ومتوازنا بين مختلف مناطق العالم.

- كفالة تخصيص طيف الترددات الذي يتحقق نتيجة للتوسع في الموجات الطويلة والمتوسطة للبث الصوتي فقط من مختلف مناطق العالم.

- وضع خطة تنظم استخدام الموجات القصيرة.

٤ ـ بالنسبة لنقل المطبوعات :

- القيام بجهد مشترك للحصول على شروط جديدة مشجعة للصحف، من الاتحاد البريدي العالمي.

- إلغاء نظام تعريفة الحد الأدنى وإقناع الشركات العاملة في النقل الجوي والإدارات البريدية بالاضطلاع بجهد مشترك من أجل تخفيض الرسوم الإضافية على المطبوعات المنقولة جوا.

٥ ـ بالنسبة لنقل التكنولوجيا :

- صياغة قواعد سلوك دولي تحكم نقل التكنولوجيا الملائمة لتلبية الاحتياجات الخاصة للبلاد النامية وبحيث تتمشى مع ظروفها التنموية.

- توسيع نطاق المساعدة التي تقدمها البلاد المتقدمة للبلاد النامية، وذلك عن طريق تنفيذ برامج بحوث وتنمية وتطوير التكنولوجيا المحلية المناسبة.

سادسا : النظام الاقتصادي الدولي الجديد والنظام العالمي الجديد للإعلام:

ليست الإنجازات التقنية التي تحققت في العقود الأخيرة في جميع قطاعات النشاط الاقتصادي موزعة توزيعا متساويا فيما بين أعضاء المجتمع الدولي. فدخل البلاد النامية وهي التي يتركز فيها ٧٥٪ من سكان العالم لا يمثل إلا ٣٠٪ من الدخل العالمي. كما يبلغ متوسط دخل الفرد في البلاد الصناعية (٢٤٠٠ دولار) في العام بينما لا يبلغ في البلاد النامية غير (١٨٠ دولارا) فقط. والأخطر من ذلك أنه لا يكاد يتجاوز دخل الفرد في البلاد الأربع والعشرين الأشد فقرا إلا مائة دولار في العام.

وهذه الهوة في سبيلها إلى الاتساع في خلال العقدين القادمين بحيث يصل الرقمان الأخيران إلى ٣٤٠٠ دولار، ٢٨٠ دولارا على التوالي.

هذا وحصة البلاد النامية من التجارة العالمية، كانت تقتصر في عام ١٩٥٠ على ٣٢٪، واستمرت في الانخفاض إلى أن بلغت ١٧٪فقط.

وإذا كانت هذه الدول قد حددت في إطار عقد الأمم المتحدة للتنمية نسبة ١٪ من الناتج القومي، فإنها لا تزال بعيدة جدا عن بلوغ هذه النسبة، كما صاحب تدهور نسبة التبادل (١٠٠ في عام ١٩٥٣، ٨٤ في عام ١٩٧٤) زيادة ضخمة في ديون العالم الثالث التي ارتفعت إلى ٢٣٣,٠٠٠ مليون دولار في عام ١٩٧٧.

وترى البلاد النامية في هذه الظاهرة استمرارا للسيطرة السياسية وشكلا من أشكال الهيمنة الاستعمارية الجديدة.

وقد أعلنت الأمم المتحدة في أول مايو سنة ١٩٧٤ إدراكا منها للنتائج الخطيرة لهذه الهوة الآخذة في الاتساع، رغبتها الأكيدة في إقامة نظام اقتصادي دولي جديد أساسه العدل وتصحيح التفاوت الصارخ الذي يتسم به النظام الحالي.

إن بقاء هذه النداءات الداعية إلى الإنصاف دون استجابة أو أذن صاغية ما لبث أن أثبت قصورها الأساسي، بل عارضت بعض وسائل الإعلام موقف حكوماتها التي التزمت بمبادئ النظام الجديد، ورأت في ذلك النظام تهديدا خطيرا لمصالح مجتمعاتها الوطنية، فسعت إلى السخرية من المبادئ التي أعلنها العالم الثالث، إن لم تكن قد تجاهلتها تماما.

كما ذهبت بعض وسائل الإعلام إلى تطويع الرأي العام في البلاد المتقدمة وتنفيره من كل المطالب التي تصدر عن العالم الثالث.

وبناء على ذلك ينبغي ربط إقامة النظام العالمي الجديد للإعلام، بالنظام الاقتصادي الدولي الجديد، كما ينبغي أن تتخذ تدابير إيجابية من جانب كل من البلاد الصناعية والبلاد النامية والمنظمات الدولية المعنية على حد سواء، وذلك

حتى يمكن تحقيق هذا النظام وتمكين وسائل الإعلام من أداء مهمتها في مجالي التثقيف والإعلام.

إن عملية التحول للنظام الجديد ستستغرق وقتا طويلا من غير شك، وهي عملية معقدة ذات أبعاد متعددة، ولكن الشيء الضروري هو توعية الرأي العام وخصوصا في البلاد الصناعية، فضلا عن ضرورة اعتماد الدول النامية على نفسها، وتعزيز التعاون بينها وبين البلاد الصناعية على المستوى الأفقي، من أجل التدفق المتوازن للمعلومات بينهما.

وأخيرا فمن الأهمية القصوى إدخال قطاع الاتصال والإعلام ضمن إطار التخطيط الشامل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

الباب الثالث

الهيئات والأنشطة الدولية
في مجال الإعلام الدولي

الفصل العاشر: اليونسكو والسلام العالمي بين النظرية والتطبيق

الفصل الحادى عشر: أنشطة اليونسكو في مجال الاتصال الدولي

الفصل الثانى عشر : معهد الصحافة الدولي : إنشاؤه وتطوره

الفصل الثالث عشر : وكالات الأنباء في عالم اليوم

الفصل الرابع عشر : نحو البث التليفزيوني العالمي

الفصل العاشر

اليونسكو والسلام العالمي بين النظرية والتطبيق

مقدمة :

يعتبر إنشاء مجموعة المنظمات الدولية التي تتألف منها هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة حدثا من أخطر أحداث العصر الذي نعيش فيه. وإذا كانت جميع هذه المنظمات تسعى لصيانة السلام بين دول الأرض وتوفير أسبابه بين الشعوب كل في مجال تخصصها. فان اليونسكو تعمل وفقا لدستورها للإسهام في السلام والأمن عن طريق تشجيع التعاون بين الأمم بوساطة التعليم والعلم والثقافة لنشر الاحترام العالمي للعدالة وحكم القانون وحقوق الإنسان وحرياته الأساسية التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة وكفلها لشعوب العالم دون تمييز بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين وليس الغرض من هذا البحث توضيح وتفصيل أوجه النشاط المتشعبة لليونسكو في مجالات التربية والعلوم والثقافة التي تمتد على مساحات واسعة من الأرض (وإن كنا سنتناول بشيء من التفصيل أنشطة اليونسكو في مجال الإعلام الدولي في الفصل التالي)، ولكن الغرض الأساسي هو التحليل السياسي لفلسفة اليونسكو داخل إطار الأعمال وأوجه النشاط التي نهض بها طيلة ما يقرب من نصف قرن مضى على إنشائه. وهذه الفلسفة تقوم على أساس الإسهام في السلام والأمن الدوليين عن طريق بناء استحكامات السلام في عقول الرجال والتضامن الفكري والمعنوي للإنسانية، وكذلك عن طريق الوصول إلى التفاهم الدولي وإلى المجتمع المتجانس أو الأسرة العالمية.

وستتناول هذه الدراسة النقاط التالية :

أولا : مقدمة تاريخية عن تطور العلاقات الثقافية والفكرية للإنسان.

ثانيا: دور اليونسكو في تحقيق المجتمع الدولي المتجانس أو الأسرة العالمية.

ثالثا: اليونسكو وبناء استحكامات السلام في عقول الرجال.

رابعا: دور اليونسكو في بناء مقومات السلام وتقريب الهوة التي تفصل بين الدول المتقدمة والدول النامية.

خامسا : دور اليونسكو في تطبيق ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها بالنسبة لكوريا وفلسطين.

سادسا : بعض النتائج المستخلصة على ضوء الدراسة.

أولا : تطور العلاقات الثقافية والفكرية للإنسان وعرض لأجهزة اليونسكو وأهدافه :

١ ـ محاولات على الطريق:

لقد جاء إنشاء اليونسكو نتيجة لتطور العلاقات الثقافية والفكرية للإنسان منذ زمن بعيد.. فلم تولد المنظمة في فراغ، ولكن سبقتها محاولات جاءت من أنحاء متفرقة من الأرض. وإذا كان لنا أن نرجع بالتاريخ الإنساني إلى مصر القديمة ـ كما يرى كثير من المؤرخين ـ فان مصر القديمة قد حفظت للإنسانية تراثا فكريا وثقافيا نقشته على الأحجار وتناقلته الأجيال في كل مكان بعد ذلك.. ومن اليونان أعلن أرسطو منذ آلاف السنين أن هدف المعرفة يجب أن يكون تحقيق السعادة لأكبر عدد ممكن من الناس، وهذا الهدف لا يتحقق إلا بالسلام. فكأن منظمة اليونسكو، وقد قررت أن تعبئ التربية والعلم والثقافة في خدمة السلام، إنما ترجع بالفكر إلى المعلم الأول أرسطو.. وشهدت أرض العرب اختراع الأبجدية.. كما كانت أرض العرب مركزا لانتشار اليهودية والمسيحية والإسلام، بل لعل أرض العرب قد شهدت أول "حركة" ثقافية إنسانية تتخطى الحدود القومية وتنادي بالمساواة بين الشعوب والأجناس. وتلت ذلك قرون عديدة تبادلت فيها الشعوب الأفكار والعادات عن طريق الجنود والرحالة والتجار.. ولكن كل هذه المجالات السابقة كانت تتسم، خصوصا في مراحلها الأولى، بالفردية وبالبطء وعدم التنظيم(٤٨).

وإذا كان لنا أن ننتقل في التاريخ من العموميات إلى بعض الاقتراحات الفعلية الأولى الهادفة إلى تنظيم التعاون الدولي في مجال التعليم، باعتباره في معناه العام شاملا

(48) Walter H.C. Laves C.A. Thompson، UNESCO، purpose, program and prospects (Indiana Univ Press, Bloomington 195) p. 8.

للعلم والثقافة، فقد اقترح أنطوان جوليان الفرنسي عام ١٨١٧ إنشاء لجنة خاصة بالتعليم تكون تحت إشراف أو حماية واحد أو اكثر من الأمراء أصحاب السيادة، ويوكل إلى هذه اللجنة إعداد تقرير عن طرق التدريب والتعليم السائدة في الدول الأوروبية المختلفة واقتراح التحسينات التي يمكن نقلها من دولة إلى أخرى مع إجراء التعديلات الملائمة للظروف المحلية. وبعد خمسة وسبعين عاما اقترح هيرمان مولكينور الهولندي إنشاء مجلس دولي دائم للتعليم "وكان يدور بخلد هذا المفكر أن مشكلة الحرب والسلام تقع في كثير من جوانبها على عاتق المعلمين والمشرفين على تربية الأجيال، وأن على المعلمين في جميع أنحاء العالم أن يوجهوا جهودهم إلى التفاهم الدولي وألا يجلسوا مكتوفي الأيدي منتظرين اقتراب الكارثة التي تدمر العالم.. وكان يؤمن بأنه يوم تتحقق الوحدة الدولية في ميدان التعليم فسيتحقق السلام الذي طال أمد انتظاره بين دول الأرض."

وخلال السنوات الخمس والعشرين التالية كانت هناك اقتراحات مماثلة من أفراد في دول مختلفة، ولكن كان أقربها إلى النجاح اقتراح من الحكومة الهولندية التي أعلنت عن دعوتها في سنة ١٩١٣ إلى مؤتمر دولي عن التعليم يعقد في لاهاي، ووجهت الدعوة إلى حكومات ثماني عشرة دولة ولكن اثنتين فقط استجابتا لهذه الدعوة، فعاودت الحكومة الهولندية الدعوة لمؤتمر يعقد في سنة ١٩١٤ وتلقت موافقة ست عشرة دولة على هذا الاجتماع ولكن نشوب الحرب العالمية الأولى حال دون انعقاد المؤتمر. وقد كان مشروع إنشاء "منظمة دولية للتعليم " ضمن الدعوة التي وجهتها الحكومة الهولندية[٤٩].

٢ ـ التعاون الفكري وعصبة الأمم :

لم يشمل ميثاق عصبة الأمم أي ذكر للتعاون الثقافي واستمر ذلك حتى عام ١٩٢١ حين تقدم بورجوا مندوب فرنسا باقتراح توصية بإنشاء لجنة لفحص وبحث الأمور الدولية المتعلقة بالتعاون الفكري والتعليم، وأعلن أنه ليس هناك من عمل أكثر إلحاحاً من بحث العوامل التي تؤثر في الرأي العالمي مثل نظم ووسائل التعليم وكذلك البحوث الفلسفية والعلمية، وأضاف أنه قصور في التفكير أن تهتم عصبة الأمم بتحسين وسائل تبادل

(49) Brenda M.H. Tripp : UNESCO in perspective, International conciliation, 1497. (March 1954) P. 330.

المنتجات المادية دون أن تعمل على تسهيل التبادل الدولي للأفكار.. ولا أمل في بقاء مجموعة الدول متماسكة، دون تنمية روح النشاط الفكري بين أعضائها[٥٠]. ووافقت عصبة الأمم المتحدة على هذه التوصية بعد إجراء بعض التعديلات عليها. وكانت هذه التوصية تهدف إلى تحسين الظروف المادية للمشتغلين بالأمور الفكرية وتسهيل الاتصالات الدولية لهم، وكذلك تقوية جهود عصبة الأمم المتحدة نحو السلام والتعاون الدولي.. ومن الواجب أن نلاحظ أنه بينما كان اقتراح الحكومة الهولندية الذي سبقت الإشارة إليه منصبا على التعليم، فإن وظائف اللجنة الجديدة شملت كل شيء ما عدا التعليم، ولم يكن ذلك محض صدفة فقد قويت في أعقاب الحرب الروح القومية والصبغة الوطنية وأصرت معظم الدول على السيادة الكاملة على نظم التعليم داخل حدودها.

وكانت اللجنة الدولية للتعاون الفكري هيئة استشارية لمجلس عصبة الأمم بلا سلطة غير تلك المستمدة من القرارات التي يتخذها المجلس، وبدون سكرتارية دائمة تواصل العمل وتتابعه في غير أوقات انعقاد اللجنة. وكان أول برنامج قدم إلى الجمعية العمومية للعصبة متواضعا تغلب عليه الناحية الفنية ويشمل : بحث الأحوال العسيرة للمشتغلين بالشئون الفكرية في وسط وشرق أوروبا - دراسات عن الببليوجرافيا والتبادل للمطبوعات العلمية - التعاون في البحوث العلمية وتخصيص حصيلة مالية لهذا الغرض - تنظيم الكشف عن الآثار - تنمية التعاون بين الجامعات عن طريق تبادل الأساتذة والطلاب - وكذلك حماية حق التأليف والملكية الفكرية[٥١] .

لقد كانت جهود عصبة الأمم في هذا السبيل جهودا متواضعة شملت تنظيم وعقد المؤتمرات الخاصة بالفن والآثار والمتاحف وتعاون العلماء والتعليم والسينما والراديو، ولكن لم تكن لها ميزانية كافية وكان تركيبها ضعيفا وقد تعثر تنظيم اللجان الوطنية. وأهم من هذا كله كانت المنظمة بعيدة عن "جماهير الشعوب" ولم يكن وراءها رأي عام قوي

---

(50) League of Nations, Minutes of the council, 14th Session. 1921 Annex 241 P. 2.
(51) E. P. Walters, A History of the league of nations (London, Oxford Univ. Press, 1952) Vol. 1, PP. 191 Ü 192.

ربما كان استبعاد التعليم من بين نشاط اللحنة المذكورة من بين الأسباب التى دعت إلى سرعة تكوين "المكتب الدولى للتعليم" الذى أسس عام ١٩٢٥ كهيئة غير حكومية، وبعد أربع سنوات من هذا التاريخ أصبح المكتب منظمة تشترك فيها الحكومات المختلفة وتختص بالبحوث والمعلومات التى تتصل بالتعليم.

يسندها. ومع ذلك يمكن أن يقال أن هذه اللجنة كانت بمثابة شعلة ولو صغيرة على طريق "الحرية الفكرية والتعاون الدولي".

٣ ـ نشأة اليونسكو :

نشأت منظمة اليونسكو عام ١٩٤٥ عقب مؤتمر وزراء التربية والتعليم الذي عقد في لندن واشترك فيه مندوبون من أربع وأربعين دولة. وفي نوفمبر سنة ١٩٤٥ ولد اليونسكو رسميا بعد أن صدقت على إنشائه عشرون دولة، وقد سميت المنظمة الجديدة "منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة" وعرفت فيما بعد بمجموع الحروف الأولى من تسميتها الإنجليزية "يونسكو" وفي عام ١٩٧١ وصل عدد الدول الأعضاء في اليونسكو إلى ١٢٥ عضوا[*].

ويجب أن نذكر في هذا المقام أن النغمة السائدة في المؤتمر السابق الإشارة إليه كانت تدور حول النظام النازي وانطباعاته وآثاره. وقد قال مستر كليمنت آتلي رئيس وزراء المملكة المتحدة في هذا المجال، "إن أحد الشرور التي تحاربها الأمم المتحدة هي الإجراءات الدكتاتورية التي تهدف إلى إقامة ستار حول عقول الناس بمجموعة من الأفكار الضيقة الجامدة من أجل الحيلولة دون الوصول إلى التقدير والحكم السليم[٥٢]"

كما ينبغي الإشارة إلى أنه بين الفكرة الأولى التي نادت بإنشاء منظمة "لأهل الفكر" تتمثل فى اللجنة الدولية للتعاون الفكري، وبين فكرة إنشاء منظمة تهتم بشعوب العالم كمنظمة اليونسكو، تقع الفترة الحيوية بين حربين عالميتين بكل ما أحرزته الإنسانية فى هذه الفترة من تقدم فى وسائل الاتصال الجماهيرى ومعرفة الوسائل التى يمكن الإفادة

(*) انضمت دولة الكويت لليونسكو عام ١٩٦٠. كما بلغت حصة الكويت في ميزانية اليونسكو لعام ١٩٧٠ مبلغ ٢١,٥١٨ دولارا.. وهذا المبلغ يمثل حوالي ٠,٠٧٪ من الميزانية لمنظمة الأمم المتحدة نفسها ومن بينها اليونسكو... في المرجع التالي :

(52) Conference for the Establishment of the United Nations Educational, Scientific and Cultural organization, Doc. Eco/CONF/29 (London : Preparatory ory Commission, UNESCO, June 1946) P. 22.

منها في توجيه وتشكيل أفكار الناس ومعتقداتهم، ذلك بالإضافة إلى تزايد وعي الجماهير وزيادة دورها في تشكيل السياسة الداخلية والخارجية.

٤ ـ أجهزة اليونسكو وبرامجه[٥٣]:

تتكون هذه الأجهزة من الجمعية العمومية والمجلس التنفيذي والسكرتارية ومقرها باريس بالإضافة إلى الشعب القومية.

أما برامج اليونسكو فهي تغطي الميادين التالية :

التربية ـ العلوم الطبيعية ـ والعلوم الإنسانية والاجتماعية الثقافية ـ بالإضافة إلى ميدان الاتصال، وهذا يشمل وسائل الاتصال الجماهيري والمكتبات والتوثيق والمحفوظات.

٥ ـ أهداف اليونسكو وفلسفته :

تهدف منظمة اليونسكو إلى الإسهام في صيانة السلام بين دول الأرض عن طريق تشجيع التعاون بين الأمم في التعليم والعلم والثقافة، وتعمل المنظمة تحقيقا لهذا الغرض الذي تضمنه دستورها من أجل ما يأتي :

(أ) التعاون في الجهود الرامية إلى تعريف الشعوب بعضها ببعض وتفهمها المتبادل للقيم الثقافية لكل منها. وذلك عن طريق جميع وسائل الاتصال الجماهيرى، ومن أجل تحقيق هذه الغاية توصي المنظمة بعقد الاتفاقات الدولية اللازمة لانتقال الأفكار بحرية عن طريق الكلمة والصورة.

(ب) المعونة على رفع المستوى التعليمي وخاصة فيما يتعلق بالتفاهم الدولي والعلاقات السلمية بين الدول المتجاورة، وكذلك رفع مستوى التعليم الفني

---

(٥٣) انظر تنظيم سكرتارية اليونسكو وإداراتها ثم تركيب الأجهزة العادية للمنظمة.
Looking at UNESCO. Paris 1971. 40-41 and pp. 48-49.

داخل المدرسة وخارجها. هذا بالإضافة الى اقتراح أفضل السنن التعليميه المناسبة لإعداد الأطفال في جميع العالم لتحمل مسئولياتهم تجاه الحرية.

(جـ) معاونة الدول الأعضاء وخاصة الدول النامية على تحقيق أكبر قدر من التقدم الاجتماعي والاقتصادي عن طريق البرامج التعليمية والعلمية والثقافية.

(د) تمويل بعض المشروعات الوطنية في مجالات العلوم الطبيعية أو الاجتماعية من أجل تقدم البحوث والوصول إلى الحلول العلمية لبعض المشاكل الوطنية في هذه المجالات.

(هـ) الحفاظ على المعرفة وزيادة نشرها عن طريق حماية التراث العالمي من الكتب والأعمال الفنية والآثار التاريخية والعلمية، واقتراح عقد المؤتمرات الدولية في هذا المجال، وكذلك تشجيع التعاون بين الأمم في جميع مجالات النشاط الفكري بما في ذلك تبادل الأشخاص العاملين في مجالات التربية والعلوم والثقافة وتبادل المطبوعات العلمية والفنية وغيرها من موارد الإعلام.

وتقوم فلسفة اليونسكو لتحقيق السلام والأمن الدولي على عدة افتراضات:

أهمها أن الحرب تنشأ في عقول الناس وأنه يجب أن تشيد مقومات واستحكامات السلام في عقولهم لاتقاء خطر الحرب والدمار. ويتفرع من ذلك افتراض آخر يدعو إلى أن التعليم، ولا سيما إذا كان يهدف إلى التفاهم الدولي والتبادل الثقافي، يؤدي إلى خلق مجتمع دولي متجانس أو أسرة دولية ورأي عام عالمي.. وهذا بدوره يؤدي إلى الحفاظ على السلام العالمي، كما يتضمن الافتراض الأول أن الجهل بالآخرين وطرق معيشتهم وأهدافهم، هو السبب في الشك وانعدام الثقة بين شعوب العالم، وهذا بدوره يؤدي إلى نشوب الحرب. وأخيرا اهتم اليونسكو وخصوصا في السنوات الأخيرة بتأكيد أهمية التطوير الاجتماعي والاقتصادي في الدول النامية عن طريق البرامج العلمية والثقافية والتعليمية، وهذا يضيف افتراضا جديدا إلى افتراضاته وهو أن الاختلاف الكبير في مستويات المعيشة بين الأمم من شأنه أن يزيد من أسباب عدم استقرار السلام.

ثانيا : اليونسكو والأسرة العالمية(*) :

قبل مناقشة أوجه نشاط اليونسكو وفلسفته بالنسبة إلى تحقيق السلام العالمي، يجدر بنا أن نحيط ولو سريعا بالإطار الفكري الذي تعمل داخله منظمة اليونسكو وغيرها من وكالات الأمم المتحدة بالنسبة إلى فلسفة ونظريات العلاقات الدولية.. وأعني بذلك مذهب تنمية العلاقات الفنية والثقافية بين الدول، كركيزة لتحقيق المجتمع الدولي المتجانس أو الأسرة العالمية.

١ ـ المذهب الوظيفي في العلاقات الدولية :

Functional Approach to International Relations

تقوم فلسفة هذا المذهب على الاهتمام بالتعاون الدولي في الشئون التعليمية والعلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية كوسيلة عملية فعالة للوصول إلى تنظيم دولي مستقر. ويؤمن أنصار هذا المذهب بأن شرور الصدام والحرب بين الدول، تنبع من تقسيم هذا العالم إلى وحدات سياسية (الدول) متنافرة متنافسة. فإذا أردنا إزالة هذه الشرور فيجب إزالة التقسيمات والحدود السياسية لجميع الدول عن طريق حكومة عالمية. ولكن هذا الهدف صعب التحقيق وعسير المنال.. ولذا كان من اللازم اتباع طريق آخر طويل يتمثل في انتشار أوجه نشاط الوكالات الدولية التي يمكن بواسطتها وعن طريقها أن تندمج مصالح وحياة كل الشعوب والأمم(٥٤)... فالتعاون الفني والثقافي بهذه الصورة الشاملة سيعمل على نمو العمل المشترك البناء والإيجابي، وسيساعد على نمو العادات والمصالح المشتركة بين الشعوب، وستقل بذلك صراعات الحدود السياسية بل لعلها ستنتهي إلى الأبد.

(*) يستخدم المؤلف تعبير الأسرة العالمية أو المجتمع الدولي المتجانس لأداء معنى واحد وهو الذي يقابل المصطلح الإنجليزي : World Community

(54) David Mitrany, A Working peace system ; An argument for the functional development of International Organization. (4th ed. London, National peace Council, 1946) Passim.

إن جوهر هذا المذهب يمكن أن يلخص في محاولة خلق جماعة أو هيئة من الخبراء والفنيين يوكل إليها حل المشاكل الفنية التي تهم الدول المختلفة ولا تستطيع بمفردها أن تقوم بحلها.. وإذا ما تعددت هذه الجماعات والهيئات وانتشرت لتعالج المشاكل المختلفة وتحلها، فستحس الشعوب في كل مكان بالاعتماد الاجتماعي لكل منها على الأخرى، وسينمو الجانب السياسي تبعا لذلك كجزء من الجانب الاجتماعي.

وباختصار إذا كانت علاقات الدول بعضها ببعض تتميز بالصدام والتعاون Conflict and Cooperation فان المذهب الفني يؤكد النواحي الفنية لا السياسية في هذه العلاقات وذلك لان التعاون الفني سيؤدي ـ ولو تدريجيا ـ إلى زيادة التعاون الدولي الإيجابي[55]. وهذا بدوره سيؤدي إلى تكوين أسرة عالمية أو مجتمع دولي متجانس يتقبل ـ ولو في المستقبل البعيد ـ فكرة تكوين الحكومة العالمية التي تستطيع على الصعيد الدولي أداء ما تستطيعه الحكومة الوطنية على الصعيد الوطني.. .

ويؤيد كثير من السياسيين والمفكرين ما يذهب إليه دافيد متراني Mitrany رائد هذا المذهب في تحليله لنمو المجتمعات ولنمو الحكومات من هذه المجتمعات، ولكن كثيرا من المفكرين كذلك يشكون أن تصمد التعاونية الفنية الدولية للخلافات السياسية الضخمة التي تقسم عالم اليوم. ذلك لان مذهب التعاون الفني يعمل ويدور في الظروف الدولية المعاصرة في فلك محدود بالمصالح القومية والأهداف الوطنية التي تتصادم وتتصارع فيما بينها. من أجل ذلك لا نستطيع اعتبار مذهب التعاون الفني كهدف في حد ذاته. ولو أن التعاون الفني يخدم كأساس لاكتساب عادة التعاون والعمل المشترك والتعديل المستمر في الأفكار السياسية والاجتماعية والاقتصادية واكتساب خبرات الإدارة الدولية،.. ولكن يجدر بنا أن نذكر أنه إذا استطاعت الدول أن تصل إلى حلول لبعض المشاكل الدولية الفنية، فإن المشاكل الرئيسية التي تتصارع من أجلها الدول هي بالضرورة مشاكل سياسية ولا يمكن حلها إلا بالإجراءات السياسية...

---

(55) Frederick H. Harton, Readings in International Relations (New York : McGraw-Hill Book company, Inc., 1952).

كما يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن كثيرا من حكومات الدول المختلفة وكذلك وكالات الأمم المتحدة، تعلن أن التعاون الفني الذي تقوم به والتفاهم الدولي الذي تدعو إليه لا يتضمن تأييد نظرية الحكومة العالمية(٥٦).

٢ ـ هل اليونسكو هيئة فنية أم سياسية؟

إن إسهام اليونسكو في السلام والأمن الدوليين يمكن أن يفسر بصفة عامة ليشمل تقدم المعرفة وزيادة الرفاهية الإنسانية والتفاهم الدولي(٥٧). ومنظمة اليونسكو تسعى لتحقيق ذلك باتخاذ الوسائل الفنية، وإن كانت ذات أهداف سياسية، فقد أعلن المدير العام لليونسكو في المؤتمر العام السادس، أن اليونسكو هيئة فنية وهو بهذه الصفة غير مسئول ولو مسئولية جزئية على الأقل عن إقامة شكل عام للأمن، وهو بناء مقومات السلام الفكري بمعناه العميق، وبدون هذه العمليات يصبح الأمن السياسي ليس أكثر من هدنة بين الحروب(٥٨)، ومازالت كلمة " سياسة " غير واضحة المعالم عندما تثار في مناقشات اليونسكو. فقد اعتبر البعض منظمة اليونسكو منظمة سياسية لأنها تستخدم أنواع النشاط الثقافي والتعليمي والعلمي لخدمة غرض سياسي وهو صيانة السلام، وكذلك هي هيئة سياسية نظرا إلى أنها منظمة تشترك فيها الحكومات المختلفة، وأشار البعض إلى أننا عندما نؤكد الوسائل وليس الغايات، فإن اليونسكو هو وكالة فنية وليست سياسية(٥٩). فاليونسكو تسعى إذن إلى تنمية الثقافة والعلم والتعليم كوسائل فنية من أجل حفظ وصيانة السلام.

٣ ـ اليونسكو والأسرة العالمية والسلام :

هل تنمية التعليم والثقافة من شأنها أن تجعل الشعوب تنزع إلى الحرب أم إلى السلم؟؟ إن هناك شعوبا بدائية محرومة من العلم ومن التعليم المنظم ومع ذلك فهي شعوب

---

(56) Laves, Op. cit., P. 396.

(57) Ibid.. P. 344.

(58) UNESCO. Document 6 proceedings, P. 62.

(59) Laves. Op. Cit., P. 272.

محبة للسلام عامة وتتقبل تأثير الثقافات الأجنبية في كثير من الاحيان الى حد الاستسلام. ولو قد أتيح لها نصيب ملائم من المعرفة الصحيحة والتعليم المنظم لتفجرت فيها أحاسيسها الإنسانية الأصيلة التي تتمثل في الكرامة والانتصار على الظلم بجميع أشكاله الاجتماعية والسياسية والثقافية.. ولرفضت الاستسلام وكل سلام غير عادل... وهناك شعوب أخرى رفيعة التعليم وعميقة الجذور في الثقافات التقليدية كالألمان مثلا، ولكنها شعوب متمسكة تمسكا متطرفا بقوميتها ونزاعة إلى الحرب ومؤمنة في بعض الفترات بالامتياز العنصري للجنس الألماني... لقد كان الأثينيون في عهد بركليس والايطاليون في عهد النهضة من خالقي الحضارات التي لا مثيل لها في تاريخ المدنية الغربية، ومع ذلك فقد كانوا من المتمسكين بالقومية ومن النازعين إلى الحروب في تلك الفترات وفي الفترات الاخرى السابقة واللاحقة. كما أن هناك أمماً أخرى كالفرنسيين والإنجليز تنزع في فترات معينة إلى التعصب القومي والحرب، وفي فترات أخرى إلى السياسات السلمية والعالمية، وقد يكون ذلك بسبب توازن ميزان القوى الأوروبي أو بسبب توزيع دوائر النفوذ والمستعمرات بينهما. ولكن ليس هناك ترابط بين هذه التغيرات المرحلية وبين تطور الثقافة والتعليم عند كل منهما[٦٠].

إن تنمية الثقافة والتعليم - من ناحية الكم والكيف - لا تتصل بمشكلة تكوين الأسرة العالمية أو المجتمع الدولي المتجانس إلا بالقدر الذي يمكن معه توافق - أو على الأقل تلاؤم - المصالح الوطنية المادية والمعنوية بين الدول المختلفة. وواضح أن ذلك عسير بل لعله مستحيل لأنه يعتمد على تحول خلقي وسياسي ذي أبعاد واسعة. كما ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أنه قامت حروب عبر التاريخ بين اصحاب الثقافات القومية الواحدة، فالوحدة الثقافية لم تكن حائلا ضد الحروب بين دول تعيش ضمن اطار واحد من الثقافة... فلقد وقعت الحروب بين دول المدن الإغريقية وفي اوروبا طيلة العصور الوسطى وفي ايطاليا فى عصر النهضة، ووقعت الحروب الدينية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، بل وقعت حروب القرن الثامن عشر بين الصفوات المختارة.. وكانت هذه

---

(60) Hans J. Morgenthau. Politics among Nations (New York : Alfred Knopt. 1968) PP. 500 5 Passim.

الحروب تدور بين أمم تشترك في جميع مقومات الثقافة الواحدة المنسجمة كاللغة والدين والتعليم والأدب والفن(٦١).

وخلاصة القول أن تنمية الثقافة والتعليم بين الدول تعتبر من بين مقومات تكوين المجتمع الدولي المتجانس والأسرة العالمية. ولكن هذه التنمية الثقافية لا تؤدي بالضرورة إلى السلام، كما أن الوحدة الثقافية عند وجودها لا تحول دون قيام الحرب بين الدول المتجانسة في القومية والثقافة..

ثالثا : اليونسكو واستحكامات السلام في عقول الرجال :

تقوم فلسفة اليونسكو في كثير من الأعمال التي تنهض بها على نظرية " إن الحرب تبدأ في عقول الناس، وانه في عقول الناس يجب أن تبنى دفاعات السلام ".. وفلسفة مخاطبة " عقول الرجال " هي في الأصل نظرية الاتصال والتعلم، وفي رأي العالم " دان " أن " الأشياء الصحيحة متى أمكن توصيلها بواسطة بعض الناس إلى بعضهم الآخر فان تغييراً يمكن أن يحدث في مواقف الدول تجاه بعضها البعض، وهذا مما يجعل الوصول إلى مرحلة السلام أمراً ممكنا.. وهذا فرض فني يعتمد على معلوماتنا للعمليات التي تتصل باستخدام الأفكار والرموز لتغيير أو تعديل سلوك الناس(٦٢).

إن ترجمة هذا الافتراض إلى فعل، تضع أمامنا كثيرا من المشاكل أهمها المشاكل التي تتصل بعملية الاتصال وكيفية توصيل الرسالة ثم "محتوى" الرسالة التي يراد توصيلها ثم المشاكل المتعلقة بطبيعة عالم اليوم بأيديولوجياته المتصارعة.

---

(61) Ibid, P. 522.

(62) Fredericks Dunn, War and the Minds of Men (N.Y. Harper, 1956) P. 10.

١ ـ الدفع إلى الحرب :

إن أول ما يتبادر إلى الذهن هو السؤال التالي : ما هي الأشياء الصحيحة التي سيتم نقلها عن طريق أدوات الاتصال الجماهيري، فإذا لم يكن هناك اتفاق حول مضمون هذه الأشياء الصحيحة ـ وهذا هو الحال في عالمنا المعاصر ـ فإن عملية الاتصال كلها يمكن أن تؤدي إلى شيء عكسي وضار. وثاني هذه الأسئلة هي : ما هي العقول التي تقصدها العبارة السابقة؟ أهي عقول الأطفال أم عقول المفكرين والمتعلمين أم عقول صانعي الأسلحة وأصحاب شركاتها؟ إن الأثر الذي تحدثه الرسالة الواحدة في عقول هؤلاء جميعا يختلف باختلاف مصالحهم وأهدافهم وتكوينهم النفسي والتعليمي.

وبالرغم من ذلك، فإن نظرية "عقول الرجال" قد استحوذت على خيال عدد كبير من المفكرين في أقطار مختلفة ويعزى ذلك إلى ما يلي :

(أ) زعزعة الثقة والأفكار القائمة حول كيفية منع الحرب.

(ب) تزايد نفوذ الشعوب وقوتها فيما يتعلق بصنع القرارات السياسية والشئون الدولية.

(جـ) الاعتقاد النامي بأن التطور العلمي قد منحنا بعض الوسائل الفنية التي تمكننا من التأثير في سلوك الناس وتشكيلها في اتجاهات مرغوبة وبالتالي يمكننا من ممارسة قدر أكبر من السيطرة على الأحداث الدولية.

٢ ـ أسباب الحروب والصراعات من أجل المصالح الوطنية :

هناك أسباب عديدة للحرب ليس أحدها حاسما في حد ذاته. ففي المؤتمر الذي عقد في عام ١٩٢٥ عن أسباب وعلاج الحروب ذكرت ثمانية أسباب سيكولوجية وستة اقتصادية وسبعة سياسية وثمانية اجتماعية كأسباب رئيسية تتصل بالدفع إلى الحرب[٦٣]. هذه بالإضافة إلى أسباب كثيرة ثانوية.

---

(63) Ibid. See also : The Causes of war Project at University of Chicago. In : A study of war by Qwincy Wright, 1965. pp. 409-413.

وهذا المشروع الموسع عن أسباب الحروب قامت به جامعة شيكاغو.. واشترك فيه علماء من أقسام السياسة والاقتصاد والتاريخ والاجتماع والأنثربولوجيا والجغرافيا وعلم النفس والفلسفة بالجامعة وأسفر هذا المشروع عن ست وستين دراسة.. وقد قبلت خمسة وأربعون منها كرسالات دكتوراه وماجستير من جامعة شيكاغو.. وعشر دراسات نشرت على هيئة كتب وسبع دراسات نشرت كمقالات في الدوريات العلمية.

لقد لخص كولسكي Kulski[64] أسباب الحروب في الاعتبارين التاليين:

١ ــ إن الحروب أمر ممكن دائما، ما دامت الدول لها حق اتخاذ القرار النهائي المتصل باستخدام القوة، وإذا كانت الأسلحة النووية تعتبر رادعا قويا ضد الحرب النووية ذاتها.. فان هذه الأسلحة تدخل في في حسابات الدول حتى لا تؤدي مخاطراتها إلى توسيع الحرب الصغيرة إلى حرب نووية.

٢ ــ تقوم الدول بالحروب لأسباب كثيرة. ولكن هذه الأسباب جميعا يمكن تصنيفها تحت عنوان عام هو "المصالح الوطنية". ذلك لأن الحكومات التي تبدأ النزاعات العسكرية إنما تفعل ذلك دائما لأنها تعتقد أن ذلك هو أكثر الطرق فعالية لتحقيق أهدافها الوطنية.. ويتخذ هذا القرار داخل إطار تفسيرها "للصالح الوطني"..

كما يتضمن قرار الدخول في الحرب العوامل التالية :

- الالتزام الأدبي Moral Obligation باستخدام القوة لنشر الأيديولوجية الخاصة بدول معينة أو لحماية الذين يدينون بنفس العقيدة في بلد أجنبي..

- الحرص على صيانة توازن القوى، بحيث يؤدي هذا التوازن إلى توزيع يلائم الدولة.

- محاولة الحيازة أو السيطرة على الأراضي الأجنبية لاستيعاب النمو أو الاستيطان السكاني..

- الرغبة في السيطرة على الأراضي الأجنبية حتى تزيد الدولة من قوتها أو لضمان أسواق إضافية لبضائعها أو ضمان للمصادر الخام.. وأماكن لاستثمار رءوس أموالها..

---

(64) W.W. Kulski. International Politics in A Revolutionary Age. N.Y. Lippincott Company 1968, PP. 53-4.

- الاعتقاد "بالتفوق العنصري" يعطي شعبا معيناً "التبرير" لحكم الشعوب الأخرى.

- الحيلولة دون قيام قوة معادية بالحرب، في وقت تختاره الأخيرة (الحرب الاستباقية) Preemtive War

- توحيد الشعب الذي ينتمي إلى قومية واحدة (أي توحيده تحت حكومة واحدة أو إزاحة وطرد الحكم الأجنبي المسيطر)..

- الحصول على حدود أفضل أو السيطرة على الأماكن الاستراتيجية..

- تسوية النزاعات الأساسية مع دولة معادية.

- البحث عن درجة أكبر من الأمن عن طريق إضعاف الدولة المنافسة.

وجميع هذه الأسباب تمليها المصالح الوطنية وتفسير الحكومات المختلفة لما تراه هي مصالحها الوطنية أو الحيوية..

إن التأكيد على واحد من الأسباب السابقة ربما يكون نابعا من الاقتناع أو الخبرة الشخصية أكثر من أن يكون نابعا من التحليل الموضوعي للظروف المتباينة التي تدفع إلى الحرب. فمثلا قد يؤكد العالم النفسي دور "الطبيعة الإنسانية" فالحرب في نظره تعتبر باطن "غير واع" للعقل الإنساني، وأن جذورها تتصل بالعنف الكامن في الإنسان.. هذا بالنسبة إلى الفرد وهى كذلك بالنسبة إلى مجموعات الأفراد والأمم.. ولكن مشكلة طغيان العنف الكامن في الإنسان على ذاته وجعله يرتكب أفعالا لا يرضاها في التحليل الهادئ العاقل، هي مشكلة من مشاكل الإنسان التي تحدثت عنها الأديان في جميع أنحاء العالم. والأديان تعالج هذا الشر بتنمية السيطرة على النفس وتقوية العوامل الروحية عند الإنسان، ومن الواضح أن ذلك ليس من اختصاص منظمة دولية كاليونسكو.

وقد يؤكد عالم الاقتصاد التفسير الاقتصادي للحرب. فالرأسمالية التي يزيد إنتاجها عما يمكن أن تستخدمه داخل حدودها الوطنية، تبحث عن أسواق خارجية وخصوصا في الدول المتخلفة التي تعتمد على الزراعة ولا تتوافر لديها المصانع ولا أدوات الحرب..

وكذلك تسعى الرأسمالية للسيطرة على تجارة الدول المتخلفة والحصول على المواد الخام بأسعار زهيدة واستغلال الأيدي العاملة الرخيصة والمصادر الطبيعية في هذه الدول... وهذا هو السبب الاقتصادي وراء تكوين المستعمرات.. وتخوض الدول الرأسمالية الحروب فيما بينها طمعا في السيطرة على اكبر قدر من هذه المستعمرات، وقد ينتهي بها الأمر إلى توزيع دوائر النفوذ والمستعمرات فيما بينها. ويهمنا من هذا العرض السريع أن المستعمرين حين يعبرون البحر سعيا وراء تكوين المستعمرات، إنما يحملون في نفوسهم "وعقولهم" شهوة وهدف استغلال أجناس من البشر يرون أنها أقل منهم علما وفلسفة وثقافة. ويرون أنها تعيش على حافة المدنية وينبغي استغلال سذاجتها الاقتصادية. فهل تخدم برامج اليونسكو في التعليم والعلم والثقافة في تعديل مواقف هذه الدول الاستعمارية الاقتصادية، وفي مقاومة الحروب في عقول هؤلاء المستعمرين طبقا لفلسفة اليونسكو؟ الواقع أن برامج اليونسكو ونشاطه ليست في أرض الدول المتقدمة التي قامت بالحروب لخدمة أغراضها الاستعمارية، وبالتالي فأثر اليونسكو في هذه الدول محدود جدا ولعله معدوم، وإذا كان لبرامج اليونسكو في الثقافة والتعليم والعلم من أثر فهو ذلك الذي تحدثه في الدول النامية من انتصار على الظلم الاجتماعي وحرب ضد الاستعمار.

وفي دراسة أخرى للعالم جورج كيستر(٦٥). ذهب إلى أن أكثر أسباب الحروب التي تدعو إلى الحزن والأسى.. هي التي تعود إلى صراع التعايش Symbiotic conflict حيث يفضل أحد الجوانب الحرب على تقديم أقل ما يمكن أن يرتضيه الجانب الآخر من أجل التعايش والعيش في سلام..

ويشرح كيستر هذا التعبير بقوله : عندما يعتبر أحد أطراف النزاع أن مجرد وجود الطرف الآخر في نفس المنطقة وعلى نفس الأرض، فيه تهديد لأسلوب حياة الطرف الأول وتعويق له عن تحقيق "طابع وطني" خاص به.. فان الطرف الأخير ـ في هذه الحالة ـ سوف يحاول حرمان الطرف الثاني من الحياة والسلام.. حتى لو ارتضى هذا الطرف الأخير الاستسلام مقابل العيش.. ذلك لأن هدف الطرف الأول في هذه الحالة ليس معايشة الطرف الثاني بل إبادته..

---

(65) George Quester. Wars Prolonged by Misunderstood signal. Annals of the American Academy of Polotical and Social science, November. 1970, PP. 2.

وضرب كيستر لذلك مثلين أولهما طرد المهاجرين البيض للأمريكيين الأصليين (وهم الهنود الحمر سكان البلد الأصليين) وطرد الإسرائيليين للعرب الفلسطينيين وتهجيرهم من أرضهم وأرض آبائهم وأجدادهم..

ويضيف كيستر إلى الأسباب التي عددها للحرب سببا آخر يتصل بجهل المتحاربين بما يمكن أن يفعله كل منهما في الموقف السلمي.. أي أن الحرب تستمر لأن كل جانب يبخس رغبة الجانب الآخر في السلام.. ولكن كيستر يستدرك ويقول بأننا يجب ألا نتفاءل فنرد النزاع المسلح لمجرد مواقف يمكن علاجها بسهولة إذا تحسنت أساليب الاتصال بين الطرفين.. ذلك لأن الحرب غالبا ما تقوم لأنها تتعلق بتصادم مصالح وطنية.. وتتصل بخلافات حقيقية لا وهمية.. وهذا السبب الأخير المتعلق بالجهل يتصل اتصالا وثيقا بموضوعنا ويستحق منا قليلا من الاستطراد..

٣ ـ الجهل كأحد العوامل المؤدية إلى الحرب :

وهناك افتراض آخر متعلق بهذه المشكلة وهو مذكور في دستور اليونسكو ويستحق التحليل وهو "أن جهل كل واحد بطرق معيشة الآخر يعتبر سببا عاما مشتركا عبر التاريخ الإنساني، للشك وعدم الثقة بين شعوب العالم. وهذا الشك وعدم الثقة كثيرا ما يؤديان مع اختلافات هذه الدول إلى الحرب" وربما تكون هذه الفقرة مشكوكا في صحتها إذا استعنا بدلائل التاريخ، فالدولة (أ) مثلا لا تحارب الدولة (ب) طمعا في المنافع الاقتصادية لأنها تسيء فهم نيات (ب)، بل لأنها تفهمها فقط حق الفهم.. إن الصراعات الدولية هي صراعات من أجل قضايا حقيقية لا وهمية. وعلى مر التاريخ فقد كانت القضية وراء هذه الصراعات التي أدت إلى الحرب، هي تقرير من الذي سيحكم ومن الذي سيكون محكوماً، من الذي سيكون حراً ومن الذي سيكون عبداً.. إن البروفيسور مورجنتاو Morgenthau يؤكد أن الترابط بين الفهم وحتمية الصراع هو أحد الدروس القاسية التي يحملها التاريخ للأجيال، وهو يعدد كثيرا من مواقف التاريخ فيقول : هل كان سوء الفهم الأساس في الخلافات والحروب بين الإغريق والفرس، وبين الأثينيين والمقدونيين، وبين العبرانيين والرومان، وبين البابا والإمبراطور، وبين الإنجليز والفرنسيين في أواخر القرون الوسطى، وبين الأتراك والنمساويين وبين نابليون وأوروبا،

وبين هتلر والعالم؟ أو لا يمكن القول على الأصح أنه في كثير من هذه الصراعات كان سوء فهم ثقافة الجانب الذي يعتزم الفتح وطبيعته ونياته هو الذي حفظ السلام مدة من الزمن، فلما جاء الفهم الصحيح أصبحت الحرب حتمية الوقوع(٦٦).

إن الإنصاف يقتضينا أن نذكر بعض جهود اليونسكو في الدعوة ضد الحرب.. ففي المؤتمر العام الثاني وافق مندوبوا الدول على نداء موجه ضد فكرة "حتمية الحرب" وطالبوا المعلمين والعلماء والفنانين والكتاب والصحفيين في جميع أنحاء العالم بان يحقروا حتمية الحرب وأن يعملوا كصوت الضمير العالمي رافضين الانتحار الجماعي وأن يقاوموا بكل ما في أيديهم من قوة، الاستسلام للخوف وكل شكل من أشكال التفكير والعمل الذي يمكن أن يهدد السلام العادل والدائم(٦٧).

كما رصد اليونسكو قدرا كبيرا من جهوده ومصادره لدراسة المؤثرات التي تؤدي إلى الحرب، وكان هذا من أول المشروعات التي أنشأتها اليونسكو عام ١٩٤٧ كما بذلت الجهود لتعرف بعض مناطق التوتر الرئيسية في العالم وشمل ذلك بحث الأفكار الأساسية للحرية والديموقراطية، القانون والشرعية وتأثير ذلك في الأيديولوجيات المتعارضة ووجهات النظر المختلفة لهذه الأفكار والتصادم الظاهر أو الحقيقي الناتج من ذلك. ومن أجل مقاومة اتجاه التمييز العنصري عملت اليونسكو لنشر مجموعات كبيرة من المطبوعات والنشرات التي تغطي معلوماتنا الحالية عن المشكلات المختلفة الناتجة عن التمييز العنصري وهذه المطبوعات والنشرات تشير إلى أن الاختلافات العنصرية بين الأجناس (كاللون والشكل وغير ذلك) لا يتضمن بالضرورة فروقا مماثلة في عقول الناس وقدراتهم...

وبعد... لقد ولدت منظمة اليونسكو عندما كان من الممكن التفكير والأمل في عالم يسوده السلام مبنيا على التضامن الروحي والفكري للإنسانية وذلك بعد الحرب العالمية الثانية التي تحالف فيها الاتحاد السوفيتي والغرب. ولكن هذا التحالف لم يستمر طويلا إذ

---

(66) Morgenthau, Op. Cit.

(67) Unesco, Record of the General Conference Second Session, vol. II, Resolutions. Paris 1948, P. 63.

بدأت الحرب الباردة وبدأ الصراع الأيديولوجي يتخذ مواقف حادة... وفي الواقع إن الفلسفة التي بنت عليها منظمة اليونسكو نظرية "عقول الناس" تفترض فرضا مسبقا أن عقول الشعوب في جميع أنحاء العالم حرة في تقبل الأفكار، وأن هذه الأفكار حرة في الانتقال عبر الحدود الوطنية، ومن الواضح أن ذلك ليس واقع عالم اليوم.

٤ ـ اليونسكو والتفاهم الدولي :

يعتبر التفاهم الدولي هدفا أساسيا تسعى اليونسكو لتحقيقه باعتباره أحد مقومات بناء السلام العالمي... وتتخذ اليونسكو لتحقيق هذا الهدف وسائل متعددة كالتعليم الذي يدعو إلى التفاهم الدولي، وكذلك عن طريق التبادل الثقافي وتفهم القيم الثقافية للشعوب المختلفة لتسهيل حرية انتقال المعلومات من أجل الوصول إلى رأي عام عالمي يكون له تأثير متزايد في القرارات السياسية الوطنية.

لقد واجهت اليونسكو في المجال الثقافي الذي تريد أن تتحرك فيه، موضوعات واسعة تشمل الموسيقى والرسم والتاريخ والدراسات الكلاسيكية واللغات والعمارة والمسرح والباليه والمكتبات والمتاحف وحدائق الحيوان وتاريخ الفن ومختلف ثقافات العالم والكتابة الخلاقة والفلسفة وغيرها...

ففي مجال التبادل الثقافي أحرزت اليونسكو نصرا مرموقا يتمثل في الاتفاق الدولي الخاص باستيراد المواد الثقافية والعلمية والتعليمية. كما عمل مشروع كوبونات اليونسكو لمعاونة الأفراد والهيئات العلمية في الدول ذات العملات السهلة على استيراد المواد التعليمية والأجهزة من الدول ذات العملات الصعبة. ويشمل هدف اليونسكو في مجال التبادل الثقافي حرية انتقال المعلومات عن طريق وسائل الإعلام الجماهيري، ولكن ليس هناك وسيلة دولية للاتصال بالجماهير في جميع أنحاء الدول.. فالنشرات والمطبوعات والخطب التي تصدرها الهيئات الدولية تصل إلى الشعوب عن طريق الوسيط الوطني، ونشرها يعتمد على الرقباء على وسائل الإعلام الجماهيري في كل دولة.. ومن جهة أخرى : كيف تستطيع الهيئة الدولية أن تحمل رسالتها إلى الجماهير ولأي أغراض تدعو؟ إن ذلك يحتاج إلى نظرة فاحصة.. فوسائل الإعلام الجماهيري كالصحافة والإذاعة والسينما يمكن أن تكون وسائل قوية للتأثير في عقول الناس داخل الحدود الوطنية أو

داخل نطاق التجمع السياسي في كل دولة لها لغة واحدة. أما على الصعيد الدولي فان قيمتها تقل.. ذلك لأن هناك وسائل قليلة يمكن أن تكون صالحة لجميع الأقطار وفي داخل هذه الأقطار لجميع الناس على جميع مستويات التعليم والثقافة...

كما تقوم اليونسكو ببعض المشروعات التي تهدف إلى إظهار اعتماد الدول والثقافات بعضها على بعض، وذلك كمشروع "التاريخ العلمي والثقافي للإنسانية" الذي اصدرته هيئة اليونسكو ليكون تحت يد المتخصصين والمكتبات العامة، وكذلك مجلد واحد يكون تحت يد الجمهور العام والمعلمين في المدارس الابتدائية والثانوية.. ولقد أعد بالفعل المجلد الأول من هذا المشروع بعد عمل استمر أكثر من عشر سنوات، وهذا الجزء الذي تم إعداده يتناول "ما قبل التاريخ". ولا يستطيع أحد أن يحكم الآن على تأثير هذا العمل في صورته النهائية وطريقة معالجته للتاريخ العالمي المعاصر(٦٨).

أما مشروع "تبادل القيم الثقافية بين الشرق والغرب" فهو من بين المشروعات الرئيسية التي وافق عليها المؤتمر العام لليونسكو الذي عقد في نيودلهي عام ١٩٥٦ والجهود التي يقوم بها اليونسكو بالتعاون مع الدول الأعضاء والهيئات المعنية ترمي إلى التركيز على الدراسات الأساسية التي تشمل تعريفا للقيم الثقافية الخاصة بكل مجموعة من الشعوب كما تراها تلك الشعوب وكما تراها غيرها من الشعوب الأخرى. كما تشمل هذه الدراسات العوامل السلبية والإيجابية لعملية الاتصال والتفاهم المتبادل والتعاون بين الشعوب وخصوصا تلك التي استقلت حديثا... ومن الوجهة العلمية، فان التبادل الثقافي لا يمكن أن يكون معزولا عن الجو السياسي بما فيه على المسرح الدولي من أيديولوجيات متصارعة.. وهل تستطيع هذه المشروعات الثقافية لليونسكو أن تحقق اللقاء أو التقارب أو حتى التعايش بين هذه الأيديولوجيات؟ إن الاختلاف بينها ليس وهميا بل هو جوهري ـ على الأقل من الناحية النظرية ـ في علاقة الفرد بالمجتمع وفي تفسير الديموقراطية والحرية والقانون... الخ. وهذا الاختلاف يؤدي إلى اختلاف في كل الميادين الأخرى كالتعليم والفن والنظم الاقتصادية والعلوم وغيرها...

---

(68) George Shuster, UNESCO, Assessment and promise (New York) Harper and Rew publishers, 1963, P. 30.

وفي دراسة قيمة للعالم كوينزى رايت.. عن أن الحرب نتاج تنافس الثقافات ذاتها يقول : "تعتبر النظم القانونية Legal Systems الجانب الواعي فقط لثقافات الجماعة.. ذلك لأن اتجاهاتهم وأنماط سلوكهم غير الواعية Subconscious and Unsubconscions تكون الجانب الأهم في ثقافتهم[٦٩]. فالثقافة ككل تؤثر بعمق على تطبيق القانون بالنسبة لحالات معينة.. وتحاول بالتدريج تغيير القوانين نفسها لتتفق مع الثقافات السائدة.. ووراء الدولة هناك الأمة NATION والأخيرة جماعة يحس أعضاؤها بأنهم وحدة لأن لهم ثقافة مشتركة وعادات واستجابات وممارسات متشابهة.. فالحرب بناء على ذلك يمكن اعتبارها نتاج تنافس الثقافات".

ومع ذلك لو افترضنا أن الكتب ومواد الدراسة قد تعدلت لتلائم التعليم من أجل التفاهم الدولي كما يريده اليونسكو، وإذا افترضنا أن التبادل الثقافي وتبادل القيم الثقافية وتبادل المعلومات قد تم عبر الحدود الوطنية من أجل الوصول إلى رأي عام عالمي وإلى التفاهم الدولي فليس ذلك ضمانا لأن الدول ستتخذ قرارات - على الأقل في ظل الأوضاع السياسية المعاصرة - لا تستهدف السلام العالمي ومصالح البشر كافة، ذلك لأن اتخاذ القرارات السياسية لا يبني عادة على اساس الصالح العام للإنسانية، وإنما على أساس حساب القوة وحساب المصلحة القومية وتأثرها - صعودا وهبوطا - بهذه القرارات.

رابعا : اليونسكو وبناء مقومات السلام العالمي :

١ - اليونسكو والدول المتقدمة :

لقد كان من المهام الأولى التي اضطلع بها اليونسكو هو المعونة في إعادة البناء التعليمي لأوروبا التي أصابها الكثير من التخريب والتدمير أثناء الحرب العالمية الثانية.. وتولت اليونسكو حملة عالمية هدفها تزويد المؤسسات العلمية والتعليمية والثقافية في البلاد التي خربت، بالمواد التعليمية والكتب والأجهزة وغيرها... أما في مجال العلوم فلقد

(69) Quincy Wright. A Study of War. Op. Cit., P. 123.

عاونت اليونسكو على إنشاء المنظمة الأوروبية للبحوث الذرية وهي تضم ثلاث عشرة دولة ومقرها في جنيف، ويوجد لدى هذه المنظمة أكبر مفاعل ذري في العالم(٧٠).ويتضح من هذا العرض السريع أن نشاط اليونسكو محدود في أوروبا، أما في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي فنشاط اليونسكو يكاد يكون معدوما، وقد قال أحد أعضاء الوفد الأمريكي لليونسكو " لقد عبرت الولايات المتحدة عن تأييدها لليونسكو وأعلنت أهميته في نظام هيئة الأمم المتحدة، ولكن جانبا غير حميد في موقفها تجاه اليونسكو يقوم على فرض أن وظيفة أمريكا هي أن تعطي لا أن تأخذ أو تتقبل "(٧١).كما ينبغي أن نذكر في هذا الصدد أن معاونة اليونسكو على إنشاء المنظمة الأوروبية للبحوث الذرية كان يقصد به تقدم وتنسيق البحوث في هذا المجال الحيوي... دون تكرار للبحوث أو تشتيت لجهود العلماء في كل بلد على حدة.. وكان يهدف كذلك إلى تثبيت عرى التضامن الدولي في مجال العلوم، فضلا عن تدعيم فكرة اعتماد الدول بعضها على بعض كأحد الأسباب الرئيسية في بناء مقومات استقرار السلام، ولكننا يجب أن نذكر أن نشاط اليونسكو ونشاط المنظمة فى المجال الذرى، لم يحل دون أن تسير فرنسا بمفردها فى برنامجها الذرى، وأن يكون لها قوة ذرية مستقلة، وذلك لأن فرنسا رأت أن مصلحتها الوطنية تحتم عليها ذلك.

٢- اليونسكو والدول النامية :

إن كل نشاط يقوم به اليونسكو من شأنه أن يعين على التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى الدول النامية، فهو نشاط من أجل بناء مقومات السلام ذلك لأن السلام لا يمكن أن يستقر فى عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتا مخيفا والسلام لا يمكن أن يستقر على حافة الهوة السحيقة التي تفصل بين الأمم المتقدمة والأمم التي فرض عليها

(70)UNESCO, Information Manual 1-1, P. 16.

(71) Laves, Op. Cit., P. 332.

التخلف.. إن الصدام المحقق بين التخلف والتقدم هو الخطر الثانى الذى يهدد السلام العالمى بعد الخطر الأول الذي يكمن في نشوب حرب ذرية مفاجئة(٧٢).

لقد عبر مندوبو الدول النامية الذين حضروا مؤتمر لندن عام ١٩٤٥ الخاص بإنشاء منظمة اليونسكو، عن أهمية العلم والتعليم في عملية التنمية وفي عملية التطوير الاجتماعي والاقتصادي ورفع مستوى المعيشة في بلادهم(٧٣).

من أجل ذلك تحركت اليونسكو لتحارب مشكلة الأمية وتطوير التعليم في كثير من الدول النامية والمتخلفة، وكان إقدامها على معالجة هذه المشكلة يتفق مع أبعادها الخطيرة رغم ميزانية اليونسكو وإمكانياته المادية المحدودة.

وقد كانت التربية الأساسية من بين المشروعات الهامة لليونسكو التي بدأت بمؤتمر صغير من الخبراء عام ١٩٦٤. وأنشأ اليونسكو لهذا الغرض مركزين لتنمية المجتمع أحدهما في باتزكوار بالمكسيك خاص بأمريكا اللاتينية ومركز آخر في سرس الليان بجمهورية مصر العربية للدول العربية.

كما بدأ اليونسكو عام ١٩٥٧ بمشروع إقليمي كبير في أمريكا اللاتينية ويرمي هذا المشروع إلى جعل التعليم الابتدائي متاحا للجميع في مدى عشر سنوات.. وقد كان النجاح الذي أحرزه هذا المشروع حافزا إلى البدء في مشروع إقليمي آخر ليشمل ثماني عشرة دولة آسيوية. ويهدف المشروع إلى تيسير التعليم الإجباري لأكثر من مائتي مليون طفل في سن التعليم الابتدائي حتى عام ١٩٨٠، وسيكون من اللازم لإتمام هذا المشروع إعداد أكثر من ثمانية ملايين من المدرسين.. وكذلك ركزت اليونسكو في الشرق الأوسط على مشروعات التعليم المتعلقة بالاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية، وهذه المشروعات تتصل بالتعليم الثانوي(٧٤)، وامتد نشاط اليونسكو إلى القارة الأفريقية حيث وافق المؤتمر العام لليونسكو عام ١٩٦٢ على أن يرصد مبلغ ٢,٥ مليون دولار لأغراض التعليم في القارة،

---

(٧٢) جمهورية مصر العربية، الميثاق الوطني. الباب العاشر. السياسة الخارجية.

(73) Laves, Op. cit., P. 6-8.

(74) UNESCO. Information Manual 1- 1, P. 21.

هذا بالإضافة إلى أربعة ملايين دولار من المعونة الفنية للأمم المتحدة.. ولكن حجم المشكلة التي تصدت لها اليونسكو ليس بالهين ولا باليسير... فان أكثر من سبعمائة مليون من البالغين في العالم لا يعرفون القراءة والكتابة، وأكثر من نصف أطفال العالم لا يجدون مكانا في المدارس. من أجل ذلك يقع العبء الأكبر في هذه المشكلة على الجهود الوطنية إلى جانب الجهود والمعونات التي تقدمها اليونسكو في هذا المجال...

أما في مجالات العلوم الطبيعية والتكنولوجية فقد جاء اهتمام اليونسكو بها متأخرا عن مشروعاته في التعليم والتربية الأساسية. وتهدف مشروعات اليونسكو في هذا السبيل إلى التعرف على المصادر الطبيعية وإمكانية الإفادة منها، وتطوير اقتصاديات الدول النامية ورفع مستواها المعيشي. ومن أمثلة ذلك مشروعات المناطق الحارة والرطبة، وبحوث استخراج الثروة الحيوانية من البحار ومشروع المناطق الجرداء... وهذه المناطق الأخيرة تغطى أكثر من ثلث مساحة الأرض اليابسة.. كما أنشأت اليونسكو قسما خاصا لمعاونة الدول النامية في جهودها لتحسين وتطوير التعليم والبحوث في معاهدها العلمية والتكنولوجية العالية، وذلك من أجل توفير الكفايات العلمية والفنية اللازمة في عمليات التطوير الاقتصادي في هذه الدول. وحتى عام ١٩٦٤ وصل عدد المشروعات التي قامت بها اليونسكو في هذا المجال ٤٧ مشروعا في ٣٥ دولة... كما اهتمت اليونسكو بموضوعات تدريس العلوم في المراحل التعليمية المختلفة، فأشرفت على عقد المؤتمرات لهذا الغرض وإصدار التوصيات إلى الدول الأعضاء... كما عاونت اليونسكو ـــ عن طريق المطبوعات والخبراء والتجهيزات المعملية والمنح الدراسية ـــ على إنشاء مراكز التوثيق والإعلام العلمي في كل من بورما وباكستان والهند والفلبين وجمهورية مصر العربية والمكسيك.

ومن الواجب أن ننوه في هذا المقام بالجهود الكبيرة التي بذلها اليونسكو منذ إنشائه في إنجاح وتمويل كثير من المؤتمرات العلمية الدولية.. كما شارك اليونسكو في الإعداد للسنة الجيوفيزيقية الدولية التي تعتبر من أكبر المشروعات العلمية التعاونية التي تم تنفيذها على نطاق دولي، هذا بالإضافة إلى المعونة المادية لمعظم الاتحادات العالمية والجمعيات الدولية في مجالات العلوم والتربية والثقافة.

ولكن الدارسة الموضوعية والتحليل التاريخي للتقدم العلمي والتكنولوجي في العالم يشير بوضوح إلى أن هذا المتقدم يتم بسرعة مضاعفة (٣×٣=٩) Exponential Factor في الدول المتقدمة، وهو يتم بمعدل حسابي بسيط (٣+٣=٦) في الدول النامية، وهذه ظاهرة خطيرة لأن العلم والتكنولوجيا في هذه الحالة ستكون القوة التي تعمل على توسيع - لا تضييق - الهوة التي تفصل بين الدول المتقدمة والنامية....

من أجل ذلك كان لابد من اتخاذ إجراءات جذرية جديدة وإلى مزيد من التعاون الدولي العلمي الذي تسهم فيه الدول المتقدمة بنصيب كبير ، وإلى جانب المعونة التي تقدمها اليونسكو وغيرها من وكالات الأمم المتحدة المتخصصة.

خامسا : اليونسكو وميثاق الأمم المتحدة وقراراتها:

إن الأساس التشريعي لعمل اليونسكو داخل هيئة الأمم قد تضمنه ميثاقها، إذ تنص المادة الأولى فيه على أن أغراض الأمم المتحدة تشمل الوصول إلى التعاون الدولي· على **حل المشاكل الدولية ذات الصبغة** الإنسانية أو الثقافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، **وكذلك من مواد ميثاق هيئة الأمم** التي لها علاقة بالتربية والعلم والثقافة المادة (٧٣) وهي تنص على أن الدول أعضاء الأمم المتحدة المسئولة عن إدارة المناطق التي لم تستكمل شعوبها الحكم الذاتي بعد، عليها مسئولية رفاهية سكان هذه المناطق ضمن نظام السلام الدولي والأمن الذي أسسه هذا الميثاق، ومن أجل هذا الهدف فإن على هذه الدول :

أ - ضمان التقدم النعليمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي لهذه الشعوب مع احترام ثقافات هذه الشعوب..

ب - اتخاذ الإجراءات البناءة للتطور في هذه المناطق وتشجيع البحوث والتعاون بين الدول بعضها وبعض، أو مع الهيئات الدولية المتخصصة من أجل التحقيق العملي للأهداف العلمية والاقتصادية والاجتماعية التي تتضمنها هذه المادة، هذا وتتفاعل اليونسكو وغيرها من الهيئات المتخصصة الأخرى مع قرارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بحفظ السلام والأمن الدوليين.. فقد أعلنت

اليونسكو وغيرها من الوكالات المتخصصة، تعاونها مع الجمعية العمومية على حفظ السلام والأمن الدوليين، وذلك طبقا لقرارها الذي اتخذته في ٣ نوفمبر ١٩٥٠ الخاص "بالاتحاد من أجل السلام" وهو القرار الذي يخول للجمعية العمومية إصدار التوصيات للدول الأعضاء باتخاذ الإجراءات الجماعية التي تواجه مواقف العدوان أو تهديد السلام أو خرقه، وذلك في حالة فشل مجلس الأمن من اتخاذ قرارات في هذا الشأن.

اليونسكو ومساعدات الطوارئ في كوريا وفي فلسطين :

يمكن اختبار نشاط اليونسكو لتأييد قرارات الأمم المتحدة فيما يسمى بمساعدات الطوارئ في كل من كوريا وفلسطين، فعندما اجتاحت قوات كوريا الشمالية أراضي كوريا الجنوبية في ٢٥ يونيه ١٩٥٠ اعتبر مجلس الأمن هذا العدوان المسلح تهديدا للسلام واتخذ قراراً بدعوة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى الإسهام في رد العدوان المسلح (اتخذ القرار أثناء تغيب مندوب الاتحاد السوفيتي فلم يستخدم حق الفيتو)... ثم نشط مندوب الولايات المتحدة في المجلس التنفيذي لليونسكو وطالب بعقد المجلس - يؤيده في ذلك تسعة أعضاء. واجتمع المجلس التنفيذي لليونسكو في ٢٦ أغسطس حيث وضع توريه بوديه المدير العام مشروعا يوضح فيه دور اليونسكو في الأزمة الكورية وتضمن المشروع إلى جانب تقديم المساعدات للاجئين في كوريا وإعادة تعمير المدارس والنشاط التعليمي - بنودا أخرى تتصل بتشجيع التعريف بالأمم المتحدة وجهودها لحفظ السلام عن طريق الضمان الجماعي والقانون الدولي، وكذلك القيام بنشاط إعلامي عن دور الأمم المتحدة في الأزمة الكورية. وقد نشط مستر إيفانز في اليونسكو وطالب بأن تعمل المنظمة طبقا لالتزاماتها قبل الأمم المتحدة، وذلك بان تشرح لشعوب العالم عن طريق المعلمين والباحثين والكتاب والصحفيين دور الأمم المتحدة في كوريا باعتباره ردا للعدوان الغاشم وحماية للسلام.. ولكن ما نشره اليونسكو في هذا العمل الإعلامي تحاشى أي إشارة إلى العدوان، وقد علق كثير من أعضاء الأمم المتحدة على ذلك بان اليونسكو كانت الوكالة

المتخصصة الوحيدة التي تحيزت في هذا النزاع، وفسرت الصحافة في كثير من أنحاء العالم عمل اليونسكو في هذا الصدد بأنه قد أخرجه عن وضعه الحيادي واعتبرها البعض مهمة سياسية لا تدخل في نطاق عمل اليونسكو(٧٥).

ولعل تحرك اليونسكو في المشكلة الكورية كان أمرا فريدا.. ذلك لأن اليونسكو قد أسهمت مع وكالات الأمم المتحدة الأخرى في تقديم المعونة الضرورية للاجئين العرب الذين تمخضت عنهم حرب فلسطين، فبنت لهم المدارس واشترت لهم أدوات التدريس، كما نظمت فصولا لمحو الأمية وللتعليم المهني ، وكذلك نظمت دراسات لتدريب المعلمين.. ولكن اليونسكو لم يتحمس - كما فعل مع كوريا - للدعوة إلى قرارات الأمم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين إلى ديارهم في فلسطين وتعويضهم عن ممتلكاتهم، كما لم يتحمس اليونسكو للدعوة إلى القرار الإجماعي الذي اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص باعتداء بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على أرض مصر عام ١٩٥٦، أي أن نشاط اليونسكو بالنسبة إلى الدعوة لقرارات الأمم المتحدة السياسية كان نشاطاً فريداً في الأزمة الكورية. لقد حاولت إسرائيل بعد حرب الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ تغيير المناهج التعليمية بالضفة الغربية وغزة، كما قامت بنقل الآثار من الضفة الغربية للأردن وغزة إلى إسرائيل، وتمكنت وفود الدول العربية في اليونسكو من استصدار قرار بإدانة إسرائيل بالعبث بالمقدسات الدينية لغير اليهود، وأقرت الجمعية العامة للمنظمة هذا القرار بالإجماع.. ولكن قرار الإدانة لم يغير من واقع الاحتلال شيئاً.. ذلك لأن الإرادة والقوة العربية هي وحدها القادرة على فرض هذا التغيير ووقف هذا العبث..

سادسا : بعض النتائج :

يمكن من خلال هذا العرض السريع لأوجه نشاط اليونسكو والتحليل السياسي لفلسفته وأهدافه أن ننتهي إلى بعض النتائج التالية :

---

(75) Laves, Op. Cit.. P. 281.

١ ـ أن أهم دور قامت به منظمة اليونسكو هو في مجال تقدم المعرفة وخصوصا في الدول النامية، وأن دورها في رفع مستوى المعيشة للشعوب يعتبر مكملا لدور الوكالات المتخصصة الأخرى للأمم المتحدة،أما دورها في التفاهم الدولي من أجل صيانة السلام العالمي فهو دور ثانوي في ظروف العالم السياسية المعاصرة.

٢ ـ أن الآمال التي علقها اليونسكو على صيانة السلام العالمي عن طريق التربية والعلوم والثقافة تنتهي عند الحدود الوطنية للدول.. وقليل من الدول الأعضاء قد اتخذ الإجراءات الفعالة الكافية لتحقيق الأهداف التي اشتركت الدول في التوقيع عليها ضمن دستور اليونسكو، واليونسكو كمنظمة دولية لا تملك إلا إصدار التوصيات المختلفة التي قد تقبلها أو ترفضها الدول ، وفي الواقع أن هذا الضعف يمتد ليشمل الأمم المتحدة كلها...

٣ ـ إن المشاكل التي تهدد السلام العالمي هي مشاكل سياسية وليست مشاكل ثقافية أو فنية، وبالتالي فان حل هذه المشاكل يستلزم إجراءات سياسية.

٤ ـ إذا افترضنا أن كل نشاط ثقافي أو تعليمي أو علمي تقوم به اليونسكو من شأنه أن يؤثر في عقول قادة الدول المتقدمة وهم الذين يتخذون قرارات خوض الحروب الشاملة أو الحروب الصغيرة المحدودة(*).. وأن هذا النشاط هو في صالح السلام العالمي حسب دستور اليونسكو وفلسفته، فإننا نلاحظ أن نشاط اليونسكو يكاد يكون معدوما في البلاد المتقدمة، من أجل ذلك يجب على اليونسكو كمنظمة دولية ألا تقتصر نشاطها على الدول النامية، بل يجب أن يمتد إلى الدول المتقدمة التي خاضت وتخوض الحروب من أجل السيطرة والاستعمار.

٥ ـ إن كل نشاط تعليمي أو ثقافي أو علمي تقوم به اليونسكو من شأنه أن يزيد من قدرات الدول النامية على مقاومة الاستعمار الاقتصادي والسياسي والعسكري ـ هو نشاط يمكن

(*) ربما تكون " الحروب المحدودة " "والنزاع المحكوم" Controlled conflict هي إحدى استراتيجيات الدول الكبرى بالنسبة للحرب في زمننا المعاصر.. نظراً لقناعتها بأن الحرب الشاملة Total war ستستخدم فيها الأسلحة النووية الرهيبة الحديثة وستؤدي إلى القضاء على الدول الكبرى أولاً..

أن يكون من أجل الحفاظ على السلام العالمي.. ذلك لأن بناء مقومات الاستقلال وبناء القوة والوعي لدى الشعوب النامية، هو وحده الذي يردع الاستعمار عن شهوة السيطرة واستغلال الشعوب واستنزاف ثرواتها..

ـ لقد كانت هناك اتفاقات ثقافية ثنائية واتفاقات متعددة الأطراف قبل أن تظهر منظمة اليونسكو إلى الوجود.. وهذه الاتفاقات الثقافية أرست أساساً للتعاون والتجمع، ولكن فلسفة إنشاء اليونسكو كانت ولا تزال تمثل أكثر من مجرد التوسع الجغرافي الثقافي، بل إنها كانت تتضمن الاعتراف العام باعتماد الدول لبعضها على بعض في مجالات العلم والثقافة.. وكما تتضمن تقريراً لما ينبغي أن تسهم به الحضارات المختلفة من أجل بناء عالم يسوده التفاهم والسلام.

وأخيراً ينبغي لنا أن نقول بأن التجربة العلمية لليونسكو قد أثبتت ــ طيلة ما يقرب من نصف قرن ــ صدق نظرية اعتماد الدول بعضها على بعض من أجل الرخاء المشترك وحل المشاكل المشتركة وإن كان ذلك قد تم في نطاق محدود.. وإذا أمكن الاتفاق على أهداف مشتركة وخصوصاً في مجالات العلوم والتكنولوجيا التي تهم كلاً من الدول النامية والمتقدمة، واتخذت الطرق العلمية للوصول إلى هذه الأهداف، فإن اليونسكو سيحقق نجاحات لم يسبق لها نظير[*] في مجال تقريب الهوة التي تفصل بين الدول المتقدمة والدول النامية.. على أن يتم ذلك بالتنسيق مع جميع نشاطات المنظمات الدولية المتخصصة التابعة لهيئة الأمم المتحدة..

(*) لعل قيام اليونسكو بمشروع الشبكة العالمية للإعلام UNISIST وهو أضخم مشروع من نوعه يتم عبر التاريخ الإنساني.. هو واحد من تلك المشروعات التي تضم كلا من الدول المتقدمة والنامية على السواء.

الفصل الحادي عشر

أنشطة اليونسكو في مجال الاتصال الدولي[٧٦]

لقد كان تأييد الجمعية العامة للأمم المتحدة لبرنامج اليونسكو الخاص بتقديم المساعدات لتطوير وسائل الإعلام في الدول الأقل نمواً دليلا على أهمية الدور الذي يمكن أن تقوم به اليونسكو في مجال الاتصال الدولي.

وينبغي أن نشير أن دور اليونسكو في الاتصال الدولي لا يقتصر على الدول النامية وحدها، ذلك لأن اليونسكو قد ركزت جهودها خلال سنواتها الأولى ـ حول بناء وسائل الاتصال وتطوير أساليب المهنة في الدول التي مزقتها الحرب، فضلا عن سعي اليونسكو الدائب لإزالة العقبات التي تحول دون حرية انتقال الأفكار. أما في الستينات فقد تركزت جهود اليونسكو في الدول النامية وحول قضايا التعليم.

أما في أوائل السبعينات فقد توجهت جهود اليونسكو نحو استخدام الأقمار الصناعية في مجالات الاتصالات الدولية وحول إنتاج الكتب وحول تبادل الأشخاص بين الدول بغرض تحقيق أقصى فائدة ممكنة للدول المعنية، وبتعبير آخر فقد اتجهت اليونسكو في مجال الاتصال الدولي إلى تقريب الفجوة في مجالات التعليم والعلوم والثقافة بين الأمم المختلفة عن طريق استخدام وسائل الاتصال الجماهيري.

وقد عبر "رينيه ماهيو" المدير العام الأسبق لليونسكو عن هذا الاتجاه عندما كان مستشاراً صحفيا للهيئة في عام ١٩٤٨ حيث قال :

"ليس من هدف قسم الاتصال الجماهيري أو من واجبه تطوير وتنمية الصحافة والسينما والإذاعة لذاتها، وإنما تعمل اليونسكو على استخدام هذه

---

(٧٦) تعتمد هذه الدراسة إلى حد كبير على المقالة المنشورة لروبرت نايت في كتاب الاتصال الدولي.

Robert Knight, "UNESCO, International Communication Activities," In **International Communication**. by Fischer (ed.), pp. 219-226.

الوسائل كقنوات لنشر التعليم والعلم والثقافة على أوسع نطاق ممكن بين شعوب العالم، وذلك من أجل إرساء قواعد التفاهم والمعرفة المشتركة بين الدول.

لقد تعرضت هيئة اليونسكو منذ عام ١٩٤٦ لظروف متغيرة مع إمكانيات مالية محدودة مما أدى إلى اتخاذ مواقف متغيرة تتأرجح بين المثالية والواقعية وما بينهما إلا أن مسار العمل في قسم الإعلام الجماهيري قد استمر متسما بالواقعية.. وسنركز في مناقشتنا هذه على نشاطات هذا القسم المسئول عن معظم مهام الاتصال فيما عدا حق التأليف والأمور المتعلقة به..

ولقد تجنب اليونسكو المنازعات الأيديولوجية على قدر الإمكان، وركزت نشاطاتها في الأمور العملية المادية، فهي على سبيل المثال قد اهتمت بالأمور المتعلقة باتفاقيات تدفق المواد وانتقالها بين الدول - وهذا أمر مادي محسوس - ولم تهتم بنفس القدر بمشكلة حرية الإعلام التي اهتمت بدراساتها الأمم المتحدة.

مسوحات الاتصال :

قامت هيئة اليونسكو في أواخر الأربعينات بمسوحات للتعرف على الاحتياجات الفنية والتشريعية والتعليمية لوسائل الاتصال الجماهيري، وقامت اليونسكو بهذا المسح في الدول المختلفة الواحدة تلو الأخرى.. وهذا ما عرف بمشروع السنوات الخمس، وخلال تلك السنوات طاف (٢٩) من الباحثين الميدانيين التابعين لليونسكو (١٢٦) قطراً كما قام موظفوا اليونسكو بالاتصال الشخصي بالمسئولين في (٣١) قطراً لتجميع المعلومات المطلوبة.

وقد استخدمت في الدراسة استبيانات تضمنت (١٥٠٠) سؤال للحصول على بيانات تتعلق بالصحافة بحيث تكون المعلومات المجمعة أكثر شمولا من أي معلومات موجودة من قبل ؛ كما أضيف مجلد منفرد لتجميع البيانات عن التليفزيون بعد ذلك.

ولعل هذا المشروع الكبير قد حدد فيما يبدو نمط عمل اليونسكو في ميدان الاتصال الجماهيري – ذلك لان نتائج المشروع قد أوضحت أوجه القصور والنقص (وبوجه خاص في المطبوعات الإخبارية وهو مجال اهتمام اليونسكو

لأعوام عديدة) كما أظهرت الحاجة إلى التعليم في مجال الصحافة (وهو أمر اهتمت به اليونسكو بصورة متزايدة منذ منتصف الخمسينات).

كما بينت نتائج المشروع الإمكانات التعليمية للوسائل السمعية والبصرية ودعا المشروع إلى جهود تعاونية دولية، وأوصى المشروع الحكومات بأن تعمل على حل المشاكل الإعلامية والاتصالية الخاصة بها.

وأشار المشروع إلى ضرورة مساعدة اليونسكو لدول معينة من أجل تطوير نظم الاتصال فيها، كما ساعدت الوثائق الأصلية للمسوحات في إعداد دراسات أخرى عديدة في هذا المجال.

وقد تابعت هيئة اليونسكو هذه المسوحات الميدانية عن طريق نشر طبعات جديدة تحت عنوان الاتصالات الدولية world Communications وصدر منها طبعة سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦١...

كما ظهرت بيانات الاتصال الجماهيري التي أعدتها اليونسكو في مطبوع المنظمة أرقام وحقائق أساسية Basic Facts and Figures في الفترة من سنة ١٩٥٢ وحتى نهاية السلسلة في سنة ١٩٦١.

وظهرت هذه البيانات كذلك في "الكتاب السنوي الإحصائي للأمم المتحدة U.N. Statistical Yearbook" وتعتبر آخر طبعة من الكتاب السنوي مصدرا جيدا لأحدث البيانات في مجال الاتصال الجماهيري، وقد ظهرت هذه البيانات كذلك في مطبوع اليونسكو عن إحصائيات الصحف وغيرها من الدوريات Statistics of Newspapers and other Periodicals الصادر في سنة ١٩٥٩ وفي إحصائيات الراديو والتليفزيون Statistics of Radio and Television الذي أعد في الفترة بين ١٩٥٠-١٩٦٠ الصادر في سنة ١٩٦٣.

ولقد نشرت اليونسكو خلال الفترة من سنة ١٩٤٩ وحتى سنة ١٩٦١ حوالي عشرين مطبوعا (عنوانا) في سلسلة بعنوان (الصحافة والسينما والإذاعة في عالم اليوم) "Press, Film and Radio in the World Today" ويبدو أن إصدار هذه السلسلة قد اعتمد أيضا على البيانات المستقاة من المسوحات الميدانية التي أشرنا إليها مسبقا.

وقد ظهرت أكثر من نصف المطبوعات (العناوين) في السنوات الثلاث الأولى من السلسلة، وقد ركزت هذه العناوين على تعليم الصحافة (ولعل ما كتبه روبرت ديزموند Robert Desmond عن التدريب المهني للصحفيين سنة ١٩٤٩، يعتبر أهمها) ودور الإذاعة والسينما في العملية التعليمية.

الجوانب القانونية وما يتعلق بها : Legal and Related Aspects

أصدرت اليونسكو عام ١٩٥١ الكتاب التالي ضمن سلسلة مطبوعاتها عن الاتصال الجماهيري : "التشريع للصحف والسينما والإذاعة Legislation for Press, Film and Radio by Fernand Terrou and Lucian Solal لمؤلفيه فيرناند تيرو ولوسيان سولال وهو يعتبر واحدا من الكتب القليلة التي تعالج الجانب السياسي لوسائل الإعلام، وقد فسرت اليونسكو سبب إصدارها لهذا الكتاب على النحو التالي :

" يرجع اختيار موضوع الكتاب لسببين أساسيين : أولهما الارتباط الوثيق بين حرية الإعلام والتشريع - وثانيهما إمكانية استخدام هذا الكتاب كمرشد للدول التي تعتزم مراجعة قوانينها في هذا المجال.

ويرجع إلى اليونسكو الفضل في الوصول إلى اتفاقيتين تهدفان إلى الانتقال الدولي للمواد التعليمية والعلمية والثقافية وتنص هاتان الاتفاقيتان على إعفاء بعض المواد من الرسوم الجمركية - وهذه المواد هي :

الكتب والصحف والدوريات والمواد السمعية والبصرية والأعمال الفنية وما يجمعه الهواة من قطع فنية والأجهزة العلمية. والاتفاقية الأولى هي اتفاقية فلورنس (التي اقترحت سنة ١٩٥٠ وتم التصديق عليها سنة ١٩٥٢). والثانية اتفاقية بيروت (التي اقترحت سنة ١٩٤٨ وتم التصديق عليها سنة ١٩٥٤) وبذلت هيئة اليونسكو جهوداً مكثفة عام ١٩٦٧ حتى تفسر الدول الأعضاء الاتفاقيتين تفسيراً أكثر تحرراً وخصوصاً فيما يتعلق بالأفلام (التي نصت الاتفاقيات الأصلية على أن تكون ذات صفة تعليمية وعلمية وثقافية حتى تنطبق عليها نصوص الاتفاقيتين.. وهذا الشرط لم يفرض على المواد المطبوعة)، وذلك لحماية المؤلفين والممثلين - مع المحافظة على مبدأ الانتقال الحر للمواد.

هذا وقد تبنت هيئة اليونسكو الميثاق العالمى لحماية حقوق المؤلفين لسنة ١٩٥٢ الذي تم التصديق عليه سنة ١٩٥٥ والميثاق العالمي لحماية حقوق الممثلين ومنتجي الصور الصوتية Phonograms والمنظمات الإذاعية الذي أعد في سنة ١٩٦١ وتم التصديق عليه عام ١٩٦٤.

ثم قامت هيئة اليونسكو بعد ذلك بدراسة إمكانية توسيع نطاق حماية حق المؤلف وحق النشر إلى نوعيات جديدة من المواد التي ظهرت على المسرح(٧٧)

كما نشرت اليونسكو ثلاث كتب على الأقل خلال الخمسينات، تعالج موضوع التدفق الحر للمعلومات، فعالج كتابان منهما عمليات الأخبار الصحفية الأول كتاب إرسال الأخبار العالمية Transmitting World News, 1953 لمؤلفه فرانسيس وليامز، والكتاب الثاني تحت عنوان مشاكل إرسال الرسالات الصحفية Problems of Transmitting Press Messages وقد أصدرته اليونسكو بالتعاون مع اتحاد الاتصالات الدولي.. أما الكتاب الثالث فهو بعنوان الإذاعة بغير حواجز Broadcasting without Barriers, 1959 لمؤلفه جورج كودنج.

سلاسل التقارير وأوراق البحوث :

بدأت هيئة اليونسكو عام ١٩٥٢ بإصدار عدة سلاسل من الدراسات العلمية تحت عنوان " تقارير وأوراق بحوث الاتصال الجماهيري".. وبنهاية الستينات كان قد صدر فعلا حوالي ٦٠ عنوانا، أي حوالي ٣٠ عنوانا في كل عشر سنوات، ويمكن التعرف على اهتمامات المنظمة نفسها خلال هذه الفترة عن طريق تحليل وتصنيف الموضوعات التي أصدرت فيها مطبوعاتها.

وتتجه أغلب الدراسات العلمية لأن تكون تقارير علمية تحدد بوضوح النماذج الناجحة لوسائل الاتصال، والمستخدمة لأغراض معينة وخاصة في

(77) Marie-Claude Dock, "Unesco and Copyright," **Unesco Chronicle**. V. 15, No. 3, March. 1969, 89-97.

التعليـم والتنميـة الريفيـة أو تفصيـل احتياجـات أجهـزة الإعـلام فـي منطقـة معينـة، وعلـى الأخص المنـاطق الناميـة.

الموضوع	عدد الدراسات العلمية	عدد الدراسات التي تتناول هذا الموضوع بالإضافة إلى موضوع آخر رئيسي
١ ـ الأفلام والأفلام التوضيحية	١٦	٨
٢ ـ وسائل الاتصال الجماهيري في الريف أو المناطق المتخلفة	١٤	١
٣ ـ دور وسائل الإعلام في التعليم	٩	١٠
٤ ـ التعليم والبحث في مجال الصحافة	٧	٢
٥ ـ مسوحات الاتصال	٥	٧
٦ ـ الراديو والتليفزيون	٤	١٠
٧ ـ الاتصالات الفضائية	٢	ـ
	٥٧	٩٥ (٣٨ ٥٧)

التعليم الصحفي:

لقد ساعدت اليونسكو منذ منتصف الخمسينات على إنشاء أربعة مراكز هي:

أولا : المركز الدولي للتعليم العالي للصحافة CIESJ وهو الذي افتتح عام ١٩٥٧ بمدينة ستراسبورج بعد عام ونصف من الاجتماع الذي أعده اليونسكو لخبراء الإعلام وأوصى فيه أن تأخذ المنظمة باهتمام توصية تعليم الصحافة.

ثانيا : تم في اجتماع مماثل في "أكوادور" عام ١٩٥٨ إعداد مرحلي لإنشاء المركز الدولي للدراسات الصحفية العليا لدول أمريكا اللاتينية CIESPAL والذي افتتح في مدينة "كويتو" عام ١٩٥٩.

هذا وقد ركز مركز ستراسبورج في السنوات الأولى لإنشائه على الدورات التدريبية لمدة أربع أسابيع حيث يتم تزويد الدارسين بالجديد في مجالات الإعلام، ثم تغيرت سياسة المركز عام ١٩٦٣ وحولت هذه الدورات التدريبية إلى اجتماعات ومناقشات في شكل الموائد المستديرة، عن وسائل الاتصال الجماهيرية في عالم اليوم، كما يمنح المركز خريجيه دبلومات ودرجات علمية على المستوى الجامعي.

أما في مركز "كويتو" فقد حضر حوالي (٥٠٠) أستاذ وصحفي ومشتغل بالإعلام الدورات التدريبية السنوية التي أعدها المركز خلال السنوات العشر الأولى من إنشائه، واستغرقت كل دورة فترة شهرين عادة، كما قاد المركز في نفس الوقت حملة لإصلاح التعليم الصحفي في أمريكا اللاتينية بعد أن اتضح من الدراسات الواسعة التي قام بها مركز "كويتو" CIESPAL عدم فاعلية الدورات والمقررات الدراسية الموجودة. وفي عام ١٩٦٣ أعد المركز خطة إصلاحية، في عام ١٩٦٥ أصدر وثيقة بعنوان "التعليم في مجال الصحافة ووسائل الإعلام".

واعتمدت هذه الوثيقة على التوصيات التي إصدرتها أربعة اجتماعات إقليمية حضرها أربعمائة (٤٠٠) من أساتذة الصحافة.

وفي عام ١٩٦٥ أيضا وبالتعاون مع اليونسكو تم إنشاء معاهد إقليمية للتدريب في آسيا وأفريقيا فأنشئ مركز الدراسات العلمية والفنية لوسائل الاتصال الجماهيري

"CESTI" بجامعة داكار بالسنغال ليساعد في تدريب الصحفيين الأفارقة الناطقين بالفرنسية، وذلك عن طريق القيام بدورات دراسية سنوية لمدة عشرة أسابيع أو عن طريق القيام ببرامج دراسية لنيل الدبلومات أو درجات جامعية، هذا وقد تركزت البحوث في هذا المركز على تطوير السياسة الإعلامية التي تتلائم مع الدول النامية.

أما المركز الآسيوي فهو معهد وسائل الاتصال الجماهيري بجامعة الفيليبين بمانيلا وهذا المركز يقوم أيضا بالدورات التدريبية ويمنح الدرجات والدبلومات.

كما ساعدت اليونسكو علاوة على ذلك في إنشاء مدارس إقليمية ووطنية، وعلى سبيل المثال فقد قدمت معونتها لمعهد وسائل الإعلام الجماهيري (معهد الإعلام) في الجامعة اللبنانية ببيروت، كما قدم اليونسكو معاونته أيضاً لمدرسة الاتصال الجماهيري في جامعة أنقرة بتركيا والمعهد الهندي للاتصال الجماهيري بنيودلهي.

المنظمات الدولية والإقليمية :

لقد اهتمت هيئة اليونسكو منذ نشأتها بالتعاون مع جماعات الاتصال الجماهيري الدولية أو الإقليمية، وفي واقع الأمر فقد اتخذت اليونسكو في أواخر الأربعينات الإجراءات اللازمة لإنشاء معهد دولي مستقل للصحافة والإعلام، ولكنها أوقفت هذه الجهود والإجراءات عندما أنشئ معهد الصحافة الدولي عام ١٩٥١.

كما أن لليونسكو دورا مباشراً في إنشاء الجمعية الدولية لبحوث الاتصال الجماهيري عام ١٩٥٧ وكذلك إنشاء المجلس الدولي للأفلام والتليفزيون عام ١٩٥٩.

كما ساعدت اليونسكو في إنشاء معهد الأفلام التعليمي في أمريكا اللاتينية عام ١٩٥٦ بمدينة مكسيكو، ونظمت الاجتماعات التي أدت إلى تكوين جماعات عديدة مثل جماعة جنوب وشرق آسيا لأساتذة الصحافة عام ١٩٦١، والاتحاد الأفريقي لوكالات الأنباء عام ١٩٦٣ وتعتبر هذه النشاطات مجرد أمثلة لجهود اليونسكو الإقليمية.

وهناك أمثلة عديدة أخرى تتعلق بالوسائل التعليمية المسموعة والمرئية وإنتاج الكتب..... الخ.

وقد أصدرت هيئة اليونسكو عام ١٩٥٩ كتاباً بعنوان : "الجمعية المهنية لوسائل الاتصال الجماهيري" مع عنوان فرعي هو : "منظمات الصحافة، الأفلام، الراديو، التليفزيون".

Professional Association in the Media; Handbook of

Press, Film, Radio, Television Organizations.

اليونسكو والدول النامية :

عندما اعتبرت الأمم المتحدة عقد الستينات عقدا للتنمية كان على هيئة اليونسكو أن تتقدم لمعاونة الأمم حديثة الاستقلال في مجال الإعلام، إدراكاً من المنظمة الدولية للصلة بين تطوير وسائل الاتصال الجماهيري والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وفعلا فقد طلب المجلس الاقتصادي والاجتماعي عام ١٩٥٩ من هيئة اليونسكو دراسة تقديم المساعدات للدول النامية في مجال الإعلام ووسائله.

وقد قامت اليونسكو بدراسة هذه الاحتياجات من خلال ثلاثة اجتماعات أولها لدول آسيا، وقد تم الاجتماع ببانكوك في يناير سنة ١٩٦٠. والثاني لدول أمريكا اللاتينية، وقد تم الاجتماع في "سانتياجو" بشيلي في فبراير سنة ١٩٦١. أما الاجتماع الثالث الخاص بالدول الأفريقية فقد تم في باريس في يناير ١٩٦٢، وقد أصدرت اليونسكو نتائج هذه الاجتماعات والدراسات في شكل وثيقة من وثائقها ثم أعيد نشر الوثيقة بعد تفصيلها بواسطة العالم الشهير ولبورشرام وهذا المطبوع الأخير يعتبر أحد المؤلفات الأساسية في المجال.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن التقارير المختلفة التي وضعتها مختلف لجان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، قد وافقت وأقرت المعايير التي وضعتها هيئة اليونسكو كحد أدنى وهي :

عشرة نسخ من الصحف اليومية وخمسة أجهزة راديو ومقعدان في السينما وتليفزيونان لكل مائة شخص في الدولة.

وبناء على هذه المعايير فقد أشار "شرام" إلى وجود شريط من القحط الإعلامي يلف حول الدول النامية.

ولعل حملات اليونسكو وجهودها بعد ذلك قد تركزت في محاولة تطوير إمكانية الإعلام بالدول النامية، فضلا عن استخدام وسائل الإعلام في التنمية وعلى الأخص في مجال التعليم.

وسائل الاتصال والتعليم :

لقد وجهت اليونسكو مزيدا من الاهتمام في منتصف الستينات لاستخدام وسائل الاتصال الجماهيري في الأغراض التعليمية. وعلى سبيل المثال قامت اليونسكو عام ١٩٦٤ بمشروع السنوات الست التجريبي في السنغال لاستخدام المواد السمعية والبصرية وغيرها من وسائل الإعلام في تعليم الكبار، كما وسعت اليونسكو برامجها في نفس السنة لتنشيط إنتاج وتوزيع الكتب في الدول النامية.

(يلاحظ أن اليونسكو قد أقامت قبل ذلك أندية المشاهدة "Teleclubs" في فرنسا واليابان، كما ساعدت على إنشاء أندية الاستماع للراديو الريفي Forums في الهند وغانا. بناء على النموذج الذي أنشأته الحكومة الكندية).

وفي عامي ٦٥ ـ ١٩٦٦ قامت هيئة اليونسكو بإيفاد فرق من المتخصصين إلى سبع عشرة دولة للتعرف على الطرق التي تستخدم بها هذه الدول الوسائل الإلكترونية والأفلام في مجال التعليم، وكانت نتيجة هذه الدراسات ثلاثة مجلدات أصدرتها اليونسكو لتضم دراسات ثلاثة مجلدات أصدرتها اليونسكو لتضم دراسات الحالات في تلك البلاد مع ملخصات لهذه الدراسات.

اليونسكو والمعاونة المباشرة للدول :

لقد بدأت اليونسكو في العقد الثاني وبعد عام ١٩٥٥ بمساعدة الدول مباشرة نتيجة زيادة موارد ميزانيتها التي خصصت لأغراض الإعلام الجماهيري، وعلى سبيل المثال فقد بعثت اليونسكو بخبرائها لتقديم المشورة لحكومة كوستاريكا بخصوص إنشاء خدمة تليفزيونية وطنية كما قدمت اليونسكو مساعداتها لمدارس الراديو في كولومبيا وساعدت كذلك إسرائيل في إنشاء خدماتها الإذاعية، وساعدت على تدريب العاملين بوسائل الاتصال الجماهيري في مالي، كما قدمت مشورتها الإعلامية لليبيا وماليزيا وتايلاند

بخصوص إنشاء وكالات الأنباء، وساعدت في دراسة عملية إعادة تنظيم الخدمات التليفزيونية في فولتا العليا.

خدمات الإعلام :

يمكن لوسائل الاتصال في جميع أنحاء العالم أن تفيد من الخدمات العامة لليونسكو في مجال الإعلام، وقد أصدر قسم الصحافة عام ١٩٦٨ طبقا لتقرير المدير العام أكثر من (٧٠٠) سبعمائة نشرة صحفية، كما قام بالإشراف على طباعة مجلة اليونسكو كرونيكل Unesco Chronicle الشهرية بأربع لغات وكذلك ٤٠٠,٠٠٠ نسخة شهريا من مجلة اليونسكو كورير Unesco Courier في إحدى عشرة لغة، بالإضافة إلى قيامه بتوزيع ٤٥,٠٠٠ صورة فوتوغرافية وإنتاج أكثر من (٥٠٠) برنامج إذاعي في أربع لغات.

اليونسكو والاتصال الفضائي :

لقد شاركت هيئة اليونسكو في الاجتماعات الدولية لاتصالات الفضاء، والتي نظمت معظمها عن طريق الأمم المتحدة أو وكالاتها.. واتخذت اليونسكو في التسعينات موقفا محددا في هذا الخصوص وذلك بضرورة اتخاذ خطوات مدروسة بشأن استخدام الأقمار الاتصالية الصناعية لبث المعلومات التعليمية والعلمية والثقافية.

كما قام خبراء اليونسكو في عام ١٩٦٧ بمسح إمكانيات استخدام الأقمار الصناعية في الأغراض التعليمية بالهند، وفي سنة ١٩٦٨ زارت البرازيل بعثة صغيرة بغرض مشابه، وهناك من الدلالات ما يشير إلى استمرار اليونسكو في الاشتراك في وضع الاتجاهات وإرساء قواعد استخدام هذه الوسيلة الاتصالية الثورية على نطاق العالم كله.

كيف تعمل اليونسكو في مجال الاتصال الدولي :

يبدو أن هناك نمطا واحدا تعمل على أساسه هيئة اليونسكو بالنسبة للاتصال الدولي، ولعل البرنامج الذي وضع للدول النامية في الستينات يوضح هذا النمط أو النموذج.

أولا : تبدأ اليونسكو ولعدة سنوات الاهتمام الجزئي بموضوع معين قبل ان يصبح هذا الموضوع مشروعاً رئيسياً للهيئة، وهذا الاهتمام الجزئي يتمثل في إصدار مطبوعات

أو في عقد اجتماعات صغيرة خاصة بالموضوع أو بالعمل في مناطق ودول معينة، ويمكن التعرف على احتياجات الدول النامية بالنسبة لهذا الموضوع عن طريق تتبع ظروف تلك الدولة منذ الأربعينات مثلا.

ثانيا : يظهر الاهتمام على مستويات أعلى (الأمم المتحدة ـــ اليونسكو نفسها أو أي وكالة أخرى).

ثم تقوم اليونسكو بمشروعات تجريبية حيث يجتمع الخبراء مع الأشخاص المتصلين بالمشروع الموضوع تحت الدراسة أو التجربة.

ويمكن اعتبار اجتماعات بانكوك، سانتياجو، باريس فيما بين ٦٠ ـــ ١٩٦٢ من هذا النوع، وعادة ما تؤدي توصيات هذه الاجتماعات إلى عمل فعلي كإنشاء مراكز أو تنظيمات وما شابه ذلك.

وهنا يظهر تأييد الأمم المتحدة لتقديم معونتها في مجال الاتصال للدولة، وقد تمر عدة سنوات في بعض الأحيان قبل أن تتحقق فكرة أو مشروع اليونسكو، ولكن الهيئة تتابع بإصرار أهدافها إذا تبين لها أن الحاجة إلى معونتها ماسة.

الفصل الثاني عشر

معهد الصحافة الدولي.. إنشاؤه وتطوره(٧٨)

أنشئ هذا المعهد في أول الأمر على نطاق محدود، وذلك حين اجتمع في جامعة كولومبيا الأمريكية في أكتوبر سنة ١٩٥٠، عدد من الصحفيين والناشرين يقدر عددهم بأربعة وثلاثين محرراً وناشراً يمثلون خمس عشرة دولة.. وكان اجتماع هؤلاء نتيجة لسياسة الحرب الباردة والحرب الكورية التي بدأت في يونيو سنة ١٩٥٠.

وقد ناقش المجتمعون الأمور المتعلقة بتأسيس المعهد وانتخبوا تسعة أعضاء من بينهم، ليكونوا اللجنة المنظمة للمعهد، ثم اجتمعت هذه اللجنة بعد ستة أشهر من الاجتماع الأول برئاسة لستر ماركل Lester Markel مندوب صحيفة النيويورك تايمز في باريس لكتابة دستور المعهد الدولي للصحافة.. وكانت كل من مؤسسة روكفلر وكارنيجي للسلام قد منحتا المعهد في هذه الأثناء ٣٥,٠٠٠ دولار..

هذا وقد تضمنت مقدمة دستور المعهد أهدافه وأغراضه وقد جاء فيها "يعتمد السلام العالمي على التفاهم بين الشعوب، وإذا كان هذا التفاهم هو نقطة الانطلاق، فمن الضروري أن يكون لدى الشعوب معلومات صحيحة ومناسبة، وبالتالي فان الخطوة الأساسية نحو التفاهم بين الشعوب هي أن نحقق التفاهم بين الصحفيين في جميع أنحاء العالم"، وأعلن المعهد ضمن أغراضه الأساسية ما يلي:

(١) متابعة حرية الصحافة وحمايتها.

(٢) الوصول إلى تفاهم بين الصحفيين وبالتالي بين الشعوب.

(٣) تشجيع التبادل الحر للمعلومات الدقيقة والمتوازنة بين الأمم.

(٤) تحسين الممارسات والخبرات الصحفية.

---

(٧٨) تعتمد هذه الدراسة إلى حد ما على كورت كوزيك في كتاب الاتصال الدولي :

Kurt Koszyk. The Development of the. IPT. In : International Communication by fisher (ed.), 227 - 32.

وقد اقتصرت عضوية المعهد - طبقا للائحة ١٩٥٢ - على ممثلي ناشري الصحف والأعضاء المسئولين في الصحف.. وينتخب أعضاء المعهد بواسطة المجلس التنفيذي المكون من خمسة عشر عضواً وهؤلاء بدورهم يختارون بواسطة الجمعية العمومية، أما أعضاء هيئة التدريس بكليات الصحافة والكتاب الخارجين فيمكن أن يشتركوا في المعهد بصفتهم أعضاء مشاركين Associate Members.

واجتمعت الجمعية العمومية الأولى في باريس في مايو سنة ١٩٥٢، كما صدر في نفس الوقت العدد الأول من "تقرير المعهد الدولي للصحافة" وكان صدوره في زيورخ حيث مقر سكرتارية المعهد التي قامت برعاية وتمويل اللجان الوطنية (٢٩) دولة ومنطقة.

وقد بدأ المعهد عمله بإعداد تقرير عن "تحسين المعلومات" واعتمد هذا التقرير على استبيان بعنوان "ما هو المطلوب لتحسين المعلومات عن الشئون الدولية" وقد تلقى المعهد ردود الاستبيان المذكور من (٢٤٨) محرراً في (٤١) دولة.. أما المسح الثاني فكان متعلقا "بالأنباء من الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٢ واعتمدت نتائج هذا المسح على التحري والاستفسار في (١٦) دولة.. وقد تسبب هذا التقرير في عدم استجابة جميع الحكومات الشيوعية ومعاهدها الصحفية لأي نشاط من أنشطة المعهد الدولي للصحافة.

وفي ٣ سبتمبر ١٩٦٨ نشرت النيوس دوتشلاند وهي الصحيفة الرسمية لحزب الوحدة الاشتراكي في ألمانيا الشرقية، ونشرت هجوماً عنيفا بقلم الأستاذ الدكتور فرانس كنبنج Knipping من ليبزج ضد ما أسماه "نغمة الحقد التي تتمثل في رد الفعل الدولي ضد مساعدة خمس دول اشتراكية شقيقة لتشيكوسلوفاكيا (CSSR) وهي نغمة كراهية ظهر فيها صوت معهد لا وزن له هو معهد الصحافة الدولي.

وقد اتهم كبنج Knipping مدير المعهد بيرمونش Per Monsen بالجمع بين احتجاجه الإجباري وتأكيده بأن الصحفيين في تشيكوسلوفاكيا (CSSR) قد حصلوا على مركز مشرف في سجلات الصحافة الدولية. وأضاف الأستاذ كنبنج Knipping أن الهدف الرئيسي لمعهد الصحافة الدولي الآن هو "تقويض الاشتراكية من الداخل" بعد فترة من الوقوف حجر عثرة أمام نظم الصحافة القومية في الدول النامية.

كما ان المنحة التي حصل عليها المعهد وهي مائة وخمسون ألف دولار (١٥٠,٠٠٠ دولار) من مؤسسة فورد عام ١٩٦٧ جعلت الأستاذ كنبنج يزعم أن المعهد قد أصبح ضالعاً في مؤامرة الرأسمالية ضد الاشتراكية.

ومما أزعج الأستاذ كنبنج أنه وجد ضمن أعضاء الندوة الصحفية التي عقدت في جنيف مارس سنة ١٩٦٨ وضمت (٢١) دولة، وجد صحفيين من دول اشتراكية لأول مرة، ومما يذكر أن الذين اشتركوا في هذه الندوة صحفيون معروفون مثل إميل سب Emil Sip من براج. وقد وجه إليه اللوم لإرساله تقريراً عن وضع الصحافة في تشيكوسلوفاكيا، وقد أطلق كنبنج على هذا التقرير اسم "دليل تنظيم الثورة المضادة بواسطة وسائل الاتصال الجماهيرية"، وسوف يرتاح منظموا المعهد بلا شك لهذا الهجوم لأنهم لا يزالون متأثرين إلى حد كبير بأيدلوجية فترة الحرب الباردة.

والمشكلة بالنسبة لمعهد الصحافة الدولي تكمن في أن على المعهد من جهة، الكشف عن الضغوط التي تتعرض لها حرية الصحافة في الدول الشيوعية التي تقف موقف العداء الطبيعي للديموقراطية الغربية - ومن جهة أخرى فعلى المعهد أن يقيم نظم الصحافة في دول مثل اليونان وأسبانيا وجنوب أفريقيا والبرازيل والأرجنتين والفلبين وهي الدول التي ترتبط جميعها ارتباطاً وثيقاً باقتصاديات الغرب وسياسته العسكرية.

وعلى الرغم من ضرورة ذكر هذه المشكلات عند تقييم دور المعهد الدولي للصحافة إلا أن هذا المعهد هو واحد من بين المعاهد القليلة التي تحاول تجميع المواد عن العلاقات الصحفية الدولية وبذلك تجعل من المستطاع القيام بدراسة مقارنة لنظم الصحافة القومية المختلفة، إذ لا تتوفر لدى المؤسسات الخاصة أو الجامعية حتى الآن الوسائل التي تجري بها مثل هذا البحث بقدر كبير من الكفاءة.

هذا وترجع الثقة في معهد الصحافة الدولي، إلى ارتباطه الوثيق بمهنة الصحافة، وفي الواقع ضم المعهد إلى عضويته أكثر الأسماء احتراما فى الصحافة الغربية وظهرت جاذبية المعهد في النمو المطرد لحجم عضويته إذ كان عدد الأعضاء ٤٦٠ في عام ١٩٥٢ وأكثر من ٥٦٠ عضواً بالإضافة إلى ١٠٤ أعضاء مشاركين في عام ١٩٥٥. وقد بلغ عدد أعضاء معهد الصحافة الدولي ١٦٠٠ عضو من ٦٠ دولة عام ١٩٧٠ والأعضاء يدفعون اشتراكات (٤٠ دولاراً للعضو و ٢٠ دولاراً للعضو المشارك) كما

زادت ميزانية المعهد بصورة مطردة أيضاً لزيادة معونة الناشرين له، كما اعترفت العديد من المؤسسات الأمريكية بأهميته ورصدت له المبالغ اللازمة للقيام بالدراسات والندوات والمؤتمرات الدولية.

وعلى الرغم من صعوبة الحصول على صورة واضحة للموارد والمبالغ التي يمكن لمعهد الصحافة الدولي أن يعتمد عليها إلا أنه من الواضح أن عمل المعهد، كان لابد أن يتدهور منذ عدة سنوات ما لم تكن هناك إعانات كبيرة من مؤسسة فورد وروكفلر، ذلك لأن كلاً من المؤسستين تمنحانه مبالغ متزايدة بدأت بنحو ٣٠,٠٠٠ دولار سنة ١٩٥٤ ووصلت إلى نحو ٥٠٠,٠٠٠ دولار عام ١٩٦٥، ولا يذكر هذا الدخل منذ سنة ١٩٥٩ في الميزانية العادية لمعهد الصحافة الدولي.

وتبين الأرقام التالية دخل المعهد من الاشتراكات (بالدولار) من الأعضاء والناشرين:

	١٩٥٩	١٩٦٢	١٩٦٧
أوروبا	٣٣,٠٧٧	٣٩,٧٦٨	٤٦,١٥٦
أمريكا الشمالية	١٤,٧٢٥	١٩,٣٢٥	٢٤,٩٤٥
آسيا	١٠,٨٥٠	١٣,٦٣٢	١٩,٥٨٢
Oceania	٢,٦٤٠	٢,٢٠٥	٤,٨١٧
أمريكا اللاتينية وأفريقيا	٠,٤٣٧	١,١٠٥	١,٧٢٠
المجموع	٦١,٧٢٩	٧٧,٠٣٥	٩٧,٢٢٠

هذا ويعتمد نشاط معهد الصحافة الدولي في آسيا وأفريقيا على منح فورد وروكفلر بصفة أساسية، أما البرنامج الآسيوي فقد بدأ عام ١٩٦٥ واعتمد على إنشاء أشكال جيدة من الصحف للقراء الجدد.. وهذا الموضوع الخاص بالبرنامج الآسيوي قد سبقت مناقشته في الجمعية العمومية عام ١٩٦٠ في طوكيو.

هذا وقد قفز توزيع الصحف في معظم الدول الآسيوية، وما أن جاء عام ١٩٦٦ حتى كان معهد الصحافة الدولي متعاونا بدرجة كبيرة مع معاهد الصحافة القومية في كوريا واليابان والهند والفلبين، وعلاوة على ذلك فان باكستان وفيتنام وماليزيا اشتركوا في الندوات التي يعقدها معهد الصحافة الدولي للعاملين في حقل الإعلام، وكان ينفق في كل عام نحو ٢٠٠,٠٠٠ دولار على هذه الأنشطة.

أما عن مشورة المعهد الفنية فقد كان يرسل في أول الأمر مستشاراً واحداً وسكرتيره إلى حوالي (٣٠) ثلاثين جريدة، أما فيما بعد فان مجموعة من ستة من الأخصائيين قاموا بجولة في منطقة بوزان في كوريا إلى كوتايام في الهند، وأعطوا تعليماتهم وإرشاداتهم عن كيفية تطوير أدوات ومصادر الصحفيين والمحررين فضلاً عن بيان وطرق الإدارة الحديثة، وقد نظمت عدة برامج وندوات دراسية أخرى للتوسع في الدراسات المكثفة.

كما أعطيت الأولوية لتطوير أو القيام بتصميمات جديدة للصحافة الأيديوجرافية في بعض الدول الآسيوية، وهنا ساعدت الخبرات والممارسات اليابانية مساعدة كبيرة في جعل الصحف الأيديوجرافية أكثر قابلية للقراءة وأسهمت جماعة الناشرين اليابانيين بدور فعال في العمل.

وقد افتتح معهد صحافة اللغة الصينية في هونج كونج في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٨، وهو جزء من مؤسسة الصحافة في آسيا والتي تحاول أن تضع أشكالا تطبيقية جديدة في صحافة آسيا. وقد تمت الموافقة حديثاً على تأسيس لجنة قومية للصحافة في تايوان، وذلك بعد إجراء دراسة عن حرية الصحافة هناك.

أما بالنسبة لأفريقيا فقد تم تنفيذ برامج مشابهة للبرامج الآسيوية، وذلك تحت إشراف وتوجيه فرانك بورتون Burton وتوم هوبكنز Hopkins وكان من نتائج ذلك دفع حركة تحرير المرأة الأفريقية، ففي إبريل سنة ١٩٦٦ على سبيل المثال كانت هناك ست خريجات من الدارسات الصحفيات التي تمت في نيروبي ولاجوس.

هذا وقد عقدت الجمعية العمومية لمعهد الصحافة الدولي في نيروبي سنة ١٩٦٨، واتضح في الاجتماع الظروف الصعبة التي تعيش فيها وسائل الإعلام في أكثر من ٥٠

دولة إفريقية، كما اتضحت الفروق الكبيرة نسبياً بين الدول المتقدمة تكنولوجيا واقتصاديا وبين الدول المتخلفة، وقد أبدى معهد الصحافة الدولي استعداده للتعاون مع قسم الصحافة الجديد الذي أنشئ في جامعة نيروبي.

كما تبين عند مناقشة موضوع حرية الصحافة أن الأمور لا ينبغي أن يحكم عليها في هذا الموضوع بمستويات الغرب وحدها. خلاصة هذا كله أن مثل هذه الاجتماعات قد ساعدت على النظر إلى عالم الصحافة المعاصرة بنظرة واقعية وإلى الاقتناع بان معهد الصحافة الدولي لا يستطيع أن يؤثر على الدول غير الأعضاء فيه بالنسبة لتطوير حرية الصحافة في هذه الدول ولكن المعتقدات المعنوية والأخلاقية للمعهد لها تأثيرها الفعلي على اتجاهات الصحفيين والناشرين في جميع أنحاء العالم.

وقد أقر المعهد مشروعات للسنوات الخمس التالية في المؤتمر الذي عقده عام ١٩٦٧ في جنيف وقد جاء في قراراته ما يلي:

ستكون هناك اجتماعات أخرى للمحررين الصحفيين من الدول المختلفة كما سينشئ المعهد مكتبة وخدمة إعلامية في زيورخ، كما ستكون التشريعات الصحفية من أهم الموضوعات التي سيهتم بها المعهد.

وقد تم أول اجتماع في سبتمبر عام ١٩٦٨ في سالزبورج تحت رعاية مجلس أوروبا نتيجة لمبادرة من معهد الصحافة الدولي بعد جلسة تمهيدية للجنة المشرعين الدوليين في مايو ١٩٦٨.

ثم جاءت التطورات الجديدة في نشاطات المعهد بناء على عدم الرضا بعمل معهد الصحافة الدولي منذ تأسيسه، ومرة أخرى كان للستر ماركل Lester Markel الروح المحركة عام ١٩٥٠، زمام المبادرة. فقد ألقى التقرير الذي أعدته لجنة التخطيط التابعة له في الجمعية العمومية التي عقدت في نيودلهي عام ١٩٦٦ وكان هذا التقرير أساساً لنتائج عام ١٩٦٨، وأكد (التقرير) مرة أخرى على مشكلة الانتقال الحر للأنباء بين جميع الدول، كما أن اهتمام معهد الصحافة الدولي الكبير بآسيا وأفريقيا كنتيجة للمعونة المالية من المؤسسات الأمريكية لم يكن يتناسب مع هدف المعهد، وقد أوصت لجنة ماركل بالعمل وفقاً للمقترحات التالية:

١ ـ القيام بأبحاث تتعلق بتدفق الأنباء وخصوصاً تبادل مع الاتحاد السوفيتي.

٢ ـ عقد ندوات تتعلق بمشاكل تبادل الأنباء.

٣ ـ الوصول إلى عرض أفضل للأنباء الدولية.

٤ ـ إجراء دراسات عن منابع الرأي العام.

٥ ـ تطوير معهد الصحافة الدولي ليكون مركز رعاية وتمويل للأنباء الدولية.

وعلى الرغم من أن عمل معهد الصحافة الدولي هو عمل تعاوني ويعتمد على نشاط كل عضو فيه، فإن العبء الأكبر يتحمله المجلس التنفيذي ورئيسه، وكذلك مدير معهد زيورخ. هذا ومن المؤكد اهتمام المعهد بحرية الصحافة في العالم، وإن كانت له إسهامات فردية تتعلق بالدفاع عن الصحفيين أو الناشرين المضطهدين، وكانت جهوده تلك ناجحة للغاية، كما نشر للمعهد دراسة عن الصحافة في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٠ كما نشر للمعهد في نفس الوقت تقريباً دراسة مقارنة عن "الافتراء في الصحافة Slander by the Press"

وليس من المحتمل أن يتجه معهد الصحافة الدولي إلى ميادين جديدة في نشاطاته، ذلك لأن حرية الصحافة ستظل مشكلته الدائمة فضلاً عن قضايا تعليم الصحافة وإرساء قواعد أخلاقياتها.

الفصل الثالث عشر

وكالات الأنباء في عالم اليوم

تقديم:

تعتبر وكالات الأنباء القنوات الرئيسية لبث وتدفق الأنباء في العالم، فهي المصدر الرئيسي للصحافة والنشرات الإخبارية والمواد التي تذيعها محطات الإذاعة والتليفزيون، أي أنها أداة في تشكيل الرأي العام العالمي حيث ترى الشعوب عن طريقها الأحداث والوقائع الأشخاص والقيم..

وعلى الرغم من أنه يوجد في الوقت الحاضر أكثر من (١٥٥) وكالة أنباء وطنية في أكثر من (٨٠) دولة، وعلى الرغم من أن هذه الوكالات تعقد اتفاقيات ثنائية أو إقليمية لتدعيم كيانها وتقوية إمكانيات تغطيها للأنباء المحلية والعالمية، إلا أن الوكالات الخمس الكبرى الشهيرة دولياً وهي الاسوشيتدبريس واليونايتدبريس ورويتر وتاس ووكالة الصحافة الفرنسية مازالت تحتكر سوق الأنباء وتؤثر فيه إلى حد كبير..

ويمكن أن نورد فيما يلي مقارنة بينها للدلالة على حجم نشاطها على الصعيد الدولي:

وكالة الأنباء	المكاتب الخارجية	استعمال وسائط الاتصال	الموظفون
AFP الفرنسية	١٦٥	١٧٠٠	١٨٠٠
AP أسوشيتدبريس	٥٣	٨٥٠٠	٣٣٠٠
رويتر	٥٥	٤٤٥٠	١٦٦٠
تاس	١٠٠	٣٠٠٠	٢٥٠٠
VPI يونايتدبريس	٢٣٨	٦٥٤٦	١٠,٠٠٠

ويمكن أن نضيف إلى هذه المعلومات الكمية [٧٩]، أن الأسوشيتدبريس مثلا تقوم بخدمة أكثر من خمسة آلاف صحيفة ومحطة إذاعة في العالم، وأنها تنتج أكثر من مليون كلمة يومياً، أما وكالة اليونايتدبريس فتنفق أكثر من (٥٠) مليون دولار سنويا لتوفير المعلومات عن الأحداث، ولعل هذه الإمكانيات الهائلة، تمكنها من عملية احتكار الأنباء وتلوينها وصياغتها أو حجبها وتلخيصها.. الخ.

وكالات الأنباء ودول العالم الثالث:

يقول تحقيق خاص للأهرام [٨٠] نشر في أواخر عام ١٩٧٦ ما يلي:

لا تخجل وكالات الأنباء والصحف الغربية من أن تصف جماعات "الأوستاشي" الكرواتية الفاشية وغيرها من المنظمات الإرهابية المعادية لاستقلال

(٧٩) الأرقام الواردة بالنسبة لعدد الموظفين في الجدول السابق يشمل الموظفين المتفرغين وبعض الوقت... انظر في ذلك:

Hester, " International News Agencies. " In Mass Communications A World View by wells. 1974.

(٨٠) محمد أحمد الجوادي. نظرة من بعيد إلى مؤتمر اليونسكو المنعقد في نيروبي. الأهرام ٢ ديسمبر ١٩٧٦.

يوجوسلافيا واشتراكيتها بأوصاف الفدائيين والمنشقين والوطنيين.. وهي التي تبخل في الوقت نفسه بأن تنسب مثل هذه الصفات إلى أشرف حركات النضال والتحرر التي تمثلها منظمات المقاومة الفلسطينية وهي تكافح لاسترداد الأرض والوطن السليب في معركة حياة أو موت مع أشرس القوى العنصرية الرجعية المتخلفة الساعية إلى العدوان والتوسع وهي إسرائيل.

وتفعل وكالات الأنباء والصحف الغربية كل ذلك وأكثر.. وهي التي لم تذرف دمعة واحدة على الديموقراطية أو الحرية التي سحقتها الأنظمة الفاشية في حكومة "بابا دوبلوس" في اليونان عام ١٩٥٧ وحكومة "بينوشيه" في شيلي في سبتمبر سنة ١٩٧٣ مثلما مرت مرورها العابر والساخر على أبشع المآسي وجرائم الاغتيال التي طاردت أبطال العالم الثالث وقادة الحروب التحريرية فيه مثل باتريس لومومبا وفيلكس موييه ومالكولم إكس والمهدي بن بركة وشي جيفارا ومارتن لوثر كينج..

ولقد حاولت دول عدم الانحياز في مؤتمرها الرابع الذي عقد في الجزائر في سبتمبر ١٩٧٣ والمؤتمر الخامس الذي عقد في كولومبيا في أغسطس من هذا العام، أن تغير من هذا الوضع المهين لكبريائها وطموحها السياسي إحساساً منها بالحاجة الملحة والخطيرة إلى ضرورة الانعتاق من ربقة الرق الإعلامي الذي تفرضه وكالات الأنباء الغربية.. والآن.. وبعد ٢٠ شهراً من قيام اتحاد وكالات الأنباء للدول غير المنحازة في يناير ١٩٧٥ تضاعف عدد الوكالات المشتركة في الاتحاد حتى قاربت ثلاثين وكالة وطنية، كما تم تشكيل خمس وكالات صحفية كبرى تقوم بجمع وتوزيع الأنباء والمعلومات فيما بينها وبين دول العالم الثالث المختلفة وهي وكالة "سامتشار" في الهند و"تانيوج" في يوجوسلافيا و"تاب" في تونس و"ماب" في المغرب و"بريسنالاتينا" في كوبا.[٨١]

ويبحث المؤتمر الـ ١٩ في نيروبي مشروع القرار الذي تم اقتراحه في المؤتمر السابق الذي عقد بباريس في ديسمبر ١٩٧٥ وبخاصة في المادة رقم ١٢ منه إلى قيام

---

(٨١) تعتمد بعض الإحصائيات والأوصاف الواردة بهذا الفصل على مقال اليونسكو عن التطورات العالمية في وكالات الأنباء والمنشور بالكتاب التالي:
UNESCO: **World Communications**: Press - Radio - Television - Film, 1964.

الحكومات المعنية في دول عدم الانحياز بالإشراف والسيطرة على كافة أجهزة الإعلام التي تعمل في بلادها بما في ذلك وكالات الأنباء والصحف الغربية، وذلك ضماناً لأن تلتزم هذه الأجهزة بالعمل وفقاً للمبادئ الأساسية لخدمة السلام والتفاهم الدولي ومحاربة الدعاية والأفكار التي تدعو إلى الحرب أو التفرقة العنصرية بين الشعوب.

والترجمة الفعلية لمضمون هذا القرار سوف تتأرجح بين التأميم الكامل والمطلق لهذه الأجهزة ومصادرة حقها في العمل في جمع وتوزيع الأنباء وبين تشجيع قيام وكالات وطنية جديدة أو دفع الوكالات الوطنية القائمة بالفعل إلى مزيد من الكفاءة والخدمة في مستوى الأداء، وتوسيع نطاق اتحاد وكالات الأنباء المشتركة التابعة لدول عدم الانحياز إلى آفاق أكثر شمولاً وامتداداً في عملها على مستوى العالم أجمع.

اتجاهات عالمية:

لقد تزايد نمو الوكالات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد كانت الموجة الأولى الواسعة للإنشاء في أوروبا، حيث تأسس أو أعيد تنظيم (٢٤) وكالة بين عامي ١٩٤٤ – ١٩٤٦، ثم جاءت الموجة الواسعة الثانية من الوكالات بين عامي ١٩٦٠، ١٩٦٢، حيث أسست (٢٣) وكالة أنباء في أفريقيا وآسيا وغيرها من بلدان العالم.

ويوجد في الوقت الحاضر كما أسلفنا أكثر من (١٥٥) وكالة في أكثر من (٨٠) دولة، ومازالت أكثر من (٣٠) دولة نامية تفتقر إلى هذه الخدمات الأساسية.

هذا وتقوم معظم الوكالات الوطنية بتوزيع الخدمات العالمية لواحدة من الوكالات العالمية والتي تقدم لها بدورها أخبارها المحلية، وذلك باستثناء دول أمريكا اللاتينية، وعلى الرغم من أن تبادل الأنباء بين الدول والمناطق المختلفة يتم إلى حد كبير عن طريق الوكالات العالمية، إلا أن عقد الاتفاقات الثنائية في مجال تبادل الأنباء أصبح شيئاً مألوفاً، وهناك شبكة واسعة من هذه الاتفاقات التي تضم بعض الوكالات الأوروبية والآسيوية وتحتفظ بمكاتب ومراسلين في جميع القارات.

وتتعاون الوكالات الرئيسية لست عشرة دولة أوروبية من خلال التحالف الأوروبي لوكالات الأنباء، وذلك لتطوير مصالحها المشتركة وتحسين انتشار الأنباء فيما بينهـا، كمـا تقوم منظمة وكالات الأنباء الآسيوية واتحاد وكالت الأنباء الأفريقية بدور مشابه.

ومع ظهور الحاجة إلى مزيد من الأخبار الإقليمية عمـا تقدمـه الخدمـات العالميـة، ازداد الاتجاه نحو ايجاد حلول إقليمية للمشاكل التي تواجهها الدول، فعقدت اتفاقات إقليميـة ساعدت على تدعيم الوضع الاقتصادي للوكالات التـي لا تسـتطيع أن توفـر لنفسـها شـبكة واسعة من المراسلين الأجانب.

وقد ساعد التقـدم التكنولوجـي فـي بث الأنبـاء، علـى التوسـع فـي وكـالات الأنبـاء الموجودة منذ سنة ١٩٥٠، وعلى إقامة وكالات جديدة.

وقد شهدت هذه الفترة الإحـلال التدريجـي للتليفـون محـل التلغـراف القديـم وكذلـك استخدام الخدمات الجديـدة كـالتلكس والاتصـالات اللاسلكية الحديثـة الأخـرى التـي تتمـيز برخص تكاليفها وسهولة استعمالها في مناطق واسعة.

وقـد سـاهمت وكـالت الأنبـاء نفسـها، ومـن خـلال البحـث العلمـي وعملياتهـا اليوميـة، تحسـين وتطويـر خدمـات بـث وإرسـال الصـور والكلمـات المطبوعـة وتبادلهـا مـن الأمـاكن البعيـدة

(Facsimile Transmission and teleprinter / and telephoto services)

وقـد بلـغ هـذا التقـدم ذروتـه فـي ١٩ يوليـو ١٩٦٢ فـي واحـدة مـن أكـثر الأحداث أهميـة فـي تـاريخ وكـالات الأنبـاء، ففـي ذلـك اليـوم دخلـت وكـالات الأنبـاء العالميـة عصـر الفضـاء باسـتعمال أول قمـر صنـاعي للاتصـال، بغيـة التقـاط وبـث الرسـالات السـريعة بـالتليفون والتلبرنـتر بيـن القـارات، وقـد تبـادلت صحـف لنـدن ونيويـورك الرسـالات السـريعة بـالفعل عبر القـارات.

ومن المتوقع أن يؤدي وضع ثلاثة أقمار صناعية ثابتة فوق خط الاستواء في مدار متناسب من حيث التوقيت والسرعة مع دوران الأرض، إلـى توفيـر جميـع خدمـات

الاتصال اللاسلكي التي تغطي الكرة الأرضية كلها. وقد اهتمت المنظمات المهنية الصحفية كالاتحاد الدولي لناشري الصحف واتحاد صحافة الكومنولث بالتطورات المستقبلية المتوقعة من استخدام هذه التسهيلات خلال خمس سنوات من إنشائها.

أفريقيا:

لقد كانت جمعية الصحافة بجنوب أفريقيا هي وكالة الأنباء الوطنية الوحيدة الموجودة في أفريقيا حتى منتصف الخمسينات وقامت هذه الوكالة عام ١٩٣١ بتزويد صحافة جنوب أفريقيا وروديسيا ودول شرق أفريقيا بالأخبار المحلية والأجنبية.

أما وكالتا الأنباء البرتغاليتان: لوسيتانيا ونوفيسيا اللتان أنشئتا في أواسط الأربعينات فقد أرسلتا واستقبلتا الأخبار اليومية من المناطق التابعة للبرتغال في أفريقيا.

وبالنسبة للمنطقة العربية فقد أنشئت وكالة الأنباء العربية عام ١٩٤١ في القاهرة وإن كان لها مكتب رئاسي في لندن، وقد قامت هذه الوكالة بتجميع أنباء الشرق الأوسط ونشرها خارج المنطقة العربية فضلاً عن تزويد الدول العربية بالأنباء.

وقد أنشئت في الفترة ما بين ١٩٥٥ - ١٩٦٠ وكالات أنباء في الصومال ومصر وكينيا وغانا والمغرب والسنغال وبورندي، وتقدم وكالة أنباء الشرق الأوسط ومكتبها الرئيسي في القاهرة - الأنباء المحلية يوميا باللغتين العربية والإنجليزية، كما تقدم الأنباء الأجنبية باللغة العربية وتتبادل وكالة الأنباء مع عشر وكالات غير إفريقية.

وتبث وكالة الصحافة المغربية أنباءها الوطنية يوميا باللغتين العربية والإنجليزية بالإضافة إلى ما تتلقاه من أنباء أجنبية يبعث بها مراسلوها ومكاتبها في الخارج ومن الوكالات الأخرى الأفريقية وغير الأفريقية.

وفيما بين عامي ١٩٦٠ - ١٩٦٢ أنشئت وكالات أنباء في ثلاث عشرة دولة أفريقية هي:

الجزائر ،الكاميرون، جمهورية أفريقيا الوسطى، الكونغو برازافيل، الكونغو ليوبولدفيل، داهومي، أثيوبيا، الغابون، غينيا، ساحل العاج، مالي، مدغشقر، تونس، ثم أنشأت كل من توغو ونيجيريا وكالات أنباء بعد ذلك.

ولما كانت جميع وكالات الأنباء الوطنية وخدمات المعلومات الحكومية في هذه الأقطار غير قادرة على التحكم في توزيع الأخبار، فإنها تعتمد في أخبارها العالمية على وكالات الأنباء الأوروبية والأمريكية والسوفيتية التي تبث هي أيضاً أخبار أفريقيا إلى سائر أنحاء العالم.

وما يزال تبادل الأخبار بين الأقطار الأفريقية يعتمد بالدرجة الأولى على وكالة الصحافة الفرنسية AFP ورويتر، ويعتمد كذلك على وكالة اليونايتدبريس وعلى تاس وأسوشيتدبريس، ومع ذلك فإن وكالة أنباء غانا تبث أخبارها يومياً باللغتين الإنجليزية والفرنسية إلى مكتبها فى لندن، حيث يعيد بثها إلى غرب أفريقيا ويتم استقبالها على امتداد المنطقة من داكار إلى لاغوس.

وفي غضون ذلك تقدمت وكالة أنباء ساحل العاج بخطط رائدة لإنشاء شبكة تبادل الأنباء بين (١٩) دولة من المجموعة المونوروفية وهي التي توزع إليها في الوقت الحاضر نشرة أسبوعية.

وقد اقترحت وكالة الأنباء المغربية إقامة منطقة تجميع للأنباء الأفريقية في المغرب، وذلك لتبادل الأنباء بين الوكالات الأفريقية المختلفة وتوزيعها في سائر أنحاء العالم.

وعرضت الوكالة المغربية أن تضع إمكانياتها الاتصالية مع آسيا وأوروبا والأمريكيتين في خدمة الوكالات الأفريقية الأخرى.

إن أكبر عقبة تحول دون تطوير وكالات الأنباء ذات الخدمات المرضية في أفريقيا هي نقص إمكانيات الاتصالات البعيدة Telecommunication وفي غياب وسائل الاتصال المباشر بين نقطتين في أفريقيا الاستوائية يتحتم بعث

الرسالات الإخبارية عبر باريس أو لندن وحتى داخل هذه الدول نفسها فان وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية غير كافية.

كما ان هناك صعوبات أخرى تحول دون تدفق الأنباء وتتمثل هذه الصعوبات في التكلفة العالمية لوسائل الاتصال وخدمات البريد الجوي المحدود وهذه الرسوم هي نفسها الرسوم التي تفرض في أوروبا وأمريكا ولكنها تعتبر عالية جداً إذا قيست بمستوى المعيشة في الدول الأفريقية، هذا فضلاً عن عدم استطاعة وكالات الأنباء تغطية الأنباء المحلية عن طريق مراسليها.

وتشارك حكومات معظم البلدان الأفريقية في عمل وكالات الأنباء ولكن هناك مدى واسعاً لهذه المشاركة فقد تسيطر الحكومة سيطرة كاملة على الوكالة وقد تمد لها يد المساعدة فقط، وقد تعمل الوكالة بذاتها كمؤسسة تجارية.

الأمريكتين :

باستثناء وكالات أنباء المكسيك وكوبا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية ففي هذه المنطقة وكالتان فقط للأنباء هما وكالة انباء الكاريبي (CPA) في جزر وندوارد، ووكالة أنباء أمريكا اللاتينية والكاريبي (CALANS) في بورتوريكو. وتكمل وكالة أنباء الكاريبي عمل الوكالات الكندية والبريطانية والأمريكية في تزويد بلدان الهند الغربية الناطقة بالإنجليزية بالأنباء بينما تكمل وكالة أنباء أمريكا اللاتينية والكاريبي (CALANS) خدمات اليونايتدبريس والأسوشيتدبريس ورويتر لتنشرها في بورتوريكو. إن وكالة أنباء المكسيك التى أنشئت عام ١٩٦٠ هى وكالة خاصة (قطاع خاص) توزع الأنباء التي ترد إليها من مراسليها في الولايات المتحدة، وكندا والأرجنتين والبرازيل وتشيلي وأسبانيا، وكذلك من مكاتبها المحلية، إلى المشتركين المحليين، ومع ذلك تحصل الصحافة المكسيكية على معظم أخبارها العالمية من وكالة الأنباء الفرنسية والأسوشيتدبريس واليونايتدبريس ووكالة الأنباء الكوبية (UPL) وفرنسا لاتينا، وتبث الأخبار إلى الأقطار الأخرى، كما أبرمت اتفاقيات متبادلة مع وكالات الأنباء في مناطق أخرى.

أما بالنسبة لكندا فهي تمول وكالتين كبيرتين للأنباء هما وكالة الصحافة الكندية (CP) ووكالة الصحافة البريطانية المتحدة (BUP) وهذه تعتبر فرعاً لوكالة اليونايتدبريس (UPI) هذا وقد قامت وكالة الصحافة الكندية (CP) بعقد اتفاقات متبادلة مع الأسوشيتدبريس (AP) ورويتر على حين تحصل وكالة الصحافة البريطانية المتحدة (BUP) على تغطية إخبارية عالمية واسعة من اليونايتدبريس في نيويورك.

وقد حافظت وكالة الأنباء الكندية (PC) على مراسليها في الولايات والأمم المتحدة والمملكة المتحدة والهند ونيوزيلاند وجنوب أفريقيا كما تزود الهند الغربية بالأخبار.

وتقدم وكالة الصحافة البريطانية (PUB) أخبار كندا إلى الولايات المتحدة ومنطقة الكاريبي وأمريكا الجنوبية وأوروبا وأستراليا.

الولايات المتحدة:

ينبغي الإشارة إلى أن اثنتين من أكبر وكالات الأنباء موجودتان في الولايات المتحدة، وهما وكالة أسوشيتدبريس واليونايتدبريس. وتعتبر وكالة الأسوشيتدبريس أقدم وكالات الأنباء الموجودة في العالم وهي تبعث بتقريرها الإخباري اليومي إلى الصحف الأعضاء والمشتركة، وإلى محطات الإذاعة والتليفزيون ووكالات الأنباء، وقد مكنها الاتفاق المتبادل مع رويتر وتاس ووكالة الصحافة الفرنسية، من استكمال تقاريرها الإخبارية بالنسبة للمناطق التي تغطيها تلك الوكالات.

وقد أنشأت أسوشيتدبريس (١١٠) مكتباً في الولايات المتحدة و ٥٧ مكتباً في الخارج ولها (٢٥٠٠) محرر دائم، وبضعة آلاف من المراسلين بالخارج الذين يعملون بعض الوقت. وباختصار فإن أسوشيتدبريس تخدم (٧٥٨٢) مشتركاً في أكثر من (٨٠) بلداً وعلى مدى الأربع والعشرين ساعة، كما أنشأت الوكالة مختبراً للبحوث الإلكترونية، وقد كان له الفضل في تحسين عمليات الوكالة الإخبارية بما أنتجته من ابتكارات واختراعات.

أما بالنسبة لوكالة اليونايتدبريس (IPU) التي شكلت بعد دمج وكالتي (UP) (INS) في سنة ١٩٥٨ فقد أقامت (١٥١) مكتباً في أمريكا و(١١٠) مكتبا في الخارج ويعمل فيها ١٠ آلاف موظف بين دوام كامل ونصف دوام وتظهر نشراتها بـ ٤٨ لغة في (١١١) دولة ومنطقة، ويتسلمها ٦٥٤٦ مشتركا.

هذا وتشمل التطورات الفنية الحديثة في الولايات المتحدة الشكل الذي تنقل به الأنباء إلى الصحافة من قبل الأسوشيتدبريس فهي ترسل أخبارها في الوقت الحاضر في شكل خطوط مطبوعة وبحروف كبيرة وصغيرة، أو على شكل شريط ورقي للتجميع والكتابة الأوتوماتيكية (Automatic typesetting) ويوجد بالوكالة أكثر من ستة آلاف آلة طابعة على البعد Teleprinter وترسل الأخبار بالشكلين السابقين إلى كل مكاتب الأسوشيتدبريس ومكاتب الأعضاء المشتركين في أنحاء العالم.

وهناك تطور هام آخر احتفلت وكالة اليونيتيدبريس باستخدامه عام ١٩٦٢، وهو نظام يعتمد على الكومبيوتر في الإعلان الفوري الإلكتروني عن سوق الأوراق المالية والأسهم للصحف.

ويقدم الكومبيوتر آخر النشرات (بالدقيقة) عن هذه السوق على شكل شريط تجميعي من البعد Teletypesetter Tape ويلاحظ أن التوسع الكبير في عدد المشتركين في كل من الأسوشيتدبريس واليونايتدبريس قد تم منذ أواخر الخمسينات في البلدان النامية..

أمريكا اللاتينية:

على الرغم من أن أمريكا اللاتينية تتفوق على كل من أفريقيا وآسيا في توزيع الصحف اليومية، إلا أن أمريكا اللاتينية متخلفة عنهما في مجال تطوير وكالات الأنباء، ولم تكن الصحافة أحد عوامل الدفع نحو تحسين وكالات الأنباء، ذلك أن معظم الصحف هناك تتلقى أخبار العالم مترجمة بالأسبانية أو البرتغالية، وذلك على عكس ما يحدث بالنسبة لصحافة أفريقيا وآسيا، ولا تملك سبعة دول من أصل (١٤) دولة في أمريكا

اللاتينية وكالات أنباء عامة على الإطلاق. ومن بين هذه البلدان بيرو التي تصدر ٥٨ صحيفة يصل توزيعها إلى ٧٥٠ نسخة.

هذا وتقوم جميع وكالات الأنباء كولومبيا وفنزويلا ومعظم وكالات أنباء تشيلي والأرجنتين والبرازيل بتجميع وتوزيع الأخبار داخل حدودها الوطنية فقط، وتمثل سورينام Surinam حالة خاصة ذلك لأن وكالة الأنباء الهولندية (ANP) تزود الصحافة بتغطية إخبارية يومية باللغات الهولندية والإنجليزية والأسبانية واللغات المحلية.

وهناك اتفاقات للتبادل بين وكالات الأنباء الثلاث في الأرجنتين والبرازيل وتشيلي. وتستقبل وكالة أوروغواي الوطنية للإعلام (ANI) خدمات الأنباء من بوينس ايرس ومن وكالة الأنباء التشيكية ومنظمة أمريكا اللاتينية، ولهذه الوكالة ممثلون في ١٢ عاصمة في أمريكا اللاتينية وتوزع أخبار المنطقة إلى ٢٢ مشتركاً. ولوكالة الأنباء البرازيلية اتفاق مع وكالة الأنباء الألمانية (DPA) وهي توزيع الأنباء الخارجية يومياً، ولوكالة الأنباء الألمانية (DPA) التابعة لألمانيا الغربية اتفاق تبادل أيضاً مع وكالة أوروغواي (ANI).

وإذا كان هذا هو مجمل نشاط وتعاون الوكالات المحلية والعالمية في أمريكا اللاتينية، فينبغي التأكيد على أن الصحافة والإذاعة والتليفزيون تعتمد مباشرة على خدمات الوكالات العالمية الأسوشيتدبريس واليونايتيدبريس والوكالة الفرنسية ورويتر.

هذا ومعظم وكالات أنباء أمريكا الجنوبية هي وكالات خاصة (قطاع خاص) باستثناء وكالة الأنباء البرازيلية التي تملكها الحكومة.

وكما هو الحال في البلدان النامية الأخرى فان إمكانيات الاتصالات غير كافية في أمريكا اللاتينية بالإضافة إلى ارتفاع تكلفتها، ولعل ذلك يمثل أكبر العقبات أمام تأسيس وتطوير وكالات الأنباء، وأخيرا فتخطط منظمة الدول الأمريكية واتحاد الاتصالات السلكية واللاسلكية الدولي، لإقامة شبكة اتصالات سلكية ولاسلكية تربط كل دول أمريكا اللاتينية وذلك لتبادل الأنباء داخل الأمريكتين بتكاليف تقارب تلك السائدة في أوروبا.

آسيا:

توجد في أكثر من ٢٠ دولة آسيوية وكالات للأنباء، ويوجد ببعض هذه الدول عدد من الوكالات العامة وواحدة أو أكثر من الوكالات المتخصصة.

ومن ضمن هذه الدول الأخيرة الصين الوطنية والهند وأندونيسيا وإسرائيل واليابان وكوريا وباكستان والفلبين. وتخطط الصحافة وإدارة الإعلام الحكومة في اتحاد الملايو لتأسيس وكالة أنباء وطنية، هذا ومعظم الدول الآسيوية الثلاث والعشرين التي تفتقر إلى وكالات أنباء هي دول صغيرة، ونسبة المتعلمين بها ضئيلة باستثناء لبنان، ولا توجد في تايلاند وكالة أنباء ولكن مكتب الأنباء الحكومي يقوم بتزويد الصحافة بملخص لنشرة وكالة رويتر العالمية بتكلفة بسيطة وتوزع نشرة أخبار محلية يومية بدون مقابل.

وعلى الرغم من أنه لا يوجد في هونج كونج وكالة محلية، فان هونج كونج تعتبر المقر الإقليمي لاتحاد صحافة آسيا Pan Asian Newspaper Alliance أما سنغافورة فهي مركز رئيسي لتجميع وتوزيع أخبار جنوب آسيا وتعتمد في ذلك على مصادر الأنباء التي تحصل عليها من الوكالات المتعددة.

ويختلف نمط التحكم والإشراف على الوكالات من دولة لأخرى ففي (١١) دولة تعتبر الوكالات حكومية أو شبه حكومية، بينما تدار الوكالات في سيلان والهند وإسرائيل واليابان والفلبين كتعاونيات أو شركات مساهمة(قطاع خاص).

أما في أندونيسيا وكوريا الجنوبية وباكستان والصين الوطنية فتوجد وكالات أنباء رسمية وشبه رسمية وذات ملكية خاصة.

ومعظم هذه الوكالات ذات مجال محدود إذ هي تحصر أعمالها ونشاطها الرئيسي في جمع وتوزيع الأنباء داخل دولها، ومع ذلك فان العديد من هذه الوكالات توزع الأنباء الدولية والإقليمية التي تحصل عليها أساساً من رويتر والوكالة الفرنسية واليونيتبدبريس والاسوشيتدبريس وتاس وكيودو (اليابانية) وهناك دول قليلة تستقبل أنباءها من وكالات الصين الشعبية (NCNA) وألمانيا الغربية (DPA) أو خدمات وكالة (MEN).

ويمتلك عدد قليل من الوكالات كالأندونيسية والإسرائيلية واليابانية والفيتنامية شبكة موسعة من اتفاقيات التبادل مع وكالات أخرى في المنطقة أو في الخارج.

كما أن هناك عدداً قليلاً من الوكالات الآسيوية التي تستطيع إنشاء مكاتب للأنباء أو اعتماد المراسلين في دول غير آسيوية.

وتحصل صحافة الدول التي ليس لديها وكالات، على أنبائها الأجنبية إما بالاشتراك في وكالات إقليمية أو عالمية أو عن طريق أجهزة الاستماع للإذاعات الخارجية أو من نشرات الأنباء التي تصدرها إدارات الإعلام الحكومية.

ومن العقبات التي تحول دون تطور وكالات الأنباء الفقر وصغر حجم الصحف، كما هو الحال مثلاً في معظم بلدان الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا.

وتستطيع دول قليلة في المنطقة أن تدفع اشتراكات وكالات الأنباء للحصول على تغطية إخبارية واسعة. والصعوبة الكبرى التي تواجه دول أفريقيا تتمثل في عدم كفاية إمكانيات الاتصال عن بعد فضلاً عن التمايز الواضح في تكلفة الاتصال بين الدول الفقيرة والدول الغنية، وهذه الصعوبات هي التي تؤدي إلى الحد من قدرة الوكالات المحلية، ذلك لأن الوكالات العالمية تستطيع الإفادة من خدمات الاتصالات عن بعد Telecomm من خارج آسيا. ويمكن التغلب بمرور الوقت من خلال تطوير شبكات الاتصالات السلكية واللاسلكية والتي يجري تحسينها حالياً من قبل اللجنة الاقتصادية للأمم المتحدة في آسيا والشرق الأقصى وبالتعاون مع الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية.

هذا وتظهر مشكلة تعدد اللغات في كثير من الدول التي لا تتحدث العربية، فتوزع إحدى وكالات الأنباء الهندية خدماتها حالياً بثماني لغات، ومع ذلك فتقوم الصحافة عادة بعمليات الترجمة بنفسها وتستخدم الوكالات اللغتين الفرنسية والإنجليزية على نطاق واسع.

ففي باكستان مثلا تقوم وكالة الأنباء الباكستانية (APP) بتوزيع ٥٠ ألف كلمة يومياً كلها بالإنجليزية لـ (٤١) صحيفة منها عشر صحف فقط تصدر بالإنجليزية.

وعلى العموم فان التطور المثمر لتبادل الأنباء على النطاق الإقليمي كان بطيئاً، ومن بين الوكالات التي تركز على الأنباء الإقليمية وكالة بأن آسيا ومقرها هونج كونج ولها مكتب أو مراسلون في عدد من العواصم الآسيوية وتوزع أخبار جنوب شرق آسيا يومياً بالإنجليزية والصينية، ويجري الآن تطوير خطط التعاون الإقليمي بين الوكالات بواسطة منظمة وكالات الأنباء الآسيوية.

وتعاني وكالات الأنباء في آسيا – أكثر من أي منطقة أخرى من مشكلة الحروف المستخدمة في الطباعة، وقد ظهر نموذج مبسط للآلة الكاتبة بالحروف العربية عام ١٩٦٢ ومع ذلك فلا يتوفر حتى الآن إمكانية لبث التليتيب الآلي بالحروف العربية.

وقد تمكنت اليابان – منفردة بذلك عن الدول الآسيوية الأخرى – من استخدام نظام إرسال المواد المطبوعة والصور على شكل شرائط Tape-Tupe facsimile System وجرى افتتاحه من قبل وكالة كيودو في عام ١٩٦٠. وخلال عامين أقامت (٤٥) صحيفة يومية محلية آلات طباعة مونوتيب لاستقبال هذه الخدمة، وتقوم وكالة كيودو ببحوث متواصلة لجعل الخدمة أسرع باستخدام التليفاكس Telefax لإرسال صفحات كاملة، كما تبث الوكالة ذاتها الأنباء على الموجة القصيرة إلى فروعها وإلى المشتركين من الصحف والإذاعات ثم تقوم وكالات الأنباء والصحف في أوكينا أو الصين الوطنية والصين الشعبية وكوريا الشمالية وكوريا الجنوبية باستقبال هذه الأنباء وإعادة استنساخها وتوزيعها.

أوروبا:

تستخدم أوروبا نظاماً لتبادل الأنباء أكثر كثافة ودقة من أي منطقة أخرى في العالم وتشترك معظم دول أوروبا في وكالات الأسوشيتدبريس واليونايتبدبريس أو تاس وذلك عن طريق صحفها أو محطات الراديو والتليفزيون، هذا فضلاً عن أن أوروبا نفسها هي موطن اثنين من وكالات الأنباء العالمية، هما وكالتا الأنباء الفرنسية ورويتر.

وتمتلك وكالة الأنباء الفرنسية ٨٢ مكتبا خارجيا، كما أن لديها ٧٩ مراسلاً أجنبياً في مدن أخرى، وتتبادل الأخبار الوطنية مع رويتر والأسوشيتدبريس وتاس ووكالة الصين الشعبية ووكالة أنباء ألمانيا الغربية.

وهناك ٣٩ وكالة في الخارج تستفيد من الخدمات العالمية للوكالة الفرنسية كما تشترك هي نفسها في عشرين وكالة وطنية، هذا وتوزع وكالة الأنباء الفرنسية الأخبار يومياً على ١٠٤ دولة. وعلى الرغم من أن الحكومة الفرنسية تعتبر أهم مستخدمي الوكالة إلا أن الوكالة الفرنسية منظمة مستقلة ولها مجلس إدارة تحتل الصحافة ثمانية مقاعد توجيهية فيه.

أما وكالة رويتر فهي منظمة لا تسعى للربح وتملكها صحف المملكة المتحدة، وأستراليا ونيوزيلندا بشكل تعاوني. ولا تقدم الوكالة الأنباء المحلية للمشتركين البريطانيين ولكنها توزع فيما وراء البحار أخبار هيئة الصحافة البريطانية Press Association وهذه تعتبر أكبر وكالة أنباء محلية بريطانية.

هذا وتشترك وكالة الأسوشيتدبريس الأسترالية مع وكالة رويتر في تجميع الأخبار في جنوب شرق آسيا وجزر المحيط الهادي، وتمتلك وكالة رويتر مكاتب في ٦٠ عاصمة وتوزع الأخبار في (١١٠) دولة ولها اتفاقات مع ٢٢ وكالة في أوروبا، ١٤ وكالة في آسيا، ٥ في أفريقيا، ٢ في أمريكا الشمالية.

ويوجد في كل من فرنسا والمملكة المتحدة وكالات تعاونية تقوم بتجميع الأخبار المحلية وتوزيعها على صحف المقاطعات.

وتعتبر الأنباء الألمانية DPA أبرز وكالات الأنباء الأوروبية إذ تقدم الخدمات الإخبارية يومياً كما أن لها اتفاقات مع ٥٢ وكالة من وكالات الأنباء في العالم.

أما وكالة أنباء ألمانيا الشرقية (ADN) فقد عقدت اتفاقات تبادل مع الوكالات العالمية المعروفة وكذلك مع ٢٥ وكالة أخرى.

وفي إيطاليا قامت وكالة الأنباء الإيطالية الرئيسية ANSA بافتتاح ١٧ مكتباً لها خارج إيطاليا كما عقدت اتفاقات تبادل مع الوكالة الفرنسية ورويتر واليونايتدبريس و ٢١ وكالة أخرى وتوزع الأخبار إلى (١٥٠) صحيفة في الخارج.

وأما وكالة الأنباء التشيكية CTK فلها اتفاقات مع ٣٥ وكالة منها وكالة الأنباء الفرنسية والأسوشيتدبريس ورويتر والوكالتان الألمانية والبولندية ولها ٢٢ مكتباً في الخارج.

وينبغي الإشارة إلى أن وكالات الأنباء الوطنية في بعض الدول الأوروبية تعتبر المصدر الوحيد للأخبار المحلية والخارجية، ومن بين الدول التي تمارس وكالات أنبائها احتكاراً أو شبه احتكار في توزيع الأخبار: ألبانيا وبلجيكا وبلغاريا والمجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية (قبل اتحادها مع ألمانيا الغربية) ورومانيا ويوغوسلافيا.

ولا يوجد وكالات للأنباء في كل من أيرلندا ولكسمبورج وقبرص وجبل طارق ومالطا وأيسلندا.

وإذا كنا قد أشرنا فيما سبق إلى ارتفاع تكاليف الاتصال عن بعد في آسيا وأفريقيا فإن ذلك ينسحب على أوروبا إلى حد ما أيضاً، مما يمثل مع عدم كفاية الخدمات مشاكل تواجه وكالات الأنباء، ومن أجل تخطي هذه العقبات يدرس اتحاد وكالات الأنباء الأوروبية إمكانية إقامة شبكة اتصالات تدار بطريقة جماعية بواسطة الوكالات الأعضاء وعددها ست عشرة وكالة.

أستراليا ونيوزيلندا:

توجد في أستراليا ونيوزيلندا وكالات أنباء مكتملة الإمكانيات، ففي استراليا توجد الأسوشيتدبريس الأسترالية (AAP) وهي مملوكة تعاونياً بواسطة الصحف اليومية وبواسطة وكالة رويتر ومقرها الرئيسي في ملبورن وهي تقوم بتزويد الأعضاء المشتركين من الصحف والراديو والتليفزيون – بخدمات وطنية وعالمية يومية، كما تقدم هذه الخدمات أيضاً لاتحاد الصحافة النيوزيلندية (NZPA)... وللوكالة الأسترالية

مراسلون في لندن ونيويورك وتتصل برويتر في جنوب شرق آسيا وجزر الباسفيك أما اليونايتيدبريس الأسترالية فتشترك في خدمات اليونايتيدبريس العالمية ولكنها تركز على تجميع الأخبار المحلية.

ويعتبر اتحاد الصحافة النيوزيلندية (NZPA) أكبر وكالة نيوزيلندية للأنباء وهي مملوكة ملكية تعاونية، وتوزع الوكالة النيوزيلندية أخبارها المحلية والعالمية على (٤١) صحيفة يومية.

هذا وتعتمد الصحف اليومية القليلة التي تصدر في جزر الباسفيك على وكالة الأنباء الأسترالية والنيوزيلندية والفرنسية والأسوشيتدبريس واليونايتيدبريس ورويتر حيث تستقبل الأخبار للصحف بواسطة الراديو أو الراديو التيلبرنتر وذلك بشكل تفصيلي أو موجز وذلك عن طريق السلطات الحكومية المحلية.

الاتحاد السوفيتي :

تعتبر وكالة تاس إحدى الوكالات العالمية ومقرها الرئيسي في موسكو وهذه الوكالة هي المسئولة عن توزيع الأخبار العالمية إلى جمهوريات الاتحاد الخمس عشرة وذلك باعتبارها الوكالة الرسمية للاتحاد السوفيتي وهي مسئولة أيضاً عن نقل الأخبار بين الجمهوريات (وذلك كله قبل تفكك الاتحاد السوفيتى).

وتشترك في خدمات وكالة تاس (٣٦٥٠) صحيفة ومجلة وحوالي (٤٠) محطة إذاعة وتليفزيون داخل الاتحاد السوفيتي، وقد طورت الوكالة خدماتها مؤخراً باستخدام أجهزة التيلبرنت الحديثة التي تستعمل الحروف السيريالية Cyrillic characters وقد عقدت وكالة تاس اتفاقات دولية مع ٣٠ وكالة بما فيها كل الوكالات العالمية ووكالات الديموقراطية العالمية ووكالات الديمقراطيات الشعبية والوكالة اليابانية وغيرها..

وتعتبر تاس مركزاً لاتصال الصحف في البلاد لأن الوكالات المحلية لا تغطي تماماً الأخبار المحلية، وكذلك تزود المشتركين بأنبائها.

وتقيم الوكالة اتصالات منتظمة بين مكاتبها الأربع الرئيسية في الخارج وموسكو. وكذلك مع وكالات الصين الشعبية وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ورومانيا وألمانيا الشرقية والمجر وبولندا.

وقد أسست وكالة تاس عشرة مكاتب في الدول الأوربية ومكتباً في أفريقيا ولها ١٣ مراسلاً في دول أخرى من القارة) وثلاثة مكاتب في أمريكا الشمالية وواحد في منطقة المحيط الهادي، وسبعة مكاتب في آسيا (بالإضافة إلى مراسلين دائمين في ١٢ دولة أخرى). كما يوجد لها مراسلون أيضا في كندا والمكسيك، وثماني دول في أمريكا الجنوبية.

وأخيرا فقد أنشئت حديثاً وكالة أنباء سوفيتية وهي وكالة نوفوستي وليس للوكالة ارتباطات حكومية رسمية، وتقوم هذه الوكالة بتزويد الصحافة السوفيتية والأجنبية بخلفية من المعلومات والأخبار اليومية المنتقاة.

الفصل الرابع عشر

نحو البث التليفزيوني العالمي

شهدت السبعينات من هذا القرن تطورا ملحوظا نحو تحقيق التليفزيون العالمي، ذلك لأن الشبكات التليفزيونية الإقليمية الموجودة في معظم أنحاء القارات الخمس وارتباط هذه الشبكات بعضها ببعض يتيح لأكثر من بليون مشاهد في أكثر من ستين دولة مشاهدة البرامج الحية التي تذاع من مناطق أخرى بعيدة أو التي تذاع في معظم المناطق في وقت واحد.

إن هذا الإرسال المباشر بالصوت والصورة على النطاق العالمي، له تأثيراته السياسية والاقتصادية والثقافية على شعوب العالم، وسنحاول مناقشة بعض هذه التأثيرات في دراساتنا للدعاية الدولية في هذا الكتاب..

وإذا كان أول بث تليفزيوني عبر الحدود الوطنية، قد جاء من الولايات المتحدة الأمريكية إلى كل من المكسيك وكندا عام ١٩٤٠، ثم أصبحت العملية متبادلة في أوائل الخمسينات بين كندا والمكسيك والولايات المتحدة، فإن أول تبادل رسمي لبرامج التليفزيون على المستوى الدولي قد تم في ٢٧ أغسطس سنة ١٩٥٠ بين كل من إنجلترا وفرنسا..

وسنحاول في الصفحات التالية أن نتتبع تطور شبكات التليفزيون الإقليمية[٨٢] كركيزة للوصول إلى التليفزيون العالمي.

اليوروفجن:

لقد اقترح مارسيل بيزنكون عام ١٩٤٨ وكان مديرا لراديو لوزان (بسويسرا) إنشاء "برنامج للتبادل" بين أعضاء الاتحاد الدولي للبث الإذاعي (UIR)، وكان الهدف من

---

(82) Heinz-Dietrich Fischer, "Eurovison and Intervision Toward Mondovision." In **Inernational Communication** by Fisher and Merrill (eds.), pp. 246-257.

هذا البرنامج إثبات إمكانية نقل برامج التليفزيون من قطر إلى آخر، ولكن زملاء بيزنكون لم يشعروا بالحاجة الملحة لتنفيذ هذه البرامج نظراً لعدم وجود بث تليفزيوني على القارة الأوروبية في ذلك الوقت، ولكن بيزنكون عاود عرض فكرته على الاتحاد الأوروبي للبث الإذاعي UER الذي أنشئ في ١٢ فبراير سنة ١٩٥٠ بجنيف في (سويسرا) خلفاً للاتحاد الدولي للبث الإذاعي (UIR).

وقد أكد بيزنكون في رسالته للمكتب الرئيسي للاتحاد على ضرورة عمل برنامج للتبادل التليفزيوني قبل إنشاء الشبكات التليفزيونية في مختلف البلاد الأوروبية.

وقد تضمن مشروع بيزنكون أربعة مقترحات رئيسية وهي:

أ ـ تبادل الأفلام من مختلف الأنواع.

ب ـ البث الإذاعي على الهواء للأحداث العامة الرئيسية في البلدان المختلفة.

جـ ـ تبادل الأنباء الواقعية.

د ـ امتياز حقوق النشر لسائر أنحاء العالم.

ولقد تمت الخطوة الأولى في برنامج التبادل التليفزيوني دون مبادرة من الاتحاد الأوروبي وذلك حين تم الإرسال التليفزيوني بين فرنسا وإنجلترا عبر البحر من كاليه إلى دوفر في ٢٧ أغسطس سنة ١٩٥٠ ثم تعاونت الدولتان في حل المشكلات الفنية المتعلقة بالإرسال التليفزيوني ونظمتا "أسبوع البث التليفزيوني" بين باريس ولندن.

وقد شجعت هذه الخطوات الأولى دول الاتحاد الأوروبي للبث التليفزيوني على أن تهتم بفكرة برنامج دولي لتبادل كل من الإرسال التليفزيوني والإرسال الإذاعي، وتولت مجموعة متخصصة في الاتحاد دراسة المشكلات الفنية المتعلقة.

وخلال عامي ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ كان التليفزيون يخطو خطواته الأولى في كل من ألمانيا الغربية والدنمارك وهولندا، وحاولت بعض هذه الدول تنظيم بث تليفزيوني دولي بمناسبة تتويج الملكة اليزابيث الثانية، وعندما تم التتويج في الثاني من يونية ١٩٥٣ لم

تكن هيئة الإذاعة البريطانية هي التي أذاعته وحدها في بريطانيا وإنما شارك في إذاعته محطات تليفزيونية بلغ مجموعها ١٢ محطة لفرنسا وهولندا وجمهورية ألمانيا الاتحادية.

وقد استمرت برامج الإرسال الإذاعي والتليفزيوني خلال التتويج أكثر من ست ساعات ونصف، وترجم برنامج الاحتفال إلى ٤١ لغة بالإضافة للغة الإنجليزية مما شجع الكثير من شركات التليفزيون في سائر أنحاء أوروبا الغربية على تطوير أجهزتها الفنية وبخاصة سلسلة محطات الاستقبال والارسال التليفزيونى Relay Chains وذلك لاستقبال البرامج التليفزيونية من البلدان الأخرى.

وقد أذيعت أجزاء من البطولة العالمية لكرة القدم التي تمت في سويسرا في مطلع صيف عام ١٩٥٤، وفي هذا الوقت قدر عدد الأجهزة التليفزيونية المتوفرة بحوالي أربعة ملايين جهاز ويشاهد برامجها حوالي ٦٠ - ٦٥ مليون نسمة في ثماني دول أوروبية لمدة ٣١ ساعة من الإرسال التليفزيوني.

وقد استخدم الصحفي البريطاني جورج كامبي George Campay اصطلاح البث التليفزيوني الأوروبي Eurovision للدلالة على كل أنواع الإرسال الدولي في أوروبا الغربية وصار هذا المصطلح شائعاً بعد ذلك..

وقد أصبح البث التليفزيوني الأوروبى (Eurovision) حقيقة رسمية في السادس من يونية عام ١٩٥٤ وذلك عندما تم ربط الشبكات التليفزيونية لبلجيكا والدنمارك وفرنسا وألمانيا الغربية وإيطاليا وهولندا وسويسرا والمملكة المتحدة، وظل المركز الفني للشبكة بمدينة ليل (فرنسا) ولفترة وجيزة ولكنه انتقل بنهاية سنة ١٩٥٥ إلى مدينة بروكسل (بلجيكا) وظل بها منذ ذلك الحين.

ولقد أنشئ البث التليفزيوني الأوروبي عن طريق الربط بين عدد من الهيئات التليفزيونية المحلية وليس عن طريق إنشاء شبكة جديدة مندمجة مع بعضها، وعلى ذلك فلم تنتج هذه الشبكة برنامجاً منفصلاً قائماً بذاته ولكنها قامت بالتنسيق بين البرامج الموجودة فحسب.

ويمكن أن نميز في ذلك الوقت ثلاث شبكات تليفزيونية في غرب أوروبا وهي:

(أ) شبكة هيئة الإذاعة البريطانية وهي تستخدم نظام ٤٠٥ خط Line systems

(ب) سلسلة من المحطات في ألمانيا الغربية والدنمارك وسويسرا وإيطاليا وهي تستخدم نظام ٦٢٥ خط.

(جـ) سلسلة مختلطة من المحطات الفرنسية البلجيكة التى تستخدم نظام ٨١٩ خط ومحطات هولندية بلجيكية تستخدم نظام ٦٢٥ خط.

وكانت هناك بعض الصعوبات الفنية بسبب اختلاف خطوط الإرسال والاستقبال Line Systems ولكن نوعية الصورة بوجه عام كانت جيدة تماما.

أما من ناحية مشكلة اللغات، فقد تم التوصل إلى حل جزئي وهو إرسال المعلقين إلى مكان التنظيم، وكان التعليق يرسل مختلطا بصورة الأحداث إلى الدول المستقبلية في دوائر منفصلة، هذا فضلاً عن استخدام التعليق المركب، وفي هذه الحالة كان مقدم المادة في البلد المستقبل يقول تعليقه وهو يلاحظ الصورة على شاشة المراقبة.

وهكذا حاولت تلك البرامج بيان كيفية تفسير الخدمات التليفزيونية للأحداث المحلية ومن ثم دعم التفاهم الدولي، وشملت هذه البرامج إلى جانب بطولات كرة القدم العالمية في سويسرا أحداثاً عديدة منها زيارة للفاتيكان، أسبوع عيد الميلاد من ٢٣ ديسمبر ١٩٥٤ إلى أول يناير ١٩٥٥ وقد اشتملت تلك البرامج على ترنيمة عيد الميلاد من كلية كنجز كوليدج بجامعة كامبريدج، وقداس منتصف الليل من كنيسة نوتردام بباريس واستعراضاً على الجليد من سويسرا وعلى زيارة لدار أراسموس هاوس في بروكسل.

وفيما بين البداية الرسمية للبث التليفزيوني الأوروبي في السادس من يونية ١٩٥٤ وحتى نهاية تلك السنة تم نقل ٥٥ برنامجاً مختلفاً واستغرق إرسالها

٧٣ ساعة، وفي نهاية سنة ١٩٥٥ كانت غالبية أوروبا قادرة على المشاركة في تبادل البرامج دون أن يؤثر ذلك على البرامج المحلية.

ثم انضمت النمسا وبعض الدول الأخرى لشبكة التليفزيون الأوروبية بعد إدخالها للتليفزيون في بلادها.

وتمثل عملية البث التليفزيوني الأوروبي للألعاب الأولمبية في شتاء سنة ١٩٥٦ التي عقدت دورتها في كورتينا بإيطاليا أكبر عملية تم القيام بها حتى ذلك الحين، ومن الملائم أن نذكر هنا أن كلا من ألمانيا الشرقية وتشكوسلوفاكيا قد ارتبطا للمرة الأولى بشبكة اليوروفيجن في هذا العام. كما أصبحت كل من لوكسمبورج وموناكو أعضاء في الشبكة عام ١٩٥٦ أيضاً، وانضمت الهيئة المستقلة للتليفزيون في بريطانيا (ITV) عام ١٩٥٧ والسويد عام ١٩٥٨ والنرويج عام ١٩٥٩ وفنلندا ويوغوسلافيا عام ١٩٦٠ ثم انضمت عام ١٩٦٣ إلى العضوية شبكة التليفزيون الألمانية الجديدة (ZDF).

وفي أوائل عام ١٩٦٤ أصبح عدد الأعضاء العاملين بالشبكة الأوروبية ٢٩ عضواً من ٢٦ دولة بالإضافة إلى ٢٨ عضواً مشاركاً من أنحاء متفرقة من العالم بينها شركة التليفزيون الأمريكية (ABC) وشركة كولومبيا (CBS) وهيئة الإذاعة الوطنية (NBC) وهيئة الإذاعة الكندية (CBS) وهيئة الإذاعة اليابانية (NHK) وهيئة الإذاعة التليفزيونية البرازيلية (SIA)، وفي عام ١٩٦٩ كان بالشبكة ٢٩ عضواً عاملاً في أوروبا بالإضافة إلى (٥٦) إذاعية مشاركة من القارات الخمس، وارتفع عدد البرامج وساعات الإرسال التي يتم تبادلها كما يظهر من الجدول التالي:

السنة	العدد الكلي للبرامج المذاعة	ساعات الإرسال
١٩٥٤	٥٥	٧٣
١٩٥٥	٩١	١١٥
* ١٩٥٦	٢٥٠	٢٧٣
١٩٥٧	٢٠٧	٢٥٩
١٩٥٨	٢٠٣	٢٦١
١٩٥٩	٢٩٢	٣٣٩
* ١٩٦٠	٥٠٠	٤٤٠
١٩٦١	٦٧٩	٦٠٦
١٩٦٢	١٤٢٧	٥٨٦
١٩٦٣	٣٣١٠	٣٦١٠
* ١٩٦٤	٣٧١٧	٤٤٩٧
١٩٦٥	٣١١٥	٤٠٥٣
١٩٦٦	٣٧٩٠	٥٢١٢
١٩٦٧	٣٣٨٧	٤٠٩٢
١٩٦٨	٦٢٤٠	٨٥٢٠
	٢٧٠٦٣	٣٢٦٦٦

* سنوات الألعاب الأولمبية.

وهنا نستطيع في عجالة أن نستعرض تطور البث التليفزيوني، فعندما بدأ في سنة ١٩٥٤ كان يوجد حوالي ٣,٢٣٨ مليون مشاهد للتليفزيون في الدول الأعضاء الثماني في ذلك الوقت، وفي سنة ١٩٦١ زاد العدد بحيث وصل إلى

أكثر من ٢٨ مليون مشاهد، وخلال كل تلك السنوات كانت المشكلة الرئيسية للإرسال هي اللغات الأوروبية المختلفة، ولهذا السبب فان المحتوى الرئيسي للبث التليفزيوني الأوروبي كان عن الألعاب الرياضية الدولية فبعد أن كانت البرامج الرياضية بين عامي ١٩٥٤ ــ ١٩٦١ تشكل ٥٥٪ تقريباً من برامج الشبكة انخفضت هذه النسبة بعد عام ١٩٦١ والسبب في ذلك ازدياد أهمية إرسال الأخبار المصورة عن طريق شبكة البث الأوروبي.. وقد تطورت هذه العملية لتصبح نشاطاً شاملاً يومياً ويضم معظم الدول الأوروبية الأعضاء في اليوروفيجن (EBU).

كما تشارك في هذه الشبكة منظمات أخرى خارج أوروبا لأنها تستطيع التقاط الصور من شبكة البث التليفزيوني الأوروبي من موقع افضل في أوروبا ثم تعيد إرسالها إلى بلادها جواً، أو حتى عن طريق القمر الصناعي.

ومنذ ذلك الحين تكون برامج الأخبار والأحداث حوالي ٦٠٪ من مجمل نشاط البث التليفزيوني الأوروبي، وأكدت جميع الدول الأعضاء تقريباً على أهمية الأخبار والأحداث المصورة وصارت هذه البرامج "مصدراً أساسياً وحيوياً للمادة الإخبارية" بل ولها أولوية على كل أنواع الإرسال الأخرى باستثناء البرامج متعددة الأطرف وهذه تحدد لها مواعيد معينة بما في ذلك أيام الآحاد والإجازات العامة.

النوردفيجن والانترفيجن:

حاولت بعض الدول الإسكندنافية أن تشكل منذ أكتوبر ١٩٥٩ شبكة تليفزيون الشمال النوردفيجن (Nordivision) ولكنها لم تلق نجاحاً كبيراً وقد كان نجاح البث التليفزيون الأوروبي اليوروفيجن في الإذاعات الإقليمية دافعاً للدول الشيوعية في شرق أوروبا إلى محاولة تقليد اليوروفيجن داخل حدودها.

وقد قامت بعض المحطات في ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا في وقت مبكر من عام ١٩٥٦ بنقل جزء من تغطية البث الأوروبي لمباريات الهوكي الأولمبية عن طريق إيطاليا وفي سنة ١٩٥٧ امتدت الروابط الداخلية إلى بولندا.

وقد ولدت فكرة قيام خدمة تليفزيونية دولية في دول شرقي أوروبا في جلسات الكوميكون (السوق المشتركة لدول شرق أوروبا)، ومنذ مايو سنة ١٩٥٨ ناقش خبراء التليفزيون في ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندا المشكلات المختلفة. وكانت أكثر النظم التليفزيونية تطوراً خارج ألمانيا الشرقية في تشيكوسلوفاكيا، كما تم اختبار الإرسال التليفزيوني إلى المجر في ٣١ أغسطس سنة ١٩٥٧ وفي يناير سنة ١٩٦٠ قرر المجلس الإداري للمنظمة الدولية للإذاعية والتليفزيونية والتي يرمز لها عادة بالحروف الأولى لاسمها باللغة الفرنسية (OIRT)، قررت تكوين ما يسمى بالإنترفيجن (Intervision) ومقرها في بودابست، وكان أول أربعة أعضاء فيها هم شبكات التليفزيون الوطنية في ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندا، وانضم الاتحاد السوفيتي للنظام عام ١٩٦١ وتبعه في عام ١٩٦٣ كل من بلغاريا ورومانيا كما أصبحت كل من يوغوسلافيا وفنلندا عضواً في كل من اليورفيجين والأنترفيجن ولكن ألبانيا لم تنضم للنظام، وعلى كل حال فشبكة الأنترفيجين أكثر الشبكات الأرضية استيعاباً إذ تمتد من برلين الشرقية إلى الأورال، ولكنها لا تخدم جمهوراً كبيراً مثل جمهور اليورفيجن وقد تم عقد اتفاق تبادل فبراير سنة ١٩٦٠ بين كل من اليورفيجن والأنترفيجن كما تم الافتتاح الرسمي للأنترفيجن في الخامس من سبتمبر سنة ١٩٦٠ وأعلنت المنظمة عن أهدافها كما يلي:

(أ) الإعلام الواقعي والإرسال الحي للبرامج.

(ب) برامج تتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للدول الأعضاء.

(جـ) برامج فنية للمؤلفين الكلاسيكيين والمعاصرين في الدول الأعضاء.

(د) برامج للأطفال والشباب.

(هـ) برامج ترفيهية.

(و) إذاعة الأحداث الرياضية الرئيسية الوطنية والدولية.

أعلنت الإنترفيجن بأن عضويتها مفتوحة لأي منظمة تليفزيونية وأنها ليست قاصرة على الدول الأعضاء بالمنظمة الدولية للراديو والتليفزيون OIRT شريطة أن يقبل الأعضاء الجدد قوانين الإنترفيجن.

وفي نهاية الستينات كانت الإنترفيجن تضم في عضويتها العاملة ١٤ هيئة تليفزيونية، وأهم ما يميز الإنترفيجن عن اليوروفيجن هو أن الأولى تكون حزاماً إذاعياً للدعاية للاتحاد السوفيتي وحلفائه الأوروبيين فهو تليفزيون دولي في خدمة الماركسية اللينينية، وفي الفترة بين يناير سنة ١٩٦٠ ويناير سنة ١٩٦٥ أذاعت شبكة الإنترفيجن لأعضائها أكثر من ٣٧٠٠ برنامج كما يلي: الألعاب الرياضية ٤٣,٥٪ القضايا والموضوعات ٣٠,٥٪ الجوانب الثقافية ٩,٨٪ وبرامج الأطفال ٩,٤ والبرامج الترفيهية ٦,٧٪، وهذه الأرقام تظهر أن البرامج الرياضية في الانترفيجن تحتل نفس النسبة المئوية تقريباً التي تحتلها هذه البرامج في اليوروفيجن.

وبعد خمس سنوات ونصف من إنشاء الانترفيجن قال أليس سوشي Ales Suchy رئيس مركز تنسيق البرامج في براغ: إن هذا المركز قد قام بتنسيق ٤٩٤١ برنامجاً أي ٥٤١٣ ساعة إرسال، وأذاع الأحداث الكبرى الهامة لاحتفالات أول مايو في موسكو التي كانت ترسل بالتليفزيون فى سائر أنحاء الكتلة الشيوعية، كما كانت هذه البرامج ترسل بالتليفزيون خارج نطاق الإنترفيجن.

ومنذ إنشاء الإنترفيجن عام ١٩٦٠ تلقى في نفس العام ٧٤ برنامجاً (١٢٦) ساعة من اليوروفيجن وتلقى عام ١٩٦١ عدد ٥٤ برنامجاً (٥٧ ساعة).

وفي عام ١٩٦٢ لم يزد ما أرسله اليوروفيجن إلى الإنترفيجن عن ٣٨ برنامجاً (٦٥ ساعة) وفي سنة ١٩٦٣، ٨٧ برنامجاً (١٢٨) ساعة، وفي سنة ١٩٦٤، ٢٤٠ برنامجاً (٢٤٧) ساعة، وفي سنة ١٩٦٥ (من يناير إلى سبتمبر) ١٢٤ برنامجاً (٣٦ساعة) وفي سنة ١٩٦٦، ١٩٩ برنامجاً (٣١٠ ساعة) وفي سنة ١٩٦٧، ١٧٤ برنامجاً (٢٧٤ ساعة) وتبين الأرقام السابقة لعامي ١٩٦٠، ١٩٦٤ عن الاهتمام الكبير بالبرامج الرياضية كالمباريات الأولمبية من روما عام ١٩٦٠، والمباريات الأولمبية

الشتوية في أينسبروك بالنمسا (سنة ١٩٦٤) فمن بين ٧٤ برنامجاً متبادلاً في سنة ١٩٦٠ كان هناك ١٦٤ برنامجاً تليفزيونياً رياضياً من بين مجموع ٢٤٦ برنامجاً من اليورفيجن إلى الانترفيجن.

وهناك تبادل منتظم للبرامج من الإنترفيجن ففي سنة ١٩٦٠ أرسل الإنترفجن ٣٣ برنامجاً (٤٧ ساعة) إلى اليورفيجن، وفي سنة ١٩٦١ (١٧) برنامجا (= ٣٠ ساعة) وفي سنة ١٩٦٢، ٥٦ برنامجاً (= ١٠٤ ساعة) وفي سنة ١٩٦٣ (٤٩) برنامجاً (= ٨٨ ساعة) وفي سنة ١٩٦٤ (٩٥) برنامجاً (= ٨٣ ساعة) وفي سنة ١٩٦٥ (من يناير إلى سبتمبر) ١٢٨ برنامجاً (= ٦١ ساعة) وفي سنة ١٩٦٦ (١٠٧) (١٥٠ ساعة)، وفي سنة ١٩٦٧ (٧٦) برنامجاً (= ١٣١) ساعة.

وباختصار فقد قام اليورفيجن بإرسال ٩٩٠ برنامجاً (= ١٢٤٣ ساعة) إلى اليورفيجن في الفترة ما بين ١٩٦٠ ـ ١٩٦٧ وفي نفس الفترة أرسل الإنترفيجن إلى اليورفيجن ٥٦١ برنامجاً (= ٦٩٤ ساعة). ومعظم هذه البرامج المتبادلة كانت برامج ثقافية ورياضية..

الموندوفجن:

لا تستطيع أي دولة في أوروبا أو في غيرها من قارات العالم أن تكتفي ذاتياً في مجال التليفزيون، ولقد كان ارتباط أوروبا وأمريكا الشمالية بالإرسال التليفزيوني الحي للمرة الأولى عن طريق التلستار في ٢٣ يوليو ١٩٦٢ حدثاً هاما في هذا المجال، ذلك لأنه قد مكن حوالي مائة مليون أوروبي خلال ٢٢ دقيقة من مشاهدة الصور التليفزيونية عن الحياة اليومية في حوالي عشرة مدن أمريكية تقع ما بين كوبيك وحتى حدود المكسيك، كما أنه مكن جمهوراً من المشاهدين في أمريكا الشمالية وبنفس الحجم تقريباً (مائة مليون نسمة) من الاستمتاع بسياحة في بلاد أوروبا وهم جلوس في مقاعدهم وذلك حين طافت بهم كاميرات التليفزيون في اليورفيجين ما بين الدائرة القطبية والبحر الأبيض المتوسط، ومن الدانوب حتى الأطلسي لمدة ١٩ دقيقة، وأصبح من الممكن بعد وجود القمر الصناعي إيرلي بيرد Early Bird في سنة ١٩٦٥، إرسال البرامج التليفزيونية الحية طوال اليوم عبر المحيط الأطلسي، كما تزايد الطلب على تبادل الأخبار وقفز عدد

البرامج التليفزيونية المرسلة عن طريق القمر الصناعي من ٧٢ في سنة ١٩٦٤ إلى ١٨٦ في سنة ١٩٦٥.

ولقد أدت هذه التطورات بمارسيل بيزنكون إلى أن يتساءل عن مستقبل اليورفيجن وإمكانية اندماجه في التليفزيون العالمي Modovision على اعتبار أن التليفزيون العالمي ليس أكثر من شبكة لإعادة الإرسال المباشر التليفزيوني بحيث تغطي هذه الشبكة الكرة الأرضية كلها تدريجيا، وبحيث تتمكن أي منظمة تليفزيونية من التقاط أي برنامج من أي مكان آخر في العالم وعرضه على المشاهدين ولا يبدو أن هناك من الناحية الفنية ما يحول دون تحقيق ذلك.

ولقد خطا اليورفيجن خطوة أخرى للأمام نحو التليفزيون العالمي (الموندوفجن) حين قامت خدمات تليفزيونية من القارات الخمس بعمل مشترك وهو إذاعة برنامج حي عالمي تحت عنوان "عالمنا" وكان ذلك يوم الأحد ٢٥ من يونيو سنة ١٩٦٧.

وكان هذا الإرسال ثمرة لإعداد كبير استمر عامين للوصل إلى جمهور عالمي من المشاهدين لمدة ساعتين، وكان الإرسال ما بين الساعة الثامنة والساعة العاشرة مساء بتوقيت وسط أوروبا، وقد أسهمت محطات التليفزيون في أفريقيا وأستراليا وكندا وأوروبا، واليابان والمكسيك والولايات المتحدة، بتقديم برنامج واحد وبسبب اختلاف التوقيت في المناطق الجغرافية المختلفة فان المشاهدين في شرقي الولايات المتحدة كانوا يرون البرنامج يوم الأحد بعد الظهر بينما يراه المشاهدون في أستراليا واليابان في وقت مبكر من صباح يوم الاثنين.

وقد كانت هيئة الإذاعة البريطانية أول من اقترح هذا المشروع عام ١٩٦٥ ثم قامت لجنة برامج التليفزيون في اتحاد الإذاعة الأوروبية إيبو EBU وبمساعدة الهيئة الدائمة في جنيف وبروكسيل بتطوير هذا المشروع.

وقد عمل هذا المشروع ما يقرب من عشرة آلاف فرد من العاملين بالإذاعة في مختلف أنحاء العالم، وذلك بعد إعداد مضمون البرامج في عدد من المؤتمرات الدولية

ولجان التخطيط في سبع عشرة منظمة إذاعية وقد تم استخدام أكثر من مليون خط تليفوني ومائة ألف ميل من توصيلات الميكروويف Micro-Wave-Links.

كما استخدمت أربعة أقمار صناعية فوق المحيط الأطلنطي والمحيط الهادي لنقل الصوت والصورة عبر مسافات بعيدة.

ووفرت خطوط الكابل التليفوني عبر الأطلنطي طريقاً احتياطياً، أما حجرة التحكم والإشراف الرئيسية فكان مقرها باستديو التليفزيون التابع لهيئة الإذاعة البريطانية فى لندن، كما تم إنشاء منطقتين إقليميتين لهذا الإرسال التليفزيوني: المنطقة الغربية حيث تعتبر نيويورك كنقطة فرعية للتحويل ومعالجة المواد المرسلة من كندا والولايات المتحدة والمكسيك وأستراليا واليابان. والمنطقة الشرقية التي يغطيها اتحاد الإذاعة الأوروبي وعملت فيها بروكسل كمركز للتحويل حيث يتم عن طريقها معالجة اللقطات الواردة من النمسا وبلجيكا وفرنسا وألمانيا الغربية وإيطاليا وإسبانيا والسويد وتونس.

كما أنشئ جهاز في لندن للترجمة الفورية إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية وتولى عدد من المعلقين الوطنيين الترجمة إلى لغاتهم حين كان الأمر يتطلب ذلك، ويقدر عدد المشاهدين للبرنامج بحوالي ٣٥٠ مليون مشاهد وقد استمر البرنامج ساعتين، وينبغي الإشارة إلى أنه قد اتخذت الترتيبات لكي تشترك عدة دول من شرقي أوروبا في البرامج ولكن تم إلغاء ذلك قبل بداية الإرسال بوقت قصير.

وقد بدأ البرنامج بزيارة كاميرات التليفزيون للأطفال حديثي الولادة في اليابان وكندا والدنمارك والمكسيك، وعندما وصل الإرسال إلى نهايته بعد ساعتين ظهر الأطفال على الشاشة مرة ثانية بعد أن عاشوا ساعتين في "عالمنا" وكذلك فقد قدم البرنامج أيضاً علماء يعملون في أنحاء مختلفة من العالم في أبحاث تهدف إلى زيادة مصادر الطعام وتوفير الإسكان في اسكتلندا وكندا ونيويورك، كما أظهرت كاميرات "عالمنا" لجمهور المشاهدين القصر الفكتوري في جلاسبورو بالولايات المتحدة حيث كان الرئيس جونسون ورئيس الوزراء السوفيتي كوسيجين يتباحثان حول الموقف العالمي في تلك اللحظة.

ولهذا يعتبر يوم الخمس والعشرين من يونية سنة ١٩٦٧ يوماً تاريخياً حقاً حيث أتيح لجمهور المشاهدين في أنحاء متفرقة من العالم أن يشاهدوا في نفس الوقت أحداثاً تحدث في "عالمنا".

وبعد أيام قليلة من هذا الحدث الناجح تحدث مارسيل بيزنكون عن التوقعات المستقبلية للتليفزيون الدولي، فالتكنولوجيا الحديثة والأقمار الصناعية قد فتحت لنا آفاقاً جديدة في الاتصال الدولي بواسطة التليفزيون على الرغم من الأزمات والتناقضات التي قد تحدث، ذلك لأننا لا نستطيع أن ننتقل مباشرة من الشكل القروي للشكل العالمي.

التليفزيون الدولي والعالم الثالث:

لقد حدث تطور ملحوظ في مجال التعاون الإذاعى الدولي خارج القارة الأوروبية عن طريق الاتحادات الإذاعية الإقليمية، كاتحاد إذاعات الدول العربية واتحاد الإذاعات الآسيوية (ABU) ومنظمة التليفزيون الأبيرو أمريكية (OIT). ولقد كان لليابان دور مؤثر في القارة الآسيوية فقد أصبحت طوكيو مقراً رسميا للاتحاد الآسيوي الإذاعي وهذا الاتحاد شبيه باتحاد الإذاعة الأوروبي إذ يدخل في عضويته الأنظمة الإذاعية في أغلب دول الشرق الأقصى وجنوب آسيا والشرق الأوسط، كما قامت اليابان عن طريق بعض رجال صناعة الأجهزة الإلكترونية والإذاعيين بتكوين هيئة آسيافجن Asiavision كمشروع فرعي تملكه شبكة التليفزيون التجارية في اليابان Fugi - TV تليفزيون فوجي.

ومن المتوقع أن تتطور شبكة التليفزيون الآسيوي على مراحل تبدأ بتبادل البرامج الفيلمية أو المسجلة، ثم تتم التوصيلات بين عدد من الدول بواسطة الميكروويف إلى أن تغطي الشبكة القارة بأسرها.

أما في منطقة الشرق الأوسط فقد وقفت الاختلافات السياسية بين الدول العربية كعائق تنفيذ الشبكة التليفزيونية العربية، وكان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر من أكبر القوى الدافعة لتطوير هذه الشبكة بعد إدخال التليفزيون في مصر عام ١٩٦٠ وذلك لإيمانه بأهميتها في تحقيق الوحدة العربية.

وقد قامت شركة الإذاعة الأمريكية ABC في أكتوبر ١٩٦٣ بأولي الخطوات نحو إنشاء هذه الشبكة، وذلك بإعلان تكوين "شبكة الشرق الأوسط العربية" المكونة من محطات التليفزيون في سوريا ولبنان والكويت والعراق والأردن، وسارت الشبكة بخطى بطيئة إلى أن جاء عام ١٩٧٢ حيث طلب اتحاد إذاعات الدول العربية من المعهد الإذاعي الدولي في ألمانيا الاتحادية تشكيل مجموعة عملْ تتعاون مع الأمانة العامة للاتحاد لدارسة إمكانيات زيادة تدفق الأفلام الإخبارية داخل المنطقة العربية وبينها والمناطق الأخرى.

واشترك في مجموعة العمل هذه أيضاً ممثل عن هيئة الإذاعة الألمانية الاتحادية (ARD) وممثل لهيئة الإذاعة والتليفزيون الفنلندية (YLE) وممثل هيئة الإذاعة والتليفزيون اليابانية (NNK) وممثل من جمهورية مصر العربية، واتفقت المجموعة على تقسيم المنطقة العربية إلى ثلاث مناطق فرعية حيث يتم تبادل الأخبار داخلها وبين كل منطقة فرعية والأخرى وهذه المناطق هي:

(أ) منطقة المغرب وتتكون من المغرب والجزائر وتونس وليبيا.
(ب) منطقة المشرق وتتكون من مصر والسودان ولبنان وسوريا والأردن.
(جـ) منطقة الخليج والجزيرة وتتكون من العراق والكويت وقطر والإمارات المتحدة والبحرين والسعودية.

وكانت حركة المواصلات اللاسلكية هي أساس تحديد هذه المناطق الفرعية، وأصبحت إحدى هيئات التليفزيون في كل منطقة مركز تنسيق وتجميع فرعي لجهاز تبادل الأخبار على أن يكون هذا المركز مرتبطاً بمحطة أرضية للاتصالات الفضائية مجهزة لإرسال واستقبال البرامج التليفزيونية حتى يمكن استخدام الأقمار الصناعية للتبادل فيما بين المناطق الفرعية الثلاث أو فيما بين أي منها ومناطق العالم الأخرى، وهذه المراكز في الرباط لمنطقة المغرب، وعمان لمنطقة الشرق والكويت لمنطقة الخليج والجزيرة.[٨٣]

---

(٨٣) جيهان رشتي. الإذاعة الدولية بالتليفزيون، مذكرات مطبوعة على الآلة الكاتبة لطلبة كلية الإعلام، د.ت ص ٢٣ – ٢٥.

أمـا بالنسبة لأمريكـا اللاتينيـة فيقـول ويلسـون ديـزارد[٨٤]: إن أعظـم تخطيـط عملـي بالنسبة للتليفزيـون الإقليمـي خـارج أوروبـا، قد تـم فـي أمريكـا اللاتينيـة.

فهناك ثلاث بلاد أمريكية مرتبطة ارتباطاً مباشراً توطئـة لإنشـاء الشـبكة الإقليميـة الأكبر التي تمتد من الحدود المكسيكية الأمريكية إلى نهايـة حـدود أمريكـا اللاتينيـة جنوبـاً سبعة آلاف ميل..

ولقد ساعد القسم الدولي لشـركة الإذاعـة الأمريكيـة ABC International علـى إنشاء شبكة التليفزيون وخصوصاً في مراحلها الأولى، كما تم تبادل أول برنامج حي بيـن دول أمريكـا اللاتينيـة عـام ١٩٦١، وذلـك عندمـا أرسـل التليفزيـون الأرجنتينـي التقـارير الإخبارية عن مؤتمر منظمة الدول الأمريكية الذي عقد فـي بونتـاديل إسـتا Punta del Este بأوروجواي.

كمـا اتفـق خـبراء الاتصـال فـي أمريكـا اللاتينيـة فـي ذات الوقـت تقريبـاً وذلـك فـي اجتمـاعهم بمدينـة ميكسـيكو علـى القواعـد اللازمـة لتخطيـط شـبكة التليفزيـون الإقليمـي لأمريكـا اللاتينيـة، هـذا وقـد اهتـم المكسـيكيون أكـثر مـن غيـرهم بفكـرة شـبكة التليفزيـون الدولـي التـي بـدأت عملياتهـا المركزيـة عـام ١٩٦٤ وعرفـت هـذه الشـبكة باسـم كـاتفن (CATVN) وكـان المشـتركون فيهـا هـم:

نيكاراجوا، كوستاريكا، جواتيمالا، بنما، هندوراس، سـلفادور. ثـم جـرت بعـد ذلـك محاولات لمد التوصيلات الحية بيـن أعضـاء كـاتفن وبينهـم وبيـن دول أمريكـا اللاتينيـة الأخرى، وذلك توطئة للدخول في التليفزيون الدولي الذي يربـط جميـع أجـزاء المعمـورة باستخدام أقمار الاتصال الصناعية أو الكابلات الأرضية ونظم الميكروويف..

ويـرى الخـبراء أن ربـط العـالم الغربـي بالنظـام الآسـيوي يوراسـيان (Eurasian) يتطلـب قمريـن صنـاعيين للاتصـال أحدهمـا فـوق المحيـط الأطلنطـي والآخـر فـوق المحيـط الباسـيفيكي، وعلـى كـل حـال فتحقيـق التليفزيـون العـالمي يتطلـب مـن غـير شـك التطويـر المسـبق للتليفزيـون الإقليمـي فـي منـاطق العـالم المتقاربـة جغرافيـا والمتجانسـة ثقافيـاً.

---

(84) Wilson P. Dizard. Televition: A World View, syracuse University Press, 1966.

الباب الرابع

الدعاية الدولية والحرب النفسية

الفصل الخامس عشر : الدعاية الدولية: وظيفتها وتعريفها وأهدافها وأساليبها

الفصل السادس عشر : الاتصال الدولي والعلاقات الدولية

الفصل السابع عشر : الأساليب الأخلاقية وغير الأخلاقية في الدعاية الدولية

الفصل الثامن عشر : الدعاية الدولية العدائية والقانون الدولي

الفصل التاسع عشر : تأثيرات الدعاية الدولية

الفصل العشرون : الحرب النفسية وأسلوب تحطيم الروح المعنوية للعدو

الفصل الخامس عشر

الدعاية الدولية

وظيفتها وتعريفها وأهدافها وأساليبها

أولاً - الدعاية كوظيفة منتظمة للحكومة:

لقد ازدادت أهمية الدعاية الدولية لا لتوفر أساليب اتصال جديدة فحسب ولكن بسبب الاعتراف بالدعاية كوظيفة منتظمة ودائمة للحكومات الوطنية في السلم أو الحرب، ولزيادة جمهور الاتصال الدولي ليشمل السكان بأسرهم لا القادة أو الرجال المحاربين أو القطاعات المتعلمة وحدها.

ونحن نلاحظ أن الاتصال السياسي بين الحكومات والمواطنين في البلاد الأخرى كان محدوداً - عبر معظم الفترات التاريخية - إلا في زمن الحرب أو الأزمات الدولية.. وربما كانت الثورة البلشفية هى أول من اعترف بالدعاية كأحد مقومات قوة الدولة. وفي عام ١٩٢٣ وجدنا اللورد كورزون وزير الخارجية البريطانى يحتج بشدة لدى موسكو بسبب الدعاية البلشفية فى أنحاء متفرقة من الإمبراطورية البريطانية[٨٥].

كما هاجمت الإذاعة الإيطالية - بعد وصول الفاشيين إلى الحكم - هاجمت المصالح البريطانية في الشرق الأوسط، وحاولت استمالة المواطنين الإيطاليين من أمريكا اللاتينية، كما أنشأ النازي وزارة للدعاية ذات إمكانيات ضخمة .

هذا وقد أنشئت محطة إذاعة بريطانية في فلسطين عام ١٩٣٧ وذلك أثر الاعتداءات الإيطالية في الشرق الأوسط. وكانت هذه الإذاعة تبث برامجها باللغة العربية بانتظام، كما بدأت في السنة التالية من إنشائها الإذاعة باللغتين الألمانية والإيطالية، كما

---

(85) Whitton, John B. and Larson, A. Propaganda: Toward Disarmament in the War of Words. Dobbs Ferry, N.Y., Oceana Publ., 1964, pp. 25-28.

وضعت الخطة لإنشاء محطتين للإرسال قوة كل منهما ٥٠,٠٠٠ وات لتجعل تسهيلات الإرسال على الموجة القصيرة أضخم إرسال في العالم.. وعندما نشبت الحرب عام ١٩٣٩ كانت هناك مؤسسة دعائية بريطانية قوية تستخدم جميع وسائل الإعلام، وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية فإن المؤسسات الدعائية التي أنشأتها الدول المنتصرة لم تنه عملها ولكنها استمرت تحت أسماء مختلفة أحياناً(٨٦).

هذا وتزايد عدد ساعات الإرسال الإذاعي الدولي ـ منذ الحرب العالمية الثانية ـ بصفة مستمرة من المحطات الحكومية والعامة والخاصة والدينية والتجارية وغيرها.

لقد أصبحت الدول الكبرى والصغيرة مشاركة في الإذاعة والدعاية الدولية، فوكالة الأنباء الصينية مثلاً أصبحت تنافس الوكالة السوفيتية. كما أنشأت كثير من الدول الصغيرة وكالات أنباء وخدمات إذاعية على الموجة القصيرة لشعوب أخرى..

وخلاصة القول أن الدعاية قد أصبحت ذراعاً قوياً لكل الحكومات. شأنها في ذلك شأن النشاطات والأجهزة العسكرية والاقتصادية وغيرها.

ثانيا: تعريف الدعاية الدولية:

تستخدم كلمة "الاتصال" Communication في المفرد كصفة، للدلالة على عملية الاتصال التي يتم بواسطتها نقل المعنى، أما كلمة الاتصال في الجمع Communications فإنها تدل على الرسالات Messages وسيثار هنا تساؤل عن الفرق بين "الاتصال" "والدعاية" باعتبار الأخيرة محاولة مقصودة للتأثير على الاتجاهات والسلوك، عن طريق الاستخدام المنتظم للكلمات والرموز..

وإذا كان البعض لا يرى أن هناك عيبا يشوب كلمة "الدعاية" ذلك لأنها يمكن أن تستخدم لتحقيق أغراض طيبة، كما يمكن أن تستخدم لتحقيق

(86) Davis Elmer,((Report to the President)), **Journalism Quarterly.** Monograph 7, August, 1968, p. 7.

أغراض خبيثة مغرضة، فإن عامة الناس يرون في الدعاية وجهها القبيح فحسب..

وما يهمنا من هذا العرض هو أن نفرق بين الرسالات التي تهدف إلى التأثير السياسي بالدرجة الأولى، والرسالات التي لا تهدف إلى ذلك، كما ينبغي أن نفرق أيضاً بين المصادر الحكومية والمصادر غير الحكومية... ويمكننا أن نميز أربع فئات من تلك الرسالات، وهي:

١- الرسالات الرسمية: التي تهدف إلى التأثير على الجمهور الأجنبي وهذه مثل تلك الرسالات التي تقوم بها وكالة الاستعلامات الأمريكية (U.S.I.A).

٢ - الرسالات الرسمية التي لا تهدف إلى إحداث تأثير سياسي خارجي، وذلك مثل شبكة الراديو والتليفزيون للقوات المسلحة الأمريكية العاملة خارج الولايات المتحدة.

٣- الرسالات الخاصة التي تهدف إلى التأثير السياسي على الجمهور الأجنبي، وذلك مثل الجماعات التي تعمل من أجل تحقيق التفاهم الدولي مثلاً.

٤ - الرسالات الخاصة التي لا تهدف إلى التأثير السياسي مثل خدمات وكالات الأنباء العالمية أو الشركات ذات المصالح التجارية بالخارج.

ومن الواضح أن هذا التقسيم ليس دقيقاً ولا متميزاً فكثيراً ما تتداخل بعض هذه الفئات مع بعضها وقد يكون للرسالة تأثير سياسي وآخر غير سياسي، كما يصعب أحياناً التمييز بين المصادر الحكومية وغير الحكومية..

كما أن هناك أخباراً ليس لها طابع سياسي ولكن لها تأثيرا ملحوظاً على علاقات القوة بين الدول كالأخبار الهامة في مجال التطورات العلمية والتكنولوجية وغيرها(٨٧).

---

(87) Davison, **Op. Cit**

وإذا كنا قد ذكرنا فيما سبق أنه ليس هناك تعريف واحد للدعاية، فان الأمر ينطبق كذلك على الدعاية الدولية، ويمكن أن نعرف الدعاية الدولية لأغراض هذه الدراسة بأنها تلك لجهود الاتصالية التي تقوم بها حكومة معينة - أو هيئات وطنية مختلفة - وتوجهها إلى جمهور أجنبي بالدرجة الأولى بغرض التأثير عليه وجعله يتبنى وجهة نظر الحكومة أو الهيئات الوطنية بالنسبة للقضايا المختلف عليها على الصعيد الدولي.

وسيثير هذا التعريف من غير شك الكثير من المشاكل والتساؤلات، فماذا عن مضمون الرسالة الاتصالية وعن أشكال وسائل الاتصال، وماذا عن الأغراض والأهداف العامة أو المحددة التي يسعى المرسل إلى تحقيقها؟ وهل يقتصر بث الرسالة على الطريق الرسمي أو غير الرسمي؟ أي أن تعريف الدعاية الدولية سيكون غالباً تعريفاً مطاطاً وتعسفياً، وسيصعب تعيين الحدود الفاصلة بين الدعاية الدولية والاتصال والتبادل الثقافي وبينها وبين الاستمالة الدولية، بل بينها وبين ما يسميه البعض بالقهر الإيديولوجي الدولي(٨٨) International Ideological Coercion.

ويمكن أن نشير في هذا المقام إلى ما يلي:

١ - الاستمالة والدعاية:

يرى البعض أن الدعاية لها نغماتها الشريرة المتحيزة دائماً وإن كان القائمون بها أحياناً لا يحسون بالذنب لقيامهم بهذا العمل، بل هم يرونه محققاً لأهداف وطنية سامية ولعلهم مخدوعون أحياناً في براءة ما يقومون به.

وإذا كان مصطلح الدعاية قد استخدم في الغرب للدالة على شيء سيئ، فان مصطلح الاستمالة Persuasion يدل في نظر الكثيرين على عمل محايد.

وإن كانت كل من الدعاية والاستمالة تهدفان إلى غرض متشابه في التأثير على تفكير الآخرين وسلوكهم.

---

(٨٨) أنظر في ذلك :

Murty B.S. Propaganda and World Public Order, New Haven, Yale University Press. 1968. pp. 174-5.

٢ ـ الاتصال الاستمالي والاتصال التحضيري:

يعتبر معظم الباحثين أن الدعاية وسيلة اتصالية استمالية، ويذهب هؤلاء إلى أن معظم النشاط الدولي الذي يسميه البعض بالدعاية ليس اتصالاً استمالياً Persuasive com. ولكنه يعتبر اتصالاً تحضيرياً Facilitative Communication أي أنه نوع من الاتصال الذي يعد المسرح لتلقي الرسالة الاستمالية والدعائية.. وما يثير الدهشة لدى معظم الناس ـ ومن بينهم الداعية نفسه ـ أن أكبر جزء من ميزانية الدعاية لا ينفق على الدعاية أبداً، ولكنه ينفق على ما يمكن أن يسمى **بالاتصال التحضيري**، وهو النشاط الذي يحفظ الخطوط والاتصالات Contacts مفتوحة بين الدول تحضيراً لليوم الذي تحتاج فيه الدولة لهذه الخطوط المفتوحة لأغراض الدعاية.

ويشبه البعض هذا النوع من الاتصال بما يفعله المراسل الصحفي، الذي يواجه **مؤتمراً صحفيا هاماً، وعدداً محدوداً** من الهواتف المتاحة، فهو في هذه الحالة، يكلف أحد مساعديه بالجلوس بجوار الهاتف، على أن يفتح الخط على مكتب صحيفته، حتى يبعث برسالته وقصته للصحيفة عند لحظة الانتهاء من المؤتمر الصحفي مباشرة.

وتستخدم الدعاية الدولية الاتصال التحضيري، على شكل النشرات الإخبارية المذاعة في الراديو، المؤتمرات الصحفية Press Releasc and Conferences الكتب والنشرات والدوريات العامة والمتخصصة، البرامج الفنية والثقافية، المعارض والأفلام، حلقات البحوث، فصول تعليم اللغات، خدمات المراجع والمقابلات الاجتماعية الشخصية.. وغيرها.

ومن الواضح أن هذه النشاطات السابق ذكرها. لا تتصل بتحقيق هدف محدد، بل تهتم بخلق جو من الصداقة أو ما يسميه علماء النفس بالأثر المتوافق Favorable Effect.

٣ ـ المبادلات الرسمية والاتصال الاستمالي:

لقد استبعدت المبادلات الرسمية (Official Exchange) وهي نشاطات الدبلوماسيين في تعاملهم مع أقرانهم، من هذا النوع من الاتصال الاستمالي في الماضي، ولكن ذلك يعتبر أمراً عسيراً في الوقت الحاضر، ذلك لأن الدعاية الدولية تهدف إلى التأثير على الرسميين الحكوميين أنفسهم، باعتبارهم من بين قادة الرأي Opinion Leaders والوسيلة المستخدمة في ذلك تنسحب على العلاقة بين الدبلوماسيين في حفلة كوكتيل مثلاً..

وإذا كان البعض يذهب إلى القول بأن الرسالة في هذه الحالة مختلفة، لأن التبادل الدبلوماسي يكون من الناحية القانونية ـ أو على الأقل من الناحية الدبلوماسية ـ ملزماً، والدعاية ليست كذلك.. فان هذا التفسير لا يعكس ولا يعبر عن واقع اليوم. فالتحركات الدبلوماسية تذاع وتنشر عبر وسائل الإعلام الجماهيري، بينما يمكن أن تتحلل الحكومة من المبادلات الرسمية في الوقت الحاضر دون حرج[٨٩].

ثالثاً ـ أهداف الدعاية الدولية وتكاليفها:

من المشكوك فيه أن تتغير الأهداف والوسائل الأساسية في الدعاية، وإن كنا نأمل أن تتغير هذه الأهداف والوسائل لتحقق أمل الإنسانية في العيش في تكافل وتكامل وأمن وعدل وسلام.

ونظراً لأن الدعاية الدولية قد استخدمت بصفة أساسية في أوقات الحروب أو الثورات أو الأزمات، فان أهدافها تكاد تكون متشابهة عبر التاريخ، فقد ذهب هارولد لاسويل أن الدعاية لها أربعة أهداف استراتيجية رئيسية وهي:

---

(٨٩) يذكر الخبراء في ذلك مثلاً حديثاً مارسته الولايات المتحدة عن طريق المستر دونالد بيرجيس المشرف على المصالح الأمريكية في مصر، إذ اعتبرت وزارة الخارجية الأمريكية، أن مقترحات المستر بيرجيس إلى الرئيس السادات بخصوص حل مشكلة السويس، أن هذه المقترحات هي وجهات نظر المستر بيرجيس الشخصية وذلك عندما تراجعت الحكومة الأمريكية عن هذه المقترحات. المرجع:

Martin, L. John. "Effectiveness of International Propaganda". **Annals**, Nov. 1970. p. 62.

١ ـ تعبئة الكراهية ضد العدو.

٢ ـ الحفاظ على صداقة الحلفاء.

٣ ـ الحفاظ على صداقة الدول المحايدة بل والحصول على تعاونها.

٤ ـ تحطيم الروح المعنوية للعدو(٩٠).

ويصدق تحليل هارولد لاسويل بالنسبة لأهداف الدعاية منذ الزمن القديم، ولو كان لدى الإسكندر الأكبر أو جنكيز خان أو نابليون قسم سياسي لجهازهم الدعائي، فمن المحتمل أنه سيقرر نفس الأهداف الدعائية التي قررها لاسويل.

ومع ذلك فقد قامت بعض الدعاية الدولية في زمن السلم، بل وتعتبر الدعاية جزءاً من نشاطات الحكومة في وقت السلم أيضاً، وإذا كانت معظم الدعاية الرسمية للدول الكبرى مازالت تخدم الأهداف السياسية الوطنية لتلك الدول، فإن جزءاً من هذه الدعاية يهدف إلى زيادة التعاون الدولي، وتنمية التبادل التجاري. وربما كان الاتجاه المعاصر هو استخدام الدعاية الدولية في الأغراض السلمية غير السياسية ويصدق هذا القول على الدول الصناعية الصغيرة أكثر من غيرها.

وهناك اتجاه آخر في الدعاية المعاصرة وهو تقديم الدعاية على شكل أخبار تبث عن طريق الوكالات وأساليب الاتصال العادية.

أما من ناحية تكاليف الدعاية.. فمن العسير، بل لعله من المستحيل أن نقدر المبالغ التي تنفق على الدعاية الدولية. وإذا عرفنا ميزانيات وكالات الدعاية في الدول المختلفة، فإن مجموع هذه الميزانيات سوف لا يمثل إلا جزءاً من المبالغ الكلية المستخدمة في الدعاية فعلاً، ولكن تحت أسماء ونشاطات أخرى لا يطلق عليها اسم الدعاية.. ويمكن أن نفترض أن الإنفاق على الدعاية الدولية ـ في ألدول الفقيرة والغنية ـ يصل إلى مئات الملايين من الدولارات.

---

(90) Lasswell, Harold D. Propaganda techniques in world war I. Cambridge, Mass, M.I.T. Press, 1971. p. 195.

ومع ذلك فتعتبر الدعاية أقل تكلفة إذا ما قورنت بغيرها من أدوات السياسة. ولكن تكاليفها في زيادة مستمرة. يستوي في ذلك الدعاية الوطنية أو الدولية. وازدياد تكاليف الدعاية الدولية لا يرجع إلى ضرورة إنتاجها بكميات أكبر من ذى قبل، ولكن بسبب استثمار أموال متزايدة لمواجهة تكنولوجيا الاتصالات الحديثة، كما أن العاملين في حقل الدعاية قد أصبحوا هم أنفسهم أكثر تخصصاً وإعدادهم لابد أن يتلائم مع هذه التطورات التكنولوجية المتغيرة.

رابعاً - أساليب الدعاية الدولية:

لقد استخدمت الدعاية مختلف الأساليب المتاحة - منذ قديم الزمان - لخدمة الأهداف الوطنية[٩١]. فنحن نعرف أن جنكيز خان قد أرسل طلائع جيوشه المغولية لزرع الخوف لدى أعدائه ونشر الإشاعات المبالغ فيها عن جيوشه الضخمة ووحشية رجاله المحاربين، وفي الواقع فقد كانت جيوش المغول أقل عدداً من أعدائها، ولكن الدعاية التي كان يقوم بها كانت تضيف قوة إلى جيشه[٩٢].

كما استخدمت أساليب الاتصال المختلفة - خلال العصور الوسطى الأوروبية - كأسلحة في الصراع الديني والسياسي، أي أن المنشورات المكتوبة باليد قد استخدمت بالإضافة إلى الخطب والأغاني والمسرحيات والاتصال المباشر وجهاً لوجه.

ولقد تعرضت الدعاية الدولية لتطورات كثيرة منذ اختراع الطباعة المتحركة على يد جوتنبرج خلال القرن الخامس عشر ثم ظهور الصحافة والسينما والراديو والتليفزيون خلال الأحقاب الأولى من القرن العشرين. كما أسهمت التطورات في وسائل النقل والثورة الصناعية وارتفاع مستويات المعيشة وانتشار التعليم، وما يستتبعه من اتساع الأفق الفكري هذه كلها أسهمت في تغيير كثير من مظاهر الدعاية الدولية إن لم يكن في بعض طبيعتها الأصلية.

---

(91) Davidson W. Phillips. " Some trends in International Propaganda" **Annals**, Nov., 1971, 1971,p. 1.

(92) Linebarger, Paul M. **Psychological Warfare**. 2nd. New York: Duell, Sloan and pearce, 1954, P. 7and 15.

هذا وتخدم الصحافة السياسات الوطنية بثلاث طرق رئيسية، أولها أن يدخل الداعية مواد دعاية في الصحف والجرائد القائمة فعلاً، أو أن ينشئ صحفاً تتحدث باسمه سواء كانت هذه الصحف معروفة بصفتها هذه أو أن تكون مقنعة تتستر وراء هيئات أو مؤسسات أخرى، وثالث هذه الوسائل هو استخدام الدعاية المكشوفة أو المقنعة في الصحف التي يسيطر عليها الداعية.

وسيضمن الداعية بذلك أن تكون الصحافة متحيزة تنشر صورة ذات جانب واحد. هذا وتعمد بعض الدول إلى تمويل أو رشوة الصحف الأجنبية في البلاد المحايدة أو الصديقة أو حتى المعادية، لتتخذها وسيلتها للدفاع عن سياستها وإن كان من العسير إثبات ذلك بشكل قاطع(٩٣).

خامساً - حجم الدعاية الدولية والمستقبل:

(أ) الراديو الدولي والأقمار الصناعية:

هناك حوالي (٦٤٥) مليون راديو في دول العالم كله حسب إحصاء عام ١٩٧٠، وثلث هذه الأجهزة على وجه التقريب، يمكن أن تلتقط الموجة القصيرة، وإذا كان عدد سكان العالم في عام ١٩٨٠ سيزيد إلى ١,٣ بليون نسمة، فان عدد أجهزة الراديو وعدد الأجهزة التي تستقبل الموجة القصيرة سيتضاعف حسب ما هو متوقع، ويتوقع الخبراء أن الراديو سيظل محتفظاً بمكانه الهام في أفريقيا وفي آسيا باستثناء اليابان(٩٤).

هذا ويستمع الناس للراديو الأجنبي، ليحصلوا على شيء لا يستطيعون الحصول عليه من وسائل الإعلام المحلية، ويمكن أن يشمل ذلك بعض ألوان التسلية كالموسيقى الغربية مثلاً (وخصوصاً في البلاد الشيوعية)، ويمكن أن يستمعوا إلى بعض الآراء

---

(93) Bruntz, George R. **Propaganda and the Collapse of the German Empire in 1918.** Stanford, Calif. Standford University press. 1938, p. 41

(94) Martin, Edgar, T. and Jacobs, George, " Short Wave Broadcasting in the 1970s", **In** J.M. Frost (ed.) **How to Listen to the World. Wales.** Pendragon press, 1971, pp. 4-8.

السياسية التي تحرمها السياسة المحلية... وتنجح هذه الإذاعة الدولية متى قدمت للجمهور في بلد معين، المعلومات الموضوعية الدقيقة عن أحداث اليوم.

ويتفق معظم الخبراء في الراديو الدولي، على أن الوصول إلى قادة الرأي هو أهم الأهداف، وقادة الرأي هؤلاء، ليسوا هم ممثلي الصفوة أو محرري الصحف المشهورين فحسب، بل يمكن أن يكونوا أفراداً عاديين لهم تأثيرهم على جماعاتهم، كما يذهب بعض الخبراء، إلى أن الأشخاص الذين لديهم دافع قوي لسماع الإذاعات الأجنبية، يمكن أن ينتموا لجماعة القادة الحاليين أو المحتملين في المستقبل.

وهؤلاء الناس الذين يقدر عددهم بـ ١٠ ـ ٢٠ ٪ من السكان البالغين في معظم البلاد هم الذين يكونون الرأي العام المثقف.

(ب) الإذاعة الدولية والمستقبل:

ماذا عن المستقبل؟ هل ستستغني الدول عن البث عبر الموجة القصيرة؟ وتستخدم بدلاً منها، الأقمار الصناعية لبث البرامج الإذاعية المسموعة والمرئية مباشرة إلى الناس في بيوتهم أينما كانوا؟

إن اللجنة التي شكلتها هيئة الأمم المتحدة، لدراسة إمكانية البث المباشر عبر الأقمار الصناعية، قد أجابت بالنفي، وذلك طبقاً للتقرير الذي وضعته اللجنة في فبراير سنة ١٩٦٩، أوضحت فيه أن ذلك سوف لا يتم قبل عام ١٩٨٥، على وجه التقريب وذلك للصعوبات الفنية وارتفاع التكاليف.

ولكن هناك صعوبات أخرى ستظل موجودة، ذلك لأن بعض الدول تخشى أن تفقد سيطرتها على وسائلها الإعلامية، كما تبدى كثير من الدول رغبتها من أجل ذلك في أن ينص القانون الدولي على تحريم البث الإذاعي عبر الأقمار الصناعية في المناطق التي لا تريدها الحكومات المحلية، كما أن حقوق التأليف والطبع وقيودها ستتعرض لتعقيدات كثيرة..

وعلى كل حال فمتى أصبح البث المباشر، عن طريق الأقمار الصناعية. ممكناً من النواحي التكنولوجية والاقتصادية والقانونية والسياسية، أصبح من الضروري تصميم أجهزة تليفزيون جديدة، تكون قادرة على استقبال الإشارات بذبذبات تصل إلى ١٢ بليون سيكل في الثانية..

هذا والأقمار الصناعية اللازمة للإذاعة الدولية، تختلف عن الأقمار الصناعية ـ الجيل الثاني ـ المستخدمة في الأغراض التعليمية، وأخيراً هل سيكون البث المباشر سبيلاً لزيادة فرص الاتفاق بين الأقطار، أم أن ذلك سيضيف قضايا للنزاع والصراع الدولي؟.. وهل سيخضع هذا البث للقوانين الوطنية التي ستستخدم هذا النوع من الاستقبال، أم لا؟ إن ذلك كله مرهون بتطورات المستقبل[٩٥].

---

(95) Laskin, Paul L. **Communicating by Satellites.** New York, Twentieth century Fund, 1969.

ومن الملائم أن نذكر هنا أن الجمعية العامة للأمم المتحدة، قد وافقت بتاريخ ١٩٧٢/١١/١٠ بأغلبية ١٠٢ صوت ضد صوت واحد وامتناع ٧ دول من بينها إسرائيل عن التصويت على مشروع قرار سوفيتي يقضي بوضع توجيهات الدول للإذاعات التليفزيونية، التي تتم عن طريق الأقمار الصناعية وتنقل مباشرة إلى المنازل في الدول الأجنبية.. وكانت الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي عارضت ذلك المشروع وهي أول مرة في تاريخ الأمم المتحدة، تصوت فيها الولايات المتحدة وحدها في قضية ما.

وقد أوضح الاتحاد السوفيتي أنه إذا أخذ في الاعتبار نشاط محطة إذاعة صوت أمريكا وراديو أوروبا الحرة فإن وجود إرسال تليفزيوني من الفضاء لا يخضع لأي قيود سوف يمثل غزواً لسيادة الدول، ويمكن أن ينقل إليها مواد تخريبية أو تحريضا على الجريمة والثورة، أو نشر الأعمال الفاضحة والأدب المكشوف فيها (الأهرام: ١٩٧٢/١١/١١).

الفصل السادس عشر

الاتصال الدولي والعلاقات الدولية

تقديم :

يتسم عصرنا الحاضر بإمكانيات اتصالية هائلة بين أركان الدنيا كلها . وهذه الزيادة المتنامية في الاتصال الدولي قد جعلت من الضروري إعادة تقييم الافتراضات المستخدمة في تحليل وفهم العلاقات بين الدول .

وقد يرى بعض الباحثين أن إمكانية الاتصال المباشر بين الجماهير في مختلف أنحاء العالم، قد تخلق نوعاً من الأخوة الدولية، وقد تؤدي إلى تبني معايير مشتركة للمجتمع الدولي، كما قد تزيد هذه الاتصالات من تأثير الرأي العام العالمي، بينما يرى باحثون آخرون أن سرعة الاتصال الدولي على اتساع العالم كله، قد تؤدي كذلك إلى السخط الوطني والاضطرابات والقلاقل، بما تنقل وسائل الاتصال إلى الشعوب المقهورة من صور الحياة المشرقة في الدول الأخرى .

وعلى كل حال، فان أبعاد الاتصال الدولي ونتائجه، يجب أن يحسب حسابها للتقليل من آثارها الضارة والإفادة من امكانياتها الطيبة المتنامية. ويمكن أن نتناول فيما يلي بعض جوانب الاتصال الدولي بأبعاده المعاصرة .

أولاً - القرية العالمية :

إن نظرة القروي في مصر أو البرازيل أو الهند أو غيرها من بلاد العالم قد تغيرت مع اختراع الراديو الترانزيستور . وإذا كان العالم الحقيقي بالنسبة للقروي في هذه البلاد كان محدوداً بحدود القرية، فان العالم الكبير على اتساعه قد أصبح قرية يعرف فيها الناس بعضهم بعضاً .

وإذا كانت القرية تتلقى المعلومات من الخارج عن طريق أبنائها الذين يذهبون للمدينة للدراسة، أو عن طريق المعلمين الذين يفدون إليها، أو عن طريق بعض الصحف فان هذه المعلومات غالباً ما تكون أخباراً ومعلومات قديمة، تناولتها الإشاعة في بعض مراحلها، أي أن القروي يعرف عن الدنيا أخباره ولكن بصفة غير مباشرة، لأنه لم يشترك في عملية الاتصال بصورة مباشرة. ولكنه يستوعب ويفهم ويتذكر من هذه المعلومات المختارة مسبقاً أكثرها التصاقاً بحياته المادية المباشرة .

لقد كانت القرية بالنسبة إليه هي الحياة، وكان الأفق هو حدود القرية أما العاصمة أو المدينة فهي منارة المعلومات ومصدرها . والعالم الخارجي هو عالم غير ذي موضوع. ثم جاء الراديو الترانزيستور، فوصل القرية بالمدينة لتتلقى المعلومات والأخبار في نفس اللحظة، بل وصل الراديو القرية بالعالم الكبير، أي أن جماهير العالم أصبحت عوامل في عملية الاتصال الدولي، وذلك في الوقت الذي أصبحت فيه السياسة الدولية عاملاً مهما بالنسبة لهم كذلك. وزادت الحاجة إلى مشاركة الجماهير في السياسة العامة، وقس على ذلك وسائل الاتصال الإلكترونية أو المطبوعة الأخرى(٩٦).

وربما تصبح الدنيا قرية عالمية في يوم من الأيام، حيث تلتقط أجهزة الاستقبال المنزلية، الإشارات السمعية والبصرية من جميع أنحاء العالم، عن طريق الأقمار الصناعية، ولكن متى يأتي هذا اليوم الذي يتحقق فيه ذلك ؟ إن أخصائي الاتصال يرون هذا اليوم قريباً في خلال العشرين سنة القادمة .

ثانياً ـ نمو الاتصال الدولي وأثره على الحكومات(٩٧):

هناك بعض التوقعات التي يراها كثير من المتفائلين، وذلك بالنسبة لزيادة الاتصالات الدولية وتأثيرها على الحكومات وتتلخص هذه التوقعات فيما يلي :

---

(96) Wedge, Bryant "International Propaganda and Statecraft", **Annals**, Nov., 1971, p. 37-8.

(97) **Ibid**, P. 38-41.

١ ـ ستكون الحكومات أقل قدرة على احتكار المعلومات والسيطرة عليها نظراً لحاجة الناس للمشاركة في المجتمع الدولي والتعرف عليه وخصوصاً بالنسبة للمفكرين والشباب في مختلف الأقطار .

ستضعف قبضة الحكومة على الرقابة، نظراً لسرعة تعرف الناس على الأخبار العالمية والمحلية حال وقوعها، أي أن الرغبة في المعرفة ستزيد والجهود التي تبذل في الرقابة سيضعف أثرها .

وستعاني الحكومات التسلطية من جراء ذلك، فقد ثقة الناس بها، ذلك لان المد العالمي يشير نحو الانفتاح والمعرفة .

أي أنه سيكون هناك ردود فعل سلبية بالنسبة لتطور "الثقافة الدولية" ذلك لأن الحكومات كعادتها ستحاول الاستمرار في التحكم والسيطرة على وسائل الإعلام والاتصال، وستحاول الشعوب كعادتها الانفتاح على كل ثقافة وفكر .

٢ ـ سيزيد تأثير الرأي العام العالمي .. ففي عصر اعتماد الدول بعضها على بعض .. لا تستطيع دولة أن تعيش طويلاً في عزلة، ولقد شاهدنا كيف أن المعارضة الواسعة للسلوك الأمريكي في حرب فيتنام قد غيرت من السياسة الأمريكية الخارجية في فيتنام، وهكذا بالنسبة لمشاكل كثيرة، كما دفعت روسيا بعض الثمن في سلوكها نظير إخمادها لثورات تشيكوسلوفاكيا والمجر ولكن الدول عادة لا تعبأ بالرأي العام العالمي، إذا تعارض هذا الرأي مع ما تراه هي محققاً لمصالحها.

٣ ـ سيزيد السخط والضيق والقلق بين بعض المواطنين، عندما يرون الشظف والترف يعيشان معاً في وطن واحد، دون أن يكون هذا التمايز لأسباب مقبولة .. وقس على ذلك سخط الشعوب بل وثوراتها، عندما ترى على شاشة التليفزيون مثلا، شعوباً أخرى مثلهم تنعم بالرفاهية والحياة، ويحرمون هم من هذه الرفاهية، لا لأسباب كامنة فيهم بل لنظامهم السياسي أو الاقتصادي ... الخ .

٤ ـ ستقوى أواصر الأخوة الدولية مع مضاعفة قنوات الاتصال وسيأتلف الناس ذوي المصالح المشتركة حول أهداف واحدة، وسيولد المجتمع المتجانس الذي يرى فيه العلماء أنفسهم كأعضاء في مجتمع دولي متعاون بعيد عن صراعات السياسة، هذا بالإضافة إلى أن نظرة الشباب قد تكون متشابهة لنظرة العلماء في كل مكان .

وعلى المستوى الرسمي والحكومي فستزيد هذه الاتصالات من اعتماد الدول بعضها على بعض، وسيزيد نمو الروابط الدولية على المستوى الإنساني .. وبالتالي ستقل الاستقطابات العدائية بين الشعوب .

٥ ـ سيكون هناك نوع من الثقافة العالمية، التي ترتكز على أساس تكنولوجي، وذلك بفضل توفر البث المختار لمقننات مشتركة إلى المجتمع الدولي .. كما ستحتاج الاتصالات الدولية إلى أجهزة مماثلة، متلائمة في مختلف البلاد تنسحب عليها مقننات دولية مشتركة .

أي أن هذه الثقافة العالمية التي تتكون رويداً رويداً يحتمل أن تقلل من مجالات الخلاف مع ازدياد اعتماد الدول بعضها على بعض .

٦ ـ ستزيد إمكانية التوحيد التكنولوجي، ذلك لأن مشاركة الدول المختلفة في شبكة المعلومات العلمية والتكنولوجية على وجه الخصوص ـ مثل الانترنت ـ تعتبر أحد مقومات البناء والدفاع الوطني القائم على الانفتاح والمعرفة لا على السرية والانغلاق وسيعتبر الاعتداء على أي دولة تشترك في نظام الاتصال العلمي العالمي اعتداء على مجتمع الدول كله .

ثالثاً ـ مشكلة حرية الإعلام على المستوى الدولي :

هناك مواثيق عديدة دولية ووطنية تتضمن الدفاع عن حق المواطنين في حرية التعبير بمختلف الوسائل المتاحة وذلك من أجل إرساء قواعد السلام والتفاهم بين الشعوب، وقد تضمن إعلام حقوق الإنسان العالمي الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في عشرين ديسمبر سنة ١٩٤٨ ما يلي : "لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير،

وينطوي هذا الحق على اعتناق الآراء دون تدخل فضلا عن السعي واستقبال ونقل المعلومات بواسطة أي وسيلة ودون اعتبار للحدود" .

كما يعتبر دستور اليونسكو معاهدة بين الدول التي أقرت هذا الدستور .. وقد جاء في مادته الأولى "التعاون في الجهود الرامية إلى تعريف الشعوب بعضها ببعض، وتفهمها المتبادل للقيم الثقافية لكل منها، وذلك عن طريق جميع وسائل الاتصال الجماهيري، ومن أجل تحقيق هذه الغاية توصي المنظمة بعقد الاتفاقات الدولية اللازمة لانتقال الأفكار بحرية عن طريق الكلمة والصورة"(٩٨).

كما أوضح ميثاق الجامعة العربية أهمية التعاون في الشئون الثقافية فأكدت المادة (١٣) من ميثاق الجامعة أنه "سوف تعمل دول الجامعة العربية على تعريف أبنائها بالأحوال الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في البلاد العربية بواسطة الإذاعات والمسرح والسينما والصحافة أو بأي وسيلة أخرى" وقد أنشئت منظمة اليونسكو العربية (Alesco) كتطور طبيعي لزيادة توثيق عري الاتصال بين البلاد العربية في الشئون العلمية والتعليمية والثقافية والإعلامية .

كما وقع مجلس أوروبا في نوفمبر سنة ١٩٥٠ المعاهدة التي نصت في مادتها العاشرة على أن "لكل شخص حقه في حرية التعبير، ويتضمن هذا الحق اعتناق الآراء وتقبل ونقل المعلومات والآراء دون تدخل من السلطات العامة ودون اعتبار للحدود .."

وهناك معاهدات وإعلانات أخرى ولكنها غير ملزمة أيضاً إذ تعتبر جميعها من قبيل التوصيات .

كما يوصي علماء "الاتصال الدولي" بأن تكون حرية الإعلام، هي حجر الزاوية بالنسبة للسياسة التي تتبعها الدولة في هذا المجال، وأن تتسم البرامج الحكومية

---

(٩٨) انظر في ذلك :

- أحمد بدر، اليونسكو السلام العالمي، بين النظرية والتطبيق . مجلة كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية، الكويت العدد الأول، ١٩٧٢، ص ٩٢ .

- محمد عبد القادر حاتم . الإعلام والدعاية . القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٢، ص ٣٣ .

بالموضوعية والصدق، شأنها في ذلك شأن وسائل الإعلام الخاصة الأمينة .. وذلك لأن معظم الأفكار والرسالات التي تبث خارج الدولة ـ وخصوصاً بالنسبة للدول العربية أو دول العالم الثالث ذات النظام الحر ـ تأتي من قنوات وهيئات غير رسمية، وأنه من غير الملائم أن تطبق معايير معينة على القطاع الرسمي، ومعايير مختلفة على القطاع الخاص، وأنه من الواجب التخلص من جميع الحواجز التي تقف حجر عثرة في سبيل الاتصال الحر بين الدول والشعوب في جميع أنحاء العالم .

وإذا لم يكن "الاتصال" كافياً بالنسبة لإحدى القضايا ذات الأهمية الدولية فيجب على الحكومة أن تدخل الميدان، وأن تهيئ الوسائل والأدوات اللازمة لتزويد الرأي العام المحلي بالمعلومات الصحيحة والحقائق الخاصة بقضايا الشعوب الأخرى على أن يتم ذلك بموضوعية دون تحيز، ونحن من جانبنا ندرك الصعوبات الكبيرة التي تحول دون تحقيق ذلك، نظراً لأن معظم الدول تفسر الأحداث والقضايا، بناء على تقديرها لما يمكن أن يؤدي إليه هذا التفسير من خدمة لأهدافها الوطنية ومصالحها القومية ـ أي أنها لا تفسر الأحداث والقضايا كما هي وإنما ترشحها من خلال مصالحها القومية ...

وما يهمنا في هذا العرض عن الاتصال الدولي من أجل التفاهم هو أن الهدف البعيد الذي يجب السعي إليه هو أن تحاول الحكومات والقطاعات الخاصة في مختلف الدول ملء الهوة التي تفصل بين الدول والشعوب، بسبب نقص المعلومات والاتصال، وخلق الأوضاع التي يمكن أن تيسر المناقشات العامة على الساحة الدولية.. على افتراض أن ذلك سيؤدي إلى التعاون والحلول الوسط وتكوين رأي عام على المستوى الدولي شبيه بذلك الذي يتكون على الصعيد المحلي .

ومع ذلك فمشكلة حرية الإعلام مشكلة عسيرة الحل . لأن: (أ) الدول المتقدمة تستخدمها لزيادة وبسط نفوذها على الدول النامية، فالملاحظ أن معظم هذا السيل من المعلومات الحرة يسير في اتجاه واحد من الدول المتقدمة إلى الدول النامية، ولا تخشى الدول النامية من تحيز هذه المعلومات للمصدر الذي جاءت منه، ولكن خشيتها تنسحب أيضاً على ألوان التسلية والتفاهة التي يمتلئ بها الإعلام الذي يأتي من الدول المتقدمة، والذي يمكن أن يؤثر على المجتمعات النامية نفسها نظراً لان هذه الألوان

مـن التسلية لا تتفق مع ألوان التغيير الاجتماعي والاقتصـادي والثقافي والسياسـي، الذي تطمح إليه تلك الدول، أي أنه من العسير على القادة في الدول النامية أن يغضـوا الطرف عن التأثيرات الدعائية والسياسـية التـي تـأتيهم مـن الـدول المتقدمـة رغـم حـاجتهم الماسـة للمعلومات من هذه الدول لتطورها الاجتماعي والعلمي، ولكن أين يمكن رسم الحدود بين المعلومات المفيدة والضارة ؟ هذه مشكلة ربما لن تجد لها حلاً ..

(ب) هذا ويعتبر بعض قادة الدول النامية، أن الاستقرار السياسـي اكثر أهميـة لديهم مـن الفلسفة السياسية ـ وما تحتويه من حريات ـ وإن الدولة لا تسـتطيع أن تتحمـل رفاهيـة Luxury صـدام الأفكـار والمصـالح، بينمـا كـل همهـا ينبغـي أن يـتركز علـى تحقيـق استقلالها السياسي، وبناء قوتها الاقتصادية، وحل مشاكلها الأساسـية الخاصـة بالطعـام والمسكن ورفع المستوى الصحي والتعليمي ... الخ .

وكثيراً ما يقتبس الكتاب قول البروفيسور بارتليد Bartlett عن الدعايـة السياسـية "إن هـذه الدعايـة تعمـل علـى تشـكيل تعليـم الأطفـال وتشـكيل طموحـات الشـباب . وهـي تصاحب من بلغوا من العمر أرذله حتى القبر" .

إن هذا الخوف من الدعاية سواء كان ذلك صحيحاً أم خاطئاً، هو الذي يشـغل بـال القادة في الدول النامية .

رابعاً ـ مستقبل الاتصال الدولي وقضية التنمية والتطوير :

تعتبر قضية التنمية والتطوير، من أكثر القضايا تعقيداً بالنسبة لإمكانيات الاسـتمالة الدولية واتصالها بمستقبل العلاقات الدولية بين الدول الفقيرة والغنية فى العالم.

وإذا أخذنا في الاعتبار الهوة التي تتسع بين الشعوب الغنية والفقيرة، لا من الناحية الاقتصادية فحسب، بل من النواحي الاجتماعية والنفسية والسياسية كذلك، وما يستتبع ذلـك من ثورة التوقعات والسخط المتزايد Rising Frustrations في الـدول الفقيـرة والناميـة،

فسنجد أن الاتصال الدولي كان أقل إمكانية وأكثر صعوبة خلال ربع القرن الذي مضى منذ الحرب العالمية الثانية ..

إن الهوة الاجتماعية بين الشعوب الغنية والفقيرة هي هوة حقيقية واسعة تتصل في الواقع بكل ما يمكن أن نسميه طريقة الحياة الحديثة .

فمتوسط دخل الفرد مثلاً في أمريكا، يتجه إلى أن يكون ٦٠٠٠ (ستة آلاف) دولار في السنة، بينما متوسط الدخل في الهند (ستون) دولاراً .

إن دولة متقدمة تكنولوجيا كالولايات المتحدة، تستطيع أن تطعم نفسها، بعمل (٧٪) فقط من سكانها، وسيكون هناك فائض مع ذلك من الطعام تبيعه أو تدمره أو تحرقه، بينما هناك دولة أقل تقدماً وتعلماً مكتظة بالسكان فقيرة كالهند لا تستطيع أن تطعم نفسها بكفاية حتى لو عمل أكثر من (٧٠٪) من سكانها(*).

وهذه الهوة الاقتصادية تشمل التمايز والاختلاف السياسي والسيكولوجي والاجتماعي .

إن التكنولوجيا المعاصرة للاتصال الدولي، موجودة في يد الدول الكبرى وكنتيجة لذلك فان شبكة الاتصالات الدولية تميل إلى أن تكون في اتجاه واحد من الدول الغنية للدول الفقيرة، أي من الدول القوية للضعيفة، وفي هذا النظام فإن جميع الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والسياسية تفسد Contaminate الاتصال الدولي .

وإذا أريد للاتصال الدولي أن يصبح أكثر يسراً وسهولة بل وعدلاً في الأحقاب القادمة، فيجب أن تقوم الدول الكبرى والمجتمع الدولي بملائمة واستغلال التطورات

(*) ونحن نلاحظ رغم ذلك، تخصيص الهند الفقيرة الأموال الطائلة للتفجير النووي، وذلك إلى جانب أهدافه الدعائية فإنه يخدم هدف حماية المصالح القومية وبناء القوة الذاتية للهند خصوصاً أمام الصين الشعبية وباكستان.

التكنولوجية الأساسية التي حدثت في السنين الأخيرة وتطويعها فـي معاونـة الـدول الفقيرة حتى يمكنها أن تدخل فعلاً في شبكة اتصال حقيقية على المستوى الدولي[٩٩].

خامساً ـ استراتيجية مقترحة للاتصال بين الثقافات المختلفة:

يفترض بعض الباحثين أن القوانين التـي تعمـل علـى تغييـر وتنظيـم الاتجـاه Attitude هي قوانين عالمية، ولا تفسدها اللغة أو الثقافة إلا بقدر ضئيل، من جانب آخـر فان المعايير الكامنة في صناعة الأحكام التقييمية يمكـن أن تتغير مـن شـخص إلـى آخـر، وأن تتغير كذلك بدرجة أكبر من ثقافة إلى أخرى، وعلى ذلك فان هناك صعوبات رئيسـية في اتصال الثقافات بعضها ببعض Cross-Cultural Communication.

وللتغلـب علـى هـذه الصعـاب، فهنـاك اسـتراتيجية مقترحـة[١٠٠] تعتمـد علـى خطـة أوسجود Osgood المشهورة باسم جريت GRIT[*] وهي التي تعتمد على تطبيق مبـادئ الاتصـال والتعلـم بيـن الأشـخاص علـى العلاقـات الدوليـة، وحيـث يكـون الاتصـال أكـثر بالافعال لا بالاقوال، وحيث تشمل عملية التعلم الاحترام والثقة والتفاهم المتبادل .

---

(99) Lerner, Daniel "Is International Persuasion Sociologically feadible" ? **Annals**; Nov., 1971 P. 45-9.

(100) Tanaka Yasumasa. Psychological Factors in International Persuation. Annals, ov., 1971, 50-60.

((GRIT Graduated and Reciprocated Initiatives in Tension))

(*) حيث يرى أوسجود أن التوتر الدولي يمكن ان يخف إذا اتخذت بعض الخطوات فـي هـذا الاتجـاه مـن جانب واحد فقط، على أن تقابل الدولة الأخرى هذه الخطوات بمثلها . وعلى سبيل المثـال يمكـن ان تعلن الدولة (أ) من جانب واحد ـ كفعل رمزي لعدم العداء، وللصداقة المرغوبة ـ استعدادها لإرسال فريق ريـاضي (أو علمي أو تعليمي) للدولة (ب) إذا قبلت الدولة (ب) ذلك . كما تدعو الدولة (ب) لإرسال فريق مماثل . وإذا تم ذلك فان خطوات أخرى أكبر يمكـن أن تتخـذ بواسـطة الدولـة (أ) علـى أن تقابلهـا الدولـة (ب) بخطوات مقابلة وهكذا . والنتيجة هي تقليل تصاعد التوتر وزيادة الثقة المتبادلة .. ومع استمرار هذه العمليـة فان العداوة العمياء ستقل بالتدريج وتستبدل بصورة أخرى أكثر عقلانية . انظر تفاصيل خطـة أو سـجود فـي المرجع التالي:

- Osgood, Charles. **Perspectives in Foreign Policy**. Palo Alto, Calif Pacific Books, 1966, P. 25.

ويتضمن نموذج Model هذه الاستراتيجية الخطوات الثلاث التالية :

(١) تحليل مكونات الاتجاه لثقافة معينة :

وتتضمن هذه الخطوة دراسة المعاني الثقافية . وتتم الدراسة والتحليل إما بالطرق البدائية والملاحظة أو باستخدام مقاييس الاتجاه وأساليب الإحصاء .

(٢) الاستخدام المنظم لقنوات الاتصال المتعددة :

معظم الاتصالات الدولية غير مباشرة، أي أن الرسالة لا تنقل مباشرة من المصدر إلى المستقبل، فهي تصل إلى الأفراد العاديين عن طريق الصحافة أو الإذاعة أو غيرها من وسائل الاتصال إلى المستقبل الأخير، ومن الممكن استخدام المصدر كدول محايدة أو صديقة حتى تكون الرسالة مؤثرة أكثر .

(٣) الاستمالة بالفعل لا بالقول :

تعتبر اللغة وعاء عالمياً أساسياً للفكر الإنساني، والخلق والإبداع، إلا أن اللغة لها عيوبها أيضاً، ومن هذه العيوب أن الكلمات كثيراً ما تكون بعيدة عن الحقيقة .

وإذا كانت الدولة (س) تحاول تهيئة أسباب السلام . والقضاء على التوتر مع الدولة (ص)، وذلك بمجرد إعلان ذلك بالكلمات فقط، فإن ذلك لا يكفي لأن الكلمة الطيبة يجب أن يصحبها بعض الأفعال .. خطوة صغيرة في كل مرة، ولكنها تتجه إلى الهدف المرغوب . ومن الجهة الرسمية فإن إعلان الدولة (س) أنها لا تهدف إلى أي عمل عدواني، أو ضار ضد الدولة (ص) يعتبر فقط مجرد البداية ..

وهذه شبيهة إلى حد كبير باستراتيجية أوسجود، التي اتبعها كيسنجر ونيكسون في زيارتهما للصين الشعبية، وتخفيف حدة التوتر الدولي بين الولايات المتحدة الأمريكية وكل من الاتحاد السوفيتي والصين .

الفصل السابع عشر

الأساليب الأخلاقية والأساليب غير الأخلاقية

في الدعاية الدولية

من العسير أن يتفق الناس في مختلف أنحاء الأرض، على معايير أخلاقية واحدة نظراً لاختلاف القيم والثقافات والأديان وغير ذلك من مقومات تلك المعايير..

ومع ذلك فيمكن أن نتعرف ـ مع بعض الباحثين في مجال الاستمالة الدولية ـ على أشكال عامة خمسة، يفترض أنها مقبولة من الناحية الأخلاقية، من أكبر عدد من الناس ثم نتعرف على أشكال عامة أخرى خمسة أيضاً، نفترض أنها غير مقبولة من الناحية الأخلاقية :

أولاً ـ أساليب الدعاية أو الاستمالة الدولية المقبولة [١٠١] :

١ ـ جذب اهتمام الجمهور والحفاظ على ذلك :

إن محاولة الداعية جذب اهتمام الناس واستمالتهم، ثم الحفاظ على ارتباط الناس به، لا يعتبر من الناحية الأخلاقية أمراً خاطئاً أو خادعاً..

٢ ـ الحصول على تعاطف الناس والحفاظ على ذلك:

إذا كان الحصول على اهتمام الناس هو الخطوة الأولى، فإن تصديق الرسالة يعتبر أمراً أساسياً، ولكن التصديق نفسه يعتبر نتيجة التعاطف، نظراً لأن الناس تميل إلى تصديق أولئك الذين يحبونهم ولا يشكون في نواياهم.. ويمكن اعتبار جميع أساليب الحصول على التعاطف، أساليب أخلاقية فيما عدا النفاق غير المخلص Insincere Flattery

---

(101)White, Ralph K. "Propaganda : Morally Questionabe and Morally Unquestionable Techniques". **Annals**, Nov. 1971, P. 26-35.

٣ ـ بناء القابلية للتصديق : **Building Credibility**

لقد أجمع كل الدعاة في النظرية والتطبيق على أهمية تصديق الرسالة الدعائية، ولقد اعترف هتلر بذلك، وعلى عكس ما هو سائد في الغرب فلم يحدث أن أعلن استخدامه لأسلوب الكذبة الكبرى(١٠٢).

وقد يستدعي أسلوب الحصول على ثقة الجمهور وقابليته لتصديق الرسالة الدعائية الاقتباس الدقيق لبعض ما قاله العدو، بل والاعتراف أحياناً ببعض ما يقوله العدو ضد موقفنا، وهو الأسلوب المعروف بنعم ولكن..

٤ ـ استخدام الدوافع القوية ومن بينها العواطف :

يفترض كثير من الناس أنه يجب التمييز بين المناقشات العاطفية والعقلانية وهم يصلون الدعاية بالجانب العاطفي، على اعتبار أنها دائماً غير عقلانية.. ولكن هاتين الفكرتين ليستا بالضرورة ضد بعضهما البعض.

ويبدو لي أنه مادام القائم بالاستمالة أو الدعاية قد قام بدراسة حجج العدو دراسة عقلانية، كما يقوم بتقديم قضيته بفكر مفتوح.. فان الاعتراض الأخلاقي الممكن يختفي.. وما يتبقى بعد ذلك هو الضرورة العملية لاستخدام الدوافع القوية لدى الجمهور إذا أريد لاتجاهات الناس أن تتغير.

٥ ـ التورط بالأفعال : **Action Involvement**

لقد اعترف خبراء الدعاية بتفوق أسلوب الفيت كونج الدعائي نظراً لمعرفتهم قيمة التورط بالأفعال كأساس لتغيير الاتجاه Attitude change والمقصود بذلك أنهم يورطون مواطنيهم في الالتحام بالحياة العسكرية الفعلية(١٠٣). وعلى ذلك فقد استطاعوا الحصول على المساعدة بطرق كثيرة صغيرة.. حيث يحمل الأولاد خطاباتهم ورسالاتهم وتقوم

---

(102) Ibid, P. 28.

(103) Pike, D. Viet Cong. Cong Cambridge, M.I.T. Press, 1966, PP 373-377

النساء بإعداد الضمانات الطبية وغير ذلك. وعندما يجد هؤلاء القرويون أنهم يعملون فعلاً في معاونة الفيت كونج فانهم يحسون بالحاجة إلى تبرير سلوكهم، وذلك بتبني وجهة نظر الفيت كونج عن العالم وعن الحرب وعن الاستعماريين وأذنابهم.

وهذا يتفق إلى حد كبير مع نظرية ليون فستنجر Leon Festinger الخاصة بتعارض المعرفة .Cognitive Dissonance ولكن هل هناك غبار على هذا الأسلوب من الناحية الأخلاقية ؟ يرى البعض أنها غير أخلاقية وذلك لأن عملية التبرير التي تدفعها حاجة عاطفية داخلية لتقليل التعارض، هي عملية غير عقلانية ولا تعتمد على أدلة بالضرورة، ومن جهة أخرى فهي تبدو عملية شرعية إذا كان هناك أدلة وشواهد عقلانية تؤيدها في هذا الاتجاه.

ثانياً ـ الأساليب الدعائية غير الأخلاقية :

١ ـ الكذب :

ويعرف الكذب هنا بأنه القول الذي يعرف قائله بأنه غير صحيح، ويذكر البروفيسور وايت بعض الأمثلة على ذلك من الحرب الكورية والفيتنامية. فهو يشير إلى أن الشيوعيين عام ١٩٥٠ كانوا كاذبين عندما قالوا بأن كوريا الجنوبية هاجمت كوريا الشمالية ـ كما أن الرئيس جونسون ومعاونيه كانوا كاذبين عندما وصفوا حادثة خليج تونكين Tonkin Bay بأنها عدوان من الفيتناميين الشماليين لم يتسبب في إثارة أحد Unprovoked aggression فهم لا يعلمون عن الأعمال العدوانية التي قامت بها السفن الحربية لفيتنام الجنوبية قبل هذه الحادثة مباشرة فحسب، ولكنهم كانوا يعلمون عن أعمال العنف الأخرى التي ارتكبت ضد فيتنام الشمالية كما كشفتها وثائق فيتنام، أي مذكرات البنتاجون(١٠٤).

٢ ـ التعرض والغمز **Innuendo**

ويعرف التعريض هنا بأنه ذلك الذي يتضمن اتهاماً دون مخاطرة قول ذلك صراحة، كأن تقول أن الكابتن لم يكن مخموراً اليوم، وهذا يتضمن أنه يكون مخموراً في

(104) Pentagon Papers (New York : The New York Times, 1971) PP. 234-306.

العادة. أو المثل التالي : أنا لا أقول بأن السناتور فولبرايت هو أداة غير واعية في يد المتآمرين الشيوعيين، أي أنه يمكن أن يكون أداة غير واعية. وأقل ما في هذا القول أنه يربط اسمه بالشيوعية.. وربما ترسب ذلك في ذهن المستمع الذي يسلك سلوكاً معيناً في أوقات الانتخابات دون أن يتذكر أو يفطن هو لماذا يتصرف كذلك.

٣ ـ تقديم الرأي على أنه حقيقة :

عندما يتحدث كيندي أو راسك أو جونسون أو نيكسون أو الجمهور الأمريكي عن المعتدين الشيوعيين في فيتنام فهم يقدمون رأياً لا حقيقية.. وكثيراً ما يصعب أن نرسم خطاً واضحاً بين الرأي والحقيقة، وربما كان ما يعتبره أحد الجوانب حقيقة يعتبره الجانب الآخر رأياً وهكذا..

فمصر عندما أغلقت مضايق تيران عام ١٩٦٧ كانت تتصرف في أرض مصرية، أما إسرائيل فتعلن أن هذه المضايق هي ممر مائي دولي وأن مصر لاحق لها في إغلاقه، كما تذهب إسرائيل إلى أن طلب مصر سحب قوات الأمم المتحدة من حدود إسرائيل هو مقدمة لهجوم عربي متناسق، بينما تعلن مصر أن هذا الكلام محض اختلاق وأن ما فعلته هو تأكيد لحق سبق لإسرائيل ذاتها أن أعلنته، فضلاً عن أن هذا العمل المصري إنما قصد به تحذير لإسرائيل بعدم البدء في عدوانها ضد سوريا، وهكذا... أى أنه كثيرا ما يختلط الرأي بالحقيقة والعكس صحيح أيضاً...

وإذا ما اعتبر الداعية أن تفسيره للأحداث المختلف عليها هو التفسير الوحيد الممكن فانه يعتبر بريئاً من الناحية الأخلاقية نظراً لاعتقاده في هذا التفسير، وإن كان هناك عنصر من عناصر الخديعة الواعية الذي يتمثل في معرفته وجود تفسيرات أخرى يتجاهلها هو تماماً دون أن يفندها.

٤ ـ التجاهل المتعمد Deliberate Omission

إن الأمثلة على ذلك عديدة في مجالات العمل الدعائي، فيذهب الأخصائيون الغربيون إلى القول بأن اتهامات الغرب للاتحاد السوفيتي أيام ستالين، كانت تتركز في معسكرات العمل الإجباري Forced Labor Camps وإخضاع دول أوروبا الشرقية التي

تدور في فلك الاتحاد السوفيتي. ولكن الراديو الشيوعي ـ كما يلاحظ هؤلاء الأخصائيون ـ لم يحاول أن ينفي هذه التهمة، بل تجاهلها ببساطة، ويضيف هؤلاء كذلك أن التجاهل المتعمد تمارسه الدعاية الأمريكية والقادة السياسيون كذلك، فقضية التدخل الأمريكي في فيتنام الشمالية، خلال الشهور التي سبقت حادثة خليج تونكين عام ١٩٦٤ قد تم تجاهلها في ذلك الوقت ولم تتكشف تفاصيلها إلا عند نشر مذكرات البنتاجون عام ١٩٧١.

٥ ـ الوضوح المسلم به : Implied Obviousness

كثيراً ما يعتبر الداعية أن الصيغة التي يراها للحقيقة هي أمر مسلم به، لا يحتاج إلى مناقشة أو أدلة ـ ويتضح ذلك من استخدام الدعاة للنعوت الثابتة كأن تستخدم كلمة الاستعماريين للدلالة على الحكومة الأمريكية، أو أن تستخدم كلمة الديموقراطيات الشعبية للدلالة على دول أوروبا الشرقية وهكذا.

الفصل الثامن عشر

الدعاية الدولية العدائية والقانون الدولي

منذ قديم الأزمان والدعاية العدائية مستخدمة على نطاق واسع بين الشعوب والأمم ولكن المجتمع الدولي قد وضع مؤخراً بعض القواعد والقوانين التي تحد من هذه الدعاية بل وتجعل استخدامها خرقاً للقانون الدولي.

لقد ظهرت في القرن العشرين فقط حركة للحد من الاتصال الدولي الذى يعتبر خطراً على السلام، وهذه الحركة شبيهة بتلك التي قامت بهدف الحد من الحرب العدوانية. ولم يتركز الاهتمام في المجال القانوني على الدعاية التي تؤدي إلى قلب نظام الحكم أو العدوان والحرب ولكن الاهتمام شمل أيضاً الدعاية التي تهدف إلى تشويه سمعة (defamation) الدول صاحبة السيادة أو قادتها أو ممثليها.

ولسنا بحاجة في الواقع إلى مزيد من القوانين والقواعد والمعاهدات، ولكننا في حاجة إلى وسائل فعالة لتفسير القوانين والقواعد الموجودة فعلاً ووضعها موضع التنفيذ.

إن تفسير القوانين التي تحكم الاتصالات الدولية يكون عادة بطريقة ذاتية لا موضوعية، أي لخدمة مصلحة الدولة لا المجتمع الدولي، وقد يرى بعض الباحثين[١٠٥] أن ذلك ينطبق على الدول الصغيرة أكثر من غيرها نظراً لأن الحرب الأيديولوجية يمكن أن تكون سلاحها الوحيد في غياب الإمكانيات الأخرى العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية، ولكننا نرى أن الدول الكبرى تستخدمها أيضاً وبشكل أكبر لأن لديها إمكانيات الدعاية الدولية ومقوماتها البشرية والمادية.. وهي تستخدم تلك الدعاية لاستمالة الدول الصغيرة ودول العالم الثالث على وجه الخصوص.

---

(105) Whitton, John B. Hostile International Propaganda and International Law, **Annals**, Nov. 1971 P. 15.

هذا وإذا افترضنا وجود وكالات دولية لتفسير القواعد والقوانين التي تحكم الاتصالات الدولية فإن القضاة في مثل هذه الهيئات سوف لا يفرقون إلا بصعوبة بالغة بين التعليم والإعلام والدعاية. كما سيصعب عليهم تعيين الحدود الفاصلة بين الاستمالة persuasion والقهر Coercion، أو التفرقة بين التعليق العادل والقذف أو السباب غير المسموح به، ولا توجد مثل هذه الوكالات في عالم اليوم، ولو أن منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ذات إمكانيات يمكن الإفادة منها في هذا السبيل.

أولاً- الدعاية الهدامة Subversive Propaganda

نقصد بالدعاية الهدامة تلك الاتصالات الموجهة من دولة إلى أخرى بهدف قلب نظام الحكم السياسي القائم فيها، ويعتبر هذا النوع من الدعاية أكثر ألوان الدعايات العدائية استخداماً، كما أن هذا اللون من الدعاية هو ما تخشاه الدول.

.. ويعتبر أكبر أسباب الاحتكاك والأزمات التي تتراوح ما بين الاحتجاج الدبلوماسي والحرب الفعلية.

وإذا كان مصطلح الدعاية قد استخدم بشكل نادر في كتب القانون الدولي التي ظهرت في القرن التاسع عشر، فإن هذا المصطلح يحتل مكاناً كبيراً ومعالجة تكاد تكون شاملة في القانون الدولي المعاصر (Law of nations) كما تناول كثير من المقالات المتخصصة والكتب هذا المصطلح بالتحليل.

هذا ولم يعترف دارسو القانون بعدم شرعية هذه الدعاية فحسب ولكن الأسباب والقواعد أصبحت واضحة كذلك. فقد رؤي مثلاً انه عندما تبث حكومة ما رسالات اتصالية إلى شعب أجنبي بهدف تفتيت وحدته الوطنية، فان ذلك يعتبر عملاً مخالفاً لقاعدة مقدسة من قواعد القانون الدولي المعترف بها عالمياً، وهذه القاعدة هي حق كل دولة في الاستقلال والسيادة بعيدة عن الضغط أو القهر

الأجنبي.. أي أنه في عرف الحقوق الأساسية للدول فان مثل هذه الأفعال تعتبر خرقا Violation لحق كل دولة في أن تعيش(١٠٦).

ولكن ينبغي أن نشير هنا، إلى أن مسئولية الحكومة فيما يختص بالرسالات الاتصالية التي تهدف إلى تفتيت الوحدة الوطنية، الصادرة عن أشخاص أو عن جماعات خاصة بما في ذلك الصحافة المستقلة، هذه المسئولية مازالت موضع خلاف، ولكن الرأي يكاد يجمع على أن الحكومة تتحمل هذه المسئولية في الحالات الشديدة جداً.

هذا وتعتبر الدعاية الهدامة غير شرعية على اعتبار أنها شكل من أشكال العدوان aggression، وتقع بذلك ضمن القواعد التي تحكم الحرب العدوانية وتحددها، أي أن معادلة قلب نظام الحكم عن طريق الدعاية ليس مخالفاً فقط لحقوق السيادة المقدسة ولكنه فعل من أفعال الحرب لأنه يمكن أن يؤدي إلى أعمال العنف وإلى الحرب الفعلية نفسها، وعلى ذلك فان قرار الجمعية العام سنة ١٩٥٠ الخاص بالسلام عن طريق الأفعال "Peacethrough deeds" قد اعترف بأن إثارة النزعات المحلية وتصعيدها لخدمة مصالح دولة أجنبية (Fomenting Of Conflicts) يعتبر عملاً من أعمال العدوان(١٠٧).

كما أن هناك معاهدات عديدة ثنائية أو متعددة الأطراف تم توقيعها والتصديق عليها، وهذه المعاهدات تلزم الأطراف المعنية بالامتناع عن بث الرسالات الهدامة عبر حدود الدولة(١٠٨).

وهناك قرارات عديدة أصدرتها هيئة الأمم المتحدة بالتنديد بالحرب الأيديولوجية الهدامة باعتبارها دعاية غير شرعية وخطراً على السلام(١٠٩).

---

(106) Lauterpacht, H. International Law, a treatise, 8th ed., 2 Vols London, Longmans, geen, 1955, Vol. I. P. 259.

(107) Resolution 380 (V), November 17, 1950.

(108) Martin, Op. cit., P. 12-188.

انظر أيضاً كتاب محمد عبد القادر حاتم، الاعلام والدعاية، (الباب الخاص بالقانون الدولي).

(109) Whitton and Larson, Op. Cit., P. 101-2.

ويمكن أن نخلص من ذلك كله إلى أن القيام بالدعاية الهدامة يعتبر مخالفاً للقانون الدولي إلا في نطاق الحالات السابقة والمبادئ المتعارف عليها بين دولة وأخرى.

ثانياً- دعاية القذف والتشهير :

هناك نوع آخر من الاتصالات الدولية العدائية التي تتسبب في حوادث دبلوماسية عديدة، ومن بينها دعاية التشهير أو القذف، وهي التي تستخدم فيها الكلمات المكتوبة أو المنطوقة أو الرسوم الكاريكاتيرية أو الصور أو غير ذلك من الأساليب التي تهدف إلى التحقير أو التقليل من شأن أو سب الدول الأجنبية ومؤسساتها وقادتها وسكانها، وأخطر هذه الأشكال هي التهجم عل الدبلوماسيين المقيمين، وكثيراً ما تختلط دعاية القذف مع الدعاية الهدامة والترويج للحرب ولقد قرر كونيزي رايت، بأن الأعراف المعمول بها في هذا الشأن هي : (يحرم القانون الدولي بوضوح أن يبدي زعماء دولة أو موظفوها الرسميون الكبار- تعليقات غير ودية أو أن يسبوا شخصيات دولة أخرى أو حكامها) (١١٠).

ولكن إلى أي حد تلاحظ هذه القواعد ؟ إن ذلك يعتمد بالدرجة الأولى على العلاقات بين الأطراف المعنية، وعلى الموقف الدولي العام، كما أن هناك بعض المواقف المعقدة التي قد تنشأ عندما تنتقد الصحافة الأجنبية وضعاً إنسانياً يتسم بالمآسي والمظالم الخطيرة التي تحدث في بلد معين.

ذلك لأنه في مثل هذا الموقف فان التقارير التي تنشرها الصحافة الأجنبية يمكن أن يكون لها ما يبررها، وذلك عندما تستنفد جميع الطرق الأخرى - الوطنية والدولية - لتحقيق الإصلاحات الضرورية.

وعلى كل حال فقد كفلت الأمم المتحدة طبقاً لمعاهدة منفذة بالفعل بين عدد من الدول استخدام الحق الدولي للرد(١١١).

---

(110) Wright, Quincy, The Denunciation Treaty Violators. "American Journal of International Law", 32 (1938). P. 638.

(111) Whitton, John B., " An International Right of Reply" ? American Journal of International Law: 44 (1950), p. 141-5.

هذا وقد بذلت جهود كثيرة على المستويين ـ الرسمي وغير الرسمي ـ لدراسة مشكلة نشر وإذاعة أخبار التشهير والقذف وخصوصاً إذا كانت هذه باطلة. ولا يتفق الشرق والغرب على كيفية معالجة مثل هذه المواقف، فالشرق يحبذ السيطرة القوية الحازمة والتكييف الإجرامي الشديد، بينما يعارض الغرب في مثل هذه العقوبات التي لا تتفق مع مبادئه التقليدية في حرية الصحافة وحرية الكلمة، ويتفق الجميع على نشر الأخبار الكاذبة ولكن ليس هناك اتفاق على أفضل السبل اللازمة لتحقيق هذا الغرض.

وهناك مقترحات متباعدة في هذا الشأن إذ يرى الاتحاد السوفيتي مثلاً إلقاء هؤلاء الصحفيين في السجون، بينما ترى المصادر البريطانية أن أفضل علاج للدعاية هو المزيد من الدعاية. وعلى كل حال فان التشهير بقادة وزعماء الدول أو حتى الشعوب الأجنبية يؤدي إلى الاحتجاجات الدبلوماسية على اعتبار أن هذا التشهير أو القذف هو خرق (Breach للقانون الدولي).

ثالثاً- الدعاية للحرب :

ويقصد بدعاية الحرب تلك الجهود والمحاولات المباشرة التي تبذل لتشكيل عقول جماهير دولة معينة في اتجاه الحرب والنزاع المسلح. ولقد بدأ رجال القانون في القرن العشرين فقط بتأكيد عدم شرعية الدعاية للحرب، وذلك له ما يبرره، نظراً لأنه قبل عصبة الأمم وقبل ميثاق الأمم المتحدة فإن إعلان الحرب كان يعتبر أحد حقوق السيادة لكل دولة سواء كان هذا الإعلان لسبب مقبول أو غير مقبول أو بغير سبب على الإطلاق.

ولكن عندما أصبحت الحرب العدوانية غير شرعية كان من الطبيعي أن تعتبر الضغوط الأيديولوجية نحو هذا الهدف غير شرعية أيضاً[١١٢].

---

(112) Whitton, John. Hostile., Op. cit., P. 21

لقد أدانت الجمعية العمومية في سنة ١٩٧٤ كل أشكال الدعاية في أي بلد، إذا كانت هذه الدعاية تهدف إلى تهديد السلام وخرقه أو ارتكاب أي فعل عدواني[١١٣].

كما أدان مؤتمر الأمم المتحدة الكبير الذي عقد في سنة ١٩٤٨ وكان موضوعه حرية الإعلام والصحافة، أدان هذا المؤتمر بأغلبية ساحقة كل دعايا للحروب.

رابعاً- الدعاية الخاصة :

عندما تتصل المشكلة بالأفعال التي يقوم بها الأفراد في دولة ما فان التكييف القانوني أمر مختلف عليه، ونحن هنا نقصد الصحف وبعض محطات الإذاعة الخاصة والناشرين وغيرهم من القائمين بعملية الاتصال، مستقلين عن السيطرة الحكومية، كما نقصد كذلك الأفراد العاديين الذين يمكن أن يشهروا في كتاباتهم أو خطبهم بالدول الأجنبية أو زعمائها أو مؤسساتها، وبصفة عامة فيبدو أن الحكومات تميل - في حالة عدم وجود معاهدة - إلى عدم الاعتراف بمسئوليتها عن أعمال الأفراد، وذلك في غير الظروف الاستثنائية جداً، والملاحظ أن هناك مرونة كبيرة في هذا الشأن، إذ تتخذ بعض الحكومات إجراءات صارمة عن طريق أجهزتها التنفيذية أو القضائية أو كليهما، وذلك بهدف عدم تشجيع الاتصالات التي تدخل الدولة في المنازعات الدولية[١١٤].

---

(113) Ungrent Assembly Resolution 110 Yearbook of the United Nations, 1947-48. P. 91-93.

(114) Martin, Op. cit., P. 174.

الفصل التاسع عشر

تأثيرات الدعاية الدولية

تقديم :

تهتم معظم الدول الحديثة باستخدام أساليب الاتصال بفاعلية أكبر، وذلك لخدمة أهداف سياستها الخارجية. وهذا النوع من الاتصال هو ما يعرف باسم **الاتصال الدولي** International Communication وتأخذ الحكومات في اعتبارها عند استخدامها لهذا الاتصال، التقييم الواقعي للتأثيرات السياسية التي يمكن أن تحدثها الصحف والإذاعات والأفلام وتبادل الأشخاص... وغير ذلك من ألوان الاتصال..

وينبغي أن نقرر في هذا المقام، أن التأثيرات التي يمكن أن تحدثها وسائل الاتصال **تختلف من بلد إلى آخر، نظراً للاختلافات** الموجودة بين هذه الدول نفسها في النواحي **الثقافية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها..**

فالأفكار التي يبثها الغرب مثلاً للدول الشيوعية على سبيل المثال يجب أن تخترق الحاجز الأيديولوجي بالإضافة إلى الحواجز المادية على الحدود السياسية لتلك الدول.. كما أن الأفكار التي توجه للدول النامية، قد يساء فهمها، نظراً لماضي بعض هذه الدول الغربية الاستعماري في العالم الثالث، أو لعدم توفر خلفية من المعلومات الضرورية في تلك الدول النامية تسمح بفهم وتفسير تلك الأفكار..

وأخيراً فان الأفكار التي تبثها الدول الصناعية بعضها إلى بعض، يجب أن تراعى فيها ظروف المواطنين في تلك الدول، وخصوصاً بالنسبة لوقتهم المحدود، الذي يمكن أن يقرؤوا أو يسمعوا فيه الأفكار المتنافسة التي تأتيهم من الدول الأخرى..

وخلاصة هذا كله أن التأثيرات التي يمكن بأن تحدثها الرسالات أو الأفكار التي تبثها دولة معينة إلى دولة أخرى، وذلك لخدمة السياسة الخارجية الوطنية، هذه التأثيرات

غير معروفة على وجه التحديد.. ومعظم الدراسات المتوفرة في هذا المجال تصف لنا ما قامت به دولة معينة في هذا المجال، دون أن تدلنا كثيراً على التـأثيرات الناتجة عن بث هذه الأفكار والرسالات.. وذلك على الرغم من الاعتقاد السائد لدى العلماء بقوة وفاعلية الاتصال الدولي (١١٥).

ومعنى ذلك أنه من العسير أن نقيس تأثيرات الدعاية الدولية، نظراً لأن التغيرات التي تحدث في مواقف الدول المختلفة تكون نتيجة لعوامل عديدة اقتصادية وعسكرية ودبلوماسية وغيرها، كما أننا لا نستطيع أن نتحدث عن الأثر- أي بلوغ هدف مقصود أو متوقع - إلا إذا كان في أذهاننا هدف مسبق. كما تختلف الأهداف السياسية التي تسعى كل دولة لتحقيقها عن طريق الدعاية بغرض كسب الأنصار وكسر احتكار الأطراف الأخرى للمعلومات، وربما تكون هذه الدعاية لمجرد الحفاظ على الهيبة والشعبية أو الأمن والسلام أو التنشيط التجاري، أو أن تكون موجهة لتأييد الحركات الثورية الموالية للدولة أو التي تخدم أهدافها السياسية، وقد تكون أخيراً لخدمة أهداف قلب الحكومات في الدول المعادية أو غير ذلك..

وكثيراً ما تقرر الحدود الحقيقية لتأثير الدعاية الدولية بالقوة العسكرية والاقتصادية للدولة بالإضافة إلى أهدافها القومية وتحالفاتها وارتباطاتها الدولية(١١٦).

أولا- القيمة الدعائية للاتصال التحضيرى:

يذهب كثير من الباحثين إلى التفرقة بين تأثير الاتصال التحضرى والاتصال الاستمالى على اعتبار أن الدعاية هى فعل اتصالى استمالى، ويذهب هؤلاء إلى أن هناك قيمة دعائية كذلك للاتصال التحضيري .Facilitative Comm إذ أن مجرد التعرف والإحاطة بقضية معينة من شأنه أن يؤدي إلى خلق شعور إيجابي ومؤيد لهذه القضية، وخصوصاً مع تكرار التعرض لنفس القضية، وعدم وجود اتجاه قوي مسبق نحوها.

---

(115) Davison, W. Ph. **International Political Communication**. New York. Praeger, 1965, P. 4 and after.
(116) Childs, H. Op. Cit., P. 323.

أما بالنسبة للاتصال الاستمالي فان مقدار تأثيره ومداه يعتمد إلى حد كبير على توقعاتنا بالنسبة لهذا التأثير، فقد أكد بعض أخصائي الإعلام، على أن المعلن مثلاً نادراً ما يتوقع تأثر الجمهور المستهدف برسالته أكثر من ٢ إلى ٥٪ فهل يعتبر ذلك مؤثراً ؟ يمكن أن نقول بأن هذه الرسالة قد أثرت بمقدار ٠,٢ إلى ٠,٥ ولكن هذه النسبة تمثل مبيعات جديدة بحوالي ١٥٠,٠٠٠ إلى ٤٠٠,٠٠٠ إذا كانت وسيلة الاتصال إحدى المجلات الواسعة الانتشار، أي التي توزع حوالي ٧ إلى ٨ ملايين نسخة..

كما يحتمل أن يكون السياسي سعيداً، إذا حقق اتصاله الاستمالي (أي دعايته) تأثيراً في حدود ١٠ إلى ١٥٪ بينما يتوقع المعلم أن تكون نسبة التأثير ٧٠ إلى ٨٠٪ على الأقل، وهذا إذا اعتبرنا أن نسبة ١٠٠٪ هي مجرد حلم غير قابل للتحقيق(١١٧).

ويمكن أن يقال بأن الاتصال الاستمالي في حالة المعلن والسياسي له هدف محدود هو خزينة المبيعات أو صندوق الانتخابات. أما بالنسبة للمعلم فان الهدف من الاتصال الاستمالي يعتبر فكرة غامضة، كما أن الداعية يشترك مع المعلم في صفات كثيرة، فكل منهما يقضي معظم وقته في اتصال تحضيري Facilitative Communication لا اتصال استمالي، دون أن يفطن أي واحد منهما إلى طبيعة ما يقوم به، لذلك فهو يبحث باهتمام، ولكن دون جدوى، عن دليل تأثيره وذلك حتى يبرر وجوده المستمر إلى الإدارة المسئولة عن الميزانية مثلاً، وما ينتهي إليه في هذا الشأن، مثله في ذلك مثل الداعية، هو بعض الأرقام التي تشير إلى تأثير اتصاله التحضيري بقياس المدخلات Inputs كعدد ساعات الإرسال الإذاعي والصفحات والنشرات والصور والدوريات وقياس عدد الناس الذين يتعرضون للرسالة ثم قياس الخطوات التالية كالوعي بموضوع الرسالة والاهتمام بها، ثم مرحلة التقييم التي تحتاج إلى فهم واستقبال الرسالة ثم تقبلها والاقتناع بها، وما يحدث في هذه المرحلة الأخيرة هو مرحلة تغير الاتجاهات وإعادة ملائمة الشخص وقيمه وآرائه وسلوكه لعالمه الحقيقي.

إن مشكلة تأثير الاستمالي (أو الدعاية) قد حيرت القائمين بعملية الاتصال على اتساع العالم كله، ولو أن الدراسة الجادة لم تتناول هذه العملية إلا في القرن العشرين وهى

(117) Martin, John, Op. Cit., P. 64.

الفترة المعاصرة لتطور العلوم الاجتماعية بصفة عامة. وقد استخدمت في دراسة تأثير عملية الاتصال كلاً من المدخلين الاستقرائي Inductiive والاستنباطي Deductive.

ثانياً- تأثير الاتصال طبقاً للمناهج الاستقرائية :

لقد بحث الدارسون لعملية الاتصال (١١٨) طبقاً لهذا المنهج تأثير الاتصال عن طريق التجارب التي يمكن التحكم فيها Controlled Experiments وحيث يضع هؤلاء الدارسون بعناية أحد المتغيرات بعد الآخر تحت الاختبار، وكانت نتائج دراساتهم كالآتي :

١- القائم بعملية الاتصال: The communicator

يتمتع الداعية الذي يصدقه الناس بميزة كبيرة مبدئية عن زميله الذي لا يتمتع بهذه الميزة، والمصدر القابل للتصديق هو ذلك الموثوق به والخبير، ولكن الميزة المبدئية للتصديق قد تختفي بعد أسابيع قليلة من سماع الرسالة ذلك لان هناك ميلا لنسيان مصدر الرسالة، وهذا يسمى بالأثر المترسب.Sleeper Effect وقد تبين أن هناك عوامل أخرى كالسن والمظهر، تساعد على تأثير القائم بالاتصال في الجمهور تحت ظروف معينة.

هذا وجاذبية الداعية والقابلية لتصديقه وغير ذلك من الصفات المماثلة الإيجابية ليست للأسف إلا أحكاماً يصدرها الجمهور المستهدف، وبمعنى آخر فليس للداعية إلا سيطرة محدودة على هذه الصفات.

٢- الرسالة The Message:

تزداد فعالية الداعية وتأثيرها إذا كانت الرسالة الدعائية ترضي حاجة أو طموح الجمهور المستهدف، وإذا كانت تتفق مع القيم والاتجاهات والآراء والمعتقدات والتقاليد القائمة والسائدة بين هذا الجمهور، وقد تبين كذلك أن تقديم جانب واحد فقط من قضية ما، يكون أكثر تأثيراً من تقديم جانبين، وذلك عندما لا يكون الجمهور المستهدف متعلماً تعلماً مناسباً، أو عندما لا تكون لديه اتجاهات مسبقة.

---

(١١٨) كارل هوفلاند وزملاؤه.

كما تبين من الدراسات أن تقديم الجوانب المختلفة لقضية ما يكون أكثر تـأثيراً مـع المعلمين تعليماً مناسباً.

وبصفة عامة يمكن أن يقال بأن تقديم الجوانب المختلفة للقضيـة يـؤدي إلـى عمليـة مناعة ضد الدعاية المضادة في المستقبل.

أو يمكن أن نقول بان تأثير الرسالة له علاقة بعوامل كثيرة منها :

- أولويات تقديم وجهات النظر المؤيدة أو المعارضة.
- طريقة تقديم الرسالة.. عاطفياً، عقلانياً أو منطقياً.
- إثارة الخوف أو التهديد قبل أو أثناء الرسالة.
- الأحداث التي تعاصر الرسالة.

وعلـى كـل حـال فهنـاك حقيقـة تسـود فـي هـذه الدراسـات جميعـاً وهـي أن كـل متغير يبدو أنـه تفـاعل مـع عـامل الجمهـور المسـتهدف والعـامل الأخـير لا سـيطرة للقـائم بالاتصـال عليـه.

٣ـ الوسط : The Medium

نظراً للفرق الكبير في تكاليف الاتصـال عبر وسـائل الإعـلام المختلفـة. فـان هنـاك اهتماماً من جانب القائمين بعملية الاتصال الاستمالي، بتحديد أفضل الوسائل تأثيراً، ولكـن البحوث في هذا الشأن لم تصل إلى نتيجة مرضية على الإطلاق.

وإذا كانت دراسات استخدام وسائل الاتصال، تشير إلى انخفـاض قليـل فـى قـراءة المجلات وانخفاض كبير في قراءة الكتب عند المستويات التعليمية المنخفضة ـ فيمكننـا أن نقول كذلك، بـأن كـل برنـامج إذاعـي أو جريـدة أو عمـود أو صفحـة أو مجلـة معينـة لهـا جمهورها المميز جداً مع قليل من التداخل[١١٩].

---

(119) O. Hero, Alfred, Mass Media and world Affaers Boston, World Peace Foundation 1959, P, 50.

ولقد تبين للباحثين أنه لا يوجد بالنسبة لجماعة معينة وسيلة اتصال معينة تكون المفضلة دائماً أو الأكثر تأثيراً وكثيراً ما يقتبس الباحثون الجزء التالي من دراسة جوزيف كلابر Josegh Klapper عن تأثير وسائل الإعلام..

"إذا كانت جميع الظروف الأخرى متساوية، كما هو الحال في المعمل، فان الاتصال المواجهي Face to face Contact يكون أكثر كفاءة في الاستمالة والتأثير من الراديو، وهذا يكون بدوره أكثر تأثيراً من الكلمة المطبوعة، وربما كان التليفزيون والسينما يقعان في مكان ما بين الاتصال المواجهي والراديو ولكن هذه النقطة الأخيرة لم يتم التحقق منها تجريبياً"(١٢٠).

ولكن كلابر يقول بعد ذلك بأن جميع الظروف الأخرى نادراً ما تكون متساوية في واقع الحياة.

٤- الجمهور : Audience

إن تأثير الاتصال الاستمالي يعتمد - أكثر من أي شيء آخر - على التاريخ المسبق الرسالة Receiver فهو الأرض التي تزرع فيها البذور. ويشمل ذلك التاريخ المسبق المعارف التي اكتسبها الجمهور.... كالقيم والاتجاهات والمعتقدات والآراء، كما يشمل العادات السلوكية للفرد، وهذه تعتمد على العمر والجنس والتعليم والوضع الاقتصادي والاجتماعي والعرقي والمنطقة الجغرافية... وغير ذلك من العوامل.

وإذا كان هناك اعتقاد سائد بأن الناس تميل إلى تقبل الرسالات التي تتفق وتؤيد اتجاهاتهم ومواقفهم المسبقة فان البحوث الحديثة تشير إلى أن الناس يتقبلون الرسالات بطريقة اختيارية Expose Themselves Selectively to messages ويحتفظون بهذه الرسالات بطريقة اختيارية كذلك، كما أنه لابد للجمهور من أن يتصور رسالة ما، قبل أن يقرر رفضها..

---

(120) Klapper, Josegh t. The Effects of Communication. New York, free Press, 1960 PP. 108-109.

وأخيراً فتعتبر قيم الجماعة من بين العوامل الضاغطة التي تعوق تغيير الاتجاه، وذلك باستثناء الحالة التي تغير فيها الجماعة نفسها من القيم التي تعتنقها.

ثالثاً- المناهج الاستنباطية وتأثير الاتصال Deductive approaches

لقد بدأت المناهج الاستنباطية في دراسة آثار الاتصال بالنظرية السلوكية أو نظرية المعرفة الخاصة بتكوين الاتجاهات.

السلوكيون :

ويبني هؤلاء(*) نظرياتهم في تغيير الاتجاه على نظرية التعليم حيث يؤدي المثير الاتصالي في نظرهم إلى رأي يمكن ملاحظته أو استجابة سلوكية الاتجاه فيها هو الوسط Mediated by attitude وهذه بدورها هي قابلية يتم تعلمها عن طريق شرطي Conditioning للاستجابة بطريقة معينة.

علماء نظرية المعرفة(**) Cognitive Theorists

لقد استنبط هؤلاء نماذج منظمة تشرح لنا تعديلات الاتجاه التي يحاول بها الشخص الاحتفاظ بمنطقية منتظمة في الأشياء التي يعرفها ويحبها، ويقرب الأمريكيون هذه المعاني إلى الأذهان بالمثال التالي :

إذا كان الشخص (أ) يحب الرئيس نيكسون ولكنه لا يحب سياسة نيكسون في فيتنام، فإن هذا الشخص سيحاول تحقيق توازن إدراكي أو معرفي Cognitive، إما بتغيير اتجاهه نحو نيكسون، أو بتعديل اتجاهه نحو فيتنام.. ويضيف فستنجر، بأن هذا الشخص يمكن أن يخفف من تعارض اتجاهاته، برفض الاعتقاد بأن نيكسون يتبنى وجهات النظر الخاصة بفيتنام والتى لا يحبها، أو بعدم تصوره وفهمه لتلك الأخبار أو بالتقليل من أهمية فيتنام، أو بنسيان أقوال نيكسون في هذا الشأن..

(*) مثل ليونار دوب L. Doob وسيكنر Skinner

(**) مثل ليون فستنجر L. Festinger وشارل أوسجود Charles Osgood ونيو كومب New Comb وغيرهم.

وعلماء نظريــة المعرفـة لا يشـرحون لنـا كيف ولمـاذا تتكـون الاتجاهـات وتتعدل فحسب، ولكنهم يحاولون التنبؤ بنتيجة المجهود الاتصالي بناء على نظرياتهم..

وفـي الواقـع، فـإن نظريـة فسـتنجر القائمـة علـى تـوازن الاتجاهـات لهـا بعـض التطبيقـات المفيـدة، فـي تحليـل الاتصـال الاسـتمالي، إذا اسـتطاع البـاحث أولاً قيـاس اتجاهـات الجمهـور المسـتهدف، بالنسـبة للعوامـل التـي تكـون موضـع البحـث، أي إن النقد الموجـه لنظريـة فسـتنجر هـي أنهـا تحـاول ـ كمـا يفعـل فرويـد ـ شـرح المعلومـات وردهـا لعوامـل محـددة، مهمـا كـانت النتـائج..

وهناك مناهج استنباطية أخرى، تحاول أن تشرح لنا أسباب تـأثر النـاس بالاتصـال الاستمالي، ولكن هذه المناهج تعتبر امتداداً للنظريتين السابقتين..

الفصل العشرون

الحرب النفسية

وأسلوب تحطيم الروح المعنوية للعدو

بدايات موفقة للحرب النفسية ونطاقها :

تعتبر الحرب النفسية جزءاً من النشاطات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، التي تتم خلال الحرب الفعلية أو الحرب الباردة.. وذلك بغرض تحطيم الروح المعنوية للعدو، وإضعاف إرادة القتال لديه، على اعتبار أن الهزيمة هي قدره المحتوم.

وإذا كانت الحرب النفسية، توجه عادة للجماهير – عسكريين ومدنيين– فإنه يمكن أن تتم الحرب النفسية على مستوى أكثر تحديداً وأكثر تعقيداً، وذلك في الجهود التي تبذل لتضليل أو إرباك صانعي السياسة ومتخذي القرارات والقيادات العسكرية.

إن استخدام الحرب النفسية كأسلوب بديل للقوات المسلحة، أو استخدامها أثناء السلم لتعزيز قدرات القوات المسلحة وزيادة فاعليتها أثناء القتال الفعلي، هو أسلوب قديم قدم التاريخ ذاته.. ولكن استخدامها المعاصر قد أصبح أكثرا اتساعاً وتعقيداً، مع توفر وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري، والتي أمكن بواسطتها الوصول إلى الملايين من الناس لمحاولة التأثير عليهم وتغيير اتجاهاتهم وسلوكهم.

ويمكن أن نشير إلى إحدى البدايات الموفقة الأساسية في الحرب العالمية الأولى حين استخدم الحلفاء الحرب النفسية على شكل دعايات ناجحة لإضعاف الروح المعنوية للعسكريين والمدنيين الألمان، وكذلك لكسب تأييد الدول المحايدة.

كما كان إعلان الرئيس وودرو ولسن للنقاط الأربع عشرة مثلاً، نصراً نفسياً للحلفاء، وذلك لرفع معنوياتهم، فضلاً عن أن هذا الإعلان، قد أعطى للمتحاربين في وسط

أوروبا، الأمل في سلام عادل (خصوصاً وقد تضمنت هذه النقاط حرية تقرير المصير لجميع الدول صغيرها وكبيرها وكذلك استقلالها السياسي).

والآن يمكن أن نعود إلى تلك البدايات الموفقة للحرب النفسية في الحرب العالمية الأولى فنقول : إن تحطيم الروح المعنوية الألمانية في الشهور الأخيرة لعام ١٩١٨ كان سبباً لإقناع الدول الكبرى في ذلك الوقت بأن الدعاية والحرب النفسية كانتا سلاحاً مؤثراً ورخيصاً نسبياً من أسلحة الحرب... وقد أعلن قائد القوات الألمانية أريك فون لوندورف Ereck Von Ludendorff أن الجيوش الألمانية كانت منتصرة ولكنها أوقفت القتال لأن الروح المعنوية للمدنيين قد حطمتها دعاية الحلفاء(١٢١)، لقد أكد علماء الاجتماع الألمان وعلماء النفس في الجيش الألماني على ضرورة القيام ببحوث موسعة في الآثار العسكرية للدعاية والتي أدت إلى الروح المعنوية الألمانية.. ولقد كانت هذه الدراسة فضلاً عن تجارب الثورة الروسية هي المنطلق الأساسي للدراسات الحديثة عن الحرب النفسية.

وليس معنى ذلك أن الحرب النفسية هي اختراع علماء الاجتماع الألمان، ذلك لأن التاريخ يحفل قبل ذلك بأشكال مختلفة للحرب النفسية. وكل ما حدث هو محاولة استبدال الأفعال التي كان يقوم بها بعض القادة المتميزين أحياناً، بالتنسيق المستمر للقرارات السياسية والعسكرية والاقتصادية مع المبادئ النفسية المبنية على الدراسة العلمية للدوافع الإنسانية.

فالحرب النفسية هي عملية اتصال أكبر من الدعاية، فهي دعاية مربوطة بالاستراتيجية العسكرية، والسياسية والاقتصادية، وتعتمد الحرب النفسية على معرفتها بأن فرص نجاح العمليات العسكرية تزيد مع تحطيم الروح المعنوية للعدو.

وإذا كانت الحرب النفسية سوف لا تضيف شيئاً إلى التدمير المادي الذي تحدثه القنابل فان الحرب النفسية ستضعف من إرادة الناس على المقاومة، كما يمكن أن تزيد الحيل النفسية من التأثير العسكري..كذلك يمكن اعتبار العملية

---

(121) Qualter, Terence H Propaganda and Psychological Warfare. New York. Random House, 1962, P. 162

العسكرية مكملة للحملة الدعائية.. لقد كانت الأخبار والصور التي أذاعها الألمان عن التدمير الشنيع والشامل للمدن البولندية رسائل ذات قيمة هائلة للدعاة الألمان الذين حاولوا استمالة القوى الأخرى وإقناعها بأن المقاومة ليست هي السياسة الحكيمة. إن النصر العسكري يمكن أن يتحقق عن طريق تدمير مصادر العدو المادية. ولكن كمية الدمار اللازمة لإجبار العدو على الاعتراف بالهزيمة تعتمد على إرادته وعلى تصميمه وعلى صموده وهذا كله يتأثر بالدعاية.

فالحرب النفسية يمكن أن تسبق أو تكمل الحملة العسكرية، ويمكن أن "تلين" المعارضة، ويمكن أن تؤدي إلى الخلاف والشك والارتباك، وهذه كلها تمهد الطريق للجيوش المتقدمة، وهي بهذا المعنى (حرب هجومية يخوضها جيش بأسلحة فكرية وعاطفية من أجل تحطيم المقاومة المعنوية في جيش العدو وفي السكان المدنيين، وتخاض هذه الحرب للتقليل من نفوذ العدو في أعين الدول المحايدة[١٢٢]) وفي عصرنا الحاضر حيث العالم مقسم إلى معسكرات مسلحة بسلاح نووي فان الحرب النفسية قد أصبح لها أبعاد جديدة، فقد أصبحت بديلاً للعمل العسكري، والشكل الوحيد للحرب التي تستطيع الدول الكبرى أن تخوضها بالإضافة إلى الحروب المحدودة في دول العالم الثالث غالباً.

ويمكن أن تعرف الحرب النفسية بناء على الأحداث التي تريد تحقيقها "بأنها الكلمات والأفعال التي توهن من تصميم العدو على القتال بإضعاف روحه المعنوية".. فالحرب النفسية تسعى إلى بث الفرقة في معسكر العدو وتدعيم الشك في دوافع العدو. وذلك في أرضه هو وبين الدول المحايدة. ومحاولة كسب التأييد الفعال للدول المحايدة أو على الأقل الاحتفاظ بها متعاطفة أو محايدة، كما تسعى الحرب النفسية إلى تقوية وتدعيم حركات المقاومة في المناطق التي إحتلها العدو.. هذه كلها يشملها مصطلح الحرب النفسية، كما أن كل شيء يعمل على تحقيق هذه الأهداف هو سلاح من أسلحة الحرب النفسية.. إن خوض الحرب النفسية يتطلب المواهب المشتركة للكثير من الأخصائيين والخبراء والكتاب والمذيعين والفنانين على أن يكون بعض هؤلاء متمكنين وعارفين بلغة

(122) Farago, L. **German Psychological Warfare**. New York, Committee for National Morale, 1941. P. 142.

العدو وثقافته وسياسته.. كما أن بعض هؤلاء الخبراء يجب أن يكونوا مدربين في العلـوم السياسية والنفسية والأنثروبولوجية وغيرها.

التجربة السوفيتية وتطور الحرب النفسية بعد عام ١٩١٤:

على الرغم من أن الحلفاء كانوا أول من استخدم الدعايـة استخداماً ملحوظـاً أثناء الحرب إلا أنـه يمكن أن يعزي للاتحـاد السـوفيتي مسئولية إدخـال الدعايـة فـي السـلوك المنتظـم للعلاقـات الدوليـة. والسبب الواضـح فـي ذلـك يعـود إلـى المنطلـق الأيديولوجـي للشيوعية، باعتبارها رسالة بالنسبة لكثير من البولشفيك في بداية حركتهم على الأقل.. لقد تضمن هذا المنطلق الأيديولوجي التضامن الدولي للعمال في جميع أنحـاء العـالم. وتطلب ذلك من المؤمنين بالمذهب الشيوعي، الاتحاد في نشره بين جميع النـاس... وعلـى الرغـم من التأثير الملحوظ للثورة الشيوعية النابعة من الاتحاد السوفيتي، فان هذه السـنوات التـي اتسمـت بالدعـوة للثـورة وإلـى قلـب الحكومـات، أدت إلـى صـورة ثابتـة حالـت بيـن الاتحـاد السوفيتـي وبيـن محاولـة إقنـاع الآخريـن، بأنـه دولـة محبـة للسـلام واحـترام سيادة الدول الأخرى.

وبعـد أن سـحقت الحكومـة السـوفيتية المعارضـة الداخليـة، تبيـن لهـا أن منافسـها الرئيسي كان وسيبقى الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. وقام الاتحاد السوفيتي بحملته ضدها على ثلاث جبهات :

(أ) داخل الاتحاد السوفيتي نفسه، حيث ركز على بناء صورة لأمريكا التـي يحكمهـا حفنـة من الرأسماليين الذيـن يعيشـون فـي رفاهيـة خياليـة بينمـا تتجـرع الجمـاهير العريضـة كؤوس الفقر والبطالة والخوف، وحيث يحرم النظام السياسي العامل الأمريكي العـادي من العدالة الاجتماعية.. وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتي قـد أبـدى إعجابـه دائمـا بما أحرزته الولايات المتحدة من تقدم تكنولوجي إلا أن الاتحـاد السـوفيتي كـان يركـز دائماً على أن حصيلة هذه المهـارة الفنيـة موزعـة بطريقـة غير عادلـة، حيـث يسـلب العمال من حقوقهم وحيث يخدم النظام السياسي المستغلين ويحميهم.

(ب) أما الجبهة الثانية التي تعمل عليها الحملة الدعائية السوفيتية فهي داخل الولايات المتحدة حيث استطاعت الدعاية الشيوعية أن تكسب لها بعض الأنصار خلال سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية، إلا أن هذه الحملة قل تأثيرها بعد ذلك.. أما الدعاية الشيوعية في الوقت الحاضر فهي تنتشر بصفة أصلية عن طريق الانتصارات العلمية البارزة التي أحرزها الاتحاد السوفيتي، والتي يمكن أن تؤدي إلى تقويض النفوذ الأمريكي وكبريائه.

(جـ) أما الجبهة الثالثة التي تعمل عليها الحملة الدعائية السوفيتية فهي زيادة شك الدول المحايدة في النية الطيبة الأمريكية حيال هذه الدول، وصورت الولايات المتحدة على أنها معسكر مسلح ضخم لا يحول بينه وبين العدوان الإمبريالي إلى خوفه من الردع السوفيتي.. وأقنع السوفييت العديد من الدول المحايدة بأنه الدولة الوحيدة التي تستطيع إنقاذهم من إمبراطورية (الكوكا كولا) كما حاولت الدعاية السوفيتية زيادة التوتر بين أمريكا وحلفائها والتهوين من قيمة برامج المساعدة الفنية والاقتصادية التي تقدمها الولايات المتحدة للدول الأخرى، وعلى رأس إنجازات الدعاية السوفيتية، إبراز التمييز العنصري في أمريكا خصوصاً في الدول الأفريقية والآسيوية التي تتأثر بهذا الوضع. كما تركز استخدام اللغة في الدعاية السوفيتية في الأثر الذي تحدثه أكثر من المعاني المجردة لهذه الكلمات، أي أن هناك بعض المصطلحات مثل : كوميترين، بولت بيرو، جوش بلان، كومزومول، بالإضافة إلى غيرها من المصطلحات مثل "التعايش السلمي" التي تحمل للعقل الغربي التسامح والاحترام المتبادل، أي "عش ودع غيرك يعيش". ومن المعروف في المصطلح الماركسي أن السلام يتطلب اختفاء أسباب الصراع الطبقي، وعلى ذلك.. فإن "التعايش السلمي" يتضمن في معناه الواسع تحقيق المجتمع الشيوعي (الذي لا طبقات فيه) وعلى اتساع العالم كله.. وعندما اجتمع (٨١) حزباً شيوعياً في موسكو عام ١٩٦٠ أعلنت هذه الأحزاب، أن التعايش السلمي يعني زيادة حدة الصراع الذي تقوم به الطبقة العاملة لانتصار الأفكار الشيوعية أكثر مما يعني مصطلح التعايش السلمي الملائمة والمهادنة مع الأيدلوجيات البرجوازية... أما مصطلح الديموقراطية،

فقد استخدمه الاتحاد السوفيتي للدلالة به على دول أوروبا الشرقية، حيث أصبحت تسمى "الديموقراطيات الشعبية" وذلك لتمييزها عن "الديموقراطيات البرجوازية الغربية المنقرضة" وعندما يعلن الاتحاد السوفيتي عن الديموقراطية، فانه يعني ديموقراطية الطبقة العاملة، التي لا تفسدها بقايا طبقة الرأسماليين. أما "الاستعمار" فهو نتاج الإمبريالية الرأسمالية، وهذا لا ينبغي أن يختلط مع حركة التحرر الوطني التي يؤيدها الاتحاد السوفيتي. أي أن الشيوعيين يستخدمون لغة تساعد على بناء الأنماط الجامدة Stereo-types للأصدقاء والأعداء على السواء... كما تبرز الدعاية السوفيتية انقسام العالم إلى معسكرين أساسيين، أما الدول المحايدة فقد تعددت معها أوجه الدعاية السوفيتية أي بين التنديد بها أحياناً، باعتبارها تابعة للاستعمار، ومدحها أحياناً أخرى، على اعتبار أنها حلفاء للاتحاد السوفيتي في صراعه من أجل السلام، وضد المعسكر الإمبريالي الغربي، كما يعتبر الاتحاد السوفيتي نفسه مرة ثالثة، المدافع عن حقوق هذه الدول في الاستقلال وتقرير المصير. وقد استطاع الاتحاد السوفيتي في رأي المحللين الغربيين الوصول لهذه المرحلة الدعائية نظراً لكونه مجتمعاً مغلقاً يعمل فيه الداعية بدون معارضة داخلية. وحيث يدعم التركيب الدعائي الاتجاهات الرسمية ويقويها دائماً، فالمواطن السوفيتي لا يستطيع الهرب من الرسالة الدعائية التي تلاحقه في قاعة الدرس وفي المكتبة وفي السينما وفي ثكنات الجيش وفي الساحات والأندية الرياضية وفي قصور الثقافة وفي المتاحف، وفي المتنزهات العامة، التي يطلق عليها منتزهات الثقافة والراحة Culture and rest فضلاً عن مكبرات الصوت وألوان التسلية الجماعية، إن إستراتيجية الحرب النفسية السوفيتية لا يمكن أن نستخلصها بطريقة مباشرة من محتويات الدعاية السوفيتية ولكنها، شأنها في ذلك شأن لغة الدعاية، يمكن أن نفهمها فقط عن طريق الأيديولوجية الماركسية اللينينية، حيث أن انتصار الشيوعية هو حتمية تاريخية، وان التأخر في الوصول إلى هذا النصر يتم عن طريق السياسات الرجعية المعوقة للدول الرأسمالية،... ثم تحولت هذه الدعاية إلى اعتبار الحركات الوطنية في الدول النامية وسيلة مباشرة لتحطيم النفوذ الغربي، أكثر مما يمكن أن تفعله

الحركات الشيوعية الناهضة، وبالتالي منح الاتحاد السوفيتي هذه الحركات الوطنية تأييده لها لتخلص بلادها من آخر بقايا الإمبريالية والاستعمار... ويرى الخبراء الغربيون أن هذه السياسة السوفيتية هي سياسة تكتيكية أي مرحلية للإفادة من الحركات الوطنية في الدول النامية، ويؤكدون ذلك من جهة أخرى بما قامت به روسيا في عام ١٩١٩ من إنشاء الكومنتيرن "comintern" ليحول النصر البلشفي في روسيا إلى نصر شيوعي على اتساع العالم كله.. وفي عام ١٩٣٥ اتفق المؤتمر السابع للكومنتيرون على إيقاف الحملة نحو الثورة العالمية، وذلك من أجل تحقيق الجبهة المتحدة "يونيتد فرونت" "United Front" مع الأحزاب الديموقراطية الاشتراكية في الغرب ضد النظام النازي، ولكن الكومنتيرن ظل سلبياً حتى عام ١٩٤٣ حيث تم حله رسمياً وذلك لإزالة مخاوف الدول القريبة من قلب نظام حكمها، ولضمان وحدة التحالف ضد النازية، وفي عام ١٩٤٧ وبعد انتهاء شهر العسل بين الشرق والغرب تشكل مكتب الاستعلامات الشيوعي أو الكومنفورم (Communist Information Bureau) وهذا المكتب هو الذي حل محل الكومنتيرن السابق الإشارة إليه. أما الكومنفورم فقد تشكل لتنسيق نشاطات الأحزاب الشيوعية الأوروبية ضد خطط الغرب وسياسته، وربما كان إنشاء حلف شمال الأطلنطي (ناتو) يعود في بعض أسبابه إلى الحرب النفسية السوفيتية، وعلى الرغم من أن الكومنفورم لقي نفس مصير الكومنتيرن وانتهى في عام ١٩٥٦ إلا أن الحرب النفسية السوفيتية استمرت ولو بأسماء أخرى كالتعاون والتعايش السلمي ووحدة الأحزاب الشيوعية ضد الاحتكارات الرأسمالية التي لها مصلحة مؤكدة في الحروب، كما دعت الدعاية السوفيتية إلى إزالة الأحلاف والقواعد العسكرية في العالم، وإن كان من الملاحظ أن الدعاية السوفيتية بعد هذه الفترة لم تعد تتحدث كثيراً عن القواعد العسكرية في الدول الأجنبية، ولكنها تركز على التعايش السلمي، الذي يتضمن التنافس الديناميكي السلمي مع العالم الرأسمالي، فضلاً عن محاولة تنسيق جهود الأحزاب الشيوعية في العالم مع الخط اللينيني الماركسي كما يراه الاتحاد السوفيتي، لا كما تراه الصين أو غيرها من مراكز القوة.

الدعاية الدولية وعصر الوفاق

بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا (١٢٣)

إن المتتبعين للعلاقات السوفيتية وخاصة المتخصصين في دراسة العلاقات المتبادلة بين الصورة القومية والسياسة الخارجية، لا يمكنهم تجاهل مدى التغير الذي لحق بصورة كل شعب عن الشعب الآخر.

إن صورة الشعب الأمريكي الجشع مصاص الدماء تتغير تدريجياً ليحل محلها صورة إنسان محب للسلام يساعد في بناء عالم جديد ومستعد لأن يشارك بخبراته وفائض إنتاجه ورأسماله لرفع المعيشة في الاتحاد السوفيتي.

وعلى الناحية الأخرى تتبدل صورة الروسي، التي شكلتها دعاية الحرب الباردة في أذهان الشعب الأمريكي، كشخص جامد بطئ لا يثق في الأجانب إلى صورة إنسان يقدم أروع وأرق فنون الموسيقى والرقص، يبني بإخلاص صرح سلام دائم بين الشعبين. وتتداخل عوامل كثيرة لتحقيق سرعة تغيير هذه الصورة القومية، فما يسئ إلى الصورة الناشئة هذه لا ينشر في الصحف السوفيتية، ولعل إغفال نشر تطورات فضيحة ووترجيت فيها دليل على ذلك. وما يدعم هذه الصورة يكثر استخدامه كالنشاط الفني والثقافي والسياحي المتبادل بين الدولتين.

إن أبعاد التكامل التي تقرب بين الدولتين العملاقتين ذواتى النظامين الاجتماعيين المتناقضين تفوق عدداً وقوة أي أبعاد تكامل كائنة أو كامنة بين الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية الذين يدينان بنظام اجتماعى واحد.

لقد خلفت الحرب الباردة فيما خلفت قضايا تتعلق بسباق التسلح وبانقسام أوروبا إلى معسكرين وترسانتين متواجهتين، ومخلفات الحرب الفيتنامية.

---

(١٢٣) انظر : جميل مطر، الأهرام، ١٩٧٣/٦/١.

وتحاول كل من العاصمتين إيجاد الصيغة المناسبة التي تضمن بواسطتها استمرار الاحتفاظ بأكبر قدر ممكن من مكاسبها الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية العالمية، هذه المكاسب التي تخشى عليها أن تتأثر نتيجة ما قد يسفر عنه جو الوفاق من اتفاقات وعلاقات مجسدة بين مختلف الأطراف، أو أحلام وأوهام متخيلة، أو اجتهادات إرادية مستقلة لفهم أو تفسير أبعاد وأعماق هذا التحول.

والمؤكد خلال مرحلة الوفاق أن علاقات الدولتين العملاقتين لم تكن تحقق هذا التقدم، لو لم يكن اليمين الأمريكي القوي قد اقتنع بمصلحة له تترتب على هذا الوفاق، ولو لم يكن بريجينيف قد شن بنجاح حملته الإعلامية الواسعة داخل بلاده وبلاد شرق أوروبا داعيا لعصر سلام وتعايش خلاق، وسمح لمعارضيه بأنْ يفسحوا مكانهم لأنصار الانفتاح على الغرب الرأسمالي وخاصة الولايات المتحدة.

كذلك تشهد المقارنة بين العصرين : عصر الحرب الباردة واحتمالات تطور عصر الوفاق، بأنه حيث كانت مشكلة الحرب الباردة تسمح للدول كبيرة وصغيرة بأن تلعب أدواراً مؤثرة فان خلو الساحة من هذه المشكلات في عصر الوفاق سيقلل من تأثيرات دول كثيرة. يترتب على ذلك أنه حيث كانت الأدوار الخارجية المؤثرة تغطي على كثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الداخلية، فان الافتقار إلى هذه الأدوار وبالتالي إلى تأثيراتها كفيل بأن يبرز تلك المشكلات، بمعنى آخر لن تكون المغامرات الخارجية بالسهولة التي تيسرت لها في السابق.

التجربة الألمانية

وتطور الحرب النفسية بعد عام ١٩١٤

لم تكن الدعاية الألمانية خلال الحرب العالمية الأولى تتسم بالكفاءة أو المهارة، ذلك لأن هذه الدعاية كان يقوم بها هواة عديمو الخبرة في فن الدعاية مما أدى إلى فشلها في التأثير على أعدائها، وفي إقناع واستمالة الدول المحايدة، ولقد كان فشل ألمانيا في حرب الدعاية سبباً مباشراً لاهتمامها بالدعاية في الفترة التي تلت الحرب. وربما كانت

مبادرة ستزن روبارث عام ١٩٢١ هي التي مهدت لما قام به هتلر فيما بعد[١٢٤]. وكان الدرس الأول يتركز في أن الدعاية لا قيمة لها، إذا كانت نشاطاتها معزولة عن الجهود العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية، ففضلاً عن عدم تعاون الجماعات المختلفة التي تقوم بالدعاية وعدم استشارة بعضها البعض فقد كان التركيب الدعائي نفسه مبنياً على سياسة جامدة لا تتلائم مع التغيير الذي يحدث في مجرى الأحداث. ولقد كتب هتلر فيما بعد أن الدعاية سلاح مخيف حقاً في يد الخبراء. وطبقاً للاشتراكية الألمانية فان الزعيم الخبير، هو الذي يعرف ما يصلح للجماهير وهو وحده المؤهل لتعليمهم. والدعاية التي توجه للجماهير يجب أن تكون بسيطة ذات شعارات يسهل تعلمها، على أن يتم تكرارها بصفة مستمرة، مع التركيز على العناصر الانفعالية العاطفية كالحب والكراهية، وبالتالي فلابد من أن نقدم للجماهير عدداً قليلاً جداً من الموضوعات مع استخدامها كشعارات تصلح لفهم اقل الناس ذكاء[١٢٥].

لقد كان النجاح العملي الذي أحرزه هتلر كداعية يرجع إلى إيمانه بضرورة التنسيق بين الأقوال والأفعال، ونتيجة لذلك عندما عرض فيلم (الهدوء على الجبهة الغربية All Quiet On The Western Front) في برلين عام ١٩٣٠ لم يكتف أتباع النازي بمهاجمته في الصحف بل عمد جوبلز في اليوم التالي للعرض إلى صرف تذاكر لعصابات تابعة له دخلت صالة العرض وأطلقت ما كان في جعبتها من فئران بيضاء، فضلاً عن تفجير بعض القنابل. وفي اليوم التالي منعت الحكومة عرض الفيلم بحجة إيقاف المظاهرات[١٢٦]، وهذا الفهم للعلاقة بين الدعاية والفعل - أو الأقوال والأفعال - ظهر حتى في الأيام الأولى للحركة النازية. فقد كان هتلر يأمر الشبان الصغار بارتداء زي النازيين واقتحام الأحياء الماركسية، وإثارة المشاجرات في الشوارع وذلك لجذب الاهتمام لحركته، وكان هتلر يعلن وينشر على الملأ أن ضحايا هذه المنازعات هم شهداء يدافعون عن قضية ألمانيا الكبرى، وعندما كان المشتركون في هذه المنازعات يقدمون إلى المحاكم،

---

(124) Srern-Rubarth, E **Propaganda and Political** Instrument. Berlin, 1921.

(125) Hitler, **A. Mein Kampf** (English translation). New York Reynal and Hitchcok. 1939, P. 234.

(126) Beachcroft, T.V. British Broadcasting. London, Longman, 148. P. 20.

كان جوبلز يعتبر أن المحاكم أماكن يستطيع أن يحقق عن طريقها كسباً دعائياً للحركة والحزب النازي، ويضمن للحزب مساحة تنشر عنه في صحف منافسيه.

لقد كان الزي والأعلام والشعارات وفرق الموسيقى جزءاً لا يتجزأ من آلة الدعاية الألمانية، لزيادة تأثير الكلمات القوية بالأفعال القوية أيضاً، ولم تكن الاجتماعات مجرد مناسبات يخطب فيها الناس، بل كانت عملاً مسرحياً مخططاً بعناية، حيث تعمل الأضواء والموسيقى وتوقيت الدخول والخروج لزيادة حماس الجماهير و التي كانت على مدى ساعة قبل خطاب الزعيم تهدر بالهتاف والغناء.. وعلى الرغم من أن هدف الدعاية الألمانية داخل ألمانيا هو توحيد الشعب الألماني حول فكر واحد وغرض ثابت، إلا أن دوافع الحرب النفسية الموجهة ضد البلاد الأجنبية، كانت تتمثل في محاولة تفرقتها، وجعل الفوضى تسود فيها، والبحث عن مواطن الاحتكاك والتناقضات الداخلية في هذه المجتمعات الأجنبية والعمل على زيادة التناقضات العنصرية وزرع الشك وعدم الثقة في الحكومة، وتشجيع كل قضية تؤدي إلى شق الوحدة الوطنية وتدعيم الكراهية الدينية بين أبناء الوطن الواحد وتأييد كل حركة تعوق تحقيق وحدة الإرادة لدى هذه الدولة. فكانت ألمانيا تذكر الفرنسيين بما كان يقال في الحرب العالمية الأولى من أن إنجلترا سوف تحارب إلى آخر رجل فرنسي وكما كانت تحذر الإنجليز من أن الفرنسيين ليسوا حلفاء يمكن الاعتماد عليهم، وهكذا بالنسبة لبقية الدول الأخرى.

ولقد حققت الحرب النفسية الألمانية نجاحاً رئيسياً يتمثل في إقناعها الديموقراطيات بأن ألمانيا بلد مسالم اضطرته الظروف الضرورية لاحتلال بعض أراضي تشيكوسلوفاكيا وأرض السار Sar-Land كما تم إقناع الديموقراطيات بطريقة أو بأخرى أن كل احتلال تقوم به ألمانيا هو (آخر أرض ستطالب بها ألمانيا في أوروبا) وقد قال الجنرال سيريئان هاملتون في أغسطس عام ١٩٣٨ : "يسعى الألمان سعياً إيجابياً ونشطاً نحو السلام أكثر مما يفعل الإنجليز، كما أن الا-ان يعتقدون بحزم، أن هتلر سيجعلهم بعيدين عن الحرب، وأنا واثق من أن الفوهرر يفزع من مجرد سماع فكرة حرب أوروبية[١٢٧].

(127) Schramm. W. (ed.) **The Process and Effects of Mass Communication.** University of Illinois Press, 1955, PP. 80-1

وقد جاء في اتفاق ميونخ الذي وقعه كل من ادولف هتلر ونيفيل تشمبرلين في سبتمبر سنة ١٩٣٨ (ونحن نعتبر أن الاتفاق الذي وقع الليلة الماضية واتفاق الأسطول بين كل من ألمانيا وإنجلترا كرمز لرغبة الشعبين في عدم الدخول فىحرب بينهما أبداً) وربما كان هذا النصر هو أعظم ما أحرزته الحرب النفسية الألمانية.

الحرب النفسية خلال الحرب العالمية الثانية

لقد هيأت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩- ١٩٤٥) فرصة لتطوير الحرب النفسية كسلاح عسكري يهدف لتحطيم الروح المعنوية لجنود العدو وشل إرادة المقاومة داخل البلاد. فضلاً عن أن الحرب النفسية ذاتها تعتبر سلاحاً دفاعياً للحفاظ على الروح المعنوية للمقومات ضد الحرب النفسية للعدو ولقد اتضح دور الحرب النفسية في زمن الحرب في التوجيهات المشتركة التي كانت تصدرها منظمات الدعاية الإنجليزية الأمريكية المتحالفة. ولقد أشارت هذه التوجيهات إلى أن الحرب النفسية (ليست بديلاً سحرياً للمعركة المادية ولكنها عامل مساعد فقط) وهدفها هو التقليل من تكاليف المعركة المادية وتيسير التعامل مع العدو وبعد استسلامه، على أن يتم التنسيق بين الدعاية وسياسة الحكومة، وقد كان ذلك واضحاً في دعاية الحلفاء ودعاية جوبلز كما جاءت في مذكراته، ولو أن جوبلز كان مهتماً بالحصول على تأثير أكبر في صياغة سياسة الدولة حتى لا تتعارض مع الحملات الدعائية..

كيفية دراسة الحرب النفسية

هناك طرق متعددة لدراسة موضوع الحرب النفسية بشكل أعمق.. ولعل أكثر هذه الطرق أهمية في نظرنا هي الدراسة المبنية على أهداف الحملات الدعائية..

وهذه بدورها تنقسم إلى أقسام ثلاثة : أولها هدف الدعاية المباشر والسريع وهو تحطيم الروح المعنوية لدى القوات المحاربة للعدو.. وثانيها هو الهدف الإستراتيجي طويل المدى وهو تحطيم إرادة المقاومة في بلد العدو.. وأخيراً فان الهدف الثالث هو هدف دفاعي يتصل بحماية جنودنا نحن ضد دعاية الأعداء..

وأهم الأسلحة المباشرة في الدعاية التكتيكية هو ما يسمى بدعاية الميدان Combat Propaganda والتي تتضمن المنشورات Leaflets والأشكال المتعددة للإذاعات، فضلاً عن تكتيكات الفزع.. وأكثر هذه الوسائل انتشاراً هي النشرات Leaflets وخصوصاً الدعوة للاستسلام مع تأمين سلامة الجنود وذلك نظراً لسلوكهم المرضي.. واستسلام العدو على كل حال هو الهدف الأساسي لدعاية الميدان..

ويهمنا أن نشير إلى أن الحرب العالميتين قد علمتنا الدول العظمى كثيراً عن هذا الشكل من الدعاية.. وإذا ما بدأ الجندي في إخفاء نشرات الاستسلام التي يوزعها العدو.. فإن ذلك علامة أو بداية ضعف إرادة المقاومة لديه.. وإن كانت النشرات هذه ليست بديلا للنصر العسكري ولكن مهمتها تنحصر في أنها تقلل تكاليف النصر.. وذلك بإقناع العدو بان حياته كأسير حرب هو أمر أفضل من الموت..

هذا والنشرات الحديثة لا تدعو الجنود صراحة للاستسلام، ولكنها تدعوهم إلى الانتهاء بشرف coming over من الصراع.. أي أن هذه النشرات لا تهدف توجيه الإنذارات ولكنها تحذر وتدعو، وهي من أجل ذلك تقاوم إغراء وصم العدو بالجبن.. ولكنها تصفه بالشجاعة وأنه يرضخ فقط عندما يستيقظ كل أمل(١٢٨)، وليست المنشورات Leaflets والفزع شكلين منفصلين من أشكال الدعاية، وعلى الرغم من أن الفزع Terror يغطي مدى أوسع من النشاط، فان بذر الخوف في النفوس يظل مع ذلك واحداً من الأهداف الرئيسية لكاتب المنشورات... ومن الأمثلة التي يمكن أن نشير إليها في هذا الصدد، ما فعله جوبلز goebels بعد الغارات العنيفة المركزة التي قامت بها القوات المتحالفة على ألمانيا- إذ قام بإسقاط صور المدن التي أصابها التدمير على الشعب البريطاني مع تحذير للبريطانيين بتوقع غارات انتقامية، تتسم بنفس العنف والوحشية.. هذا ويعتبر الفزع نفسه أقدم أشكال الحرب النفسية، وعلى سبيل المثال، فقد قام النازي- قبل غزو النرويج- بتنظيم مشاهدة بعض المسئولين النرويجيين لأحد الأفلام الخاصة بغزو النازي لبولندا.. وحسم الفيلم الفزع الكامل للحرب الميكانيكية.. حيث الصفوف التي لا نهاية لها من الدبابات والعربات المصفحة.. والبلدان التي تمحى تحت وابل القنابل

(128) Barrett, E. **Truth is Our Weapon.** New York. Funk and Wagnall, 1953, P. 39.

والمدافع.. فضلاً عن الموتى والجرحى من النساء والأطفال، بما يتخلل ذلك من الضجة والسرعة وعنف الحرب الحديثة.

وإلى جانب العنف والفزع يمكن أن تضاف الإشاعات وتقارير الأخبار المتناقضة وقصص الاستسلام وسقوط بعض وحدات القوات المسلحة وخيانة حلفاء العدو وتخليهم عنه..

لقد كان السيل الهائل من اللاجئين- والذي عطل واعترض حركة القوات المتحالفة وآلياتها- هو نتيجة لدعاية الفزع التي قامت بها ألمانيا النازية ولعل الصورة التي تكررت في عامي ١٩٤٨، ١٩٥٧ بالنسبة للاجئين الفلسطينيين العرب وهربهم من بلادهم وأرضهم أمام الفظائع والفزع الفعلي أو الذي رتبته الدعاية الإسرائيلية تعكس كذلك دعاية الفزع.

وهناك مصطلح الحرب النفسية الإستراتيجية.. وهذا يعني مدى واسعاً من النشاطات، ومن بينها تعميق الخلافات في الرأي والأهداف في صفوف العدو وحلفائه.. فالداعية الماهر هو الذي يستطيع استغلال كل مصدر ممكن للاحتكاك داخل صفوف العدو..

كما تضمنت الجهود الإستراتيجية الأساسية للحرب النفسية التي قام بها الحلفاء ضد الاستعمار النازي خلال الحرب العالمية الثانية، التضخيم والمبالغة في قوة دفاعات الألمان في حاجز الأطلنطي.. وأهميته بالنسبة للأمن.. وبالتالي فقد ضاعف الحلفاء بعملهم هذا من المفاجأة والذهول الذي انتاب الرأي العام الألماني عند سقوط حاجز الأمن المنيع ذاك، وفي ذات الوقت فقد مهد الحلفاء بدعايتهم تلك لاحتمال فشلهم... وفي هذه الحالة فإن هذا الفشل لا يبدو أمراً غير متوقع.

ولعلنا نذكر كذلك ما تم بين العرب وإسرائيل في حرب رمضان- أكتوبر ١٩٧٣، إذ ضخم الإسرائيليون في منعة وتحصين خط بارليف... وساعدت الدعاية العربية في تضخيم هذا الزعم.. وبعد أن انهار الخط الحصين أمام الضربات العربية، انهار معه الرأي العام الإسرائيلي وانتابه الفزع مع تحطيم خط الأمن، كما صوره له قادته الصهاينة.. وفي نفس الوقت فإن فشل العرب في تحطيم هذا الخط.. لم يكن ليؤدي إلى

يأس من جانب العرب أي أن التأكيد على قوة العدو وتضخيم استعداداته يجعل للنصر بريقاً أكبر، وقد يجعل الهزيمة أقل خزياً، كما تهتم الحرب النفسية بتشجيع حركات المقاومة داخل الأراضي التي يحتلها العدو.. وزيادة توتر العدو من مفاجأته ومهاجمته.

الحرب النفسية في المجتمع الغربي

تشير الدراسة الأولية للتأثيرات السياسية في المجتمع الديموقراطي إلى أن الدعاية تبث من آلاف المصادر ومن خلال جميع وسائل الإعلام.. كالصحافة والنظام التعليمي والسينما والمسرح والراديو والتليفزيون. والكتب والدوريات والفنون فهذه كلها- فضلاً عن الأساليب الفنية للدعاية- تستخدم في جميع البلاد تقريباً في الوقت الحاضر عن طريق المؤسسات الحكومية والهيئات الخاصة وذلك بهدف خدمة القضايا السياسية التي تعنيها..

وعلى الرغم من صعوبة التمييز بين الأساليب الدعائية في البلاد الديموقراطية وغير الديموقراطية، فان الدعاية الدكتاتورية الحديثة تلعب دوراً أكبر كأداة مقصودة في السياسة الرسمية أكثر مما هو الحال في الديموقراطيات.. كما أن الدعاية في الديموقراطيات أقل وضوحاً لأنها لا تنبع من مصدر واحد ولكنها تنبع من مئات المصادر... وربما أدى ذلك نفسه إلى حجم للدعاية في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم أكبر منه في ألمانيا الهتلرية مثلاً.

ومصادر الدعاية في الديموقراطيات متنوعة تشمل الأحزاب السياسية والاتحادات التجارية والكنائس وبيوت التجارة وأصحاب الصحف والوزارات والسياسيين والأندية والجمعيات المهنية والأفراد.

وعلى الرغم من أن الحكومة في النظم الديكتاتورية هي التي تقوم بالدعاية أصلاً، إلا أن صراعات العصر الحاضر، تتطلب تدخل الحكومة تدخلاً مستمراً في العملية الدعائية في كل من المجتمعات الشمولية والديموقراطية، وعلى ذلك فبعد أن سرحت الحكومة الأمريكية أجهزة الحرب النفسية القائم في الحرب العالمية الثانية، أنشأت بدلا منها مؤسسات أخرى تواجه عالم ما بعد الحرب سيجئ تفصيله فيما بعد.

الباب الخامس

نماذج من الدعاية والدعاية الدولية

الفصل الواحد والعشرون : الدعاية النازية ومبادئ جوبلز في الدعاية

الفصل الثانى والعشرون : استراتيجية الدعاية السوفيتية

الفصل الثالث والعشرون : الدعاية الدولية كأداة للسياسة الخارجية الأمريكية والإسرائيلية

الفصل الرابع والعشرون : الإعلام العربي المتناسق والتحدي الحضاري المعاصر

الفصل الواحد والعشرون

الدعاية النازية ومبادئ جوبلز في الدعاية

لقد عثرت السلطات الأمريكية في برلين ١٩٤٥ على مذكرات جوبلز وزير الدعاية أثناء الحكم النازي وهي تغطي الفترة من ٢١ يناير ١٩٤٢ حتى ٩ ديسمبر ١٩٤٣ وقد ترجمها إلى الإنجليزية لويس لوخنز[١٢٩]... ويمكن أن نلخص المبادئ الأساسية التي اتبعها جوبلز في الدعاية[١٣٠] كما يلي ، ذلك لأن هذه المبادئ تكون الخلفية لخططه وقراراته :

١ – يجب أن تكون المعلومات التي تجمعها أجهزة المخابرات المختلفة تحت يد رجال الدعاية أيضاً وخصوصاً فيما يتعلق بالأحداث وبالرأي العام .. حتى يستطيع خبراء جوبلز أن يخططوا وأن ينفذوا أساليب الدعاية التي تتلائم مع الجمهور الذي توجه إليه الدعاية ....

ومن الملائم أن نذكر أن جوبلز كان كثيراً ما يثق في أحاسيسه وبداهته وإدراكه وفهمه الشخصي أكثر من ثقته في التقارير الرسمية ... وكان ينصت إلى أمه ويقول "إنها تعرف مشاعر الناس وأحاسيسهم أكثر من الخبراء الذين يعيشون في أبراج عاجية" ...

أما المعلومات المجمعة لدى أجهزة دعاية جوبلز فكانت تأتي عن طريق الجواسيس أو المحادثات التليفونية المراقبة والمسجلة أو غيرها من المصادر السرية ... أو عن طريق استجواب أسرى الحرب وعن طريق الخطابات التي يرسلونها أو يستلمونها من ذويهم أو عن طريق تحليل مضمون وسائل الإعلام الجماهيرى للدول المعادية أو الحليفة أو المحايدة ...

---

(129) Lochner, Louis P. (ed.) **The Goebbels Diaries,** New York. Doubleday and Company, 1948.

(130) Doob, L.W. Goebbels' Principles of Propaganda, In : Daniel katz and Others. **Public Opinion and Propaganda,** 1965, PP. 508-522.

٢ – يجب أن يتم تخطيط الدعاية وتنفيذها عن طريق هيئة واحدة فقط وذلك ضماناً لعدم الوقوع في التناقضات الناتجة عن تعدد الأجهزة الدعائية في الدولة الواحدة ، على أن تقوم هذه الهيئة المركزية بثلاث وظائف أولاها إصدار جميع التوجيهات التي تتعلق ببدء الحملة الدعائية وتصعيدها ، أو تقليلها أو إنهائها، كما تتضمن هذه التوجيهات كيفية تفسير الأحداث أو الأخبار، واختيار الوقائع التي يتم التركيز عليها وتلك التي يجب تجاهلها تماماً، أي تركيز اهتمامات الرأي العام على مسائل معينة، وصرفه عن قضايا أخرى ليس من المصلحة استمرار انشغاله بها وهكذا ... وثانية هذه الوظائف هي شرح هذه التوجيهات للمسئولين الرسميين ورفع روحهم المعنوية، وذلك حتى يقوم هؤلاء بأعمالهم بطريقة أكثر كفاءة ورغبة ... أما الوظيفة الثالثة فهي الإشراف على الوكالات الأخرى التي لها أوجه نشاط دعائي والتعرف على نتائج أعمالها .

٣ – يجب عند اتخاذ الإجراءات السياسية أو العسكرية أن تؤخذ نتائجها الدعائية في الاعتبار، وهذا يعكس الفارق بين التخطيط الدعائي والتبرير الدعائي، فالمجال الأول أوسع نسبياً من الثاني ، وعلى ذلك فقد أقنع جوبلز هتلر بتخطيط الهجوم الجوي ضد إنجلترا لخدمة المبادئ الدعائية والنفسية أولاً ثم لخدمة النواحي العسكرية ثانياً . كما طالب جوبلز بأن يكون هو المسئول عن محاكمات الحرب في فرنسا بدلاً من وزارة العدل لخدمة الأهداف الدعائية والنفسية كذلك ...

٤ – يجب أن يتم التأثير على سياسة العدو وتصرفاته ، ويرى جوبلز أن ذلك يتم بطرق أربعة هي:

(أ) الإخفاء الدعائي لبعض الأخبار أو المعلومات التي يمكن أن تزود العدو بمخابرات مفيدة ، وهدف الداعية من ذلك هو بلبلة أفكار العدو وجعله يتخبط في تقديره ... فكثيراً ما كان جوبلز يرفض أن يفند مزاعم الأعداء عن التدمير الجوي الذي أحدثوه ضد ألمانيا ... وكان يقول "من الأفضل للإنجليز أن يظنوا أنهم أحرزوا نجاحاً في هجومهم الجوي من أن يحققوا فعلاً هذا النجاح".

(ب) أن يبث دعاية محتوى أو نغمة معينة.. تدفع العدو إلى الوصول إلى نتائج يريدها هو فقد استخدم نغمة صمود القوات النازية في تونس كمثال على ما يمكن أن يحدث إذا قام الحلفاء بغزو أوروبا ..

(جـ) أن يثير العدو لكشف معلومات حيوية عن نفسه ..

(د) ألا يستغل التناقضات الصغيرة التي تحدث بين أعدائه نظراً لقناعته بأن الخلافات والتناقضات يجب أن تترك لتنمو نمواً طبيعياً ... وعلى النقيض من ذلك إذا كانت الخلافات بين أعدائه حادة ومعروفة فهو يستغلها إلى أقصى حد ...

٥ – يجب ان تتوفر المعلومات غير السرية أي المعلومات العادية حتى يمكن الإفادة منها في الحملة الدعائية . حيث تقدم هذه المعلومات بعض الحقائق الأساسية حتى ولو كانت قليلة ... ومع ذلك فقد كان جوبلز يخلق الأخبار عن طريق تصرفات معينة ... فحتى يظهر صداقة ألمانيا لفنلندا مثلاً ... فقد دعا بعض الأطفال الفنلنديين المرضى في "إجازة استعادة الصحة " إلى ألمانيا ...

٦ – يجب أن تعمل على إثارة اهتمام الجمهور الذي توجه إليه ... كما يجب اختيار الوسيلة الإعلامية المناسبة للجمهور ... وقد لجأ جوبلز إلى شراء وسائل الإعلام الجماهيري – كالسينما والمسرح والصحف – في البلاد المحايدة أو المحتلة وذلك بغرض التحكم فيها وفرض الرقابة عليها ، وكان يرى أن الراديو لا ينبغي أن يقدم للجمهور الألماني المعلومات والبرامج التعليمية فحسب بل ينبغي أن يقدم للجمهور كذلك برامج التسلية والترويح .. كما أنه كان يرى أن أحسن أشكال الدعاية الصحفية هي تلك التي لا تظهر في الصحيفة كدعاية (مثل المقال الافتتاحي) بل تلك التي تظهر كأخبار جانبية ولكنها مباشرة وواضحة ... كما كان جوبلز يميل ميلاً شديداً نحو السينما ... لأنها من وجهة نظره تقدم التسلية للناس كما تخفف عنهم التوتر ... كما كان يرى الصورة في الصحيفة أكثر وابلغ تعبيراً من الكلمة المنطوقة أو المكتوبة ... وعلى كل حال فقد كان الافتراض الأساسي لدى جوبلز أنه يجب استخدام جميع

وسائل الإعلام الجماهيرى في نفس الوقت ... وذلك لضمان وصول دعايتـه للأهداف والجماهير المرغوبة ...

٧ - يجب ان تكون القابلية للتصديق هي معيار ما تقدمه الدعاية من حقائق أو أكاذيب ... ويرى جوبلز أن الحقائق يجب أن تستخدم كلما أمكن ذلك ... وإلا فان العدو والحقائق ذاتها يمكن أن تكشف الزيف وتعريه ... وبالتالي فان قابلية تصديق الجمهور لما يقوله سوف تتضاءل ... وخصوصاً أنه من العسير خداع الجمـاهير علـى المدى الطويل ، فضلاً عن أن الجماهير قد تعودت على أن تقرأ مـا بين السطور... وعلـى ذلك فان الأكاذيب تكون مفيدة إذا لم يكن بالإمكـان دحضها وتفنيدها... وحتى الحقائق نفسها يمكن أن تحطم أحياناً قابلية الناس للتصديق... فقد خشي جوبلز أن يعلن على الألمان أن الجنرال رومل لم يكن في أفريقيا أثناء الأيام الأخيرة للحملة الألمانية هناك... نظراً لان كل إنسان يعتقد بأنه كان في أفريقيا في ذلك الوقت... فإذا خرج جوبلز إلى الناس بالحقيقة -عند وقوع الكارثة- فإن أحداً لن يصدقه...

٨ - إن دراسة دعاية العدو من حيث أهدافها ومضمونها وتأثيرها هي التي تحدد الفعل بالنسبة لها وخصوصاً من ناحية تجاهلها أو تفنيدها، وعلى سبيل المثال فإذا أظهر تحليله للدعاية المعادية أنها تهدف إلى أن تجره إلى إجابة معينة فانه يظل صامتاً... وهكذا... كما أنه كان يتعرف في كل مرة على رصيده الدعائي قبل أن يقرر الرد على الدعاية، وكان يبدو لجوبلز دائماً أنه من الأفضل أن يركز على إذاعة خطاب لهتلر بدلاً من الرد على الدعايات المعادية وتفنيدها...

٩ - إن فرض الرقابة على المواد الدعائية يتحدد بناء على ما يمكن أن يكون لهذه المواد من تأثير أو قابلية للتصديق... فقد كان جوبلز يرى أن الأخبار هي سلاح حربي وهدفها هو خوض الحرب وليس إعطاء المعلومات ، وكان جوبلز يفضل الرقابة على الأخبار إذا اعتقد بأن الأخبار المعلنة ستؤدي إلى رد فعل غير مرغوب فيه... أو أن هذا الإعلان لا يتفق مع التوجيهات السارية ...

١٠ - يمكن استخدام بعض المواد الدعائية للعدو في التقليل من هيبته أو تعزيز أهداف الداعية نفسها... وقد لجأ جوبلز إلى تمشيط إذاعات العدو وصحفه وبلاغاته الرسمية... بحثاً عن الكلمات التي يمكن استخدامها في تعزيز أغراض حملته الدعائية الهجومية على أعدائه لا لغرض الدفاع أو الرد على ما يقول الأعداء، أي أنه يحاول ضرب العدو بدعايته الذاتية وتدمير معنوياته والتأثير على نفسية الرأي العام من خلال المقارنات التي تجري بين ما تردده أجهزته الدعائية وبين ما يحدث في الواقع..

١١ - يجب استخدام الدعاية السوداء لا البيضاء، إذا كانت الأخيرة أقل قابلية للتصديق أو إذا كان لها تأثير غير مرغوب فيه.. ونعني بالدعاية السوداء تلك الدعاية المجهولة المصدر للجمهور... وقد استخدم جوبلز الدعاية السوداء أيضاً للقضاء على الإشاعات غير المرغوب فيها داخل الرايخ نفسه... وقد استخدمت هذه الطريقة الأخيرة لإزالة المخاوف التي سرت بين الشعب الألماني من "أنه في حالة حدوث غارات أكثر عنفاً على ألمانيا، فان الحكومة ستكون أول من يهرب" من برلين. وعلى كل حال... فقد كان جوبلز يؤمن بأن المواطنين المخلصين للدولة عليهم أن يتزودوا في جميع الأوقات بالبراهين والحجج التي يستطيعون بها تفنيد الانهزامية أثناء مناقشاتهم في أماكن عملهم أو في الشوارع.. كما كان جوبلز يؤمن أيضاً بوجوب تكذيب الإشاعات عن طريق الأجهزة الرسمية... وذلك إذا كانت جميع الحقائق تعزز موقفه وتؤيده ..

١٢ - تكون الدعاية أكثر يسراً وأبلغ أثراً... إذا قام بها القادة ذوو الهيبة والنفوذ... وهذا المبدأ متوقع من جوبلز على كل حال نظراً لان الأيديولوجية النازية تؤكد على أهمية القيادة والزعامة ... ومن أجل ذلك أيضاً يتم الاستغناء عن الرسميين النازيين غير الأكفاء بدون الإعلان عن إقالتهم... خشية أن ينعكس هذا الفشل وعدم الكفاءة على النظام الاشتراكي الوطني النازي نفسه... "وبدلاً من ذلك فكان يعلن على الجمهور أنه تم تعيين مسئول آخر مكان السابق بصفة مؤقتة نظراً لمرضه"..

١٣ - يجب توقيت الدعاية بعناية حتى يكون لها أكبر أثر ممكن.. وكان جوبلز يرى أنه يتحتم على الداعية أن تكون لديه في جميع الأوقات المقدرة على حساب الآثار النفسية المتوقعة مقدما، وللمعاونة فى ذلك كان يرى أن من يتكلم أولاً يصدقه الآخرون دائماً،

وأنه يجب بدء الحملة الدعائية في اللحظة المناسبة، وأنه يجب تكرار النغمة الدعائية السائدة ، ولكن على ألا يزيد هذا التكرار عن الحد الذي تقل فعاليته وأثره، ومن جهة أخرى فقد كان جوبلز يرى أن التكرار غير ضروري وغير مرغوب فيه إذا كانت المادة الدعائية المنشورة قد أقنعت الجمهور تماماً أو إذا تسبب التكرار في ملل الجمهور وضجره..

١٤ - يجب أن تصف الدعاية الأحداث أو الناس بألفاظ أو شعارات مميزة... ويجب أن تكون لهذه الألفاظ والشعارات القدرة على إثارة الاستجابات المرغوبة والكافية لدى الجمهور... كما يجب أن تكون هذه الشعارات والألفاظ سهلة الحفظ والاستعادة ... وتتميز بالوضوح (أبيض أو اسود) حتى تكون مقنعة للجمهور... كما يجب استخدامها بصورة متكررة ولكن في المواقف المناسبة، وأخيراً فيجب أن تكون هذه الشعارات والألفاظ بعيدة عن إمكانية استخدامها كسلاح مضاد في يد العدو، وكان مما يقوله جوبلز في هذا الشأن أن هناك ألفاظاً أو كلمات معينة يجب أن نتجنبها كما يتجنب الشيطان الماء المقدس... ومن أمثلة هذه الكلمات التخريب Sabotage والاغتيال Assassination وغيرها...

١٥ - يجب ألا تعمل الدعاية الموجهة للجبهة الداخلية على نشر الآمال الكاذبة التي يمكن أن تنسفها الأحداث المستقبلية.. وكثيراً ما حذر جوبلز من الانصياع وراء الآمال الكاذبة والتمنيات التي يمكن أن يكون مصدرها الشعب الألماني نفسه... أو الدعاية المعادية له... والتي تحرص إستراتيجيتها على جعل الجيوش الألمانية مثلاً تلتزم بأهداف عسكرية لا يتوقع تحقيقها لتتخذ من ذلك وسيلتها لتحطيم دعاية جوبلز ...

١٦ - يجب أن تخلق الدعاية الموجهة للجبهة الداخلية المستوى المناسب من القلق والاهتمام والحيرة حتى يسعى المواطن لطلب المزيد من المعلومات وهذه بدورها يمكن أن تكون أداة الداعية لمزيد من التأثير على المواطن ، والقلق بالنسبة لجوبلز سلاح ذو حدين ، فإذا تعرض المواطن لدرجة شديدة من القلق والتوتر والحيرة... فان ذلك يمكن ان يؤدي إلى الفزع والذعر وتقويض روحه المعنوية... وإذا تعرض لقدر يسير من القلق والحيرة فان ذلك يمكن أن يؤدي إلى جموده وسلبيته، وعلى ذلك

فينبغي على الداعية أن يحقق توازناً بين هذين الطرفين المتباعدين وذلك بطريقتين أولاهما أن تعمل الدعاية على تعزيز القلق والتوتر المتعلق بما ستؤدي إليه الهزيمة من عواقب وخيمة تتصل بحياة الشعب وإمكانياته في النمو والتطور... وبالتالي بذل أقصى الجهد والمجهود الحربي... وثانيتهما أن تعمل الدعاية على تخفيف القلق والتوتر الزائد الذي لا يستطيع الناس إزاحته عن كاهلهم بأنفسهم..

١٧ - يجب أن تعمل الدعاية الموجهة للجبهة الداخلية على تقليل آثار الفشل المتوقعة ، وذلك بأن تظهر الدعاية للجمهور بأن الخسارة والفشل الحاضر يجب أن يتحمله من أجل المكاسب والانتصارات القادمة ، كما يجب إعطاء الجمهور التبريرات اللازمة للحفاظ على ثقته في النظام وعلى تحمل التضحيات المطلوبة منه...

١٨ - يجب أن تعمل الدعاية على تسهيل عملية الإبدال Displacement وذلك بتركيز مشاعر الجماهير العدوانية نحو أهداف بديلة مثل كراهية اليهود والبولشفيك... إلخ، كما كان جوبلز يسعى إلى إثارة الشكوك وعدم الثقة والكراهية بين أعدائه وبين **الجماعات المختلفة داخل بلد** معين معاد لبلده... وعلى ذلك فقد افترض جوبلز أن **المشاعر العدوانية بين الأمم** أو في داخلها موجودة لأسباب تاريخية أو كنتيجة للفشل أو الخيبة في الحرب ، وكانت مهمته تتركز في توجيه المشاعر العدوانية في طريق تمزيق عدوه من الداخل ..

١٩ - يجب أن يفرق الداعية في تخطيط استراتيجية الدعاية وأهدافها بين السلوك الملموس أو المنظور للجماهير وبين إحساساتهم الداخلية وشعورهم وروحهم المعنوية ... وكان جوبلز يطمح دائماً إلى أن يتلائم كل من السلوك المنظور والشعور الداخلي على قدر الإمكان ...

وعندما اقتربت الهزيمة مع عام ١٩٤٣ لم يكن لدى جوبلز أخبار مطمئنة يقدمها للشعب الألماني حتى يستخدمها في رفع الروح المعنوية للجماهير ويحول بينها وبين الفشل واليأس ... وكان مما قاله في ذلك الحين "لا نستطيع في هذه اللحظات أن نغير كثيراً من طريق الدعاية إذ ينبغي أن نحرز مرة أخرى نصراً كبيراً في مكان ما ..." ولكن هذا النصر الذي ابتغاه لم يأت أبداً ...

الفصل الثانى والعشرون

استراتيجية الدعاية السوفييتية

نطاق الدعاية السوفيتية وأهدافها :

لقد كان لينين ومريدوه مقتنعين بأن لهم رسالة تاريخية، تتركز في تغيير العلاقات الإنسانية وبالتالي إعادة تشكيل الفرد الشيوعي "الجديد" كما اعتمد إيمانهم بنجاح حركاتهم الاجتماعية على مقدار استخدامهم لفن واستراتيجية الاستمالة والاستهواء والإقناع... ويعتبر مؤلف لينين المعروف باسم "ما العمل" What is to be done هو إسهام لينين الأساسي في النظرية البلشفية الخاصة بالاستراتيجية والتكتيك... وهذا العمل يدرس في جميع مراحل التعليم السوفيتي، وخصوصاً في المعاهد السياسية المتخصصة... كما يدرسه بعمق أولئك الذين يطمحون في أن يكونوا من الصفوة في الحزب الشيوعي... وقد حث لينين في عمله ذاك على إنشاء صحيفة سياسية روسية شاملة وعلى أن يقوم العاملون فيها بوظائف الدعاية والاستخبارات والعمل التنظيمي... أي أن لينين قد أكد أهمية وقوة الاتصال السياسي Power of Political Communication كما اعتبرت المنظمات الجماهيرية كعصبة الشبيبة الشيوعية Youth of the Communist League واتحادات التجارة وغيرها مسئولة عن العمل الأيديولوجي وأشكاله المختلفة كالدعاية والترويج Agitation وغير ذلك.(١٣١)

لقد أشار هارود لاسويل إلى أن هدف الدعاية السوفيتية هو تقليل التكاليف المادية للسيطرة على العالم(١٣٢). وإذا كان الاتحاد السوفيتي – ولا نذكر الصين الشعبية – لم يتحلل علنا من تعاليم لينين التي تشير بأن المشاكل السياسية الكبيرة إنما يتم تقريرها – في

---

(131) Barghoorn, Frederick. Soviet Propaganda 1964, pp. 3-19. 300-11

(132) Lasswell Harold, ((The strategy of Soviet Propagando)) in wilbur Schramm (ed.) **The Process and Effects Mass Communication,** Urbana. Ill. 1954, p. 538.

التحليل النهائي – عن طريق القوة[١٣٣]، فإنه من الواضح أن عصر الأسلحة النووية الرهيب، قد فرض على الاتحاد السوفيتي أكثر من ذي قبل، أن يحقق أهدافه عن طريق الاستمالة والإقناع والدعاية، وليس بطريق القوة المسلحة. ولكن كيف يمكننا أن نقارن بين الدعاية السوفيتية والغربية؟ إن ذلك يعتمد أولاً على استخدام كل من المعسكرين لاصطلاح الدعاية والمقصود منه، وقد سبق لنا أن أشرنا إلى أن هناك تعاريف كثيرة للدعاية... بل لعل كل كاتب في هذا المجال له تعريفه الخاص. وإذا أخذنا بعض تعاريف الكتاب الغربيين على سبيل المثال لا الحصر فإننا سنجد ما يلي بالنسبة للدعاية السياسية:[١٣٤]

- هي محاولة للتأثير في سلوك الجماهير باستخدام وسائل الاتصال الجماهيري – وذلك حتى يكون لهذه الجماهير تصور وإدراك معين للعالم المادي .

- إدارة وتوجيه وسائل الاتصال الجماهيري لخدمة أهداف السلطة.

- عملية يقوم بتنظيمها وتنفيذها الموظفون الرسميون كجزء من عملهم في مجال السياسة الخارجية.

ومن الواضح أن تلك التعاريف تميل إلى التأكيد على عناصر التطويع.. بل والخداع في الدعاية باعتبارها عملية اتصال متحيزة... كما أن واضعي هذه التعاريف يعكسون بصفة عامة الاتجاه نحو تطويع الرموز لأهداف سياسية... وهذا ما يميز الفكر السياسي الغربي بالنسبة للدعاية... وبالمقارنة فان استخدام الكتاب السوفيت لمصطلح الدعاية يدل على تقديرهم ونظرتهم الإيجابية لها... وجعلها موازية للتعليم "إلى حد كبير"... أي أن الكتاب السوفيت لا يميلون إلى استخدام مصطلح الدعاية بالمعنى المتعارف عليه في الغرب[١٣٥].

---

(133) Lenin, Izbrannye Proizvedeniya, Vol. I, p. 436.

(134) Berelson, B. and Morris Janowitz, reader in Public Opinion., 1966, p. 363.

(135) **Ibid.**, p. 364.

ويجب أن نشير في هذا المقام إلى أن كثيراً من الكتاب الغربيين يعترفون بصعوبة التعرف على أهداف الدعاية السوفيتية القصيرة أو البعيدة المدى... فهي في نظرهم يشوبها تناقض ظاهر. لأنها تجمع بين الدعوة للتعايش السلمي مع الدول الرأسمالية ثم هي في ذات الوقت تتخذ الجهود الحثيثة – وراء الستار لتحطيم الحكومات الغربية والنظم الاجتماعية والسياسية التي تؤيدها... فضلاً عن أن هناك بعض الشيوعيين الأجانب أو السوفيت الذين يشعرون بأن موسكو – أحياناً – لم تبذل ما في طاقتها لتأييد الثورة الاشتراكية العالمية[١٣٦] وهناك اصطلاح آخر هو الترويج Agitation (وهو هنا لا يعني الإثارة والتهييج) بل يقصد به ذلك اللون من النشاط السياسي الذي يؤدي إلى التأثير في وعي ومزاج الجماهير العريضة بنشر الأفكار والشعارات.... كما أن الترويج هو أداة هامة من أدوات صراع الطبقات التي تستعين بالصحافة والراديو والمحاضرات والملصقات والصور الهزلية وغيرها لتحقيق أهدافها، كما أن الترويج الذي تقوم به الأحزاب الشيوعية في الدول الرأسمالية موجه نحو "التدريب الدوري للطبقة العاملة بروح الماركسية اللينينية... وهذا الترويج فضلاً عن أنه يكشف الفاشيين ودعاة الحروب" فانه يلعب دوراً هاماً في تماسك الحركة العمالية الدولية والقضاء على الأكاذيب التي ينشرها أعداء الاتحاد السوفيتي..[١٣٧] ولقد أكد البرنامج الذي وافق عليه المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي في أكتوبر ١٩٦١ من أن الشيوعية ماضية في تحقيق رسالتها التاريخية لتحرير الناس من الظلم الاجتماعي ومن كل ألوان القهر والاستغلال، وهي بذلك تؤكد – في لغة تكاد تكون مشابهة – ما سبق أن دعا إليه الحزب في عام ١٨٩٨[١٣٨] وهذه الرؤية تلعب دوراً أساسياً في الدعاية السوفيتية... وإذا كانت هذه الرؤية تمثل الجانب الأيديولوجي في الدعاية السوفيتية فهناك جانب تطويعي Manipulative

(136) Kenan, G.F. Russia and the West Under Lenin and Stalin. Boston, 1960, p. 166 and Ledere, Ivo I (ed.) **Russian Foreign Policy.** New Haven, 1962. Ch. 10.

(137) Bolshaya Sovetskaya entsik Lopediya, 2nd ed., Vol. I Moscow, 1949) pp. 295-301.

(138) Triska, Jan **F. Soviet Communism**; Programs and Rules. San Francisco 1962, pp. 24-25.

لهـذه الدعايـة ويتمـيز بصـورة واضحـة أو ضمنيـة فـي اقـتران أهـداف وسياسـات الاتحـاد السـوفيتي بمشـاعر وشـعارات الـدول غـير الشـيوعية، وذلـك لضمـان تـأييد أكبر عـدد مـن غــير الشـيوعيين للسياسـات السـوفيتية... وأن تطـوع الدعايـة لخدمـة هـذا الغـرض. ولعلنـا نسـتطيع أن نحيـط ببضـع جوانـب الدعايـة السـوفيتية وطريقـة عملهـا وأهدافهـا وتطورهـا فـي النقـاط التاليـة:

بعض جوانب الدعاية الشيوعية وطريقة عملها :

١ – كيف تعمل الصحافة الشيوعية(١٣٩):

تحتـل الصحافـة فـي النظريـة الماركسـية اللينينيـة مكانـاً عاليـاً فـي وسـائل الدعايـة والتوجيـه، إذ تعتـبر الصحافـة هـي الوسـيلة التـي يسـتطيع بهـا الحـزب أن يؤثـر علـى الجمـاهير وأن يتصـل بهـم وأن يوجههـم إلـى عمليـة بنـاء مجتمـع اللاطبقـات.. والنظريـة الماركسـية اللينينيـة تـرى الصحافـة كذلـك كـأداة تعليميـة وتنظيميـة للمجتمـع علـى مبـادئ الاشـتراكية العلميـة...

وقد حـدد كـل مـن لينـين وسـتالين ومـن جـاء بعدهـم، مهمـة الصحافـة ومكانتهـا فـي النظـام الشـيوعي.. فـاهتم لينين بـدور الصحافـة فـي الصـراع مـن أجـل الوصـول إلـى السـلطة، ثـم دورهـا بعـد ذلـك فـي تدعيـم سـيطرة الحـزب علـى الجمـاهير(١٤٠) عـن طريـق وظائفهـا الأربـع الرئيسـية التاليـة:

١ – أن تكون داعية جماهيرية Mass Propagandist

٢ – أن تكون مروجاً جماهيرياً Mass Agitator

٣ – أن تكون منظماً جماهيرياً Mass Organizer

---

(139) Buzek, Anthony. **How the Communist Press Works.** New York, Frederick A. Praeger, Inc., 1964, pp. 38-41.

(140) Lenin. **Selected works,** Vol. I, pp. 389-390.

٤ – أن تكون ناقداً ورقيبا جماهيرياً Mass Critic and Controller

كما أشار ستالين بعد ذلك بعشرين عاماً إلى أن الصحافة هي أقوى الأدوات التي يتحدث بها الحزب إلى الجماهير بلغتهم وهذا الحديث يتم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة... وليس هناك وسيلة أخرى لها هذه المرونة لإرساء قواعد حلقات الاتصال بين الحزب والطبقة العاملة(١٤١) وكثيراً ما تلخص وظائف الصحافة الشيوعية كما يلي:

– نشر الأفكار الماركسية اللينينية – الدعوة لمبادئ الحزب – تنظيم العمال في كفاحهم من أجل تطبيق هذه المبادئ في حياتهم اليومية – إقامة إتصال دائم مع الجماهير الشعبية – تعليم الجماهير بروح الشيوعية – شرح سياسة الحزب والحكومة – تقوية عادة النقد والنقد الذاتي – تنظيم المنافسة الشيوعية – الكفاح من أجل السلام – تعرية مروجي الحروب وكشفهم.

٢ – الإشاعة وعملية الاتصال وأثر انتشار الراديو(١٤٢):

إذا كان هناك منذ أيام ستالين ضغوط هائلة على حرية الفكر في الاتحاد السوفيتي فقد وجد الكثير منافذ لهم في شبكة الإشاعات مثلاً التي كانت تغطي البلد كلها... ولأغراض سلامة العقل وصحته قد سعى كل فرد أن يكون له – في هذا المجتمع الشمولي – صديق أو صديقان يثق فيهما ويسر لهما بما يريد أن يتحدث فيه، وبدون ذلك فإن أفكاره سوف تتغير وسيصل غسيل الدماغ إلى النتيجة المرجوة منه. وقد أدى هذا الوضع إلى انتشار الرسالات الصامتة بين الأفراد على طول البلاد وعرضها، ولكن هذه الشبكة من الإشاعات ليست وسيلة كافية للمعلومات... فهي تحمل فقط المواد المفاجئة الغريبة... وهي لا تحمل التفاصيل الضرورية ولا الخلفية التفسيرية... كما أن الإشاعة كما هو معروف معرضة للتحريف والتهويل، أي أنها لا تنقل الحقيقة وحدها وإلا كانت

---

(141) Stalin, **Soch.**, Vol. 5, p. 204.

(142) Christenson, **R. Op. Cit.**, [chapter on Political Propaganda]

من عداد المعلومات والحقائق لا الإشاعات... فالإشاعة كانت ولا تزال مصدراً هاماً من مصادر المعلومات في المجتمع السوفيتي بل لعلها أكثر المصادر الموثوق بها في بعض الموضوعات... وإن كانت مصدراً غير كاف من غير شك..

في عام ١٩٤٠ كان هناك مليون جهاز راديو في الاتحاد السوفيتي وفي عام ١٩٥٢ كان هناك ٥,٨ مليون وفي عام ١٩٦٥ كان هناك ما يزيد على ٣٥ مليون جهاز، وإذا افترضنا أن ٣/٢ هذه الأجهزة يمكن أن تستقبل إذاعات على الموجة القصيرة فهناك احتمال في أن يكون هناك شخص واحد من كل ٢,٥ يستمع إلى الإذاعات الأجنبية في مقابل شخص واحد من ٥٧ في سنة ١٩٤٠ وهذا تطور بالغ الأهمية لأنه يزيد من اثراء المجتمع بالمعلومات الأجنبية التى يمكن الحصول عليها ويغير من دور الإشاعة ومن أدوار وسائل الإعلام المحلية وردود الفعل لديها... وإن كان من الواجب أن نشير إلى أن مجرد وجود الإمكانيات الأفضل اليوم للاستماع للإذاعات الأجنبية لا يؤكد أن هذه الإمكانيات مستخدمة فعلاً.. رغم وجود دلائل كثيرة تشير إلى أن المستمع السوفيتي يستخدم بشغف موجاته الإذاعية القصية...

إن تزايد مصادر الأخبار الأجنبية بما تحتويه من الحقائق يعني - كما هو الحال في الدول الغربية - أن العائق المطلق الوحيد للمعلومات الدقيقة والكاملة هو عائق نفسي ... ولم تعد الأجهزة البوليسية ناجحة في إبقاء المواطن السوفيتي في الظلام، فما يتعلمه وما يفشل في تعلمه يتحدد بصفة أساسية بخبرته الشخصية ومقدار الفائدة التي يجنيها..

وهناك مزيد من الاتصالات والزيارات من المواطنين السوفيت والعالم الخارجي عن طريق التبادل الثقافي والزيارات الخارجية فضلاً عن السائحين والزائرين للاتحاد السوفيتى من مختلف الدول لأغراض ثقافية أو علمية أو سياحية أو غيرها...

٣ - الحصول على الأخبار بطريقة أسرع :

يزداد انتشار الكلمة المطبوعة التي تأتي من خارج الاتحاد السوفيتي عن ذي قبل.... وفي عهد ستالين كان من الممكن أن تظل الأخبار الخارجية في عالم الكتمان إذا

كانت هذه الأخبار غير مؤيدة للاتحاد السوفيتي... وكثيراً ما كانت وسائل الإعلام السوفيتي تنتظر يوماً أو يومين حتى تبلغ "البرافدا" أولاً بكيفية معالجة هذا الحدث أو الخبر غير المرغوب فيه... ثم تبلغ وسائل الإعلام الأخرى بكيفية معالجته... ولكن ذلك لم يعد ممكناً على سبيل الاستمرار... فالمتبع رسمياً منذ أوائل الستينات هو أن محطات الراديو المركزية في موسكو يجب أن تتضمن إذاعة المعلومات السياسية الهامة بصورة سريعة... كما ينبغي على هذه الإذاعات أن تقدم التعليقات المؤثرة بالنسبة للأحداث الداخلية والخارجية، وكذلك تنظيم البرامج الفنية المختلفة... ولما كان من اللازم أن يقدم الراديو الأخبار الهامة للجمهور قبل الصحافة.. فقد تنبه على وكالة تاس للأنباء أن تنقل الأخبار مباشرة إلى محطات الراديو المركزية والمحلية... ويجب على الراديو أن يذيع على الجمهور هذه الأخبار قبل الصحافة...

ونظراً للمنافسة التي تأتي من الإذاعات الأجنبية فقد حرص الراديو السوفيتي على إذاعة الأخبار العالمية وقت حدوثها بدلاً من الانتظار يوماً قبل إذاعتها كما كان يحدث من قبل... والسبب في ذلك أن الصمت قد يشجع الاستماع للإذاعات الأجنبية..

كما بدأ السوفيت في نشر مجلات تعيد طباعة المواد الأجنبية مثل مجلة Instrannaga Literatura (Foreign Literature) وكذلك Za Abroad Rubezhom وقد لقيت الأخيرة نجاحاً ملحوظاً لأنها تنشر القصص المسلية، وبلغ عدد النسخ التي توزعها ٤٠٠ ألف نسخة في سبتمبر ١٩٦٥... ويفخر الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت بأنه يستطيع تلبية احتياجات المجلات جميعها من ناحية توفير الإمكانيات الطباعية والورقية. ويستطيع المواطن السوفيتي الآن أن يقرأ ما يكتبه كبار الكتاب والمعلقين السياسيين الغربيين وذلك بطريقة قانونية شرعية..

٤ – أخبار للصفوة فقط :

هناك دائماً تحت يد الصفوة من غير شك تغطية كاملة شاملة لمصادر الأخبار الأجنبية ولكن عن طريق التقارير السرية Classified Reports وتختلف درجة اكتمال هذه التقارير تبعاً لمركز المستلم... فتبعث وكالة الأنباء "تاس" بجميع المحتويات السياسية غير المحلية لجريدة "نيويورك تايمز" إلى

الاتحاد السوفيتي... كما تعد ترجمات كاملة لكثير من الكتب الغربية... وتطبع هذه الكتب ولكنها لا توزع على الجمهور العام... وقد يصل حجم تقرير الأخبار الأجنبية السرية الذي تعده وكالة "تاس" يومياً إلى حوالي ٢٠٠ صفحة.

٥ - ترويج قيم الطبقة الوسطى :

لقد تناول كثير من الكتاب دور وسائل الإعلام الجماهيري في تمكين الناس من فهم الأشياء التي ليس لهم بها دراية أو خبرة حياتية... كما كتب آخرون عن دور وسائل الإعلام الجماهيري في خلق المجتمع الجماهيري المتجانس ذي القاعدة الثقافية المشتركة... وفي الواقع فان القليل من هذه التأملات يعتمد على قاعدة بحثية صلبة.. ولكن هذه الكتابات تشير إلى بعض التغيرات في طبيعة الحياة التي تقدمها وسائل الإعلام الجماهيري، فهذه الوسائل تقدم لنا وسائل سلبية للتسلية ولكنها وسائل ممتعة، ووسائل الإعلام تشجع على انتهاج وترويج قيم الطبقة الوسطى... وبذلك، فتعمل الوسائل الإعلامية على توحيد المجتمع وتذويب بعض الاختلافات العرقية أو السلالية.. وبعض هذه التغيرات يمكن أن نلحظها بالاتحاد السوفيتي... مثل دمج طرق الحياة في المدينة والقرية وتبنى طرق وقيم الطبقة الوسطى.

ويمكن أن ترد عملية الدمج الاجتماعي هذه إلى أسباب أخرى إلى جانب نمو وسائل الإعلام، وإن كان تطور وسائل الإعلام الجماهيري الحديثة قد ساعد على تدعيم هذه الاتجاهات..

ويبدي بعض رجال التربية السوفيت قلقهم من أثر التليفزيون في صرف الناس عن القراءة، وهذا ما يذهب إليه البعض كذلك خارج الاتحاد السوفيتي.. ولقد أطلق على الشعب الروسي وخصوصاً بعد إطلاق الاتحاد السوفيتي للصاروخ العابر للقارات - بأنه شعب قارئ للكتب - ويعزو بعض المحللين الغربيين عادة قراءة الكتب لدى الشعب السوفيتي إلى خلو وسائل الإعلام الجماهيري من أسباب التسلية، بل وعدم وجود هذه الوسائل نفسها... والمجلات والصحف والراديو والتليفزيون ليست على نطاق واسع، والموجود منها ذو طابع سياسي... وإذا كان ذلك كذلك في الماضي... فالمجتمع السوفيتي الآن يجتاز ثورة في وسائل الإعلام الجماهيري.. لا بالنسبة لتوفير هذه الوسائل الإعلامية

كالمجلات والمسجلات والراديو الترانسستور وأجهزة التليفزيون فحسب... بل ويبذل جهداً ضخماً في جعل محتويات هذه الوسائل خفيفة ومسلية...

ويرد بعض الباحثين ذلك التطور إلى تأثير الاتصال الدولي على الاتحاد السوفيتي، ويتسائل هؤلاء الباحثون:

إذا كان البعض يعلل انتفاضات بعض الشباب السوفيتي إلى مرحلة المراهقة أو صراع الأجيال، فكيف يفسر لنا هؤلاء اهتمام الشباب السوفيتي بالموسيقى الغربية، ولماذا يهتم الفنانون السوفيت بطبع اللوحات التجريدية abstractions وهناك من يرى تشابهاً بين أشكال الثورة الفردية في كل من الاتحاد السوفيتي والغرب، بسبب الاتصالات Communications أي أن وسائل الاتصال الدولية الكافية – في رأي هؤلاء – تجعلنا جميعاً جزءاً من حضارة واحدة يؤثر فيها كل منا على الآخر ويتأثر به.

٦ – وسائل الإعلام الجماهيري كمنافس للحزب الشيوعي :

عندما حكم ستالين الاتحاد السوفيتي في العشرينيات كان لدى ٢٪ فقط من الشعب السوفيتي الإمكانية المادية لسماع الإذاعات الأجنبية، أما الآن فان أكثر من ثلث هذا الشعب يستطيع سماع الإذاعات الأجنبية وهذا تصور له دلالاته الكبيرة من غير شك.. وقس على ذلك انتشار التليفزيون وانتشار الصحافة وغيرها من وسائل الإعلام. ومع انتشار وسائل الإعلام الجماهيري وإسهامها بصفة أساسية في تنسيق العمل الاجتماعي وتنظيم الحياة، فقد قل تأثير نظام الدعاة المروجين Agitprop وأهم ما يميز نظام الاتصال السوفيتي هو استخدام الدعاة الخطابين Oral Agitators كما أن هناك مليونين من هؤلاء الدعاة يأخذون تعليماتهم من Bloknot Agitatora ثم ينقلون ذلك إلى زملائهم بطريقة منتظمة (أحياناً بصفة يومية) حيث تعقد الاجتماعات بجميع أماكن العمل... ولم يتغير ذلك بصفة أساسية اليوم.. ولكن هناك عاملاً آخر قد دخل الصورة..

فما زالت هناك إمكانية تعبئة شبكة التنظيم في اللحظات الهامة... فبعد خطاب خروشوف في المؤتمر العشرين تمت هذه التعبئة الكلية حيث تم التعريف بهذا الخطاب لا عن طريق النشر بل عن طريق اجتماعات أعضاء الحزب في جميع أنحاء البلاد.. ومع

وجود أجهزة الحزب وسكرتيره في كل مؤسسة، ولكن هذا الجهاز قد انزاح قليلاً عن مكانه لإفساح الطريق أمام الاستخدام المباشر لوسائل الإعلام الجماهيري بواسطة الزعماء الكبار أي الاتصال المواجهي مع الجمهور..

كما يجب أن نشير إلى أن وسائل الإعلام الجماهيري والاتصال المواجهي Face To Face Communication ليستا سلعتين يمكن استبدال أحدهما بالأخرى بصورة كاملة.. فقد أثبتت بحوث الاتصال في السنوات الأخيرة أن هناك أشياء تتم بشكل مرض عن طريق وسائل الإعلام الجماهيري، وهناك أشياء يفضل أن تكون عن طريق الاتصال المواجهي وبالكلمة الشفوية.. فهاتان الوسيلتان تكمل إحداهما الأخرى وإذا كانت وسائل الاتصال الجماهيري أرخص الطرق لنشر المعرفة بسرعة فإن التأثير الشخصي ضروري لحث الناس على العمل..

وخلاصة هذا كله أن هناك وظائف كانت تقوم بها كثير من المؤسسات الأولية وخصوصاً الأسرة والمنظمات الحزبية المحلية.. وهذه الوظائف أصبحت تقوم بها وسائل الاتصال الجماهيري بعد اتساع انتشارها وخصوصاً من ناحية التعبئة وممارسة القيم...

٧ – المنافسة المحلية :

إن الفكرة السوفيتية الخاصة بتنظيم المجتمع عن طريق إنشاء وتنظيم أوجه النشاط المختلفة تحت الإشراف الكامل للتنظيم الحزبي المحلي كانت ملائمة لتعبئة دولة متخلفة ليس لديها نظام فعال للاتصال الجماهيري.. ولكن ذلك يصبح كابوساً في المجتمع المعاصر المعقد...

ويذهب البعض إلى أنه ليس هناك في الحياة السوفيتية قضية أكثر أهمية على مدى السنين القادمة أكثر من الصراع حول دور الحزب في الحياة السوفيتية، ذلك لأن المحافظين سيصرون على استمرار سيطرة التنظيمات الحزبية ولو على حساب عدم الكفاءة والتخلف.. وسيتركز الصراع إلى درجة معينة حول دور طبيعة وسائل الاتصال الجماهيري والدرجة التي ستصير إليها حيويتها وإغراؤها، حتى تتحرر من رقابة الحزب ولعلها ستقاوم فى الحقيقة هذه الرقابة...

٨ – المنافسة الأجنبية :

وعلى ضوء هذه المشاكل التي تعرضنا لها بالنسبة لوسائل الإعلام السوفيتي المحلية فينبغي تقييم أهمية وسائل الاتصال الدولية، فالإذاعات الأجنبية وغيرها من وسائل الاتصال الخارجية لها تأثير عميق على مجرى التطور السوفيتي فضلاً عن كونها مصادر مباشرة للأفكار.. ويصعب التكهن بما سوف يكون عليه المجتمع السوفيتي، كنتيجة للتأثير الجيد لوسائل الاتصال الجماهيري.... وربما يحقق الاتحاد السوفيتي شكلاً أكثر تقدما لمجتمعه، حيث تتوفر أشكال عادية للتوافق الاجتماعي، التي تعتمد على وسائل الإعلام الحرة، بدلا من رقابة الحزب، أي أن يتحقق المجتمع الذي تتباين فيه وجهات النظر، وأن يتم ذلك من خلال مؤسسات المجتمع وتنظيماته التعددية. (Pluralistic Society).

تأثير وحدود الدعاية السوفيتية الخارجية :

لقد نجحت الدعاية السوفيتية في تعميق الاتجاهات المرغوبة لدى الكرملين وهي الخوف من الحرب ومعاداة الاستعمار، ومساندة النزعات الوطنية ضد الدول الغربية الاستعمارية ..هذا وقد أفادت القيادة السوفيتية في السنين الأخيرة من النجاحات العلمية والتكنولوجية، التي أحرزها الاتحاد السوفيتي في عالم الفضاء.. بل واعتبر الاتحاد السوفيتي كنموذج للمجتمع الذي يمكن أن تطمح إليه الدول النامية.

ويبدو أن المشرفين السوفييت على وسائل الاتصال، مثل غيرهم من خبراء الاتصال، قد تبينوا أن الاتصال المواجهي Face to Face Contact، يعتبر أداة أكثر تأثيراً من الكلمة المطبوعة أو المذاعة، ولعل موسكو تحظى بميزة كبرى في هذا المجال، إذ تستمد من وجود شبكة من الأحزاب الشيوعية الأجنبية، أكبر المزايا، كأداة دعائية لها. وذلك لان هذه الأحزاب تقدم للجمهور الأجنبي السياسة السوفيتية باللغة والأسلوب والطريقة التي يفهمونها.

ومع ذلك فهناك حدود على استخدام السوفييت للاتصال المواجهي، فكثيراً ما كان التقدم الرسمي للسياسة السوفيتية الخارجية، بواسطة ممثلي السوفييت مدعاة للنفور لا للاستمالة والإقناع، وعلى العموم، فقد كان نجاح السوفييت كبيراً في مجال الدبلوماسية

المحكمة التنظيم، كاحتفالات الشباب والرياضة، وإن كان هذا النجاح يكون أقل بالنسبة للتجمعات الصغيرة التي يتألف فيها المجتمعون.

هذا وقد كسرت الإذاعة الدولية، احتكار وسائل الاتصال السوفيتي إلى حد ما، وهناك من الباحثين من يتنبأ بصراع حساس، يتكون شيئاً فشيئاً، بين الحزب ووسائل الاتصال الجماهيري، حيث تطمح وسائل الإعلام إلى الاستجابة للرغبات والمطالب الشعبية، بينما يطلب الحزب أن تكون وسائل الاتصال في خدمة الأهداف السياسية، وإذا ما حقق الحزب ما يريد، فستظل وسائل الاتصال لا طعم لها. وبالتالي ستثير شغف الجمهور بالأخبار وألوان التسلية التي تأتي من الإذاعات الأجنبية، وغير ذلك من المسجلات والأشرطة السرية أو المهربة..

كما أن الدعاية السوفيتية في بولندا والمجر وألمانيا الشرقية مثلاً، قد فشلت في تكوين وخلق شعور الولاء والمحبة للاتحاد السوفيتي، نظراً لأنها تسير ضد تيار "الوطنية" وبالتالي فهي عاجزة أو تكاد تكون كذلك عن تحقيق أهدافها.

وأخيراً فينبغي أن نشير إلى أن هناك دراسات جيدة في مجالات تقييم وتأثير الأحزاب الشيوعية الأمريكية والبريطانية والفرنسية والإيطالية في بلادها...[١٤٣] ولكن تقييم تأثير الدعاية السوفيتية ذاتها الموجهة للبلاد الأجنبية سيظل مشكلة عسيرة للغاية.

ولعله من العسير أن ندرك على وجه الدقة، درجة أهمية مثير دعائي سياسي معين. كما أن المبالغة في تأييد أهمية الدور الذي تلعبه الدعاية في السياسة السوفيتية يمكن أن تؤدي إلى تعمية الباحث عن دور التعليم والبحث العلمي مثلاً، والتي مكنت الاتحاد السوفيتى من بناء قوته التي تجعل دعايته مؤثرة فعلاً.

---

(١٤٣) انظر في ذلك :

Almond, Gabriel A. **The Appeals of Communism.** Princ. Univ., 1954.

تأثير وحدود الدعاية السوفيتية الداخلية :

يذهب كثير من الباحثين إلى أن تقييم الدعاية السوفيتية، يعتبر أمراً عسيراً، فمعظم المواطنين السوفيت – على ما يبدو – يتقبلون النظام الشيوعي. وليس غريباً أن يؤمن المواطنون بهذا النظام الذي أحرز تقدما صناعياً وعلمياً هائلاً، وقدم لهم خدمات جليلة.

هذا، والمواطنون السوفيت يقرون سياسة حكومتهم الخارجية، شأنهم في ذلك شأن غالبية المواطنين في مختلف الأقطار، وليس هذا التأييد قاصراً على عامة الشعب وحدهم، بل إن طلاب الجامعة كذلك يقفون وراء هذه السياسة ويؤيدونها، وهم يعتقدون، كما يرى أحد الباحثين (١٤٤)، أن فنلندا هي التي هاجمت الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٩، وأن كوريا الجنوبية اعتدت على كوريا الشمالية، وإن جدار برلين أنشئ ليحول دون دخول الجواسيس والمخربين والفاشيين إلى ألمانيا الشرقية.

وتشير الدلائل إلى أن الدعاية الشمولية، يمكن أن تحقق بعض أهدافها الأساسية إذا استمع الناس الذين يغلب عليهم التفكير الوطني إلى خط الحزب الذي يتبعه بالنسبة للسياسة الخارجية.

ومع ذلك فهناك دلائل أخرى، تشير إلى رفض الدعاية في بعض القضايا، وعلى سبيل المثال، فقد أيد أسرى الحرب الروس، في الحرب العالمية الثانية تأميم السوفيت للصناعة، وذلك عند استجوابهم في مركز الدراسات الروسية في هارفارد، ولكنهم اعتبروا أن الزراعة الجماعية تجربة فاشلة، أي أن هؤلاء المواطنين قد احتفظوا لأنفسهم بقدرتهم على التقييم والحكم رغم الدعايات التي تمجد كلاً من هاتين السياستين.

هذا ولم تغير الدعاية الرسمية السوفيتية التي تمجد العمل اليدوي. من تقدير المواطن السوفيتي لهذه الأعمال، التي يراها تدر عليه عائداً اجتماعياً ومادياً قليلاً مثل غيرها من الوظائف الأخرى. كما أن العمال يستجيبون للحوافز المادية والأجور، أكثر مما يستجيبون للحوافز المعنوية.

---

(144) Feifer, George. ((Sasha's Creed : Russia Right or Wrong.)) **New York Times Magazine,** April 28, 1963, PP. 114-5.

ويقول فيليب موزلي Philip Moseley، أنه على الرغم من تجربة أربعين سنة من الجهود الدعائية الحزبية السوفيتية، فمازالت هذه الدعاية - لا تستحوذ على قلوب العمال والفلاحين، الذين يذهبون إلى أعمالهم اليومية وبطريقة آلية غير مهتمين أبداً بما تصبه الصحف ومكبرات الصوت في أذهانهم، وهم مهتمون فقط بتلك الأمور التي تؤثر بصفة مباشرة على حياتهم اليومية (١٤٥).

أما جيمس بيلنجتن، فيقول بأن المواطن السوفيتي النابه لا يصدق ما يسمعه من دعاية حكومية، وردود فعله مثل ردود فعل الأمريكيين حين يسمعون الإعلان عن أنواع الصابون. فهو يسخر من الشعارات ويؤلف النكات عليها ولكنه ينتهي آخر الأمر بشراء الأنواع المعلن عنها رغماً عنه(١٤٦).

(145) ((How the Kremlin keeps Ivan in Line,)) New York Times Magazine, Feb. 19, 1961, p. 68.

(146) Billongton, James H. ((They Know So much, Understand so Little,)) **New York Times Magazine,** Aug. 13, 1961, p. 90.

الفصل الثالث والعشرون

الدعاية الدولية

كأداة للسياسة الخارجية الأمريكية والإسرائيلية

تعتبر الدعاية الدولية إحدى أدوات السياسة الخارجية، إلى جانب الدبلوماسية والعمل العسكري، ولعل المهمة الدعائية قد اختلطت واندمجت مع النشاط الدبلوماسي والعسكري كذلك..

هذا وتحتل الدعاية الدولية أهمية متزايدة في عصرنا الحاضر وذلك يرجع إلى عوامل كثيرة منها ازدياد النمو الكبير في وسائل الاتصال وأساليبه، وكذلك بسبب انتشار التعليم وزيادة عدد السكان الذين يستخدمون هذه الوسائل بالإضافة إلى الصراع الأيديولوجي التقليدي بين الشرق والغرب، وظهور مجموعة الدول النامية أو غير المنحازة، وهي التي تحاول الدول الكبرى استمالتها في اتجاهاتها السياسية..

ويمكن في هذا الفصل أن نقوم بدراسة أجهزة الدعاية الأمريكية والإسرائيلية، الأولى باعتبارها من أكبر أجهزة الدعاية العالمية، التي قامت لمواجهة حدة الحرب الباردة بين العالمين الشيوعي والرأسمالي، لمواجهة الكومنفورم، الجهاز الرئيسي لتنسيق الدعاية بين الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية، فضلاً عما ترسمه أجهزة الدعاية الأمريكية من خطط تناسب كل دولة من دول العالم على حدة..

والجهاز الثاني هو الجهاز الدعائي الإسرائيلي الذي يخدم السياسة الخارجية الإسرائيلية، التي تتعارض وتتصادم مع المصالح الحيوية للدول العربية.. والسبب في أننا ندرس جهاز الدعاية الإسرائيلي مع جهاز الدعاية الأمريكية في فصل واحد ليس لأن

تركيبهما متشابه وليس لأن فلسفتهما(١٤٧) واحدة، بل ندرسهما في فصل واحد لأن أجهزة الدعاية الإسرائيلية تعتمد - ولو جزئياً - على الإمكانيات الهائلة الدعائية للولايات المتحدة، فضلاً عن تبني أمريكا - خصوصاً قبل حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ لجوانب عديدة من السياسة الخارجية الإسرائيلية، والتي تخدم في نظر الولايات المتحدة السياسة الخارجة الأمريكية نفسها(١٤٨).

وإذا كانت إسرائيل تعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية في تمويلها العسكري والاقتصادي، ثم هي تفيد من الإمكانيات الهائلة لجهاز الدعاية الأمريكي، فنحن لا نعتبر

---

(١٤٧) يرى بعض الباحثين أن هناك ثلاثة أساليب للدعاية تخضع كل منها لفلسفة معينة ، فالأسلوب الروسي هو امتداد لنظرية بافلوف المعروفة باسم رد الفعل المشروط Conditioned Reflex وذلك يجعل العملية الدعائية تدور حول التحكم في الظروف الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بمصالح الفرد في حماعة معينة . والاسلوب النازي هو امتداد لأفكار فرويد الذي يرى في الإنسان مجموعة من العقد اوالنقائص أي تشويهاً للعقد الكامنة ثم الأسلوب الأمريكي الذي لا يسعى للتحكم في المواطن عن طريق التحكم في الوسط الاجتماعي بل يجعل التحكم يتم عن طريق التعليم والتثقيف والتوعية وتتوجه أساساً للاصدقاء والطبقات المثقفة .. والدعاية الاسرائيلية تسلك الأساليب الثلاثة في ذات الوقت . فهي بالنسبة للراي العام العادي تطبق الأسلوب النازي وبالنسبة للرأي العام الغربي تجعل أساس فلسفتها الدعائية الأسلوب الأمريكي، على أنها فيما يتعلق بالمجتمعات النامية بصفة عامة وبوسط افريقيا بصفة خاصة تفضل الأسلوب الروسي وتستخدمه على نطاق واسع (انظر : حامد ربيع فلسفة الدعاية الإسرائيلية . بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية . ١٩٧٠ ، ص ٤٥ - ٤٦) .

(١٤٨) تخدم هذه الأجهزة الحكومية الأمريكية الدعاية الإسرائيلية بما تقدمه لها من معلومات تجمعها المخابرات الأمريكية ، فضلاً عما تقوم به الصحف الأمريكية الخاصة والإذاعة والتليفزيون من دعاية واسعة لوجهات النظر الإسرائيلية وتشويه الصورة العربية .

انظر : ميشال سليمان : ((العرب والغرب – حلقة اتصال مفقودة)) ، ((ووسائل الإعلام الجماهيرية والحرب)) فلسطينيات (سلسلة كتب فلسطينية ٨) منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث : مارس ١٩٦٩ ، ص ٧٣-٨٠.

ذلك أمراً دائماً يستمر أبد الدهر.. ذلك لأن الاستخدام الحكيم لإمكانيات العرب الاقتصادية والعسكرية في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ قد أزال - ولو جزئياً الصورة المشوهة للإنسان العربي، فليس هناك إعلام ناجح يصدر عن سياسة فاشلة..

أولاً - أجهزة الإعلام الدولي والشئون الثقافية :

لقد أنشئت وكالة الإعلام الأمريكية U.S. Information Agency في أغسطس سنة ١٩٥٣، ولعل دراسة هذه الوكالة، بالتغيرات التي حدثت في تنظيماتها وعلاقاتها بوزارة الخارجية والمؤسسات العسكرية وبالأجهزة والمكاتب التنفيذية لرئيس الجمهورية وأعضاء الكونجرس، وكذلك مشاكلها الداخلية وموظفيها المحليين والأجانب وسياستها الدعائية، لعل هذه الدراسة أن تجسد قصة مثيرة للدعاية كإحدى أدوات السياسة الخارجية..

وقد سبق إنشاء هذه الوكالة، في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، عدة أجهزة منها:

مكتب الإعلام الدولي والشئون الثقافية Office of International Information and Cultural Affairs الذي قسم إلى جهازين منفصلين بعد ذلك هما: مكتب الإعلام الدولي ومكتب التبادل الثقافي ثم أنشئت إدارة الإعلام الدولي International Information Administration عام ١٩٥٢ التي بقيت تابعة لوزارة الخارجية حتى وافق الكونجرس على إنشاء وكالة الإعلام الأمريكية[١٤٩] (USIA).

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن نشاطات الإعلام فيما وراء البحار كانت خاضعة منذ أول أغسطس سنة ١٩٤٥ لوزارة الخارجية واختلفت الأهداف التى تحاول وكالة الإعلام الأمريكية تحقيقها عن تلك التى تقوم بها الوزارة فأهداف الوكالة تتراوح بين إرساء دعائم السلام عن طريق خلق تفاهم أفضل بالنسبة للولايات المتحدة وشعبها وغاياتها ونشاطاتها، إلى محاولة كسب الأصدقاء والنفوذ للولايات المتحدة في الخارج

---

(149) Henderson, J.H. The U.S. Infoormation Agency, New York, Frederick A. Praeger, 1969, pp. 23-60.

بإعطاء صورة مشرقة للشعوب الأخرى.. وامتدت هذه الأهداف كذلك إلى التركيز بصفة أساسية على شرح وتفسير السياسات للولايات المتحدة وبيان توافق أو تطابق هذه السياسات مع مصالح الدول الأخرى، ولتقديم الاستشارة للرئيس الأمريكي، بشأن ردود فعل الشعوب في الخارج. وأخيراً فتشمل هذه الأهداف محاولة التصدي للدعاية الشيوعية الروسية وغيرها من ألوان الاتصال الدولي العدائي للولايات المتحدة.

ومن الملائم أن نشير إلى تركيز أهداف هذه الوكالة في الوقت الحاضر على إعداد خطط دعائية لكل دولة أى أنها تستهدف بدعايتها كل دولة على حدة، وتستبعد بذلك أشكال الدعايات التي لا تنطبق على دولة معينة.. ثم تحاول الوصول إلى قطاعات معينة ومؤثرة على الجمهور في كل بلد.. كالعسكريين أو قادة الأحزاب أو قادة العمال.. أو غيرهم..

هذا وتقوم هذه الوكالة ـ شأنها في ذلك شأن أي وكالة أنباء عالمية ـ ببث الأخبار، ولكن عن طريق اختيار بعضها والتركيز عليها ومعالجتها وعرضها بطريقة تعكس وتخدم المصالح والأهداف الأمريكية..

أى إن هذه الوكالة لا تقوم بتجميع الأخبار واختيارها ومعالجتها وتقديمها ونشرها بغرض الربح، وليس بغرض الإعلام والتثقيف وإبراز الحقائق المجردة، ولكنها تقوم بهذا العمل بغرض خدمة السياسة الخارجية وأهدافها..

هذا وتتراوح ميزانية هذه الوكالة عام ١٩٦٣ بين حوالي ١١٠ إلى ١٢٥ مليون دولار ويعمل فيها حوالي ١١,٠٠٠ شخص ومن بين هؤلاء حولي ٦,٠٠٠ من المستخدمين المحليين في البلاد الأجنبية، ٣,٣٠٠ شخص أمريكي داخل أمريكا، ١,٣٠٠ أمريكي بالخارج(١٥٠).

أما بالنسبة للأوساط الرئيسية التي تستخدمها الوكالة فهي للصحافة والمطبوعات والسينما والإذاعة والتليفزيون ومراكز الاستعلامات..

---

(150) Hearings. Committee on Appropriations, House of Representatives, 88 th Congress, 1 st Sess. April, 1963. p. 30.

هذا وتنفق الوكالة ما يقرب من نصف ميزانيتها على الراديو وإن كانت قد اهتمت مؤخراً بالتليفزيون باعتباره أحد الأوساط الهامة، كما زاد التركيز في الآونة الأخيرة، من الناحية الجغرافية، بأفريقيا وأمريكا اللاتينية.. ويتبع هذه الوكالة كل من راديو أوروبا الحرة وراديو الحرية ويمكن أن نشير إليهما كما يلي حسب وضعهما عام ١٩٧٢[١٥١] وكما نشرته مجلة التايم الأمريكية.. إذ تقول المجلة المذكورة: يقوم راديو أوروبا الحرة (Radio Free Europe) ببث برامجه الإخبارية والموسيقية وتعليقاته السياسية إلى خمس دول في أوروبا الشرقية، أما راديو الحرية (Radio Liberty) فيبث برامجه إلى الاتحاد السوفيتي. وتدعى هاتان الإذاعتان أنهما منظمات خاصة والواقع أن المخابرات المركزية الأمريكية تمول هاتين المحطتين.

ولقد كانت هاتان الإذاعتان منذ إنشائهما في أوائل الخمسينات أداة دعائية حقيقية استهدفت النيل من الحكومات الشيوعية.. ولقد شجع راديو أوروبا الحرة أهل المجر على الثورة عام ١٩٥٦، مقنعاً إياهم بأن الغرب سيتدخل عسكرياً إلى جانبهم.. الشيء الذي لم يحدث أبداً.. وهذا يعتبر من بين الأخطاء الكبيرة التي وقعت فيها تلك الإذاعة وأفقدتها كثيراً من الثقة. ولا يستطيع أحد أن يجزم بدرجة تأثير هذه المحطات في التطورات التي حدثت في الكتلة الشرقية ولكن هاتين المحطتين قد كسبتا سمعة وثقة طيبتين ـ بصفة عامة ـ سواء داخل أو خارج الدول الشيوعية..

هذا ويعمل في راديو أوروبا الحرة حوالي ١٦٠٠ موظف، ٩٦٠ منهم في المقر الرئيسي في ميونخ، وتبلغ ميزانية هذه الإذاعة ٢١ مليون دولار وتذيع ما مجموعه ٥٥٧ ساعة في الأسبوع باللغة المحلية إلى بولندا وتشيكوسلوكيا ورومانيا وبولجاريا والمجر. وحوالي نصف البرامج أخبار وتحليل الأحداث في دول الكتلة الشرقية. أما النصف الآخر فيتضمن الموسيقى الغربية الحديثة ثم تقارير خاصة عن الأحوال المعيشية للعمال الأجانب في دول أوروبا الغربية. وأكثر معلومات راديو أوروبا الحرة تأتي عن طريق تسجيل إذاعات دول أوروبا

---

(١٥١) تبلغ ميزانية الوكالة في الوقت الحاضر مايزيد على ١٨٥ مليون دولار .

Time March 6, 1972, p. 9.

الشرقية والمقابلات مع القادمين من هناك. وتشير الاستفتاءات إلى أن هناك جمهوراً كبيراً يستمع لهذه المحطة كما يلي:

٧٨٪ من بولندا

٨١٪ من المجر

٧٧٪ من رومانيا

٧٨٪ من بلجاريا

٦٠٪ من تشيكوسلوفاكيا

وباستثناء تشيكوسلوفاكيا وبلجاريا فلا تحاول الدول الأخرى في أوروبا الشرقية، التشويش على محطة أوروبا الحرة نظرا لقناعتهم بأن برامجها تصل إلى جمهورهم على كل حال..

أما راديو الحرية فله ميزانية حوالي ١٤ مليون دولار ويعمل في هذه الإذاعة (٨٥٠) شخصاً بما في ذلك (٢٥٠) سوفياتي من الذين لجئوا للغرب وتذيع ٢٤ ساعة يومياً في ١٩ لغة.. ويحصل راديو الحرية على معلوماته بتشغيل (٤٠) موظفاً للبحث في المطبوعات السوفيتية عن الأخبار والمعلومات، كما يقوم الراديو بإذاعة المجلة المخطوطة باليد والتي تظهر بشكل سري في الاتحاد السوفيتي والمسماة (Samizdet) ويقوم الراديو بإذاعتها لمستمعيها بالاتحاد السوفيتي. أي أن هذا الراديو يحاول في برامجه ملء الفراغ الذي تتسبب فيه الرقابة السوفيتية..

بعض وظائف ونشاطات وكالة الإعلام الأمريكية (USIA)

(أ) خدمات المعلومات: U.S. Information Service

ويطلق على هذه الخدمات، فروع الوكالة للعمليات بالخارج.. ويعمل بهذه الخدمات ٢٢٩ شخصاً في عدد (١٠٣) قطر، خلال عام ١٩٦٢، وإن كانت هذه الأرقام قد ارتفعت بشكل كبير منذ ذلك الحين وخصوصاً في أفريقيا.. وتعتبر هذه الخدمات في كل بلد جزءاً

لا يتجزأ من البعثة الدبلوماسية الأمريكية فـي هذا البلد، وهي مسئولة كذلك أمام مدير المنطقة فـي الوكالة المركزية بواشنطن.. وهذه الخدمات تقوم بإنتاج برامج للإذاعة والتليفزيون المحلي أو تمد الإذاعة المحلية بالمواد التي تنتجها الوحدات الإذاعية التابعة للوكالة.. كما أن هذه الخدمات تقوم بإنتاج وتوزيع المجلات والصحف والنشرات والكتب أو المعارض الخاصة (وكثيراً ما تجلب هذه المواد من الوكالة المركزية بدلاً من إنتاجها محلياً).. كما ان هذه الخدمات تتولى مسئولية نشر مختلف المقالات والمواد المصورة والتقارير وغيرها من المواد المطبوعة في المطبوعات والصحف المحلية..

ومن بين العمليات الهامة التي تقوم بها خدمات المعلومات (USIS) بكل بلد إنشاء وتشغيل مراكز الاستعلامات (Information Centers) حيث توجد بها صالات المطالعة والكتب والمراجع والدوريات الأمريكية كما تتولى وحدات المعلومات عمليات ترجمة وإنتاج وتوزيع الكتب التي ألفها أمريكيون أو غير أمريكيين، كما أنها تهدي قادة الرأي البارزين (Key Opinion Leaders) اشتراكات في الصحف والمجلات الأمريكية، هذا بالإضافة إلى فصول تعلم اللغة الإنجليزية وغيرها من الحلقات الدراسية.

(ب) خدمات الصحافة والمطبوعات :

Press and Publication Service

وتقوم هذه الخدمات بتزويد البعثات المحلية بالمواد الصحفية والمطبوعات من واشنطن أو من مراكز الطباعة والنشر في مدينة المكسيك وفي مانيلا وفي بيروت. كما أن لديها شبكة للتيليتيب على اتساع العالم كله. هذا وتقوم الخدمات المذكورة بإصدار أربع مجلات، ثلاث منها بالولايات المتحدة وهي:

- America Illustrated in Russian
- America Illustrated in Polish
- Problems of Communism in English

أما الرابعة فهي الحياة في أمريكا Life in America التي تعد في واشنطن للترجمة والطباعة في بيروت باللغة العربية.

(جـ) خدمات السينما :

وهذه تقوم بإنتاج الأفلام الوثائقية التي تتلائم مع الظروف المحلية في كل بلد حيث توزع هذه الأفلام على الهيئات المحلية التجارية أو الحكومية أو الخاصة. وقد شملت قائمة الأفلام في برامج وكالة الإعلام الأمريكية لعام ١٩٦٣ (١٥٦٣) فيلماً من بينها (١٤٥٤) بلغات أجنبية.

(د) خدمات مركز الاستعلامات:

Information Center Services

تتركز النشاطات التي يقوم بها هذا المركز في إنتاج الكتب المنخفضة السعر وبرامج المعارض وتعليم اللغة وبرامج النشر التي لا تهدف إلى الربح وبرامج إهداء الكتب والبرامج الموسيقية.

وتعتبر خدمات مراكز الاستعلامات هي الذراع الثقافي الرئيسي لوكالة الإعلام الأمريكية فهي تقوم بتزويد مكتبات مراكز الاستعلامات المحلية بالكتب والدوريات والمطبوعات.. وتوفر أعداداً كبيرة من الكتب التي يمكن استعارتها أو إهدائها للجامعات والمدارس وغيرها من المؤسسات وكذلك للأفراد البارزين وقادة الرأي وترجمة الكتب للغات المحلية وكذلك تشجيع توزيع وبيع الكتاب الأمريكي في الخارج عن طريق الهيئات التجارية (١٥٢). وكانت وكالة الإعلام تمول في عام ١٩٦٤ (١٨٨) مركزا للاستعلام في الشرق الأقصى (٤٦)، أفريقيا (٦٠)، الشرق الأوسط وجنوب آسيا (٣٢)، أمريكا اللاتينية (١١)، أوروبا الغربية (٣٦) والبرنامج الأوروبي الخاص (٣). وفي عام ١٩٦٤ تم توزيع ٢٦٨,٧٩٠ كتاباً، ٢٨,٤١٢ مجلة، ٥٧٠ صحيفة، ١٤,٤٢٢ مطبوعاً حكومياً

---

(152) Ibid. P. 402.

بالإضافة إلى ١٠٤,٩١٣ مطبوعات أخرى. أما في عام ١٩٦٣ فتم توزيع ٣,٦٢٨,٠٠٠ نسخة من الكتب الأمريكية، ٢,٢٩٣,٠٠٠ في ترجمات أجنبية.

(هـ) خدمات الإذاعة :

تبلغ نفقات هذه الخدمات نصف ميزانية وكالة الإعلام تقريباً أي أن ميزانية هذه الخدمات تساوي ميزانية جميع الوحدات العاملة الأخرى تحت إشراف الوكالة، وقد كانت مصروفات هذه الوحدة عام ١٩٦٢ مبلغ ١٩,٨١١,٥٣٩ مليون دولار. هذه الوحدة تعرف عادة باسم صوت أمريكا Voice of America (VOA) وهذه الوحدة لها برنامج مركزي لإنتاج الأخبار وتحليلها.. كما أن هناك مكاتب ترجمة هذه البرامج للغات الأجنبية بالإضافة إلى إنتاج برامج بها وإعداد مواد مسجلة للمحطات الأجنبية.. وربما يمثل صوت أمريكا المرتبة الثالثة في الزمن المخصص للبث بعد كل من موسكو وبكين(١٥٣).

(و) خدمات التليفزيون :

وهذه تنمو بسرعة كبيرة.. كما تستخدم الأقمار الصناعية لأغراض الاتصال في زيادة البث التليفزيوني للمستمعين حول العالم.

ثانياً - أجهزة الدعاية الإسرائيلية :

تعمل أجهزة وأدوات الدعاية الإسرائيلية الداخلية والخارجية في تنسيق يكاد يكون كاملاً نتيجة وضوح استراتيجية الإعلام الإسرائيلي.. ونحن لن نستطيع أن نفهم الدعاية الإسرائيلية إذا لم نربطها بسياستها الخارجية. وذلك لأن الضمانة الأساسية التي بحثت إسرائيل عنها في الخارج ولا تزال، والتي يمكن اعتبارها الهدف الأول والأكبر في سياستها الخارجية هي في أن تكون موجودة في الخارج: موجودة دائماً وموجودة على كافة المستويات. وموجودة في كل المجالات. أي أن تصبح ليس فقط ضرورة يهودية "وغربية رأسمالية" ولكن أيضاً ضرورة شرقية اشتراكية "وأمريكية لاتينية" "وآسيوية

---

(153) Child, **Public Opinion**, p. 333.

أفريقية" وتتحدد أهداف السياسة الخارجية الإسرائيلية التي ترتبط بها الدعاية الإسرائيلية في سبعة مبادئ:

- تثبيت الوجود القانوني لإسرائيل.
- ضمان الأمن الإقليمي.
- الحصول على أكبر عدد من المهاجرين اليهود.
- النمو الاقتصادي واستقرار مقوماته.
- تأمين الحصول على السلام .
- تقليل فاعلية المقاطعة العربية أو إلغائها.
- تلاؤم أو تطابق المصالح بينها وبين إحدى الدول الكبرى أو مع كليهما للوصول إلى أكثر الأوضاع ملائمة بينها وبين الدول العربية.

وتتحقق أهداف السياسة الخارجية عن طريق إحكام الربط بين الوسيلة العسكرية والوسيلة الدبلوماسية والوسيلة الدعائية.. وليس هناك في إسرائيل وزارة للإعلام، ذلك لأن التخطيط الدعائي يقوم على أساس إشراك كافة المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في خدمة السياسة القومية، كما يجب أن نشير إلى اهتمام إسرائيل بالإعلام المكتوب، فقد بلغ عدد الصحف والمجلات اليهودية خارج إسرائيل حسب إحصائية سنة ١٩٦٧ (٧٦٠) صحيفة ومجلة كما يلي:

- (٢٤٤) صحيفة في أمريكا منها (١٥٨) دورية.
- ٣٠ دورية في كندا منها تسع باللغة الإنجليزية.
- ١١٨ صحيفة في أمريكا اللاتينية منها ٤٧ باللغة الإسبانية.
- ٣٤٨ دورية تغطي جميع اللغات الأوروبية في أوروبا.
- ثلاث دوريات في الهند ومجلة في إيران وخمس في تركيا.

ولكن إسرائيل في منطقها الدعائي لا تكتفي بالإعلام المكتوب لبيان وجهة نظرها وتأكيد حجمها ولكنها تهتم كذلك بالاتصال المواجهي face to face communication لما له من أهمية بالغة في التأثير في الرأي العام حسب البحوث التي أجريت في هذا المجال وبالتالي فهي تستعين بالأقليات اليهودية في

جميع أنحاء العالم بغرض تحقيق الأهداف المطلوبة من الاتصال المواجهي [١٥٤] ويمكن التعرف على الأدوات الداخلية وهي:

١ ـ مكتب المعلومات المركزي :

Central office of Information

وهو يشكل مع المكتب الصحفي للحكومة دائرة واحدة مرتبطة بمكتب رئيس الوزراء، ويتبع المكتب وحدتان للأفلام حيث تعد الصور الإعلامية لتوزيعها بالخارج، وكذلك تعد الأفلام الوثائقية لعرضها في دور السينما أو شبكات التليفزيون الأجنبية أو إعارتها للمكتبات، أما الوحدة الأخرى، فهي وحدة ما وراء البحار التي تنهض بمهمة تقوية الصلات بين الدولة والهيئات اليهودية غير الصهيونية في الخارج..

ويصدر المكتب سنوياً الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل باللغتين العبرية والإنجليزية.(Israel Government Yearbook)

٢ ـ المكتب الصحفي للحكومة : Government Press Office

وهو المتحدث باسم الحكومة في مواجهة الصحافة المحلية والأجنبية، ويضم المكتب قسماً للأبحاث ومكتبة للمراجع والأرشيف، كما يضم قسماً للمطبوعات ويصدر ما يلي:

- نشرة إخبارية يومية باللغتين العبرية والإنجليزية.
- ملخص أسبوعي بالإنجليزية.

---

(١٥٤) انظر المراجع التالية : عن الإعلام الإسرائيلي وأدواته الخارجية والداخلية :

- منذر العنتباوي . أضواء على الإعلام الإسرائيلي . منظمة التحرير الفلسطينية (دراسات فلسطينية ٣) ، خصوصاً الفصل الأول والخامس .
- حامد ربيع . فلسفة الدعاية الإسرائيلية . منظمة التحرير الفلسطينية (دراسات فلسطينية ٧٢) ، خصوصاً ص ٧٦-٨٤ ، ٧٢-٨٦ .
- تحسين بشير . النشاط الإعلامي العربي في الولايات المتحدة . مركز الأبحاث (سلسلة أبحاث رقم ١٠).

- مختار إسرائيل Israel Digest

- حقائق عن إسرائيل.

٣ - مؤسسة الإذاعة - صوت إسرائيل

وهي مؤسسة مستقلة ومرتبطة مباشرة برئيس الوزراء وتذيع على ١٥ موجة من أربع محطات في ١١ لغة ولمدة ٢٦٧ ساعة في الأسبوع بمعدل ٣٨ ساعة يومياً.

٤ - الإدارة المركزية لوزارة الخارجية : وبها ثلاث إدارات:

(أ) إدارة الإعلام: وهي التي تعد الدراسات عن القضايا، التي تهم إسرائيل وتوفر نسخاً من الخطب والمقالات وتوزع الكتاب السنوي، وتنشر مجلة ملونة بعدة لغات باسم إسرائيل وتشارك في المعارض، والندوات وتقيم علاقات وثيقة مع شبكات التليفزيون الأجنبي وكذلك دور السينما بالخارج.

(ب) إدارة العلاقات الثقافية: وتحرص الإدارة على أن تتضمن المعاهدات الثقافية مع الدول الأجنبية، بنوداً عن تعليم اللغة العبرية والتبادل الإذاعي والفرق الفنية وإنشاء معاهد ثقافية إسرائيلية في البلاد الأجنبية..

(جـ) إدارة التعاون الدولي: وهي التي تتولى إرسال الخبراء الإسرائيليين للعمل بالخارج، وقبول الطلاب للدراسة بإسرائيل وتنظيم الندوات والمؤتمرات داخل إسرائيل، ومن أهم المعاهد التي تجذب الطلاب من الخارج: الجامعة العبرية في القدس، والمعهد التكنولوجي (Technion) والمعهد الأفرو آسيوي ومركز جبل الكرمل الدولي للتدريب في حيفا الخاص بتدريب النساء على خدمات تنمية المجتمع.

٥ - وحدة التعاون الخارجي بوزارة الدفاع :

وتضم أقسام مساعدة الأقطار الأجنبية.. كما تضم وزارة الدفاع وحدة أخرى للعلاقات العامة، لإطلاع الجمهور بالداخل والخارج على مشاكل الدفاع بكافة وسائل النشر، وخصوصاً المجلة الأسبوعية باماحانيه Bamahane، التي تطبع ما يزيد على

١,٣٠٠,٠٠٠ نسخة.. وتقوم وحدة التعاون هذه بابتعاث الخبراء من الضباط الإسرائيليين لإدخال الأنظمة شبه العسكرية في الدول التي تطلب المساعدة. على النمط الإسرائيلي (منظمة الناحال ـ منظم الجانداع ـ الفرق النسائية...).

٦ ـ مجالس الصداقة :

عمدت إسرائيل إلى تنظيم جمعيات الصداقة مع البلاد الأجنبية عن طريق إنشاء مجالس لها على أساس جغرافي مثل المجالس التالية:

- المعهد المركزي للعلاقات الثقافية الإسرائيلية في أمريكا اللاتينية.
- مجلس الصداقة الإسرائيلية الأفريقية.
- معهد العلاقات الإسرائيلية اليونانية.
- مجلس الصداقة الإسرائيلية الآسيوية.

وإذا كانت هذه هي بعض أدوات الإعلام الداخلي الإسرائيلي، فإنها تمتد بفروعها إلى الخارج، أما بالنسبة لأدوات الإعلام الإسرائيلي الخارجية فأهمها:

١ ـ البعثات الدبلوماسية والقنصلية الإسرائيلية :

ومعظم موظفي تلك البعثات هم أدوات إعلامية، أكثر منهم أدوات دبلوماسية، وهم يتعاملون مع "الناس" أكثر من تعاملهم مع "الحكام" أي أن معظم هؤلاء يعملون في خدمة دوائر وزارة الخارجية الثلاث (الإعلام والعلاقات الثقافية والتعاون الدولي) أكثر مما يعملون في خدمة الدبلوماسية التقليدية.

٢ ـ المراكز الإعلامية الإسرائيلية :

وهناك أربعة مراكز رئيسية في نيويورك وباريس وبوينس أيرس، وزيورخ..

٣ ـ جمعيات الصداقة مع إسرائيل :

وتنتشر في كافة البلاد الأوروبية الغربية والأمريكية وبعض البلاد الآسيوية.

٤ ـ المعاهد الثقافية الإسرائيلية :

وهي تنتشر كذلك في كافة أقطار أوروبا الغربية وأمريكا وبعض البلاد في أمريكا اللاتينية مثل فنزويلا وشيلي والمكسيك.

٥ ـ الطلاب الإسرائيليون في الخارج :

حيث تهتم السياسة الإسرائيلية بتثقيفهم ثقافة إسرائيلية صهيونية، وذلك لمواجهة نشاط الطلاب العرب التلقائي في الجامعات الأوروبية والأمريكية.

٦ ـ التنظيمات الصهيونية واليهودية بالخارج :

وهذه هي الأدوات الرئيسية للإعلام الإسرائيلي بالخارج.. أهمها المنظمة الصهيونية العالمية (WZO) والوكالة اليهودية (J.A.) وهذه بدورها تشرف على جمعيات كثيرة منها:

- منظمة هداسة Hadassah
- منظمة النساء اليهوديات ويزو Wizo
- منظمة الشبيبة اليهودية Bani Birth
- الصندوق القومي اليهودي Keren kayeneth
- النداء الإسرائيلي المتحد Keren Hayesod

كما تمارس الدعاية عملها، لا من خلال هذه المنظمات فحسب، بل من خلال مؤسسات مؤثرة أخرى، كالكنائس والجامعات والنقابات والأحزاب السياسية والاتحادات المهنية والمؤسسات الصحفية والإذاعية والتليفزيونية وغيرها..

وبعد.. فقد اهتمت الصهيونية بالدعاية منذ عهد بعيد ولعل ذلك يعود إلى المؤتمر الصهيوني الذي عقد في بال بسويسرا عام ١٨٩٧.. وارتبطت الحركة الدعائية الصهيونية والإسرائيلية بعد ذلك بالصراع العسكري والدبلوماسية النشطة ومحاولة تطابق مصالحها

مع مصالح إحدى الدول الكبرى.. ألمانيا.. ثـم إنجلترا وفرنسا. ثم أمريكـا.. فضـلاً عن محاولة استمالة الدول الشرقية والغربية على السواء.. وأهداف الصهيونيـة مـازالت كما كانت لم تتغير وهي تتحين الظـروف المناسبة دائماً لتحقيقها تدريجياً حتـى يتقبل العـالم أطماعها وخططها خطوة خطوة.. ومن هذه الأهداف:

- استمرار الهجرة اليهودية إلى إسرائيل وفرض وجود الدولة على جيرانها العرب.
- توسيع رقعتها الإقليمية وجعل القدس عاصمة رسمية فعلية.
- تطوير إسرائيل لتصبح الدولة الكبرى اقتصادياً وعسكرياً وتكنولوجياً.
- إيجاد مجال حيوي لها لاستخدام طاقتها المتنامية.
- طمس معالم الشعب الفلسطيني وإيجاد مختلف الأساليب التي تتصارع فيها المصالح الوطنية والقومية للعرب وتنهك في هذا الصراع قواها.

وفـي سبيل تحقيق هذه الأهداف، تسعى إسرائيل والصهيونيـة، إلـى اسـتغلال العلاقة بين المسيحية والعهد القديم فـي تهيئة الرأي العام فـي نصف الكرة الغربـي، لتقبل أفكارها.. خصوصاً والرجل الغربي ينظر إلـى الحضارة العربيـة علـى أنها خصم أو حضارة منافسة، وليست امتـداداً لحضارتـه (كنظريـة للكيـان الصهيونـي)، ومن خـلال الإعـلام الإسرائيلي والصهيونـي الدائـب، وبالكلمـة وبـالصورة والعمـل الفنـي والعلمـي.... الـخ.. تتمحـي صـورة اليهـودي البخيـل المـاكر، لتحـل محلهـا صـورة الإسـرائيلي الـذي يـزرع الصحـراء، ويسـتصلح الأرض ليبنـي عليهـا حضارتـه وسط مجتمع متخلف متأخر كمـا تذهـب الدعايـة الاسـرائيلية(١٥٥).

---

(١٥٥) أحمد بهاء الدين . المجلة المصرية للعلوم السياسية ، العدد (٦٧) يوليو سنة ١٩٧٠ ، ص ٣٠٦ .

الفصل الرابع والعشرون

الإعلام العربي المتناسق
والتحدي الحضاري المعاصر

تحتاج الاستراتيجية العربية الدعائية، إلى دراسة مختلف العوامل الداخلية والخارجية، التي تسمح لهذه الإستراتيجية بالتعثر أو الانطلاق، وذلك من أجل التقليل على قدر المستطاع من تناقضات السياسة العربية والقيام بإعلام خارجي عربي متناسق إن لم يكن موحداً.

ولقد تعرض الإعلام العربي عام ١٩٦٧ وما بعدها، لنقد مرير نظراً لما يراه البعض من مسئوليته الجزئية عن الهزيمة.. وذلك على عكس الإعلام العربى قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر (رمضان) المجيدة عام ١٩٧٣، حيث اتسم الإعلام بالاعتدال والاتزان وتحري الحقائق الموضوعية، وإن كنا نعتبر السياسة الخارجية والداخلية الناجحة بالإضافة إلى النصر العسكري هو سبب هذا الإعلام الناجح..

وسنحاول في هذا الفصل أن نتعرف في عجالة لبعض جوانب البعد التاريخي لعلاقة الغرب بالمشرق العربي وزرع دولة إسرائيل، ثم نتعرف على بعض جوانب أهداف السيطرة السوفيتية على المنطقة العربية أو على الأصح أهداف القوتين العظمتين للسيطرة على المنطقة.

ومن أجل تقييم فعالية الجهود الإعلامية العربية، يمكن أن نركز بعد ذلك على جهود جامعة الدول العربية في هذا السبيل، باعتبارها المنظمة الأم، التي تتحمل نيابة عن

الدول العربية، المسئولية الأولى عن توجيه السياسة الإعلامية وتنسيقها على الصعيد العربي(١٥٦)، ونختم الفصل بتحليل لواقع الإعلام العربي وبعض التوصيات.

إسرائيل والتأثر التاريخي :

في مقال مضيء تحدث الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين عن الحرب الصليبية العاشرة(١٥٧) فقال فيما قال: نحن لا نواجه العالم في ساحة إسرائيل وحدها، وإن كانت هي الساحة الأشد خطورة، ولكننا نواجه العالم ـ نعم العالم ـ في ساحات كثيرة علينا أن ندرك أبعادها.. فالمسألة لها بعدها وعمقها التاريخي..

وصحيح أن الحروب الصليبية بدأت والحافز الديني فيها أساسي إلا أنها تحولت في مجموعها ـ ثماني حملات أوروبية على الشرق العربي خلال خمسة قرون ـ إلى حروب استعمارية صريحة.. كانت تحمل شارة الصليب للتضليل، ولمحاولة استثارة حماسة الأوروبيين لغزو أفريقيا باسم نشر الحضارة، بل وكانوا يسمون مهمتهم إنها "عبء الرجل الأبيض" ولم يتركوها بعد قرون إلا خراباً يباباً مستنزفاً!.

وقد بدأت مقدمات الحملات الصليبية تاريخياً مع اضمحلال الحضارة العربية الإسلامية وتفككها من جهة، وبدء تعاظم قوة أوروبا العسكرية لا الحضارية، من جهة أخرى.. ثم يذكر أحمد بهاء الدين هذه الحملات الصليبية الثماني كما يلي:

- أول حملة بدأت عام ١٠٩٥، ولم تلبث حين وصلت إلى إنطاكية ـ السورية في ذلك الوقت ـ حتى أقاموا فيها أول دولة لاتينية في الشرق، وهي ليست بالأرض المقدسة في أي دين، وقد سقطت إنطاكية في يوم ٥ يونيو آخر سنة ١٠٩٨ وكان ذلك في مرحلة تميزت بالصراع بين مصر الفاطمية في ذلك الوقت وسوريا العباسية.

- وكانت الحملة الثانية تستهدف احتلال حلب ففشلت،. ثم دمشق ففشلت، وفي خلال هذه الحملة ظهر صلاح الدين الأيوبي، الذي ظل بعبقريته يجهز للحرب تسعة عشر عاماً،

---

(١٥٦) عبد الرحمن الزامل . أزمة الإعلام العربي ، بيروت ، الدار المتحدة للنشر ، ١٩٧٤ ، ص ٤٣ .

(١٥٧) الأهرام ، ١٩٧٦/١٠/٢٤ (حديث الأحد) .

ووحد صفوف العرب ودويلاتهم في حلب ودمشق من جهة أخرى، وفي ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ سقطت القدس في يد صلاح الدين الأيوبي.

- وثارت ثائرة أوروبا وجاءت أكبر الحملات وأشهرها بقيادة ريتشارد قلب الأسد سنة ١١٨٩ ودارت الحرب سجالاً جاءت يرأسها ثلاثة ملوك بأنفسهم ملك إنجلترا وملك فرنسا وملك ألمانيا.... ولكنهم هزموا هزيمة ساحقة عند أبواب القدس ولكنهم نجحوا في بقاء "الممالك اللاتينية" وتأجيل انهيارها ما يقرب من مائة سنة بعد ذلك.

- وللدلالة على الطابع السياسي الذي اتخذته تلك الحروب، ولأن مصر صلاح الدين كانت هي التي أحرزت النصر، نجد أن الحملة الصليبية الرابعة جاءت تغزو مصر سنة ١٢٠٤ بحجة إخضاع الأرثوذكس المصريين للبابا، ولكنها فشلت.

- وجاءت الحملة الصليبية الخامسة إلى مصر أيضاً، سنة ١٢١٨ بحجة الاستيلاء على دمياط ثم المساومة على تركها مقابل ترك المسلمين للقدس، ودام حصارهم لدمياط سبعة عشر شهراً ثم انسحبوا مهزومين.

- وفي الحملة السادسة انتهزوا انقسام المنطقة في صراع بين الكامل في مصر وابن عمه الناصر في دمشق، فاستولى فريدريك الثاني على القدس دون قتال، وظلت في أيديهم حتى استردها جيش مصر في فبراير سنة ١٢٢٩ وبقيت في يد المسلمين من ذلك الوقت حتى احتل الإنجليز فلسطين ودخلوا القدس سنة ١٩١٨ في الحرب العالمية الأولى.

- أما الحملة السابعة والتي ظهر فيها الطابع الاستعماري السافر فقد قادها لويس التاسع ملك فرنسا قاصداً مصر بعيداً عن الأراضي المقدسة واحتل دمياط هذه المرة سنة ١٢٤٤ واندفع محاولاً الوصول إلى القاهرة، ولكنه سقط أسيراً كما هو معروف في سجن المنصورة في إبريل سنة ١٢٥٠.

- أما الحملة الثامنة والأخيرة فقد توجهت إلى تونس، في الوقت الذي كان فيه السلطان قلاوون من مصر يحرر بقايا "الممالك اللاتينية" في صور وصيدا وبيروت

وطرطوس.. في مرحلة استرد فيها العرب ثقتهم بأنفسهم وأمكنهم التحالف حتى قهروا الزحف المغولي في معركة عين جالوت التاريخية.

ويضيف أحمد بهاء الدين إلى هذه الحملات الثماني "حملتين" كل حملة هي مجموع مرحلة من الغزو الغربي للمشرق العربي.

- الحملة الصليبية التاسعة بدأت مع شيخوخة الإمبراطورية العثمانية، وفتح قناة السويس وظهور الثورة الصناعية في أوروبا، مما أعطاها قوة طاغية بالنسبة للظلام العثماني الذي ساد العالم العربي والإسلامي، وسلسلة التآمر طويلة من غزو مصر سنة ١٨٨٢ واحتلالها إلى أن تم احتلال العالم العربي كله مع نهاية الحرب العالمية الثانية ودخول اللورد اللنبي القدس.

- لقد صار الاستعمار سافراً ولم يزعم أحد هذه المرة أنه جاء ليحرر الأماكن المقدسة ولكن الجنرال غورو قائد الجيش الفرنسي الذي دخل دمشق لم ينس أن يذهب إلى قبر صلاح الدين الأيوبي ويقول "ها قد عدنا يا صلاح الدين!".

- وقد ظل النظام الاستعماري الإنجليزي والفرنسي سائداً حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية وتبلورت في ظله الدولة الإسرائيلية وهذا ما يسميه أحمد بهاء الدين بالحرب العاشرة من العالم الغربي ضد المنطقة.. ولقد ثبت أن التوسع والغزو هو هدف إسرائيل ومحور عملها. ونشاطها وفكرها.. وكلنا نعرف أنها قامت بتساهل الغرب وتأييد أمريكا، ولعل هدف اسرائيل الأساسى فى كل وقت هو إبادة الفلسطينيين وليس التعايش معهم معتقدين فى ذلك بما فعلته أمريكا مع الهنود الحمر السكان الأصليين.

الاتحاد السوفيتي والأيديولوجية الشيوعية والتمزق العربي:

وهنا ينبغي ألا ننسى الحملة المسعورة التي لا تحمل الصليب ولكنها تحمل المطرقة والسندال، باسم الأيديولوجيا الماركسية الشيوعية تحاول غزو الوطن العربي من الداخل لتزيد من تمزقه تحت ستار التقدمية والحتمية التاريخية، إنهم يستعينون بالوطنين المحليين مرحلياً، حتى تتاح لهم فرصة السيطرة الكاملة - بعد الصراع الطبقي الدموي -

على مقدرات الوطن، وربطه بمركز الشيوعية الدولية في موسكو لزيادة القوة الوطنية للاتحاد السوفيتي نفسه، وقد اراد الله سبحانه وتعالى أن يتحلل ويتفكك الاتحاد السوفيتى وكانت أسباب انحلاله وتفككه داخلية، ولاسباب عديدة، أهمها أن قيادته جعلت المرجعية للحزب الشيوعى، وليس لله رب العالمين.. وما يسوقه الكاتب هنا يخدم فى التحليل السياسى التاريخى.

فالشيوعيون السوفيت ضد الوطنية ما دامت خارج حدودهم، ولكن ينبغي ألا يغيب عن فطنة المراقب أن النزاع الصيني السوفيتي في التحليل النهائي، هو صدام على المصالح الوطنية المتمثلة فى الحدود بينهما... وهم يضربون الوطنية بالقومية، وكلنا يذكر للشيوعيين العرب العملاء ـ كما سماهم الرئيس الراحل عبد الناصر ـ محاربتهم ومعارضتهم للوحدة المصرية السورية في أواخر الخمسينات.. ثم هم ضد القومية العربية يستعدون عليها الإسلام، بل هم يمتطون بطريق غير مباشر صهوة بعض الحركات الدينية المتطرفة التي تدعى الإسلام وتكفر حكومات المسلمين، وهدف الشيوعيين قلب تلك الحكومات، ثم هم يضربون الإسلام بالشيوعية إذ يعتبرون الإسلام كأي دين سماوي رمزاً للرجعية، يصفون عملاءهم بالأوطان المختلفة بأنهم التقدميون، أما من يؤمنون بفاطر السموات والأرض فهم الرجعيون المتأخرون... إلخ.

وخلاصة هذا كله، أن الغزو الأيديولوجي الشيوعي، إنما يهدف إلى زيادة التمزق الداخلي للأمة العربية، وزيادة حدة التناقضات الموجودة داخل الوطن العربي، وإحلال المذهب الشيوعي مكان العقيدة الدينية، انطلاقاً من فلسفتهم المادية، وما يرونه هم حتمية تاريخية..

وإذا كنا قد أشرنا إلى العمق التاريخي لكراهية الغرب للمشرق العربي، وأشرنا إلى الأهداف التوسعية والأيديولوجية لكل من إسرائيل والاتحاد السوفيتي، فلا ينبغي أن يقعدنا ذلك عن متابعة مصالحنا الوطنية، وأهدافنا القومية بوسائل وأساليب تتناسب مع العصر، وتتفق مع متغيرات السياسة المعاصرة، وفي الواقع فان الزعيم الوطني الأصيل، هو الذي يستوعب هذه الظروف، ثم يقوم بتعبئة أسباب قوته الوطنية والقومية، من أجل الوصول بشعبه ووطنه وأمته العربية إلى التقدم والأمن والسلام.

الإعلام العربي بين التوجه القطري والقومي :

ليس هناك اتفاق على المقصود بالإعلام العربي، فالبعض يقصره على أنشطة جامعة الدول العربية والبعض يحدده بالدفاع عن القضية الفلسطينية والبعض يقصد به كسب الأصدقاء والمؤيدين للدول العربية في نزاعاتها الدولية، والبعض يراه في تحسين الصورة العربية أو تصحيحها فى نظر الرأي العام العالمي أو منطقة معينة من العالم، وهناك من يراه أساساً لتعميق الوحدة العربية..

هذا ويقصر الكثيرون دائرة تصورهم للإعلام على واحدة فقط من وظائفه في خدمة سياسة دولة ما، باعتباره أحد أدوات تنفيذ السياسة الخارجية إلى جانب الدبلوماسية والاقتصاد والعمل العسكري إذا لزم، ويمتد هذا التصور أيضاً لاعتباره إحدى أدوات السياسة الداخلية ودعمها [١٥٨].

وعلى كل حال فما نريد تسجيله هنا هو أن الذين يتحدثون عن "الإعلام العربي" إنما يقصدون أشياء مختلفة ومن الواجب تحديد هذا المفهوم.. ويرى المؤلف أن الإعلام العربي ينقسم إلى قسمين أولهما ذلك الذي يصدر عن جامعة الدول العربية أو المنظمات العربية الأخرى ذات الطابع القومي.. كما أن الإعلام العربي هو الإعلام القطري لكل دولة عربية.. لأن الوطن العربي ليس وطناً واحداً بل عدة دول وأقطار قد تتحد مع بعضها في الأهداف القومية، ولكنها كثيراً ما تختلف مع بعضها بالنسبة لأساليب تحقيق هذه الأهداف، وما تراه في بعض الأوقات مصالح وطنية قطرية ينبغي للإعلام العربي القطري أن يدافع عنها.

ولعل الإعلام العربي قبل حرب أكتوبر المجيدة وأثناءها وبعدها وأثناء زيارة السادات لإسرائيل وما بعدها، يعكس المواقف المتعارضة للدول العربية، ولقد وصف أحد الصحفيين موقف الإعلام العربي في هذا الخصوص بأنه إعلام مضلل[١٥٩](بكسر اللام)، فهناك من الأمور التي تكون في صالح موقف مصر

(١٥٨) يحي أبو بكر . تحرير الإعلام العربي : مجلة المستقبل العربي ، ع ٢٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٥٤ .

(١٥٩) عبد الرحمن الغسراوي ، لا تطلبوا من مصر المستحيل . السياسة ، الكويت ، مايو ١٩٨٢ .

"يعتمون" عليها إعلامياً، إنهم يسعون لتقويض كل تقدم ملموس تحققه مصر، فحرب أكتوبر كانت مسرحية والسلام خيانة والاتفاقيات مقايضة ومصر أصبحت بلا سيادة بعد ما استضافت القوات المتعددة الجنسيات المحدودة وهي الشبيهة بقوات الأمم المتحدة الموجودة في كل من سوريا ولبنان..

لقد رفض العرب قيادة مصر لهم وعزلوها، أو بالأحرى رفضوا السادات شخصياً لتمثيل العرب في مسيرة السلام، ونتيجة لذلك فقد أفقدوا مصر مكانتها التي كانت تكتسبها والعرب من خلفها وتضاءلت عظمتها في مفاوضاتها أمام إسرائيل وأمام الولايات المتحدة، والإعلام العربي سبب من أسباب هذه الفجوة التي حدثت وهو مسئول عن خداع الشعب العربي حتى لا يبرز أمام الشعوب دور مصر القيادي مرة أخرى..

وعلى الرغم من الحملات الانفعالية ضد سياسة السادات وكامب ديفيد فقد كتب أحمد الجار الله رئيس تحرير السياسة(١٦٠) أنه من الخطأ التفكير في حث الرئيس المصري الجديد على إلغاء اتفاقات بلاده مع عالم لا يرحم، فأي قرار من مثل هذا النوع سيضع العرب جميعاً أمام تصور عالمي بأنهم قوم لا يحفظون مواثيقهم وهي أسوأ صورة لتعامل دولي عصري، لذلك فإن أي توقع لأن تنهي مصر تعهداتها السابقة هو توقع ليس في صالح القضية العربية وخصوصاً إذا ما جاء ذلك بشكل دراماتيكي يحمل معه رد فعل أقوى من أناشيد ونظريات الذين يصرخون دائماً بأنهم يريدون الحرب.. حتى آخر جندي مصري.

وقس على ذلك ما يطلع عليه الباحث الجاد في الإنتاج الفكري الأجنبي عن تغير الصورة العربية لدى الغرب بعد حرب أكتوبر، وعن التحول الجزئي للرأي العام العالمي وبالذات الأمريكي نحو الحق العربي بعد زيارة السادات للقدس وما بعدها..(١٦١) ولكن الإعلام العربي الذي يحاول تطويع الجماهير

---

(١٦٠) جريدة السياسة : ١٩٨١/١٠/٢٠ .

(161) - Belkaoni, Janice Monti ((Images of Arabs and Israelis in the Prestige Press, 1966-74)) **Journalism Quarterly,** 55 : 4 pp. 732-38, winter, 1978.
- Soleiman Michael, National Stereotypes as Weapons in the Arab-Israel Conflict Paper presented in East-west. Communication, Beirut 1972, p. 4.

العربيــة لا يجـرؤ علــى نقــل هــذه الصـــورة وفـــي نفــس الوقــت يطـــالب بعــض الإعلاميين بإنشـــاء صنــدوق (مــن الأمــوال النفطيــة) لمحاولـــة تعديــل أو تغيــير الصـورة العربيـة لـدى الرأي العـام العـالمي!.

الجامعة العربية والنشاط الإعلامي العربي :

تعتـبر الجامعـة العربيـة المنظمـة التـي تتحمـل نيابـة عن الـدول العربيـة مسـئولية الإعلام العربي في العالم، وتعتبر الجامعــة العربيـة بحكـم ميثاقهـا ووضعهـا المعـترف بـه دولياً "منظمة حكومية إقليمية" ومع ذلك فـان هـذه المنظمـة الإقليميـة تعتـبر منظمـة قوميـة كذلك بحكم الظروف التاريخية والسياسية والجغرافية والاقتصادية والثقافيـة التـي أحـاطت بنشأتها، وهي بذلك تشكل الإطار الرسمي القائم والمعترف به لانتماء الدول الأعضاء إلـى أمة عربية واحدة ومصير قومي مشترك(١٦٢).

وربما كان الشعور السائد عند إنشاء الجامعة ـ كما يقول ماكدونـالد(١٦٣) حيـن كـان عدد من أعضائها لا يزال حديث عهد بالاستقلال ـ بأن السياسة الخارجية، بصفتها الميدان الذي تقتصر فيــه السيادة على الدولـة المختصـة، أن يترك أمرهـا لتلـك الدولـة، وأن أي إجراء يؤدي إلــى التخلي عن السيادة في هـذا المجـال، كتحويـل سـلطة تنسيق السياسـة الخارجية للدول الأعضاء إلى منظمـة إقليميـة كالجامعـة، إنمـا يشـكل اعتـداء علـى سـيادة الدولة واستقلالها... ومما يؤكد هذا الحـرص الشـديد علـى سيادة الـدول الأعضــاء افتقـار الجامعة إلى السلطة وإلى الجهاز اللازم لتنفيذ قراراتها...

- إن هذه الاعتبارات الإقليمية للجامعة العربية، تظهـر بوضـوح فارقـاً جوهريـاً بيـن جهاز الإعلام التابع للجامعـة، وبيـن جهـاز الإعـلام التـابع للمنظمـات الحكوميـة الإقليميـة

---

(١٦٢) يحي أبو بكر ((رسالة الإعلام في العمل العربي المشترك)) ((المجلة المصرية للعلوم السياسية)) ع ٦٧ ، يوليو ١٩٧٠ ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(163) MacDonald, Robert. The League and Arab States : A Study in the Dynamics of Regional Organization, New Jersey, Princeton Press, 1956, p. 47.

الأخرى.. إذ يقوم جهاز الجامعة بمهمة الإعلام عن الجامعة ذاتها كمنظمة إقليمية فضلاً عن وظيفته القومية انطلاقاً من أن الجامعة هي ملتقى الإدارة القومية لأعضائها.

كما أن هذا النشاط الأخير ينقسم هو الآخر إلى شقين أولهما يتصل بتنسيق المجهود الإعلامي الذي تقوم به الدول الأعضاء في خدمة الأهداف القومية المتفق عليها، بحيث يتكون من مجموع هذه الجهود جهد كبير متكامل، والثاني عمل إعلامي تؤديه الجامعة مباشرة بوسائل وإمكانيات تختص بها، وإن اعتمدت في تمويله وتوجيهه والمادة الأولية الإعلامية التي يستخدمها على دول الجامعة..

إن التطبيق العملي للسياسة الإعلامية القومية للجامعة العربية قد تعرض لتقلبات ولهزات شديدة منذ إنشائها دائرة الإعلام عام ١٩٤٦ وحتى عام ١٩٦٧ حين أدرك العرب النتائج المفجعة لفرقتهم وصراعاتهم.. وخيمت على العالم العربي بعد الهزيمة النظرة القائلة "إن المشكلة لا تنحصر في إتقان الأساليب الحديثة وإنما تتجاوزها إلى إعداد الأساس السيكولوجي والاجتماعي اللازم لهضمها دون عسر[١٦٤]"

ومعنى ذلك أن أهداف الدعاية العربية ظلت حتى عام ١٩٦٧ موضع بحث ونقاش وإعادة تحديد أهداف كلما ظهر في الجو أحداث خارجية خطيرة تضطر المسئولين عن رسم الدعاية وتنفيذها إلى المسارعة لإعادة تقييم الموقف...

وتعتبر الصورة الأخيرة التي صيغت بها مبادئ العمل الإعلامي العربي وأهدافه كما تضمنتها قرارات الإعلام العربي يناير سنة ١٩٧٠، وصدق عليها مجلس الجامعة في دورة مارس ١٩٧٠، تصوراً ناضجاً شاملاً لرسالة الإعلام العربي وللنهج الذي ينبغي أن يسير عليه.. وأهم ما تضمنته تلك القرارات:

"التأكيد على حتمية الوحدة القومية منطلقاً للعمل العربي المشترك، إدراكاً لطبيعة المرحلة التي تجتازها الأمة العربية، وتوفيراً للظروف الموضوعية لحمل مسئولية قضية المصير العربي، حتى يزول كل أثر للعدوان على الوطن العربي".. والعلاج الواقعي الذي

(164) Sharabi, Hisham. **Palestine and Israel** : The Lethal Dilemma - New York, Bighsus, 1969, p. 132.

ينطلق من هذه القرارات هو التنسيق الكامل بين عمل أجهزة الإعلام العربي في جميع الدول العربية ومعها جهاز الإعلام في الجامعة ذاتها[١٦٥].

الإطار التنظيمى لعملية وضع

القرارات الدعائية داخل الجامعة العربية :

لقد تحول الهيكل التنظيمي من دائرة واحدة للإعلام والنشر داخل الأمانة العامة عام ١٩٤٦ إلى هيئات ست رئيسية وأخرى ثانوية كما يلي:

هيئات رئيسية:

أ ـ دائرة الإعلام والنشر ومكاتبها فيما وراء البحار.

ب ـ اللجنة الدائمة للإعلام.

جـ ـ المكتب الدائم للإعلام العربى.

د ـ صندوق الإعلام العربي المشترك.

هـ ـ مجلس وزراء الإعلام العربى.

و ـ الشعب التالية في البعثات الدبلوماسية العربية في الخارج.

١ ـ لجنة رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية.

٢ ـ لجنة الإعلام. ٣ ـ اللجنة الاقتصادية.

هيئات ثانوية:

أ ـ المجلس الأعلى لتعزيز الثقافة العربية.

ب ـ اللجنة العربية المشتركة للسينما.

---

(١٦٥) يحيي أبو بكر ، المرجع السابق ، ص ١٧٩ – ١٨٢ .

جـ - اتحاد إذاعات الدول العربية.

د - اتحاد وكالات الأنباء العربية.

هـ - اللجنة العربية للمعارض.

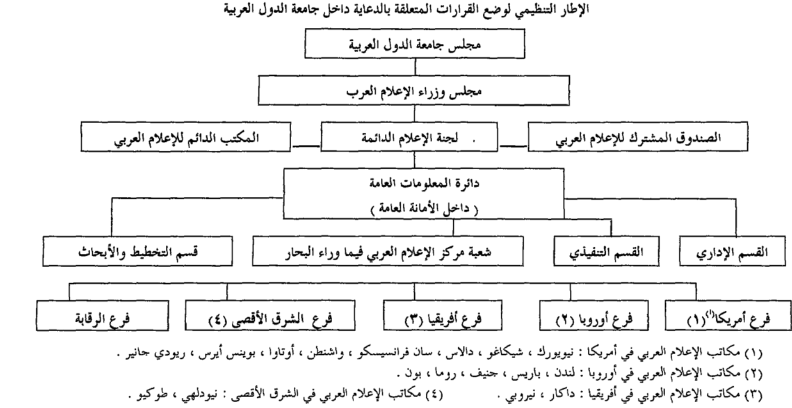
و - الاتحاد العربي للسياحة.

وإذا كانت مهمة الهيئات الثانوية تتركز في تجميع المعلومات الفنية ووضع التوصيات والبرامج التي ترفع للهيئات الرئيسية كل من مجال اختصاصها..فسنورد فيما يلي الهيكل التنظيمي الحالي لهذه الهيئات الرئيسية بالنسبة لعملية وضع القرارات داخل الجامعة[١٦٦]، ثم نتناول بعد ذلك بعض نشاط اللجنة الدائمة للإعلام العربي والخاص بميثاق الشرف الإعلامي.

---

(١٦٦) عبد الرحمن الزامل ، المرجع السابق ، ص ٧١ . هذا الهيكل وضعه المؤلف الدكتور الزامل من أجل دراسته .

الإطار التنظيمي لوضع القرارات المتعلقة بالدعاية داخل جامعة الدول العربية



(١) مكاتب الإعلام العربي في أمريكا : نيويورك ، شيكاغو ، دالاس ، سان فرانسيسكو ، واشنطن ، أوتاوا ، بوينس أيرس ، ريودي جانير .

(٢) مكاتب الإعلام العربي في أوروبا : لندن ، باريس ، جنيف ، روما ، بون .

(٣) مكاتب الإعلام العربي في أفريقيا : داكار ، نيروبي . (٤) مكاتب الإعلام العربي في الشرق الأقصى : نيودلهي ، طوكيو .

(أ) أنشئت اللجان التالية في عاصمة كل بلد تنتشر فيه الجامعة دعايتها بغية تنسيق النشاط الإعلامي للسفارة العربية ومراكز الإعلام التابعة للجامعة: لجنة رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية، ولجنة الإعلام واللجنة الاقتصادية.

ميثاق الشرف الإعلامي العربي

ينطلق من تونس(١٦٧)

لقد أجمع وزراء الإعلام العرب على أن لقاءهم في تونس في أغسطس سنة ١٩٧٧ يعتبر نقطة تحول في مفهوم الإعلام العربي، بل نقطة تحول في موقفهم تجاه السياسة الإعلامية العربية بوجه عام، وذلك لأن الدول العربية قد وافقت على هذا الميثاق من حيث المبدأ وأهم مواده ما يلي:

* أن يقوم الإعلام على حقين، حق البلاغ وحق الإطلاع، لذلك يجب عليه أن يعمل على تأكيد القيم الدينية والأخلاقية الثابتة والمثل العليا الموجودة في التراث البشري، ويجب أن ينشد الحقيقة المجردة في خدمة الحق والخير، ويسعى إلى تحقيق التفاهم والتفاؤل والتبادل مادياً ومعنوياً في المجتمع العربي الدولي.

* أن حرية التعبير شرط أساسي للإعلام الناجح وهي جزء لا يتجزأ من الحريات الأساسية المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ولكن المسئولية شرط أساسي لممارسة هذه الحرية بحيث لا تتجاوز حدود حريات الآخرين، ولا تؤدي إلى الفوضى الفكرية أو الإساءة إلى الفرد والمجتمع.

* تتحمل وسائل الإعلام العربي مسئولية خاصة تجاه الإنسان العربي، وهي تلتزم بأن تقدم له الحقيقة الخالصة الهادفة إلى خدمة قضاياه، وأن تعمّل على تكامل شخصيته القومية وإنمائها فكرياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً، وإظهار حقوقه وحرياته الأساسية وترسيخ إيمانه بالقيم الروحية والمبادئ الخلقية الأصيلة، وعلى تربية الشباب على احترام حقوق الإنسان والاعتداد بشخصيته القومية وتنمية حسه بواجباته اتجاه مجتمعه ووطنه وأمته العربية.

* تحرص وسائل الإعلام العربي على مبدأ التضامن العربي في كل ما تقدمه للرأي لعام، في الداخل والخارج، وتعمل على تدعيم التعاون والتفاهم بين

---

(١٦٧) مجلة أكتوبر، ١٩٧٧/٨/٧.

الدول العربية، وتجنب كل ما من شأنه الإساءة إلى التضامن العربى، وتمتنع عن توجيه الحملات ذات الطابع الشخصى.

* يلتزم الإعلاميون العرب بالأمانة فى تأديتهم لرسالتهم ويمتنعون عن اتباع الأساليب التى تتعرض بطريق مباشر أو غير مباشر للطعن فى كرامة الشعوب مع احترام سيادتها الوطنية واختياراتها الأساسية وعدم التدخل فى شئونها الداخلية، وعدم تحويل الإعلام إلى أداة للتحريض على استعمال العنف وعدم التجريح لرؤساء الدولة.

* يلتزم الإعلاميون العرب بالصدق والموضوعية فى نشر الأنباء والتعليقات، ويمتنعون من اعتماد الوسائل غير المشروعة فى الحصول على الأخبار والصور والوثائق وغيرها من مواد الإعلام ويحافظون على سرية مصادر الأخبار، إلا فيما يمس الأمن الوطنى والقومى.

* يحافظ الإعلاميون العرب على سلامة اللغة العربية وبلاغتها ويصونونها من مزالق العامية والعجمة، ويعملون على نشرها بين أبناء الأمة العربية، لتحل تدريجيا محل اللهجات العامية وذلك دعما للتفاهم بينهم.

* يجب أن تهتم وسائل الإعلام العربى بنشر الأخبار والمواد الإعلامية العربية عامة والمواد الإعلامية التى تقدمها وكالات الأنباء العربية والصديقة خاصة.

* تكفل الحكومات العربية حرية الضمير المهنى للعاملين فى حقل الإعلام العربى، وتسهل لهم أمر القيام بواجبهم فى نطاق روح هذا الميثاق وعلى ضوء الأهداف العربية الكبرى.

* تكفل الحكومات العربية حرية تنقل الإعلاميين العرب فى مختلف أرجاء الوطن العربى، كما تكفل لهم حرية العمل والتنظيم المهنى..

* تسهل الحكومات العربية حرية انتقال وتداول الصحف العربية وسريان الأخبار المذاعة ولا تلجأ إلى المصادرة أو الرقابة إلا عند الضرورة القصوى.

والأمل معقود في أن يرى هذا الميثاق النور، وأن تكون هناك ضمانات لتنفيذه، بحيث تلتزم به الدول الأعضاء، كما ينبغي أن تكون هناك إجراءات وقيود في حالة انتهاك مبادئه.

تحليل واقع الإعلام العربي المشترك وبعض التوصيات :

لقد قام الكاتب بتحليل الرأي العام بالنسبة لصراعنا مع إسرائيل(١٦٨) من واقع الاستفتاءات التي قام بها حوالي (١٧) معهداً من معاهد قياسات الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية وأمريكا اللاتينية وإسرائيل.. وانتهينا ـ فيما انتهينا إليه ـ إلى أن إدراك الرأي العام المطلع لمشكلة فلسطين عام (١٩٤٧) تمثل في تصوره فريقين متنازعين على أرض واحدة هي فلسطين.. وعلى العكس من ذلك فإدراك الرأي العام الأجنبي للمشكلة عام ١٩٦٧ وما بعدها، تمثل في تصوره إسرائيل الدولة المتحضرة ـ المتقدمة تكنولوجياً الديموقراطية سياسياً ـ تواجه العرب جميعاً (لا الفلسطينيين وحدهم) أي تواجه هذا الخضم البشري الهائل (من المحيط إلى الخليج) الذي انتصرت عليه إسرائيل انتصاراً عسكرياً حاسماً.

ولقد ساعدت بعض التصريحات غير المسئولة لبعض المسئولين العرب على تدعيم هذه الصورة لدى الرأي العام الأجنبي، ومن هنا ظهرت مقالات عديدة في الغرب بعنوان (الحمل وسط الذئاب) ونالت إسرائيل تعاطف الرأي العام..

لقد انتهى أحد الباحثين العرب(١٦٩) في تحليله لفاعلية الإعلام العربي في الولايات المتحدة إلى أن دعاية الجامعة العربية محدودة التأثير.. ذلك لأنها كمنظمة إقليمية تفتقر إلى قاعدة للسلطة الذاتية، كما أنها تعمل ممثلاً لدول أعضاء ذات سيادة، همها الأول

---

(١٦٨) انظر الباب الأخير من هذا الكتاب .

(١٦٩) عبد الرحمن الزامل في رسالته لنيل درجة الدكتوراه والمنشورة بكتاب أزمة الإعلام العربي ، ص ٢٥١ وما بعدها .

تحقيق مصالح وطنية فردية، وفضلاً عن ذلك فإن الجامعة أخفقت في وضع سياسة ثابتة يعتمدها البرنامج الإعلامي، كما أن الجهود التي تبذل في إعداد الأهداف وتعيين النشاطات الإعلامية تميل إلى التقلب، وفقاً للأحداث والظروف الإقليمية والدولية..

ثم إن تعقيد الكيان التنظيمي للجامعة بالنسبة للإعلام، يحول دون وضع خطوط واضحة للسلطة والإدارة، مما يعزز من نفوذ كبار المسئولين عن عملية وضع القرارات ويمكن أن تتضمن إستراتيجية الدعاية العربية ما يلي:

(١) أن المشكلة التي تواجهنا نحن العرب، حتى وإن انتهت حربنا العسكرية مع إسرائيل، هي مشكلة حضارية.. أي مشكلة صراع حضارات بيننا وبين اليهود في فلسطين. ومن ورائهم حضارة الغرب التي تعتبر نفسها في تناقض وحقد كامن للحضارة العربية.. ومن هنا كان لابد للإعلام العربي أن يتفاعل فكرياً وثقافياً مع رجال الفكر في البلاد الأخرى، مع التركيز على الرسالة الإنسانية وجوانب التسامح للحضارة العربية.. إن التغلب على الفجوة الثقافية، فضلاً عن الفجوة العلمية والتكنولوجية من شأنه أن يهيئ الجسور التي تصل بيننا وبين الرأي العام الأجنبي.. وعلى أن نصل الأقوال بالأفعال دائماً..

(٢) يجب أن تقوم أجهزة الدعاية العربية بتحليل اتجاهات ومصالح الشعوب الأخرى بالإضافة إلى التعرف على قضاياها الحيوية.. وذلك من شأنه أن يؤدي إلى تفاهم وتبادل للمصالح بيننا وبين تلك الشعوب.. أي أن أجهزة الدعاية ينبغي ألا تركز على ما يجب أن تسمعه الشعوب الأخرى عن سياستنا بل أن تركز على التعرف على قضايا ومشاكل الشعوب الأخرى ثم كيفية الملائمة بين مصالحها وطموحاتها مع مصالحنا وطموحاتنا.

(٣) يجب عدم النظر إلى الدعاية العربية بالخارج، على أنها احتكار لجهاز معين أو أنها واجب يؤديه مركز الإعلام الذي ننظر إليه نحن من بعيد.. إن العملية الدعائية الناجحة يجب أن تشترك فيها قطاعات كثيرة خاصة وعامة، يشترك فيها أهل الفن وأهل الدين وأهل الأدب وأهل العلم.. يشترك فيها الشباب

والرياضيون.. فضلاً عن الهيئات والمؤسسات المختلفة كل في مجالها مع المؤسسات المناظرة بالبلاد الأجنبية. كما أن العملية الدعائية الناجحة لابد أن تتلائم وتنسجم مع الجهود العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والدبلوماسية التي تبذلها البلاد العربية..

ومن نافلة القول أن نؤكد على ضرورة التزام هذه الهيئات الخاصة أو العامة، والأجهزة المتعددة بالبلاد العربية، باستراتيجية متناسقة للعمل الدعائي وأهدافه حتى لا تتبدد الجهود ويلغي بعضها بعضاً..

(٤) يجب اهتمام أجهزة الدعاية بما يسمى بالاتصال التحضيري Facilitative Comm. أي العمل باستمرار على تحسين العلاقات بين الدول العربية والدول الأجنبية.. أي أن مهمة أجهزة الإعلام لا تقتصر على الأزمات والملمات.. ولكن ينبغي أن تجعل الخطوط مفتوحة دائماً بين البلاد العربية وتلك البلاد لتدعيم التفاهم المستمر، حتى يمكن للشعوب الأجنبية تقبل الكلمة المطلوبة ساعة الأزمات..

(٥) إن امتلاك الصهيونية لأجهزة إعلام عديدة في العالم (هناك ٨٩٠ صحيفة في العالم تنطق باسمها فضلاً عن إسهامها المالي وبالإعلانات في أجهزة الإعلام الأخرى)، يجعلنا ندقق في الجمهور الذي نستطيع الوصول إليه والتأثير فيه.. ونحن نميل إلى التركيز على القيادات وواضعي القرارات السياسية وأساتذة الجامعات والصحفيين وأصحاب المصالح.. لأن هذا هو الممكن .. على أن نصل إلى هؤلاء بأساليب اتصال حديثة تتلائم مع كل منهم..

ويمكن أن نورد هنا بعض الأفكار التي أعلن عنها الدكتور بطرس بطرس غالي في إحدى مقالاته عن الساحة الأمريكية وأزمة الإعلام العربي.. ولعل هذه الأفكار أن تكون صالحة أيضاً خارج الساحة الأمريكية لقد قال فيما قال:

(١) إن النظام السياسي الأمريكي يسمح بقيام "جماعات الضغط" لبيان وجهة نظر الدول الأجنبية والدفاع عنها، ونجاح مجتمعات الضغط القومية من يونانية

وبولندية ومجرية في التأثير على السياسة الخارجية الأمريكية، يؤكد لنا أن النفوذ الصهيوني على مجرى الدبلوماسية الأمريكية، ليس ظاهرة استثنائية فريدة من نوعها كما يردده الإعلام العربي.

(٢) إن التناقضات الأيديولوجية العربية، والمنازعات التي تقع بين الدول العربية الشقيقة، لها صدى في الجمعيات والاتحادات التي يكونها أكثر من مليون أمريكي من أصل عربي وصلوا إلى مراكز مرموقة في ميادين المال والأعمال والعلم والأبحاث، إلى جانب الآلاف من الطلبة العرب الموزعين على مختلف أنحاء البلاد، ولكن هذه الصعوبات يجب ألا تمنع الحكومات العربية، من تقديم المساعدات لها، والإفادة من الكفاءات العربية فرادى بتعيينها قناصل فخريين في أهم المدن الأمريكية للإسهام في النشاط الدبلوماسي والإعلامي بطريقة غير رسمية.

(٣) إجراء الحوار مع الكنائس الأمريكية التي لها إمكانيات وانتشار واسع هناك، بما تملكه من جامعات ومحطات إذاعية وتليفزيون ومئات الصحف والمجلات والكتب، وتعقد مئات المؤتمرات، ذلك لأن النشاط الديني الثقافي الاجتماعي، يشكل الرأي العام الأمريكي ويؤثر على الدبلوماسية الأمريكية.

(٤) يجب اتخاذ أسباب اتصال النقابات العمالية العربية، بالحركات النقابية الأمريكية، وعلى الدول العربية أن تعد مجموعة من النقابيين والخبراء في الشئون العمالية وذوي الحنكة الدبلوماسية، للتحاور مع النقابات العمالية الأمريكية والتأثير على قطاع هام هناك من قطاعات الرأي العام.

(٥) يجب تزويد الجامعات ومعاهد البحوث والجمعيات الأمريكية، بالمعلومات والنشرات والبيانات التي تطلبها عن العالم العربي، دون أن تصلها هذه المعلومات، كما تلح هذه الجامعات والمعاهد في المطالبة بالمحاضرين والباحثين والأساتذة الزائرين الذين يستطيعون شرح قضايا العالم العربي، إن

الكفاءات العربية موجودة والدولارات العربية موجودة، إلا أن القدرة على ربط الكفاءات بالدولارات غير موجودة.

ويضيف أحد الباحثين العرب[١٧٠] المهتمين بوضع نظام إعلامي عالمي جديد وتطبيقاته في المنطقة العربية بالاتجاه إلى الآفاق العديدة التالية:

(١) خدمة التضامن العربي: أي التركيز على ما يقرب ويوحد، وصرف العناية إلى ما هو أساسي وجوهري وعدم إلهاب العواطف الباعثة على الكراهية.

(٢) العناية بالجوانب الحضارية: من ثقافية وعلمية وتكنولوجية وبكل ما له ارتباط بتطلعات المواطن العربي وتوضيح الرؤيا المستقبلية لديه.

(٣) تكثيف الجهود في مجال الإعلام الاقتصادي: لتعريف كل شعب عربي بمختلف المنجزات في الأقطار الأخرى وإمكانيات العمل الاقتصادي المشترك.

(٤) تبادل الإنتاج الإعلامي: الذي ينبغي ألا يقتصر على مواضيع الترفيه.

(٥) زيادة كثافة توزيع الصحافة داخل البلاد العربية وخارجها.

(٦) توثيق التعاون مع الهيئات الدولية المعنية بالإعلام ومواصلة الحوار مع الدول الصناعية والنامية.

(٧) توزيع الأدوار بين مختلف الأجهزة الإعلامية العربية وبينها وبين أجهزة الإعلام بالوزارات والجامعة العربية والتنسيق فيما بينها تقليلاً للتناقضات.

---

(١٧٠) مصطفى المصمودي : النظام الإعلامي الجديد وتطبيقاته في المنطقة العربية ـ مجلة المستقبل العربي، ١٢ فبراير ١٩٨٩ ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .

الباب السادس

الرأي العام العالمى بين الواقع والاستخدام الدعائي

الفصل الخامس والعشرون : الرأي العام العالمي كأحد الضوابط التي تحد من السلوك السياسي للدولة.

الفصل السادس والعشرون : توافر المعلومات عن القضايا الدولية والسلوك السياسي للرأي العام الوطنى.

الفصل السابع والعشرون : استطلاعات الرأي العام في الدول المختلفة وتكوين الرأي العام العالمي.

الفصل الثامن والعشرون : النماذج الجاهزة الوطنية وتجارب مسح الرأي العام على المستوى العالمي.

الفصل التاسع والعشرون : تكنولوجيا الاتصال الدولي والقيود المفروضة على الإعلام الوطني.

الفصل الثلاثون : الرأي العام العالمي بين المثاليين والواقعيين.

الفصل الواحد والثلاثون : الرأي العام العالمي وقضايانا المصيرية.

الفصل الخامس والعشرون

الرأي العام العالمي

كأحد الضوابط التي تحد من السلوك السياسي للدولة

تقديــم :

هل الرأي العام العالمي هو مجرد امتداد للرأي العام الوطنـي فـي مراحـل تكوينـه وتشكيله؟ وما هي وظيفة هذا الرأي العام العـالمي؟ وهـل يمكـن أن يـؤدي للإنسـانية نفس الدور الذي يقوم به الرأي العام الوطني في المجتمعات الوطنية؟ ومـا هــي المؤثـرات التـي تعمل على تشكيل هذا الرأي العام العالمي؟ هذا ما سنتناوله في هذا الباب... ومـا نـود أن نشير إليه في هذا المقام أن تحليلنا ينطلق من اعتبار ظاهرة الـرأي العـام العـالمي كـإحدى ظواهر العلاقات الدولية بالدرجة الأولى، وإن كنا لن نغفل المنطلقـات التقليديـة فـي الفكـر السياسي ونظرياته بالنسبة لتحليلنا لهذه الظاهرة.

لقد أقـر أسـاتذة العلاقـات الدوليـة بوجــود بعـض الضوابـط الأخلاقيـة والأدبيـة والقانونيـة التـي تحـد مـن حريـة الـدول فـي التجائهـا إلـى اسـتخدام القـوة، ومـن أهـم هـذه الضوابـط فـي اعتقــادهم، هــي الأخلاقيـات الدوليـة والقـانون الدولـي ومبـدأ السـيادة القوميـة والـرأي العـام العــالمي(١٧١).

ومع ذلك فان كثيرا مـن خـبراء العلاقـات الدوليـة ينبـهون إلـى مخـاطر الحساسية الزائدة "للرأى العالمي" التي قد تعوق ـ أو تشل ـ نشاطات الدولة بالنسبة لاتخـاذ قراراتهـا

---

(١٧١) إسـماعيل صبري مقلـد . العلاقـات السياسـية الدوليـة . الكويـت ، جامعـة الكويـت ، ١٩٧١، ص ١٥٥.

السياسية الخاصة بمتابعة مصالحها الحيوية المشروعة، وأهدافها الوطنية المتفقة مع روح العصر ومتطلباته[١٧٢].

ونحن نلاحظ أنه منذ بدء التاريخ والحكومات في علاقاتها مع بعضها البعض تضطر إلى الخضوع بين وقت وآخر للتهديد العسكري أو الضغط الدبلوماسي.. فتحاول الحكومة (أ) أن تدفع الحكومة (ب) إلى اتخاذ سلوك معين عن طريق الوعد ببعض المنافع أو التهديد ببعض ما يمكن أن تفقده الحكومة الأخرى. وفي عصرنا الحاضر هناك قوة ثالثة، غير مرئية وغير محسوسة، تقف الحكومات أمامها – على ما يبدو – في خشوع واحترام، تلك هي قوة الرأي العام العالمي[١٧٣]..

ولعل هذا السلوك الدولي يعود إلى أن تحقيق كثير من الأهداف الوطنية – خصوصاً في عالمنا المعاصر - يعتمد على تعاون الدولة مع غيرها من الدول. لذا فان جهود الدولة لوضع نشاطاتها الوطنية في صورة مقبولة من أكبر عدد من الدول، يعتبر عاملاً دائماً في حسابات الدولة. فالدولة إذن تحرص - ولو جزئياً – أثناء سعيها لتحقيق أهدافها الوطنية كالأمن والتقدم والعدالة وحرية تقرير المصير، إلى اكتساب تأييد - أو على الأقل - احترام الدول الأخرى.

الرأي العام العالمي منذ الحرب العالمية الأولى :

يبدو لنا أن "الرأي العام العالمي" اصطلاح حديث، ذلك لأن كتب الرأي العام والعلاقات الدولية، لا تكاد تذكر هذا الاصطلاح إلا بعد الحرب العالمية الأولى.. فقد عبر وودرو ولسون عن قوة الرأي العام العالمي في خطبة في مؤتمر السلام في باريس في يناير ١٩١٩ بقوله "نحن نجتمع الآن تحت ظروف غريبة من الرأي العالمي، ويمكن أن

(172) Christenson, Reo and Robert O. McWilliams **Voice of the People; Readings in Public Opinion and Propaganda**. New York, The McGraw-Hill Book Co., 1967, pp. 437-8.

(173) Morgenthau, Hans. J. " Is World Public Opinion Myth ? " **New York Times Magazine,** March 25, 1962, pp. 23, 126-7.

نقول بأننا هنا لا نمثل الحكومات بل نتمثل الشعوب، ولا يكفي أبداً أن نرضى في اجتماعنا هذا، أي دوائر حكومية في أي مكان، بل من الواجب أن نرضى رأي البشرية جمعاء".

وقبل أن تندلع نيران الحرب العالمية الثانية بخمسة أشهر قال وزير الخارجية الأمريكية كورديل هل "إن الرأي العام هو أعظم قوى للسلام ينمو بقوة متعاظمة في جميع أنحاء العالم".

كما قررت جريدة نيويورك تايمز في ١٥ نوفمبر ١٩٤٧ أن الجمعية العمومية للأمم المتحدة استطاعت "تعبئة الرأي العام العالمي، وهو في التحليل النهائي، الذي يقرر توازن القوى الدولي".

وهناك حالات معينة ـ وإن كانت نادرة ـ ظهرت فيها ردود فعل تلقائية أو اتفاق عام على اتساع العالم كله بالنسبة لبعض قضايانا في ظروف معينة، فكلنا يذكر كيف أدانت هيئة الأمم المتحدة العدوان البريطاني الفرنسي الإسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦، وتدعمت إدانة هذه الدول داخل الأمم بما يمكن أن يسمى باتفاق عام للرأي العالمي، وشاركت في هذا الاتفاق العام التلقائي جماهير كثيرة في داخل المملكة المتحدة وفرنسا ذاتهما.

كما كان لإطلاق الاتحاد السوفيتي للصاروخ العابر للقارات خلال عام ١٩٥٧ وما تلاه من إنجازات في مجال الفضاء، كان لهذا التطور العلمي الهائل أثره في إعادة تقييم مواقف الدولتين الكبيرتين من بعضهما البعض، ولم يكن تأثير هذا الحدث مقصوراً على خبراء السياسة الدولية أو الصفوة، بل امتد هذا التأثير إلى مختلف الجماهير العريضة[١٧٤]. وأحست جماهير كثيرة في أنحاء مختلفة أن التدمير الشامل يمكن أن يصل إلى أي بقعة على الأرض لأول مرة في التاريخ.

والآن ما هذا الشيء الذي لا سفراء له ولا جيوش، ولكن له طريقه الذي يسود أحيانا على السفراء والجيوش. هل الرأي العام العالمي خرافة أم تصور

---

(174) Some Indications of World wide public Opinion toward the U.S. and the U.S.S.R, Research and Reference, USIA, July 1963.

في أذهان الحكومات والأفراد، أم أنه حقيقة تنبع من التجربة والواقع؟ هل هو شئ له قوته الحقيقية التي تضعها الحكومات في حساباتها وتقيم لها وزنا واعتبارا كبيرا؟ أم أنه أحد المستحيلات كالغول والعنقاء والخل الوفي(١٧٥).

تعريف الرأي العام العالمي :

" الرأي العام العالمي هو الرأي الذي يتخطى الحدود الوطنية ليوجد بين أفراد في أمم مختلفة في شبه اتفاق عام بالنسبة لبعض القضايا الدولية الأساسية على الأقل. وهذا الاتفاق العام، في الرأي، يعبر عن نفسه على شكل رد فعل تلقائي عالمي، دون اعتبار للارتباطات الوطنية، وقد يمتد رد الفعل هذا ليقترن بتوقيع جزاءات على الدول المخالفة لهذا الاتفاق(١٧٦).

أي أن ظاهرة الرأي العام العالمي - في نظر المتخصصين في الرأي العام - هي امتداد لظاهرة الرأي العام الوطني، وأن مراحل تكوينه هي نفسها المراحل التي يمر بها الرأي العام الوطنى(١٧٧).

---

(١٧٥) فتحي رضوان ، " هل هناك شيء اسمه الرأي العام العالمي " ، الأهرام ، ٢٠ فبراير ١٩٧٢ .
(١٧٦) انظر تعاريف الرأي العام العالسي كما جاءت في المراجع التالية :
- حامد ربيع . الرأي العام الدولي والسلوك السياسي ، السياسة الدولية ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٦٦ ، ص ٨٦.
- إسماعيل صبري مقلد . المرجع السابق .
- هانزحي مورجانتاو ، المرجع السابق .
(١٧٧) انظر حامد ربيع ، المرجع السابق ، ص ٨٦ - ٨٧ حيث ذكر ست مراحل لتكوين الرأى العام وهي : الإدراك والصراع والتركيز والرضا أو الإتفاق والاندماج ثم مرحلة استقرار الرأي العام. ويجب أن نشير إلى أن دارسي الرأي العام لا يتفقون على مراحل معينة لتكوينه ، فهناك من يرى هذه المراحل في الانتقال من مرحلة الرأي العام السلبي في المحتمعات السياسية البسيطة إلى مرحلة التصادم والصراع بين إرادة السلطة والقوى التقدمية، ثم مرحلة الرأي العام الإيحابي الذي يلتحم بمقدرات أمره وحيث يكون الحكام وكلاء للسواطنين لا أكثر، ثم المرحلة الأخيرة التي تتأكد فيها إرادة الأغلبية في جميع الأوقات أي حكم الرأي العام حيث لا يسود فقط بل يحكم كذلك .. كما يرى فريق آخر هذه المراحل في دور الجماعات الأولية والصغيرة باعتبارها النواة التي تشع منها الفكرة للمجتمع الكبير : ثم ظهور القيادات التي تصوغ هذه الأفكار بطريقة يفهمها أكبر عدد من الناس، ثم مرحلة انتقال الأفكار بطريقة يفهمها أكبر عدد من الناس، ثم مرحلة انتقال الأفكار خارج دائرة الجماعات الصغيرة ثم مرحلة الصياغات الجديدة والقادة الجدد ، ثم مرحلة توقعات سلوك الآخرين التي تستتبع التعديل في الآراء والسلوك ، ثم مرحلة التفكك والاختفاء لأن ظاهرة الرأي العام ظاهرة وقتية غير دائمة تختفي مع اختفاء المسائل والقضايا التي كانت موضع الاتصال والاهتمام وهناك آخرون يرون مراحل أخرى لتكوين الرأي العام .. انظر المراجع التالية :
- Childs, H., Op. Cit., 110-137.
- Davison, W.P. "The Public Opinion Process," **Public Opinion Quarterly**. Vol. 22. No. 2, pp. 91-106, Summer, 1958.

وإذا كان ذلك كذلك فان واقع الدراسات المتوافرة لا يدلنا على أن هؤلاء قد تتبعوا أوجه الخلاف حول تعاريف الرأي العام الوطني من حيث طريقة التكوين ونوعية الآراء وشدتها وتأثيرها، وغير ذلك من الجوانب العديدة - التي سبقت الإشارة إلى بعضها عند دراستنا لظاهرة الرأي العام - ثم مقارنتها بالرأي العام في إطار اختلاف المصالح والأيديولوجيات واللغات والثقافات.. الخ.

وعلى كل حال فيرى المؤمنون بحقيقة الرأي العام العالمي - طبقاً للتعريف الذي أوردناه - أنه نوع من الرأي العام الوطني على اتساع العالم كله.. رأي عام يؤدي نفس الوظائف للإنسانية، ما يؤديه الرأي العام الوطني في المجتمعات الوطنية. ويفترض في الرأي العام العالمي أنه يتخطى الحدود الوطنية ليوحد أعضاء من مختلف الأمم على اتفاق عام بالنسبة لبعض القضايا الدولية. أى أنه عندما تقوم حكومة ما بفعل معين على المسرح الدولى ويتعارض هذا السلوك مع رأى الإنسانية فانها ستعارضها، دون اعتبار للمشاعر الوطنية والارتباطات القومية، وستتخذ الإنسانية بناء على ذلك موقفاً ضد هذه الحكومة، التي ستجد نفسها في نفس الوضع الذي يجده الفرد يعمل ضد الرأي العام في بلده وبين قومه.. فالرأي العام إذن سيضطر الحكومة إلى أن تتلائم مع معاييره أو ينزل بها العقاب لانحرافها عنه والعقاب هنا يتمثل فى عدم تأييده لها فى الانتخابات.

وإذا كان هذا المعنى هو الذي يعبر عنه "الرأي العام العالمي" فانه يمكن القول في اطمئنان بأن هذا الرأي العام العالمي ليس له وجود، ذلك لأنه لا يوجد رأي عام بدون مجتمع متماسك يمكن أن يعمل فيه أعضاؤه وأن يتفاعل أعضاء هذا المجتمع فيه بطريقة متجانسة بالنسبة للمصالح المشتركة وعلى أن تصدر هذه الأعمال عن قيم مشتركة كذلك(١٧٨).

---

(178) Morganthau, Hans J., **Op. Cit.**

كما أن "رد الفعل التلقائي" هذا هو أقرب ما يكون إلى رد الفعل العاطفي وليس الرأي القائم على الفهم والإدراك الموضوعي(١٧٩).

وخلاصة هذا كله، أن البناء الفكري الأساسي الذي يعتمد عليه المؤمنون بحقيقة "الرأي العام العالمي" هو اعتباره امتدادا لظاهرة الرأي العام الوطني، لذا ينبغي أن نشير إلى شروط تحقيق هذا الرأي العام العالمي كما يراها خبراء العلاقات الدولية.

بعض شروط تحقيق الرأي العام العالمي (١٨٠):

١ ـ أن تتوافر لجميع الناس و لغالبيتهم البيانات والمعلومات الأساسية عن السياسة الأولية، وأن يكون هؤلاء الناس مهتمين بالمشاكل الدولية، وألا يتم التعبير عن وجهة نظر هؤلاء فحسب، بل أن يتم هذا التعبير بعد وزن أو تقييم الجوانب المختلفة لكل قضية.

٢ ـ أن يكون بإمكاننا التأكد في أي لحظة من محتوى هذا الرأي العام العالمي، وأن يكون بالإمكان كذلك التمييز بين هذا الرأي وبين آراء الأقلية المؤثرة.

٣ ـ ألا يتصرف الناس في أي بلد بناء على ما يعتبرونه هم حقائق وطنية لا تحتاج إلى إيضاح أو انطلاق من مصالحهم المباشرة، وذلك حتى يكون حكم

---

(١٧٩) في الطبعة الحادية عشرة للموسوعة البريطانية جاءت مقالة عن تاريخ البلقان ، حيث تشير المقالة إلى أن "الرأي العام العالمي" قد صدم واهتز للمجازر التي ارتكبت خلال الحرب اليونانية من أجل الاستقلال .. إن هذا النوع المبكر من الإشارة للرأي العام وجدت أوضح تعبير لها في معاني انتهاك الحرمات والاعتداء ، وعند هذه النقطة فلم يعد رأياً بالمرة في المعنى الفكري ، ولكنه حالة من الهزة العاطفية ، والاستجابة الدالة على الاستعدادات لفعل معين ، ورد الفعل هذا هو ما يشعر به الناس عادة عندما يعلمون عن جريمة بشعة ، إلى الحد الذي تستحوذ الجريمة نفسها على انتباه المجتمع الوطني كله ، ويتكون شعور غريزي مشترك بأن هناك شيئاً يجب القيام به إزاء تلك الجريمة : المرجع :

Bogart, Leo. ((Is there a World public opinion)), **Polls,** Amsterdam, Vol. 1 No. 3 pp. 1-9.

(180) Kulski, W.W. **International Politics in a Revolutionary** Age, 2nd ed. New York, Lippincott co., 1968, pp. 472-3.

هؤلاء النـاس عـادلا بالنسـبة للقضايـا الدوليـة الأساسـية وبالتـالي سـيكون صـوت هؤلاء الناس فعـلاً مـن صـوت اللـه.

٤ ـ أن يعبر هذا الصوت عن شبه اتفاق عام بالنسبة للقضايا الحيويـة وأن تتخطـى الأمـم اختلافاتها إذا ووجهت بالمواقف الواضحة التي تثير ردود فعل واحدة عندهم جميعاً. وهذا الافتراض يتضمن كذلك أنه لا توجد صعوبة كبيرة في التمييز بين الحق والباطل بالنسبة للقضايا الدولية الخطيرة.

٥ ـ ألا تعمل الدعاية الدولية ـ باعتبارها أداة من أدوات السياسة الخارجية ـ علـى تعميق الخلافات الأيديولوجية السائدة في وقت معين، وألا تشكل الأخبار وتلون الأحـداث بمـا يتفق مع مصالحها الوطنية وأهدافها القومية.

٦ ـ أن يتخذ هذا الرأي العام العالمي سبيله إلى التطبيق في سياسات الدول، أي أنه يحمل في طياته قوة تطبيقه القانوني في الدول المختلفة.

ومن الواضح أن جميع هذه الافتراضات والشروط غير واقعيـة ولا يمكـن تطبيقهـا فـي عالمنـا المعـاصر كمـا هـو الآن أو فـي المسـتقبل القريـب علـى الأقـل وسـنناقش هـذه الشروط بشيء من التفصيل في الفصول القادمة.

الفصل السادس والعشرون

توافر المعلومات عن القضايا الدولية
والسلوك السياسي للرأي العام الوطني

هل تتوافر المعلومات الأساسية والحقائق الموضوعية عن القضايا الدولية أمام جميع الناس أو غالبية الناخبين في الدول المختلفة؟ وإذا كانت هذه المعلومات والحقائق متوافرة فعلاً، وإذا كان أغلب الناخبين قد استوعبوا هذه المعلومات فعلاً ـ على صعوبة ذلك ـ هل سيكون السلوك الوطني لهؤلاء بناء على مصالحهم المباشرة أم الصالح العام للإنسانية؟ وهل تفسير المواطنين في بلد معين للمعلومات والحقائق سيتم في إطار المصالح الوطنية أم العالمية؟ وما هي فلسفة ونظرية الإعلام الدولي التي ستكون ركيزة للرأي العام العالمي؟ هذا ما سنتناوله في الاعتبارات التالية:

أولاً ـ بعض صفات الرأي العام وتوافر المعلومات الأساسية بالنسبة للقضايا الدولية:

تكاد تكون المعلومات الكاملة عن الأحداث والقضايا الدولية، غير متوفرة لحكومات الدول الكبرى وهي التي تستطيع الحصول على المعلومات عن طريق نشاط مخابراتها الخارجية. كما أن هناك معلومات عسكرية واقتصادية وسياسية تحيطها الحكومات المختلفة بستار من السرية ولا تعلنها حتى لشعبها هي، وذلك حتى لا تعرض مصادر معلوماتها (المفوضين الدبلوماسيين.. والجواسيس من أبناء البلد الأجنبية..) للخطر، وحتى لا يفيد العدو من هذه المعلومات..

وهناك حقائق أخرى يمكن أن تغيب عن عيون المفوضين الدبلوماسيين والاستخبارات ومراسلي الصحف. هذا بالإضافة إلى أن كل مراقب للأحداث والحقائق يفسرها حسب خبرته ومعلوماته وتحيزاته الخاصة، وهذه التفسيرات نفسها قد تشوه

الحقائق الأصلية، وعلى ذلك فليس لدى الحكومات دائماً معلومات كاملة يمكن الاعتماد عليها بصفة مطلقة.

هذا ويجدر بنا أن نشير إلى أن الرأي العام الدولي ليس هو رأي الحكومات لوحدها ولكنه بالضرورة رأي المواطنين العاديين. ونطاق معلومات هؤلاء محدود: أي أن مجال معلوماتهم بلا شك أضيق من ذلك المتاح للحكومات. وحتى لو تساوت المعلومات لدى شخصين فان ذلك لا يؤدي بالضرورة إلى نتائج واحدة واتفاق في وجهة النظر. وإذا كان ذلك صحيحاً بالنسبة للمجتمع الوطني فإلى أي حد سيكون ذلك صحيحاً مع اختلاف الجنسيات والثقافات على النطاق الدولي؟

إن اهتمام الأفراد بالشئون الدولية ومتابعتهم لها من شأنه أن يؤدي إلى تكوين رأي عام مستنير. ومع ذلك فقد أثبتت قياسات الرأي العام في الدول المختلفة ـ الغربية والشرقية والنامية ـ أن هناك قلة ضئيلة تولى القضايا الدولية الاهتمام والمتابعة الواجبة[١٨١].

وهناك مؤثرات مختلفة على تشكيل اتجاهات الرأي العام الوطني وتوجيهه فهناك وسائل الإعلام الجماهيري التي لا تخصص إلا مساحة ضئيلة أو وقتاً قصيراً لمناقشة القضايا الدولية وعرضها عرضاً موضوعياً.. فالشخص العادي إذن محاصر فكرياً إلى حد كبير داخل حدود وطنه الأصلي.. وحتى لو أتيح له أن يسافر إلى الخارج وأن يقرأ أو يسمع لغير مواطنيه ولوسائل إعلام أخرى...

إن الجدار الذي يحيطه فكرياً منذ الصغر سوف لا يتحطم إلا بصعوبة بالغة.. لأنه جدار مبني على عدم ثقة غريزية بالمصادر الأجنبية للمعلومات.

---

(١٨١) ستكون من المبالغين إذا قلنا إن السياسة قد تمت دمقرطتها في القرن العشرين إلى الحد الذي أصبح فيه الرأي العام يؤثر على السياسة الخارجية بدرجة كبيرة ، فالسياسة الدولية مازالت إلى حد كبير لعبة الصفوة .. وكل ما يمكن أن نقوله بأن عدداً أكبر من الناس يدرك أبعاد السياسة الدولية اليوم أكثر من أي وقت مضى . أنظر :

Puchala, D.J. International Politics Today, 1971, pp. 49-69.

وهذا يقودنا إلى الحديث عن عملية التطبيع والإدماج السياسي في المجتمع الوطني، التي يتعرض لها المواطنون منذ نعومة أظافرهم وليست عملية التطبيع هذه قاصرة على الدول الديكتاتورية.. ذلك لأن الدول الديموقراطية كذلك لا تسمح بأن يتشرب فيها مواطنو المستقبل بالأفكار الهدامة والمتعارضة مع المبادئ الأساسية للدولة.

وإذا مما حقق هذا التعليم أهدافه السياسية ، فان المواطن سيكون مقتنعاً بأن وطنه أعلى من غيره من الأوطان، من النواحي الأدبية والخلقية، وسيرفض الدعاية الخارجية ـ إذا تعرض لها ـ نظراً لأنها لا تتفق مع الآراء السائدة في محيطه الوطني.

وأخيراً فيجب أن نشير في هذا المجال إلى أن الحكومات كثيراً ما تلجأ عن طريق وسائل الإعلام الجماهيري إلى استخدام الشعارات والصيغ السهلة البسيطة[١٨٢] لتوضيح القضايا المعقدة، مما يؤدي إلى تشجيع المواطن على أن يخدع نفسه ويحصرها في الخيالات وأنصاف الحقائق.

وخلاصة هذا كله أن ردود الفعل العاطفية لملايين المواطنين ـــ الذين تنقصهم المعلومات ـ سوف لا تؤدي إلى تكوين آراء منطقية، ولكنها ستؤدي إلى تكوين مزاج جماهيري غير مستقر[١٨٣] لأنها تفتقد إلى البناء الفكري Intellectual Structure والمحتوى الموضوعي، وهذا المزاج من شأنه أن

---

(١٨٢) يميل الرأي العام إلى تفسير الأحداث الدولية أو رؤية السياسيين ورجال الحكومات الأخرى انطلاقاً من النماذج الجاهزة الجامدة لديه ، كما يميل المواطنون العاديون إلى تصور التصرفات على المسرح الدولي على أساس بسيط (عمل ودي / عمل عدائي ـ مؤيد / معارض ـ نحن / هم .. الخ) أي أن الصور الشعبية السياسية التي تكون غالباً متحيزة مشوهة وغير دقيقة .

أنظر : Puchala, Op. Cit.

(١٨٣) ظاهرة عدم ثبات اتجاهات الرأي العام بالنسبة للشئون الدولية قد درسها الخبراء : ونستخلص من هذه الدراسات أن تفاؤل الجمهور أو تشاؤمه أو تأييده أو رفضه لجهود الحرب يمكن أن تتحول وتتغير بصورة جذرية بناء على نتائج المعارك ، وهذا التغيير أو التحول ، يكون عادة من النقيض إلى النقيض . انظر:

Campbell, Joel T. and Leila S Cain, ((Public Opinion and the Outbreak of war)), **Journal of Conflict Resolution** IX, No. 3 (Sept. 1965) 318-329.

يساعد أو يعرقل الإجراءات الحكومية الخاصة بالسياسة الخارجية. تبعاً لقدرة الحكومة على تطويع الجمهور لتأييد هذه الإجراءات.

ثانيا - هل سيؤدي توافر المعلومات الصحيحة الكاملة إلى سلوك دولي منطقي :

ترتكز فكرة الرأي العام العالمي على افتراض أن الناس الذين لديهم معلومات كافية وصحيحة سيسلكون سلوكاً يتفق مع هذه المعلومات، ولكن كثيراً من البحوث تشير إلى نتيجة محددة هى أن هاتين المرحلتين لا تعتمد الواحدة منهما على الأخرى بصورة منتظمة أو ثابتة، أي أن التغير في المعلومات لا يؤدي بالضرورة إلى تغير في الآراء. ويبدو أن السلوك (أو الاتجاه) يقاوم التغير، رغم ما قد يبدو من تغير في الآراء التي يتم التعبير عنها.

وهناك حالات قليلة، يمكن أن نرد تغير السلوك فيها إلى تغير في الآراء التي نتجت عن التعرض لمحاولة أو مناقشة مقنعة[١٨٤].

وقد أيدت التجارب العملية - التي أجريت تحت ظروف يمكن التحكم فيها - ما قدمه التاريخ الحديث في تفصيل بشع، من أن الناس يمكن أن يتشربوا المذاهب وأن يحملوا على سلوك، يتناقض مع الآراء التي كانوا يعتنقونها، ويتعارض مع معاييرهم الأخلاقية والأدبية، وأن هؤلاء الناس سيجدون تبريراً اجتماعياً لهذا السلوك الذي يسلكونه، (كالطاعة للسلطة مثلاً..).

ولقد أوضحت لنا نظرية ليون فستنجر Leon Festinger عن "تناقض المعرفة Cognitive Dissonance. " العمليات التي يعرف بها الأفراد التناقض الظاهر في آراءهم ومعتقداتهم. كما أن الإسهام الكبير لهذه النظرية بالنسبة لدارسي الرأي العام يتمثل

---

(١٨٤) هذه الدلائل عن تغير الآراء تم تغير السلوك مع بيان البحوث التي أجريت في هذا المجال يمكن الإطلاع عليها في المرجع التالي :

Lion Festinger, ((Behavioral Support for Opinion Change,)) **Public Opinion Quarterly**, Vol. XXVIII, No. 3, 1964, pp. 404-17.

في أن المعلومات التي يدلي بها الناس مثلاً في عملية المقابلة Interview لا يمكن معالجتها كحقائق منعزلة، ولا يمكن فصلها عن القيم الشخصية في مجموعها Personal Value Systems in toto.

كما أن الدراسات التجريبية الخاصة بتغير الاتجاه تشير إلى أن الناس يضطرون للملائمة مع التغيرات التي يفرضها النظام الاجتماعي، ويجدون التبريرات لذلك(١٨٥).

وخلاصة هذا كله، أن توافر المعلومات الصحيحة والكاملة، لا يؤدي بالضرورة إلى سلوك يتفق مع هذه المعلومات، وأن الناس يمكن أن يضطروا إلى أن يتشربوا آراء ومذاهب جديدة ثم يبرروا سلوكهم بعد ذلك لاعتبارات اجتماعية وطنية. وفي البلاد التي تمارس حرية التعبير عن الرأي، فان كثيرا من الأفراد سيدلون بوجهة نظرهم في المشاكل الدولية (على حين لا يسمح لغير المتخصصين في العلوم الطبيعية كالفيزياء مثلاً بالإدلاء بآرائهم فيها)، وسيزيد أولئك الذين يعينون أنفسهم خبراء في السياسة الدولية، من فوضى وارتباك الرأي العام بالنسبة للقضايا الدولية.

ولا تشير كل هذه الدلائل والجوانب إلى إمكانية تكوين وظهور ما يسمى "بالرأي العام العالمي".

وإذا كان لنا أن نطبق نظرية ليون فستنجر السابق الإشارة إليها على بعض مشاكل السياسة الدولية التي تواجهنا، فان هذه النظرية تشرح لنا كيف يبرر بعض أعضاء الكونجرس الأمريكي تناقضهم الظاهر في آرائهم الخاصة بالحرب في الشرق الأوسط وفي فيتنام رغم توافر المعلومات الصحيحة لديهم.

إنهم يقفون موقف الصقور Hawks دفاعاً عن إسرائيل ويقفون موقف الحمائم Doves بالنسبة لفيتنام.. "ويبررون" ذلك بأنه ليس هناك في موقفهم تناقض، ذلك لأن

---

(١٨٥) يمكن الرجوع للتفاصيل وتلخيص الإنتاج الفكري والنظريات المتعلقة بهذا الموضوع في المرجع التالي :

Cohen, Arthus R. **Attitude Change and Social Influence**. New York. Basic Books 1964 (Chapter on : the Effects of Enforced Behavior).

إسرائيل تشتري الطائرات بينما تتوقع فيتنام الجنوبية أن تعطيها الولايات المتحدة هذه الطائرات بالمجان، كما أن إسرائيل دولة ديموقراطية - في رأيهم - بينما فيتنام الجنوبية يحكمها نظام عسكري*. كما أن التهديد السوفيتي في الشرق الأوسط هو أكبر أنواع التهديد الذي تواجهه أمريكا في رأي هؤلاء - في العالم منذ أزمة الصواريخ في كوبا(١٨٦).

وترد مجلة تايم نفسها التي نشرت هذا المقال على ذلك بأن منطق هؤلاء "مهزوز" بل إن بعض من يسمون أنفسهم "صقوراً" من بين الموقعين على طلب تزويد إسرائيل بالطائرات، بعض هؤلاء يتشككون في المنطق الذي دفعهم للتوقيع على هذه العريضة، وقد دفع هذا التحفظ بأحدهم - وهو جولدبرج - إلى أن يبرر توقيعه على هذه العريضة بقوله "إنني لا أعرف ناخباً من فيتنام الجنوبية في أمريكا" أي أن هناك في أمريكا يهودا لهم ولاء لإسرائيل يفوق ولاءهم للولايات المتحدة ذاتها.

(*) ولسنا ندري لماذا تدافع أمريكا - بهذا المنطق - عن حكام فيتنام الجنوبية العسكريين ؟

(186) Time Magazine, June 15, 1970, p. 31.

الفصل السابع والعشرون

استطلاعات الرأي العام في الدول المختلفة

وتكوين الرأي العام العالمي

لقد حققت عملية استطلاعات الرأي العام وقياسه نجاحاً عملياً ملحوظاً في دول مختلفة خصوصاً في العشرين عاماً السابقة.. واعتمدت هذه القياسات على القوانين العلمية والإحصائية المناسبة. وقد شجع هذا التطور فريقاً من العلماء الباحثين، على اعتبار قياسات الرأي العام الوطني سبيلاً إلى التعرف على الرأي العام العالمي واستطلاعه. ولكن هل نحن نقارن شيئاً واحداً في استطلاعات الرأي العام الوطني في دول مختلفة ؟ وماذا عن العوامل المؤثرة في تكوين الرأي العام العالمي، خصوصاً بالنسبة للجماعات المرجعية والأقليات الوطنية المؤثرة في كل بلد ؟ وهل يمكن أن تعبر كل هذه الآراء الوطنية عن صوت واحد للإنسانية؟. هذا ما سنناقشه فيما يلي:

أولا - هل نحن نقارن شيئاً واحداً في استطلاعات الرأي العام الوطني في دول مختلفة ؟

إن انتشار عملية قياسات الرأي العام على المستوى الدولي ربما تشير إلى أن ظاهرة الرأي العام نفسها قد أصبحت ظاهرة عالمية، ولكن هذه القياسات والاستفتاءات عملية مختلفة ومتميزة عن فكرة الرأي العام كتمثيل جماعي. كما أن القياسات تختلف وتتميز عن فكرة الرأي العام كقوة تتفاعل مع غيرها من مصادر القوة الوطنية.

إن قياسات الرأي تتطلب أن يكون هناك مجتمع محدد وجمهور تتم معاينته داخل كيان سياسي معين. كما تتطلب هذه القياسات أن تكون هناك معايير ومعان وخبرات مشتركة بين الجمهور موضوع الاستفتاء بالإضافة إلى وجود نظام سياسي اجتماعي يعترف الجمهور نفسه بصفته الموحدة.

فهل هذا النظام الاجتماعي موجود اليوم على نطاق عالمي واسع ؟ هناك في الواقع علامات معينة تشجع الآمال الحذرة التي تطمع في وجود مجتمع دولي، وتتمثل في الاتجاه نحو الرموز الثقافية العالمية الواحدة وتضاؤل المسافات بسبب وسائل الاتصال بين مختلف الأقطار، فضلاً عن تزايد اعتماد الاقتصاديات القومية على بعضها البعض، وتوسيع التبادل التجاري بينها وغير ذلك من التطورات التي أدت إلى الزيادة الهائلة في حركة الأشخاص والأفكار عبر الحدود الوطنية، ولكن المثل السياسية المتعلقة بنظام عالمي واحد مازالت بعيدة المنال(١٨٧).

إن الخطوات التي تتم في بحوث مسح الرأي العام يمكن أن تساعد على خلق الوهم القائل بأن الآراء عالمية ودولية نظراً لإمكان تتبع هذه الآراء من دولة إلى أخرى. وتذاع نتائج الاستفتاءات غالباً كنسب مئوية دون اعتبار لدرجة اعتناق هذه الآراء وشدتها وثباتها(١٨٨). وعلى ذلك فعندما تنشر هذه النتائج الشاملة لدول مختلفة، يكون هناك انطباع بأن الإجابات المتشابهة للأسئلة الواحدة تعكس دلالات متشابهة، وليس ذلك صحيحاً. لأن الإجابات المتشابهة يمكن أن تصدر عن أسباب مختلفة تماماً، أي أنها تعكس محتوىً ومضموناً ومعنىً ثقافياً مختلفاً تماماً. فالإجابة " نعم " في إيطاليا وإنجلترا مثلاً يمكن أن تعكس في واقع الأمر، اعتقادات راسخة في إحدى الحالات، أما في الحالة الأخرى فمجرد ترديد لوجهات النظر السائدة، كما تعبر عنها أجهزة الدعاية الجماهيرية الوطنية. وعادة

---

(١٨٧) الدراسة وجهة نظر متفائلة بالنسبة للنظام العالمي يرجع للمقال التالي :

Th. Ruyssen. ((Existe-t-il une Opinion International ? ((**L'Esprit International**, No. 45 (January, 1938), pp. 71-89.

(١٨٨) إن تجهيز نسب مئوية عن طريق جمع الأعداد التي قالت ((نعم)) أو ((لا)) لا يمثل الوزن النسبي للأشخاص الذين أجابوا على الاستفتاء ، فبعض هؤلاء يمكن أن يكون من الصفوة القائدة وبعضهم من الجمهور القارئ (أو المثقف) أو قطاع الجمهور العام المنساق ، على اختلاف نسب هذه القطاعات في الدول المختلفة . وحتى إذا أمكن التمييز بين هذه القطاعات الثلاثة فان الاستفتاء سيظل غير صحيح ، ذلك لأن الأسئلة الموجهة للجمهور تكون أسئلة بسيطة عادة ، بينما المشاكل الدولية مشاكل معقدة لا يمكن أن تكون الإجابة عليها عادة بـ ((نعم)) أو ((لا)) انظر Kulski,... Op. Cit.

ما تتجاهل الاستفتاءات التي تتم في دول مختلفة لأسباب عملية هذا الشكل من التمييز النوعي.

ومن جانب آخر، فهل نحن نتحدث عن شيء واحد عندما نقارن الرأي العام في مجتمعات تعيش على الكفاف وأخرى تعيش في وفرة ورفاهية وكفاية؟ هل تستقيم المقارنة بين مجتمع يتمتع بالحرية والديموقراطية والمساواة بمجتمع آخر يتخذ أقصى إجراءات القمع والقهر مع كل كلمة زائغة تنطق بها الشفاه الساخطة الحائرة؟ وأخيراً هل نحن نتحدث عن شيء واحد عندما نقارن الرأي العام في بلاد تعتبر الاستفتاءات وقياسات الرأي العام جزءاً مألوفاً من الحياة السياسية، وبلاد أخرى تعتبر حالة الرأي العام نفسها كقضية اختلاف في الرأي بين الخبراء؟

إن الاختلاف الكبير بين المجتمع العالمي الذي نتصوره معبراً عن الوحدة النفسية للإنسانية وعن طموحات الأفراد الأولية المتمثلة في سعيهم للحرية وللقوة وللامتياز الاجتماعي طبقاً للنماذج الثقافية السائدة في كل مجتمع[١٨٩] وبين واقع الأمر الذي يتمثل في وجود مجتمعات مختلفة ليس بين أفرادها خبرات مشتركة ولا تجمعها مقننات أخلاقية أو طموحات سياسية عالمية واحدة ـ هذا الاختلاف بين الصورة والحقيقة هو الذي يزودنا بالدليل على عدم إمكانية وجود رأي عام عالمي لواقع تركيب الإنسانية المعاصر.

---

(١٨٩) ينبغي أن يدرب الباحث المهني الذي يقوم بعمل قياسات الرأي العام في أقطار مختلفة على تجنب المصطلحات التي يمكن أن تكون جزءاً من الكلمات المستخدمة في محيطه السياسي ((كالعالم الحر)) ((بناء الاشتراكية)) . الخ ، وعلى الارتفاع عن تحيزاته الشخصية أو الوطنية ، ومع ذلك فان السذاجة السياسية المتضمنة في مثل هذه المصطلحات يمكن أن تدخل في الأفكار العامة التي تشكل تخطيط وتحليل البحث، وعندما تدخل الكليشيهات السياسية والكلمات التي لا معنى لها في لغة بحوث الرأي فإنها تؤدي إلى تشويه بائس لآراء الشعوب وتحجب الحقيقة ، لا عن القائم بالبحث فحسب ، بل عن أولئك الذين يأخذون هذه الدراسات مأخذ الجد ، كعامل مؤثر على نمو وتطور الرأي الدولي . أنظر

Bogart, Leo, Op. Cit.,

ثانياً - العوامل المؤثرة في تكوين الرأي العام العالمي:

هناك عوامل كثيرة تدخل في تكوين وتشكيل الرأي العام الوطني، وقد ناقشنا تلك العوامل بالتفصيل عند حديثنا عن تكوين الرأى العام (فى كتابنا عن الرأى العام). وسنكتفى فى هذا المقام بالإشارة إلى بعض الجوانب المتصلة بتكوين الرأي العام العالمي:

(أ) الجماعات المرجعية والرأي العام العالمي :

يعبر الأفراد عادة عن الآراء السائدة في جماعاتهم المرجعية[١٩٠] التي ينتمون إليها، ولكن الفرد غالباً ما يكون عضواً فى عدد من الجماعات المختلفة، هؤلاء يمكن أن تكون لهم آراء متعارضة، وسيتعرض الفرد بذلك لما يسمى بالضغوط الداخلية أو التمزق الداخلي Crosspressures.

وعلى الصعيد الدولي، فان إحدى الدول الكبرى، يمكن أن تؤدي وظيفة الجماعة المرجعية للأحزاب أو الهيئات في بعض البلاد الأجنبية (الاتحاد السوفيتي أو الصين الشعبية بالنسبة للأحزاب الشيوعية في البلاد الأخرى).

ويمكن أن توجد أيضاً الجماعات المرجعية السلبية Negative reference groups وذلك عندما تعارض دولة (كالولايات المتحدة مثلاً) موقفاً معيناً. لأن الدولة المنافسة (الاتحاد السوفيتي) تؤيد هذا الموقف، وليس بسبب اقتناع الدولة الأولى بأسباب موضوعية للمعارضة.. وهكذا.

---

(١٩٠) لقد أثبتت دراسات الرأي العام أن توزيع الآراء الفردية بالنسبة لمسألة معينة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجماعات المرجعية التي ينتمي إليها هؤلاء الأفراد داخل الجمهور موضوع البحث ـــ أي أن الآراء الفردية ليست موزعة بطريقة عشوائية بين الجمهور ـ انظر :

Lazarsfeld, P.F., Berelson Bernard and Hazel Gaudet. In the People's Choice. Columbia University Press, 1948, pp. 25-7.

والوضع الأخير يمثل عاملاً في تكوين الرأي العام بالنسبة للقضايا الدولية، لأنه يجعل الكثير منا يدافعون عن وجهة نظر معينة، لأن أعداءنا يقفون من هذا الرأي موقف المعارضة(١٩١).

وما نخرج به من هذه الدراسة على كل حال، هو أن الجماعة المرجعية لكل منا، تعتبر أساس رأيه ومنطلق تفكيره وليست الإنسانية أو الجنس البشري كله، كما قد نتصور بالنسبة للرأي العام العالمي.

(ب) الأقليات الوطنية والرأي العام العالمي :

إذا كان الرأي العام الوطني، بالنسبة للشئون الخارجية، يعني رأي أغلبية المواطنين المبني على المعلومات الصحيحة، فان هذا الرأي لا وجود له، والرأي العام الوطني المؤثر في واقع الحال هو رأي الأقلية في كل بلد، وينسب رأي هذه القلة للبلد كلها..

والدور الذي تلعبه الصفوة لا يضع الديموقراطية في خطر، مادام باب الصفوة هذه مفتوحاً لكل مؤهل لأن يكون واحداً منها، ومادام النظام الاجتماعي يسمح بذلك، وبالمقارنة فإن الصفوة السياسية في الدول الديكتاتورية لا يستطيع أن ينضم إليها أو ينافسها أحد. كما ينبغي ألا يفوتنا في كلتا الحالتين دور الخبير باعتباره متخصصاً في مشكلة معينة، وهذا الدور لا تستطيع الصفوة أن تقوم به، فرأي الخبير لا يحجبه أو ينقضه عادة إلا رأي خبير آخر.

وإذا كانت الآراء السائدة داخل الأقلية المتميزة (الصفوة) هي التي تعتبر مساوية الرأي العام الوطني(١٩٢) فإن مجموع كل هذه الآراء الوطنية سوف لا يكون صوتاً واحداً للإنسانية كلها، لان الأقليات الوطنية المتميزة تلك تكون أصواتاً كثيرة متعارضة.

---

(191) Klineberg, Otto. The Human Dimension in International Relations, New York, Holt Rinehart, Winston, 1964 pp. 100-9

(١٩٢) عندما سئل بعض سكان القرى البرازيليين - معظمهم أميون - عن طموحاتهم ((التسخصية)) أي الأمور التي تتصل بخبراتهم اليومية ، فإن نسبة غير المستجيبين للاستفتاء كانت ١٢٪ فقط ،

ونظرة سريعة للتعليقات المختلفة بالنسبة لنفس الحدث في جريدة نيويورك تايمز، ولندن تايمز ولوموند (Le Monde) الفرنسية والبرافدا السوفيتية، سوف تكشف لنا كيف تؤدي النظرة الوطنية إلى آراء متعارضة متناقضة. ولا سبيل لاحتكاك هذه الآراء ببعضها البعض للوصول إلى رأي عام عالمي.

(جـ) الرأي العام الوطني الجامع والرأي العام العالمي :

إن المناقشة ــ التي تعتبر في رأي الكثيرين أحد عناصر الرأي العام الأساسية ــ لا تكون مجدية إذا كانت بين جماعات تختلف فيما بينها اختلافاً جوهرياً وأصيلاً، إذ لابد أن يجمع هذه الجماعات قدر مشترك من القيم الأساسية داخل إطار كبير يسميه البعض بالرأي الجامع في الجماعة ويسميه البعض الآخر الاتجاه العام المستقر (الشيوعية في روسيا أو الإسلام في البلاد العربية.. الخ).

وهذا الرأي الجامع في بلد معين يختلف عادة عن الرأي الجامع في بلد آخر، كما أن هذه المناقشة بين الجماعات ممكنة على الصعيد الوطني للوصول إلى الحلول ــ والحلول الوسط ـ التي يمكن أن تجد لها تأثيراً على القرارات السياسية الوطنية، ولكن

وعندما كانت الأسئلة أكثر شمولا ، أي تتعلق ببلادهم فان نسبة ((لا أعرف)) قفزت إلى الثلث ، وعندما شمل الاستفتاء المسرح الدولي فان معظم هؤلاء قد تخلفوا عن الإجابة ، فثمانية من كل عشرة لا يستطيعون تسمية أي قطر يجب أن تتعاون معه البرازيل، ٩٥٪ لا يعرفون رئيس الولايات المتحدة ، وليس هذا الأمر قاصراً على البرازيل فأكثر من ٨٠٠ مليون من البالغين أميون لا يعرفون القراءة والكتابة ، وربما تنسحب عليهم مثل الإجابات السابقة . كما أن الجهل بالشئون الدولية ليس مشكلة الدول النامية أو المتخلفة وحدها بل تنسحب هذه المشكلة على الولايات المتحدة ذاتها ، ففي دراسة أجريت بعد انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ١٩٥٤ عن القيم والمعتقدات السياسية فان بعض الأسئلة الخاصة بالمعلومات أثبتت أن ٤٣٪ من الأمريكيين لايعرفون اسم أوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة حينذاك : ٢٥٪ لم يسبق أن سمع أوقرأ عن حلف ناتو وأن ٤١٪ منهم فقط أجابوا بأن الاتحاد السوفيتي ليس عضواً في حلف ناتو . وعلى ذلك فيرى الكثيرون أن فكرة الصفوة المتعلمة التي يختلف حجمها في كل بلد والتي نسميها ((الرأي العام المطلع)) هي التي تعتبر ذات ثقل نوعي انظر :

Hoffman. A.S. (ed) **International Communication and the New Diplomacy.** Bloomington, Indiana University Press, 1968, pp. 48-63.

المناقشة على الصعيد الدولي لا تتم بين أفراد وجماعات بل هي تتم - إذا تمت - مع ممثلي الحكومات الوطنية، وبالتالي فالرأي العام العــالمي، إذا كـان حـاصل جمـع الآراء المؤثـرة الوطنية فلا نستطيع تحقيقه. وإذا كان - وهذا هو المرجح - حاصل ضرب آراء المواطنين والجماعات في مختلف الأقطـار ـ أي محصلـة الآراء المتباينـة ـ فـان هـذا الـرأي العـام العالمي لا يمكن أن نصل إليه.

الفصل الثامن والعشرون

النماذج الجاهزة الوطنية

وتجارب مسح الرأي العام على المستوى العالمي

تقديم :

نتناول في هذا الفصل دراسة النماذج الجاهزة الوطنية، باعتبارها رموزاً مستخدمة بصورة كبيرة في عملية تكوين الرأي الشعبي، وبالتالي في تشويه قياسات الرأي العام والتشكيك في دقتها وصحتها، وذلك عندما تتم هذه القياسات في دول ذات نظم اجتماعية وسياسية واقتصادية مختلفة.

ومع ذلك فسنحاول في الجزء الأخير من هذا الفصل تحليل أول مسح للرأي العام يتم على مستوى معظم سكان الأرض، ولكنه لا يتناول القضايا والمشاكل السياسية والاجتماعية التي تختلف عليها الحكومات والشعوب عادة دفاعاً عن مصالحها الوطنية أو من أجل بسط نفوذها وزيادة قوتها حيال أعدائها..

أولاً ـ النماذج الجاهزة الوطنية وقضية التفاهم الدولي :

هناك ميل لدى العديد من الهيئات والأفراد على المستويين الوطني والدولي إلى وضع مشروعات وبرامج مثالية، تهدف إلى التفاهم الدولي.. ولا تأخذ هذه البرامج في اعتبارها أن مشكلة التفاهم الدولي مشكلة بالغة التعقيد، ليس من اليسير العثور على حلول لها.. وبعض جوانب تعقد المشكلة يأتي من أن الشعوب لا يرى بعضها بعضاً في كثير من الأحيان إلا عن طريق النماذج الجاهزة الجامدة، أي عن طريق تصورات واتجاهات مسبقة مشوهة، وهذه التصورات والاتجاهات المسبقة هي التي تؤدي إلى سوء التفاهم أو الاحتكاك أو الحرب في أوقات معينة وتحت ظروف محددة، ولم تعد الحرب نزهة لبعض

القادة المتهورين أو الطموحين، ولكنها حين تحدث ـ وخصوصاً بين الدول الكبرى ـ فإنها قد تؤدي إلى استئصال الجنس البشري من فوق الأرض.

ونحن قد نرى النماذج الجاهزة كشيء سيئ ومدمر للإرادة الطيبة، شيء مشوه ومتحيز.. الخ، أي أننا نرى النموذج الجاهز هذا، كعائق غير حقيقي يفرق بين الشعوب، وهذا في حد ذاته نموذج جاهز عن النماذج الجاهزة، وقد يكون النموذج الجاهز هذا مؤيداً ومتوافقاً مع شعب معين.. وهذا النموذج الجاهز ضار أيضاً بل وخطر بالنسبة لقضية التفاهم الدولي. كما أن عملية التفكير ذاتها عملية مجردة، وقد تتميز بالاختيار والتركيز على بعض الصفات أو بعض جوانب الحقيقة التي تتلائم مع أفكار الشخص المسبقة، أي أن عملية التفكير ذاتها قد تكون عملية ملائمة مع النماذج الجاهزة لدى الشخص وبالتالي لدى الرأي العام.

هذا ونحن نلاحظ أن الذين يهتمون بموضوع النماذج الجاهزة الوطنية هم عادة أصحاب وجهات النظر البسيطة الساذجة، ذلك لان هؤلاء ينظرون إلى الأمم والشعوب نظرة شمولية بسيطة، فيقولون مثلاً بان هذا الشعب جدير بالحياة وأنه لن يقهر، وان هذه الأمة متحضرة وتلك متخلفة.. وهذه النظرة الشمولية البسيطة أسهل في التفكير، من غير شك، من البحث والتدقيق عن حقائق المعلومات والاتجاهات والانطباعات الخاصة بالمواطنين كأفراد في أمة معينة وتميزها عن تلك التي يعتنقها الأفراد والمواطنون في أمة أخرى.

ولكن هذا النوع من التفكير المدقق هو سمة الباحثين والمحللين والعلماء وليس سمة التفكير الشعبي أو الفردي العام.. أي أن التفكير بصورة شمولية وعامة لا يمكن الاستغناء عنه، ومن هنا أهمية الصورة الجزئية أو النماذج الجاهزة التي يتبناها المواطنون عن غيرهم من الأمم والشعوب.

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين[193] يحبذون – للتقليل من ضرر النماذج الجاهزة - أن يتعود المواطنون على التفكير الفردي، أي على رؤية المواطنين في بلد آخر كأفراد لا كجماعة، وأن يزيد الصمت وتقل أسباب الاتصال ليقل الاحتكاك بين الدول وبالتالي تتغير ببطء الاتجاهات لدى الأفراد، إلا أن رأي الباحثين هذا يعتبر رأياً غير واقعي أمام التقدم التكنولوجي الهائل في أساليب الاتصال في عصرنا الحاضر.

وباختصار يمكن الإشارة إلى علاقة الصور الجاهزة الوطنية بالتفاهم الدولي فيما يلي:

١ – تعتبر عملية التفاهم عملية معقدة للغاية، وبالتالي فلا تستطيع الدولة(أو الجماعة الموجودة بها) تحقيق التفاهم الدولي عن طريق تحسين صورتها في الدول الأخرى فقط.

٢ – النماذج الجاهزة أو التصورات المسبقة التي لدى المواطنين في دولة معينة، تكون عادة متحيزة وغير كاملة وغير متوازنة.

٣ – إذا كنا سنتناول النماذج الجاهزة بطريقة علمية، فينبغي ألا نركن إلى التعميم والتفكير الشمولي، بل ينبغي أن نرى النماذج الجاهزة لدى المواطنين كأفراد، يختلفون فيما بينهم عن الصورة التي يرونها للشعوب الأخرى، ولكن ذلك التحليل أمر عسير على المواطن العادي، ومن هنا وجب الاعتراف بأهمية النماذج الجاهزة كجزء من التفكير والاتصال بين الشعوب والأمم.

٤ – إن الاعتراف بعدم كفاية وعدم اكتمال النماذج الجاهزة النمطية الوطنية أمر ضروري لدارسي الاتصال والإعلام، وذلك لوضعه في الاعتبار عند إعداد حملته الإعلامية.

(193) John C. Merrll, ((National Stereotypes and International Understanding ((In **International Communication** pp. 191-196.

ثانياً - كيف ترى الشعوب بعضها بعضاً :

لقد قامت هيئة اليونسكو الدولية بدراسة للتعرف على الطريقة التي يتصور بها المواطنون في دولة معينة المواطنين في دولة أخرى، وذلك بطرح السؤال التالي على عينة من ثماني جنسيات مختلفة "ما هي الأوصاف التي تنطبق على الشعب الأمريكي من بين قائمة الكلمات الموجودة على هذه البطاقة" ؟

وكانت الكلمات الموجودة في القائمة هي : مجد في عمله - ذكي - عملي - مغرور - كريم - قاس - متخلف - شجاع - يتحكم في ذاته - مسيطر - تقدمي - محب للسلام - من المستحيل وصفه..

ثم تم تكرار هذه العملية بإحلال الشعب الروسي مكان الشعب الأمريكي ثم كل شعب من الجنسيات الست الأخرى.. وتظهر نتائج هذه الدراسة في الجدول التالي..

ومن هذا الجدول يتضح اختلاف تصور كل شعب للشعب الآخر، واختلاف نظرة الشعوب بعضها لبعض، ويرد كثير من الباحثين ذلك إلى القوالب المصبوبة أو النماذج الوطنية الجاهزة Stereotypes التي يكونها ويقوم بتوفيقها كل شعب لنفسه بالنسبة للشعوب الأخرى.. وهذه النماذج الجاهزة الجامدة لها علاقة وثيقة بالاتجاهات المرغوبة أو غير المرغوبة بل هي أحد مكونات هذه الاتجاهات..

ثالثاً - أول مسح للرأي العام

على مستوى العالم :

لقد تم هذا المسح في سبعين دولة بست قارات، ويمثل سكان هذه الدول ثلثي الجنس البشري، ولا يشمل هذا المسح الدول الشيوعية ومعظم الدول العربية وبعض الديكتاتوريات العسكرية، لأن هذه الدول - كما يقول التقرير المنشور عن المسح[١٩٤] - لا تسمح بإجراء مسوحات الرأي العام.

(194) George H. Gallup, ((What Mankind Thinks About Itself,)) Reader's Digest, October, 1976; pp. 132-6

الجدول رقم (١) : كيف ترى الأمم بعضها البعض: النماذج الجاهزة الجامدة الوطنية

النسبة المئوية للمستجيبين فى كل بلد ممن اختاروا الصفات المذكورة بالجدول

البلد الذى أجرى فيه البحث	أستراليا			بريطانيا		ألمانيا			الولايات المتحدة								
المستجيبون / الصفة	بريطانيون	روس	استراليون	امريكيون	روس	إنجليز	فرنسيون	صينيون	امريكيون	روس	ألمان	إنجليز	فرنسيون	صينيون	روس	إنجليز	امريكيون
مجد فى عمله	٣٣	٥٢	٤٣	٣٢	٥٣	٥٦	٢٤	٤٠	١٩	١٢	٩٠	١٣	٤	١٨	٤٩	٤٣	٦٨
ذكى	٤٦	١٦	٥٣	٣٨	١٢	٥٢	٣٢	١٧	٣٤	٤	٦٤	٣٤	٢٢	٦	١٢	٤٩	٧٢
عملى	٤٩	١٩	٤٩	٣٨	٢١	٤٧	٢٠	١١	٤٥	٨	٥٣	٢٠	٥	٣	١٣	٣٢	٥٣
مغرور	٤٢	١٤	١٧	٥٢	١٣	١١	٢٩	٢	١٥	٣	١٥	٢٣	٢٠	-	٢٨	٣٨	٢٢
كريم	٤٠	٤	٦٣	٥٢	٣	٤٨	١٤	٧	٤٦	٢	١١	١٤	٥	١	٣	١٣	٧٦
قاسى	٢	٣٧	-	٣	٣٩	١	٥	١٨	٢	٤٨	١	٣	١٠	٦	٥٠	٣	٢
متخلف	٣	٢٨	٩	٤	٣٦	٦	٩	٣٧	١	٤١	٢	٣	١٠	١٢	٤٠	١١	٢
شجاع	٢١	٣٦	٥٧	١٩	٣١	٥٩	١٤	٢١	٦	١١	٦٣	٨	٧	٦	٢٨	٤٣	٦٦
يتحكم فى ذاته	١٨	١٥	٢٦	١٠	٩	٤٤	٣	١٥	١١	٣	١٢	٢٤	٥	٥	١٤	٣٥	٣٧
مسيطر	٢٣	٥٧	٤	٣٧	٤٢	٦	١١	٢	١٠	١٢	١٠	٢١	١٢	١	٤٩	٣٣	٩
تقدمى	٧٧	٢٥	٣٩	٥٨	٢١	٣١	١٤	٨	٥٨	٢	٣٩	١٧	٧	١	١٥	٢٥	٧٠
محب للسلام	٤٢	٧	٧١	٣٩	٦	٧٧	٢١	٢٢	٢٢	٥	٣٧	١٥	١٢	٥	٧	٤٢	٨٢
مستحيل وصفه		+	+	٨	١٨	٥	٣٠	٣٢	١٧	٣٤	٥	٣٤	٤٩	٧١	١٧	١٥	٣
المتوسط العددى للصفات																	
الإيجابية	٣و٣	١و٦	٤	٣	١و٦	١و٤	١و٤	١و٤	٢و٤	و٥	٣و٧	١و٤	و٦	و٤	١و٤	٢و٨	٥و٢
السلبية	و٧	١و٣	و٣	صفر	١و	١و٢	و٥	و٦	و٣	١	و٣	و٥	و٥	و٢	١و٧	و٩	و٤
لم تبوب:																	

Source

"البحث معد تحت إشراف اليونسكو" Buchanan, how Nations See Each Other, University of Illinois Press,Urbane,1953,PP.46-47

البلد الذي اجري فيه البحث	فرنسا			ايطاليا			هولندا			النرويج					
الناس الموصوفون	امريكيون	روس	فرنسيون	امريكيون	روس	ايطاليون	امريكيون	روس	هولنديون	انجليز	فرنسيون	صينيون	امريكيون	روس	نرويجيون
- محدد في عمله	٣٧	٥١	٤٦	٣٩	٢٢	٦٧	٤٩	٣٦	٦٢	٢٣	٦	١٢	٥٦	٣٦	٤٣
- ذكي	٣٧	١٥	٧٩	٣٤	١٣	٨٠	٣٣	٨	٤٩	٢٢	٨	٧	٣١	٦	٣٢
- عملي	٨١	١١	١٧	٥٩	٥	٢٤	٦١	٦	٣٦	٢٤	٥	٣	٥٤	٩	٢٢
- مغرور	٢٤	١٤	٣٠	٢٢	١٢	٢٤	١٥	١٠	١٤	٢٤	١٠	٢	١١	٧	٢١
- كريم	٣٤	٧	٦٢	٦٠	٥	٤١	٤٠	٣	٢٣	٧	١٦	٢	٣٩	٥	١
- قاسي	٤	٤١	-	٣	٥٥	٣	٢	٥٣	-	٣	٢	١٢	١	١٩	٧
- متخلف	٢	٥٦	٤	٢	٥٨	٧	١	٤٣	١	٢	٨	٢٠	١	٢٥	٤٢
- شجاع	٢٦	٤٢	٥٦	١٨	٢٢	٤٥	٢٥	٢١	٣٧	٢٠	٢٠	٩	١٦	٢٠	٢١
- متحكم في ذاته	٣٤	٩	١٢	١٦	٤	٥	١٦	٣	٣٦	٣٤	٣	٩	١٥	٥	٣
- مسيطر	٤٦	٤٩	٤	١١	٤٥	٨	١٦	٥٠	٥	٢١	٥	٢	١٠	٥١	٢٧
- تقدمي	٧٥	١٩	٣٤	٣٢	١٣	١٧	٥٧	١٥	٤٣	١٧	١٠	٤	٤٢	٧	٦٩
- محب للسلام	٢٦	١٠	٦٩	٢٩	٦	٢٧	٤٠	٦	٦٨	٢٦	١٥	٩	٣٥	٧	٨
- مستحيل وصفه	٤	١٢	٣	٩	٢٠	٧	١٠	١٣	٨	٢٢	٤٦	٥٤	٢,٩	٣٠	٨
- المتوسط العددي للصفات															
- الايجابية	٣,٥	١,٦	٣,٧	٢,٩	٠,٩	٣,٢	٣,٢	١	٤,٦	١,٧	٠,٨	٠,٥	٠,٢	٠,٩	٩٢,٠
- السلبية	٠,٨	١,٦	٠,٤	٠,٤	١,٧	٠,٣	٠,٣	١,٦	٠,٢	٠,٥	٠,٢	٠,٤		٠,٨	٠,٣

لقد أشرف جورج جالوب على هذا المسح الأول من نوعه، ويقول جالوب عنه، أنه أعظم مسح اشترك فيه طيلة حياته المهنية في هذا المجال، وقد قام بهذا المسح ثلاثون باحثاً يتبعون معاهد جالوب الدولية للبحوث بالاشتراك مع مؤسسة شارز كترنج Ketternig التي مولت المشروع.

لقد تطلب هذا المسح القيام بعشرة آلاف مقابلة، وتعتبر هذه العينة ـ حسب المعدلات العلمية ـ عينة كبيرة نسبياً، لوحظ فيها تمثيل جميع قطاعات المجتمع، فضلاً عن أن هذه المقابلات قد شملت جميع الأجناس والديانات والمهن، والمستويات التعليمية والاجتماعية ومستويات الدخل المتباينة.. وكانت المقابلات داخل بيوت المواطنين في الدول المختلفة، وبلغتهم أو لهجتهم التي يتحدثون بها.. واستجابة لحوالي مائة سؤال في الاستبيان..

لقد كان الهدف الذي وضع من أجله هذا البحث، هو التعرف على الرأي العام في دول مختلفة، وتقييم مدى إحساس الأفراد في هذه الدول بالسعادة، والتعرف على طموحاتهم ومشاكلهم ومشاغلهم بالإضافة إلى التعرف على اتجاهاتهم إزاء بعض القضايا الدولية..

وهنا ينبغي أن نشير إلى الجهود المضنية التي بذلها الباحثون والخبراء من جنسيات مختلفة ولفترة تزيد على عام ونصف، للتقليل من غموض الأسئلة أو عدم وضوح المفاهيم للجماهير المتباينة، كما قام فريق البحث هذا باختبار مسبق موسع لهذه الأسئلة في الدول النامية ومع المواطنين الأميين.. ثم أصبحت هذه المفاهيم موحدة بالنسبة للجميع مهما كانت لغتهم أو مستوى تعليمهم، وذلك بعد مراجعتها عدة مرات.

وهنا يجب أن نقف لحظة لنتبين أبعاد الدراسة، أن هذه الأسئلة التي شملها المسح، لا تتطرق إلى القضايا الأساسية المختلف عليها بين الدول، كما أن هذه الأسئلة لا تتناول القضايا الدولية ذات الارتباط بالصالح القومي وببناء القوة الوطنية.. فضلاً عن أن المفاهيم التي تضمنتها هذه الأسئلة هي مفاهيم غير مرتبطة بالنظام الاجتماعي والسياسي

هي مفاهيم مرتبطة بالنظام الاجتماعي والسياسي للدول نظراً لاستخدام النظم الاجتماعية لمصطلحات واحدة ولكنها تعني مفاهيم مختلفة تماماً..

ومع ذلك فينبغي أن نشيد بهذا المسح الأول من نوعه لأنه يعتبر ثروة علمية هي محصلة جهد استمر اكثر من عامين ونصف وملأ ثمانية عشر مجلداً واتجاهات الناس حول العالم، وذلك بعد تجميعها ومراجعتها وتبويبها بالولايات المتحدة الأمريكية..

ويمكن أن نشير فيما يلي إلى بعض نتائج هذا المسح :

١ ـ رفاهية الإنسان المادية :

هناك حقيقة مسيطرة على المسح في مختلف أسئلته، وتتمثل في الفجوة الاقتصادية الواسعة، التي تفصل بين الدول الغنية والدول الفقيرة .. فقد ظهر أن أفقر ربع سكان العالم، يعيشون في مستوى دخل منخفض يقل عن مائتي دولار في السنة، وهناك حوالي تسعمائة مليون شخص يعيشون على حوالي (٧٥) دولار في السنة أي أقل مما يأخذه العامل الماهر في أمريكا في اليوم الواحد.

ولقد أشار ثلثا المستجيبين في أمريكا اللاتينية وأفريقيا والشرق الأقصى إلى أنهم مشغولون كل الوقت أو معظمه في الوفاء باحتياجات أسرهم المادية، كما أشار نصف هؤلاء إلى أنهم لا يجدون المال الكافى لإطعام أسرهم أو شراء ملابس لهم.. وهناك ما يقرب من نصف المواطنين المستجوبين الذين لا يستطيعون الوفاء باحتياجات المرض والعلاج.

وبالمقارنة، فعلى الرغم من شكوى المواطنين في أمريكا الشمالية وفي أوروبا الغربية، من غلاء المعيشة والتضخم إلا أن ثلاثة من كل أربعة، من الذين تمت معهم المقابلات، يعترفون بأنهم لا يفكرون في الأمور المادية إلا بعض الوقت، أو هم لا يفكرون فيها على الإطلاق..

٢ ـ رفاهية الإنسان النفسية :

لقد خرج علينا الفلاسفة والرومانسيون لقرون عديدة، بقصص وروايات عن مجتمعات "فقيرة ولكنها سعيدة".. ولكن هذا المسح الأول من نوعه على اتساع العالم، لم يستطع أن يثبت هذا الزعم بل ظهر أن الحرمان الاقتصادي يؤثر على الروح كما يؤثر على البدن، وأن الفجوة الاقتصادية التي تفصل بين الدول المتقدمة والعالم الثالث هي فجوة واسعة مادياَ، كما أنها واسعة نفسيا كذلك.

وإذا أخذنا بالمتوسطات، فان الناس في الدول الغنية (في أمريكا الشمالية وأستراليا وأوروبا الغربية)، يعتبرون أنفسهم أكثر سعادة، ويجدون المتعة في حياتهم، كما أن الهموم والمشاغل عندهم، أقل من غيرهم، فهم لا يريدون تغيير أماكن إقامتهم، وهم راضون عن حياتهم العائلية وعن بلادهم ومجتمعاتهم وتعليمهم وأنفسهم..

وبالمقارنة الصارخة، فمن بين الذين تمت معهم المقابلات، نجد أن ٢٩٪ فقط من المواطنين في أمريكا اللاتينية، ٨٪ من الأفريقيين و ٦٪ من الهنود، يعتبرون أنفسهم راضين تماماً عن حياتهم.

كما فندت الدراسة أو المسح، نظريتين أخريين لهما مؤيدون كثيرون.. وأولى هاتين النظريتين، أن سعادة الأمة ذات علاقة ارتباطية بكمية أشعة الشمس التي تتلقاها، وثانيتهما أن معدلات الانتحار تعتبر كشافاً موثوقاً به للدلالة على رضا مجتمع معين بحياته..

فكندا بشتائها الطويل ودول اسكندنافيا التي تعاني من قلة أشعة الشمس (باستثناء النرويج)، كما تعاني من ارتفاع معدلات الانتحار.. هذه الدول تقف في أعلى مراتب "الرضى والكفاية".. وقد أشار حوالي ٩٦٪ من سكان هذه البلاد بأنهم سعداء للغاية أو سعداء بدرجة متوسطة.. وهذه النسبة أعلى بكثير من نظائرها في بلاد البحر الأبيض المتوسط وفي أفريقيا وفي أمريكا اللاتينية ودول الشرق الأقصى، حيث تكثر أشعة الشمس وحيث تقل معدلات الانتحار إلى أدنى مستوى..

كما يشير المسح إلى أن الحياة الأسرية، هي مصدر سعادة ورضى الناس مهما كان دخل الفرد، وأن معظم المواطنين في أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية، سعداء بصورة عامة بوظائفهم ومهنهم.. بينما الحال عكس ذلك في معظم الدول النامية.. وهناك علاقة ارتباطية بين الدخل والمشاركة الاجتماعية.. فمن الملاحظ - طبقاً لهذا المسح - أن المواطنين في الدول المتقدمة يعلنون أن لهم خمسة أو أكثر من الأصدقاء المقربين، وكلما قل الدخل وقل التعليم قل عدد الأصدقاء المقربين نسبياً إلى اثنين أو واحد أو لا أحد على الإطلاق..

وقد أظهر المسح كذلك، أنه لا توجد أمة خالية من الجرائم بحيث لا يخشى الناس السير في شوارع ضواحي المدينة ليلاً (يلاحظ أن أقل نسبة موجودة في دول اسكندنافيا حيث يصل عدد الخائفين ٢٦٪) وقد أفاد ٢٤٪ من المستجيبين في أمريكا اللاتينية، بأن أمتعتهم قد سرقت، وأفاد ١٨٪ منهم أنهم قد تعرضوا لاعتداء اللصوص على بيوتهم وأن هناك اعتداء بدنياً وقع على ١٣٪ منهم..

كما أثبت المسح ارتفاع نسبة ومعدلات الجريمة كذلك في أفريقيا والولايات المتحدة الأمريكية.. وعلى العكس من ذلك في اليابان ودول البنلكس (بلجيكا ولكسمبرج وهولندا)، إذ تدنت هذه الأرقام إلى حد كبير.. كما ظهرت رغبة أغلبية الناس الواضحة في رفع وتحسين مستوياتهم المعيشية، ثم رفع مستواهم الصحي، وتأتي سعادة أسرة المواطنين وأطفالهم في المرتبة الثالثة من الأولويات..

أما معظم الهموم والمشاغل فقد تركزت في الخوف من البطالة وتدهور مستوى معيشة الفرد والخوف من المرض..

٣ - إلى أين يتجه الجنس البشري ؟

يعتقد الناس في معظم الدول التي تم بها المسح، أن حياتهم قد تحسنت خلال السنوات الخمس الأخيرة، وأنها ستتحسن أكثر خلال الأعوام الخمسة التالية.. هناك ثورة التوقعات في أفريقيا وأمريكا اللاتينية على وجه الخصوص، كما أن هناك اقتناعاً بأن التصنيع والمزيد منه هو الطريق للحياة الأفضل والرفاهية..ويتبنى الناس في مختلف هذه

الدول هذا الاتجاه حتى في البلاد التي قطعت شوطاً كبيراً في التصنيع (باستثناء إنجلترا وألمانيا الغربية) وأن سكان العالم الثالث يريدون مزيداً من الصناعات في بلادهم بنسب تزيد على ١:٢٠.

وعندما سئل السكان عن الرقم المثالي للأطفال في الأسرة اختار معظم الناس في الدول المتقدمة ما لا يزيد عن طفلين، أما سكان أمريكا اللاتينية والشرق الأقصى فان أكثر من ربع من تم استجوابهم رغبوا في أربعة أطفال على الأقل، بينما يريد ثلثا المواطنين في أفريقيا خمسة أطفال أو أكثر. ولعل اتجاهات المواطنين في هذه الدول بالنسبة لحجم العائلة يعتمد على عوامل عدة منها الجهل بوسائل الحمل أو المعارضة الدينية وروح الرجولة وحيويته التي تقاس بعدد أطفاله.. وهناك سبب آخر لعله أكثر أهمية وهو اعتماد الأمن الاقتصادي على حجم أفراد الأسرة، حيث يزيد عدد الأطفال من عدد الأيدي التي تعمل بالحقل وتعين الآباء عند كبر السن.

وعلى ذلك فان حملة تحديد النسل أو تنظيمه أو ضبطه ستذهب أدراج الرياح و ما لم يتم أولاً رفع معيشة الأفراد، وتقديم خدمات صحية أفضل لهم..

وهناك أمر محير وخطير في ذات الوقت، وهو اندفاع أبناء القرية للنزوح إلى المدينة في الدول النامية، حيث يعيش في الوقت الحاضر في المناطق الريفية حوالي ٧٣٪ من المجموع الكلي للسكان..

ويشير المسح إلى أنه إذا أتيحت للناس فرصة الاختيار، فان أكثر من نصف المواطنين الذين تمت معهم المقابلات، في أمريكا اللاتينية وأفريقيا والشرق الأقصى، سينزحون إلى المدن وخصوصاً المدن الكبرى. أما في الدول المتقدمة فالأمر على عكس ذلك تماماً ذلك أنه إذا أتيحت الفرصة أمام المواطنين في تلك الدول، فان أكثر من نصف هؤلاء سيفضلون العيش في القرى الصغيرة والمناطق الريفية..

وإذا ما استطاعت دول العالم الثالث أن تحزم أمرها، فان المناطق الريفية ستمتص أكثر من بليون مواطن جديد في العقد القادم.

٤ . بعض النتائج الأخرى ذات الانطباع الدولي :

هناك دلالات واضحة في المسح، تشير إلى زيادة اعتراف شعوب العالم بأهمية اعتماد الدول بعضها على بعض، فقد أيدت أغلبية الذين تمت معهم المقابلات بأن أسباب بعض مشاكلهم الوطنية، تعود إلى ما يحدث في الدول الأخرى، ولكن هناك شبه إجماع (باستثناء أفريقيا) بالنسبة لعدم إمكانية تحقيق الحكومة العالمية.

هذا وقد اشتمل المسح على أسئلة للتعرف على اتجاهات الناس نحو الدين، فهناك أغلبية واضحة تتراوح بين ٦٠٪ في بريطانيا إلى ٩٣٪ في أفريقيا تشير إلى اعتقاد الشعوب في وجود الله أو اعتقادهم في روح عليا عالمية مسيطرة (باستثناء اليابان)، أي ان الأغلبية تعتنق ديانة معينة، ومن بين الدول المتقدمة اقتصادياً، فإن الأغلبية في كل من الولايات المتحدة وكندا وإيطاليا، يعتقدون في الحياة بعد الموت وفي الله الذي يعبدون وفي الثواب والعقاب.

وفي الواقع فقد أظهر المسح أن الولايات المتحدة الأمريكية، تعتبر أكثر الدول الصناعية المتقدمة تدينا وذلك أن أغلبية الأمريكيين، يرون أن معتقداتهم الدينية، أمر على جانب كبير من الأهمية..

أما اليابان فهي الدولة الوحيدة خارج نطاق مجموعة الدول غير الشيوعية التي يغلب عليها الإلحاد و إذ أن هناك فقط حوالي ١٥٪ من الذين ينتمون إلى أي نوع من الديانات الرسمية..

وعلى الرغم من التفاصيل الدقيقة والشاملة، التي تضمنها المسح، إلا أنه لم يتطرق للعديد من اهتمامات ومشاكل الإنسانية، والأمل معقود في استمرار فريق البحث بقيادة ونوجيه جورج جالوب ومعاهده الدولية المنتشرة في بلاد عديدة، لتغطية هذه الموضوعات، وهم يتمنون في المرحلة المقبلة أن يتمكنوا من إجراء المسح في الدول الشيوعية والدول العربية حتى يمكن لمسحهم أن يكون عالمياً بحق..

وبعد، فقد أظهر تطور أساليب قياس الرأي العام ووجود شبكة عالمية في الوقت الحاضر من معاهد ووحدات القياس، إمكانية قياسات الرأي العام المستقبلية في شهور معدودات لا تكاد تتجاوز الثلاثة أشهر.

وإذا كان هذا المسح الذي قمنا بتحليله في هذه الصفحات، لم يتناول، كما أسلفنا مشاكل وقضايا الصراعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية بين الدول، فإن الأمل معقود في المستقبل بأن يتم المسح على نطاق عالمى شاملاً لمختلف الموضوعات التي تختلف عليها الشعوب في علاقتها بعضها ببعض، ولعل هذا المسح إذا تم بهذا الشمول أن يكون نقطة تحول بالنسبة لقضية التفاهم الدولي..

الفصل التاسع والعشرون

تكنولوجيا الاتصال الدولي والقيود المفروضة على الإعلام الوطني

أولاً: التطورات التكنولوجية في مجال الاتصال الدولي:

تسهم وسائل الإعلام الجماهيري في تشكيل اتجاهات الرأي العام إلى حد كبير، وليس معنى ذلك أن هذه الوسائل تعكس الرأي العام بصورة آلية، لكنه من العسير أن يتكون رأي عام في مجتمع معين دون وجود وسائل نقل الأفكار والمعلومات في هذا المجتمع على نطاق واسع[١٩٥].

وإذا كان مجتمع ما قبل محو الأمية، يمكن أن يوجد به شكل من أشكال الرأي العام، بالرغم من عدم توافر وسائل الاتصال الملائمة.. فان هذا الشكل من "الرأي" لا يمكن تمييزه عن المعايير الاجتماعية Social Mores.

وعلى النقيض من ذلك، فقد غيرت الإذاعة المرئية والمسموعة ـ في عصرنا الحاضر ـ من متطلبات رأي عام يعتمد على معرفة جماهيره بالقراءة

---

(١٩٥) يؤثر الرأي العام على وسائل الإعلام كما يتأثر بها، وتأثير الرأي العام يظهر في تبني الإعلام لشعار ((أعط الجمهور ما يريد)) أي أن الرأي العام يضع حدوداً على طبيعة الرسالة الإعلامية التي تنشر أو تذاع.. كما أظهرت كثير من البحوث التجريبية تأثير الاتصال على الرأي العام، ويمكن أن نذكر العوامل الخمسة في العبارة التالية كعوامل تسهم ـ على المدى البعيد ـ في وضع نظرية هذا المجال.
((إن بعض أنواع الاتصال، بالنسبة لبعض القضايا، التي تعرض تحت ظروف معينة، على بعض أنواع من الناس، يمكن أن يكون لها بعض أنواع التأثير على هؤلاء الناس)) أنظر المرجع التالي:
Berelson. Bernard, Communications and Public Opinion, In Communication in **Modern Society**, University of Illinois Press, 1948.

والكتابة، وقدمت الإذاعة للناس الأشخاص والأحداث والقضايا ، جعلتهم أكثر دراية بها من الزاوية الوطنية أو حسب تفسير السلطة لهذه الأشياء.

هذا وتميل النظم الإذاعية على النطاق الوطني الواسع، إلى خلق تجربة مشتركة مركزة، بينما تعتبر قراءة الصحيفة أو المجلة أمراً اختيارياً سواء من ناحية اختيار القارئ لمجلة أو صحيفة معينة أو اختياره لإحدى المواد المكتوبة في هذه الصحيفة أو المجلة... ومن هنا كان اهتمام السلطات الحكومية ـ في بلاد تختلف نظم الإعلام السياسي فيها ـ بملكية وسائل الاتصال الإذاعي والتحكم والرقابة عليها، أكثر من اهتمام السلطات بملكية الصحافة والرقابة عليها. كما يرى بعض الباحثين أن إطلاق بعض الدول المتقدمة للأقمار الصناعية المستخدمة في عمليات الاتصال Communication Satellites يعتبر حدثاً هاماً وخطيراً بالنسبة للاتصال الدولي، وخلق رأي عام على اتساع العالم كله World wide public opinion إذ سيصبح ممكناً خلال أعوام قليلة ـ من الناحية الفنية مع تعديلات طفيفة ـ أن ترسل (أو تبطل Jammed) الإشارات الخاصة بكل من الراديو والتليفزيون من أي مرسل Transmitter إلى أي مستقبل Receiver في العالم.

وأخيراً ينبغي لنا أن نشير إلى أن السينما قد أصبحت ـ منذ السنوات الأولى لهذا القرن ـ من أهم القوى التي تعمل على خلق الرموز العالمية، والإسهام في خبرات إنسانية مشتركة، وذلك لأن الأفلام ترى في الظلام وتحت ظروف تثير أقصى حالات التعاطف والتقمص Sympathy and Identification لدى الجماهير، التي تعيش كل منها ثقافة مختلفة وتتحدث بلغة غريبة في وسط جغرافي عن الآخرين.

كما أن الإذاعة التليفزيونية الفورية للأحداث ـ التي تجري في أي مكان بالعالم ـ قد حولت ما كان يعتبر، منذ جيل مضى، حدثاً محلياً.. إلى قضية لها انعكاساتها على نطاق عالمي.

ثانياً: بين تكنولوجيا نقل الرسالة الإعلامية ومحتواها:

على الرغم من هذه الثورة التكنولوجية الهائلة في عالم الاتصال، فيجب أن نميز بين عملية النقل التقنية والشيء الذي يجب أن ينقل، فالمؤمنون بالرأي العام العالمي

يهتمون بعملية الاتصال، ويتجاهلون المادة المنقولة ولا يكترثون بها. وليست المعلومات والأفكار التي يتناقلونها إلا الانعكاس للتجارب التي صاغت فلسفات مختلف الشعوب وشرائعهم الأخلاقية ومفاهيمهم السياسية. ولو كانت هذه التجارب ومشتقاتها الفكرية متماثلة في طول العالم وعرضه، لكان الانتقال الحر للمعلومات والأفكار سبباً في خلق رأي عام عالمي[١٩٦]

وعلى كل حال، فإلى أن تكتمل حلقات الاتصال الدولي كما تعكسها التطورات التكنولوجية الهائلة المتوقعة، وإلى أن تخضع نتائج هذه التطورات، ولفترة طويلة، للتحليل والتقييم على ضوء واقع التجربة والمشاركة فيها، فلا نستطيع إلا أن نأمل في أن يتكون "مزاج سياسى عالمى عام" كنتيجة لثورة الاتصال، ولوجود عدو مشترك للإنسانية كلها وهو أسلحة الدمار الشامل وربما يكون لهذا المزاج السياسي العام أثر في قبول أو رفض أنماط معينة من السلوك الدولي.

إن ما يمكن أن تسميه بالوحدة التكنولوجية للعالم والتي تتميز بالنمو السريع للقوى والوسائل التي تنقل الأفكار والمعلومات والثقافات بسرعة بالغة على نطاق يشمل الكرة الأرضية كلها، هذه الوحدة التكنولوجية للعالم، لم تخلق وحدة نفسية موازية لهذا التقدم بعد.

كما ينبغي لنا أن نشير إلى أن هذه التطورات التكنولوجية الهائلة في مجال الاتصال قد جاءت نتيجة لنمو نظم الاتصال الجماهيرية الوطنية، وليس نتيجة لتطور وسائل اتصال دولية لهيئة عالمية لها علاقة ارتباطيه بجمهور يعيش على اتساع العالم كله.

وأخيراً فيمكننا أن نقول بأن الفرد لا تكون له آراء عن الأحداث والقضايا التي لم تصل أنباؤها إلى عمله، وعلى ذلك فان وسائل الإعلام الجماهيري تعتبر أن أولئك الذين يتحكمون فيها هم "صناع الآراء".. لأنهم يعرضون على الجمهور مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية التي يكون الناس آراءهم عنها، كما يقوم

---

(١٩٦) مورجانتاو. هـ السياسة بين الأمم. القسم الخامس ص ٦.

القائمون على وسائل الإعلام بتفسير تلك القضايا والأحداث، بما يرونه من سياسات وحلول وبدائل تبعاً للقيم والمصالح الوطنية[١٩٧].

ثالثاً: بعض القيود المفروضة على الإعلام الجماهيري الوطني:

إذا كان هناك جمهور عالمي للمطبوعات والدوريات العلمية والفنية المتخصصة التي تصدر في أي مكان بالعالم(*)، وإذا كان هناك جمهور عالمي كذلك بالنسبة لبعض ألوان الفنون الحية في الأدب والرسم والموسيقى والمسرح فان هذا النوع من الجمهور الدولي لا يوجد في الحقيقة بالنسبة لوسائل الاتصال الجماهيري كما نعرفها، وذلك لأنه ما زالت هناك حواجز هائلة يتمثل بعضها فيما يلي:

١ ـ اللغة:

فمعظم الناس في معظم الأقطار لا يستطيعون التعامل والاتصال إلا بلغتهم الأصلية. وحتى بين هؤلاء الذين يعرفون لغات أخرى غير لغتهم الأصلية فان القليل منهم هم الذين لديهم الحماسة الفكرية أو الدافع القوي لسماع الإذاعات أو قراءة المطبوعات الموجهة في الأصل لجمهور آخر في وطن آخر[١٩٨]

---

(197) Rosenau, James N. Public Opinion and Foreign Policy. New York, random House, 1965, pp. 74-96.

(*) أي تلك التي تنقل المعلومات العلمية بين الباحثين والعلماء في الفيزياء والكيمياء.. إلخ.

(١٩٨) هناك استثناءات قليلة يجب أن نشير إليها. أن مجلة المختار (Reader's Digest) تصدر في أربع عشرة لغة ويصل توزيعها إلى ٢٧ مليون نسخة في الشهر الواحد وليس هناك مجلة يصل توزيعها خارج حدودها (خارج أمريكا) عن المليون نسخة سوى هذه المجلة، وعلى الرغم من أن الأستاذ كرستنسن أستاذ العلوم السياسية بجامعة ميامي في أوهايو قد حدد حوالي ٣٠٠ مقالة سياسية موجزة نشرت فيها في الفترة من ١٩٤٤ إلى ١٩٦٥ فان الانتشار الواسع لهذه المجلة بين شعوب مختلفة يعود إلى صدورها بلغتهم الأصلية وإلى اهتمامها بالمقالات ذات الاتجاه الروحي والديني والمعاونة الذاتية والقصص الغريبة عن الأطفال والحيوانات وغرائب الطبيعية، ولكن المجلة لا تجمع الشعوب حول قضايا سياسية وأيديولوجية مشتركة... وانظر:

- Mac Dougall, A. Kent Bible's Runner-up The Wall Street Journal, March 17, 1966.
- Christenson, Reo M. Report on the Reader's Digest. Columbia Journalism Review. Vol. 3 (No. 4), 1965, pp. 30-63.

٢ ـ اختلاف المعايير والقيم:

وهذا يؤدي إلى أن يكون للرموز في مجتمع معين معنى مخالف لمعناها في مجتمع آخر. كما أن هذه الرموز سوف لا تكون أهميتها متساوية لدى الشعوب المختلفة الثقافات، وربما كان هذا الجانب هو أكثر الجوانب خطورة نظرا لأن الناس تميل إلى أن تعزل نفسها عن التجربة والمعلومات التي لا تتفق مع ما هو مألوف لديها وما ترتاح إليه، وإذا أردنا أن نطلق على هذا النوع من الحواجز شكلا وظيفيا فهو حاجز سياسي وأيديولوجي في طبيعته.

٣ ـ الرقابة:

إذا كانت الحكومات ـ على اختلاف إيديولوجياتها السياسية تعمد إلى منع دخول بعض المطبوعات الأجنبية عبر حدودها الوطنية حتى تحمي مواطنيها من الضرر الذي يمكن أن يلحقهم من وجهة نظر الحكومة ـ فان هناك عوامل أخرى غير سياسية تحول دون دخول الوسائل الإعلامية إلى بلد معين. ويظهر ذلك عندما تقوم بعض الدول بتحديد استيراد الأفلام بسبب نقص العملات الأجنبية أو بسبب تكاليف أو صعوبة نقل المطبوعات والمسجلات والأفلام أو عدم وجود الأجهزة اللازمة لتشغيلها أو عدم توافر الفنيين أو غير ذلك من الأسباب.

٤ ـ الإعلام الوطني يخدم فلسفة إعلامية محلية:

يتأثر الرأي العام بالإعلام كما يؤثر الرأي العام فيه، أي أن هناك علاقة دائرية وديناميكية متبادلة بين كل من الرأي العام والإعلام.. وبالتالي فيفترض أن هناك علاقة متبادلة أيضاً بين الرأي العالمي والإعلام الدولي.. كل منهما يتأثر بالآخر ويؤثر فيه[١٩٩].

---

(199) Doob, L. W. **Public Opinion and Propaganda**, p. 546. Childs. H., op. cit.. M. pp. 318-9

ولكن إذا كان لنا أن نتصور إعلاماً دولياً - كركيزة للرأي العام العالمي فأي النظم والفلسفات الإعلامية[٢٠٠] هي التي تتحكم في هذا الإعلام الدولي ؟ وإذا لم تكن هناك فلسفة معينة يمكن الإتفاق عليها كمنطلق لهذا الإعلام الدولى فكيف يمكن أن نقرر وجود - أو إمكان وجود - هذا الرأي العام العالمي؟

إن وسائل الإعلام الجماهيري تميل في معظم الدول - على اختلاف إيديولوجياتها - إلى التركيز على برامج الترويح والتسلية، أكثر من برامج التعليم والإعلام[*] كما أن هذه الوسائل تنظر إلى العالم من خلال منظار وطني، مع التركيز على المصالح والشخصيات المحلية أيضاً. هذا وتنزع وسائل الإعلام إلى أن تكون محافظة في علاقتها مع تركيب القوى على الصعيد الوطني، وغالباً ما تعكس تركيب القوى في الدولة ذاتها (Power Structure).

إن وسائل الإعلام تعمل على تدعيم الاتجاهات الوطنية السائدة، وليس على تغييرها أو تعديلها بما يتلائم مع قضايا دولية مشتركة، أو معالجتها بطريقة موضوعية غير ملونة بالتفسير أو التصور الوطني.

وهناك أوبرا صينية تقليدية تظهر فيها وجوه الممثلين وقد صبغت بطريقة تشبه القناع وذلك حتى يرمز كل واحد منهم إلى صفات الأشخاص الذين يتقمصهم: الفضيلة، النفاق، الحقد.. إلخ، والآن فمهما قال أو فعل الممثلون فلا قيمة لما يفعلونه لأنهم قد كشفوا مسبقاً عن طبيعتهم الحقيقية وذلك عن طريق الطلاء واللون الذي كسوا به وجوههم.

---

(٢٠٠) لا يتفق الباحثون على هذه الفلسفة الإعلامية ولكن الرأي الراجح أن هناك نظريات أربعاً هي النظرية التسلطية ونظرية الحرية ونظرية المسئولية الاجتماعية والنظرية السوفيتية للإعلام انظر في ذلك:

Siebert, Fred S. and others, **Four Theories of the Press.** 1956.

وهناك باحثون يقسمون هذه الفلسفات النظرية إلى ثلاث: نظرية الحرية (وهي التي تشمل في هذه الحالة نظرية المسئولية الاجتماعية) ثم نظرية التسلط والنظرية السوفيتية انظر في ذلك:

Schramm. W. (ed) **Mass Communication.** 2nd ed.. Urbane. University of Illinois Press, 1960. p. 664.

(*) الإعلام بمعنى تزويد الناس بالمعلومات الصحيحة والحقائق والأخبار الصادقة بقصد معاونتهم على تكوين الرأي السليم إزاء مشكلة من المشاكل أو المسائل العامة.

هذا ولا تستخدم وسائل الإعلام المعاصرة الرسوم الهزلية والكاريكاتير للتعبير عن صفات وشخصية العدو فحسب، بل تستخدم وسائل الإعلام كذلك الأنماط الجاهزة والقوالب المصبوبة. وهي تختلف في كل بلد عن البلد الآخر(٢٠١). وعلى ذلك فمهما قال العدو أو فعل، فان ذلك يعتبر غير ذي موضوع، لأن طبيعة هذا العدو الداخلية الشريرة قد تحددت بصورة مسبقة عن طريق القناع الذي يغطيه. ولا يمكن تفسير أو تحليل دوافع العدو وأفعاله بمقننات إنسانية عادية، إذا وجدت مثل هذه المقننات.

إن هذا التحريف والتشويه هو نفسه الذي يحدث تقريباً بالنسبة لوسائل الإعلام الجماهيري في معظم البلاد، إذ بهذه الطريقة تصور العالم الخارجي، وخصوصاً تلك القطاعات التي تحددها الدولة، بأنها قطاعات معادية.

وإلى أن تتمكن نظم ووسائل الإعلام الجماهيرى الوطني من تخطي هذه القيود فمن العسير أن نرى كيف يمكن أن يتكون ويتحقق "رأي عام عالمي".

رابعاً: الدعاية الدولية واستمالة الرأي العام العالمي للسياسة الوطنية:

يفترض رجال الدعاية أنه يمكن تحقيق بعض الأهداف السياسية الدولية عن طريق تجاهل الحكومات والتركيز مباشرة على الشعوب وإذا كان تاريخ الدعاية كأداة من أدوات السياسة الخارجية يعود إلى الحروب اليونانية القديمة، بل لعله يرجع إلى تاريخ سابق لتلك الحروب، فان محاولة اتصال الحكومات بالشعوب الأجنبية مباشرة وعلى نطاق واسع

---

(٢٠١) تعتبر النماذج الجاهزة الجامدة من الرموز المستخدمة بصورة كبيرة بالنسبة لعملية الرأي الشعبي. لقد قامت هيئة اليونسكو بدراسة التعرف على الطريقة التي يتصور بها المواطنون في دولة معينة المواطنين في دولة أخرى: وقد تبين من هذه الدراسة اختلاف تصور كل شعب للشعب الآخر، واختلاف فكرة الشعوب بعضها لبعض وذاك طبقاً للنماذج الجامدة التي يكونها ويقوم بتوفيقها شعب لنفسه بالنسبة للشعوب الأخرى. ومن المعروف أن هذه النماذج الجاهزة تزودنا باتجاهات عملية دائمة تدفعنا لاتخاذ إجراءات معينة بالنسبة لأفكار الناس والأشياء أنظر:

Buchanan W. and Control H. How Nations see each other, Urbana, III. University of Illinois Press. 1953, pp. 46-7.

يعتبر ظاهرة مميزة للقرن العشرين،كما يحدث الآن بالنسبة لاستخدام الحكومات للراديو والتليفزيون في بث الرسالات المباشرة للشعوب الأخرى[٢٠٢]

وعلى سبيل المثال تقوم وكالة الدعاية الأمريكية بنشاطات دعائية متعددة وأهم هذه النشاطات المعروفة إذاعة صوت أمريكا التي تذيع بحوالي (٤٠) لغة ولمدة (٨٠٠) ساعة في الأسبوع. كما تصل الأفلام الدعائية بحوالي ٥٠ لغة إلى مئات الملايين من الناس خارج الولايات المتحدة (في موضوعات مثل المعونة الخارجية، ثورة المجر، الهندسة المعمارية في أمريكا.. إلخ).

كما أن عدد الكتب التى تهدى للمكتبات الأجنبية يبلغ حوالي (١٣) مليون كتاب أو ما يمثل حوالي ثلث عدد الكتب التى يهديها الاتحاد السوفيتي في السنة.

وإذا كانت الدول تقوم بالدعاية الدولية لاستمالة الرأي العام العالمي فان هذه الدعاية مهما كانت ذكية ونشطة ــ لا يمكن أن تكون بديلا للسياسة الوطنية والقرار السياسي[٢٠٣] بل هي امتداد لهذا القرار يشرحه ويفسره ويبرره لاستغلال أكبر المكاسب الممكنة من ورائه. وعلى ذلك فالسياسة الفاشلة لا يمكن أن ينتج عنها دعاية ناجحة.

إن الإشارة المتكررة للرأي العام العالمي تعتبر وسيلة دعائية ملائمة تستخدمها معظم الدول لمحاولة استمالة الجمهور المحلي أو الأجنبي لسياستها. وما أكثر ما تزعم كل دولة أن الرأي العام العالمي يؤيد موقفها من قضايا معينة، أي أن السياسيين في كل واحدة من هذه الدول يستخدمون اصطلاح الرأي العام العالمي للدلالة على سلامة موقفهم هم، والتشكيك في موقف خصومهم.

---

(202) Puchala, Donald J. **International Politics Today**. New York. Dodd and Meed Co., 1971. pp. 49-69.

(203) The Soviet Press : its Propaganda Offensive. **The New York Times**, April 6. 1958, Q. E. 3.

والمقصود بالرأي العام العالمي، في هذه الحالة هو الأصوات الأجنبية المختارة اختياراً دقيقاً والتي تؤيد وتتعاطف مع سياسة الدولة المعنية. وهذه الأصوات تمثل عدداً من الحكومات الحليفة أو الصديقة، وتعادل كذلك عدداً من الآراء والاتجاهات التي تعبر عنها وسائل الإعلام الجماهيري في هذه الدول.

إن هذا الاختيار الدقيق لوجهات النظر الأجنبية المؤيدة يخول للدولة الادعاء بأن سياستها الخارجية تتمتع بمساندة الرأي العام العالمي. أما الآراء المعارضة لسياستها فتقوم الحكومة بتجاهلها أو رفضها، على اعتبار أنها آراء صادرة عن الجهل وعدم الدراسة أو عدم المسئولية والدعاية الشريرة المضللة.. من أجل ذلك فلا ينبغي أن نأخذ تلك الصورة الدعائية للرأي العام العالمي، على أنها حقيقة واقعة.

الفصل الثلاثون

الرأي العام العالمي بين المثاليين والواقعيين

إن البناء الفكري الأساسي الذي يعتمد عليه المؤمنون بحقيقة الرأي العام العالمي، هو اعتباره امتداداً لظاهرة الرأي العام الوطني.. وإن مراحل تكوينه هي نفسها المراحل التي يمر بها الرأي العام العالمي، وإن الأخير يمكن أن يؤدي للإنسانية وظائف مشابهة لما يقوم به الرأي العام الوطني..

وقد حاولنا في الفصول السابقة أن نشير إلى أن الافتراضات والشروط اللازمة لتحقيق الرأي العام العالمي، هي شروط غير واقعية، ويكاد يستحيل تطبيقها في عصرنا، وأن رد "الفعل التلقائي" الذي قد نلحظه مع وقوع كارثة طيران أو زلزال مثلاً هو أقرب ما يكون إلى رد الفعل العاطفي الذي يختلف في حدته وشدته تبعاً لدرجة تعاطف شعب معين مع الشعب الذي حلت به هذه الكارثة... أي أن رد الفعل التلقائي هذا لا يعبر عن نفسه دون اعتبار للمشاعر والارتباطات الوطنية.

ولما كان الرأي العام العالمي – في نظرنا – يعتبر إحدى الظواهر السياسية للعلاقات الدولية، فيمكن أن تنسحب عليه نظرياتها ومناهج البحث فيها.

مناهج دراسة العلاقات الدولية والرأي العام العالمي:

لقد ذهب البروفيسور كار Carr إلى أن العقل الإنساني عندما يبدأ في التفكير في مجال علمي جديد، فان هناك مرحلة أولية تحدث، يشكل فيها عنصر الرغبة أو الهدف دافعاً قوياً للغاية، أما الميل إلى تحليل الحقائق والأسباب فيكون ضعيفاً أو غير قائم. ومهما كانت صحة هذا القول بالنسبة لفروع الدراسات الأخرى، فان كار Carr يؤكد أن ذلك هو

سبيل نمو العلاقات الدولية كإحدى الدراسات العالمية وخصوصاً في الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية في هذا القرن(٢٠٤).

وعلى الرغم من أن دراسة العلاقات الدولية كانت لها دائماً عناصر مختلفة بعضها ثابت وقاعدي (Normative Element) يتمثل في دراسة أسباب النزاعات Conflicts والبحث عن الحلول التي يمكن أن تنهي هذه النزاعات، فان بؤرة الدراسات في العلاقات الدولية قد تحولت الآن في اتجاهات أخرى. ويمكن أن نميز في الوقت الحاضر ثلاث مراحل مرت بها تلك الدراسة.. وهي المرحلة المثالية Utopian ثم المرحلة الواقعية Realist ثم المرحلة السلوكية Behavioral. ويمكن أن يعبر عن هذه المراحل بطريقة أخرى وهي: المرحلة الأساسية القاعدية Normative والمرحلة القاعدية التجريبية Empirical normative، ثم المرحلة الكمية(*) Behavioral - Quantitative ومع ذلك فان طرق الدراسة ومناهج البحث لم تقف عند هذا الحد. ذلك لأنه يبدو أنه مع بداية السبعينات هناك مرحلة رابعة هي مرحلة ما بعد المرحلة السلوكية(٢٠٥) Post-Behavioral phase.

وعلى كل حال فيظل البحث والدراسة في مجال العلاقات الدولية متصلاً بتطوير النظريات والمناهج المتعلقة بالقضايا الدولية الأساسية التي تواجه

---

(204) See for example:

- Carr, E. H. The Twenty Year's Crisis, 1919-1939. New York, Harper and Row. 1964, p. 4.

see also:- Thompson, Kenneth W. **Political Realism and the Crisis of World Politics.** Princeton, Princeton University Press 1960.

- Fox, William. **The American Study of International Relations.** Columbia. University of south Carolina Press, 1968, pp. 1-35.

(*) لا تعني هذه المراحل اهتمام الدارسين في مجال العلاقات الدولية في كل حقبة - بصفة كلية - بمرحلة محددة من غير شك..

(٢٠٥) يمكن التعرف على التطورات التي حدثت في علم السياسة واتصال هذه التطورات بالعلاقات الدولية في المرجع التالي:

Easton, David. The New Revolution in Political Science. **American political Science Review**, LXIII (December, 1969). 1051-1061.

الإنسانية خلال الأحقاب التالية، فضلاً عن تلك النظريات والمناهج القاعدية Normative theories والنظريات السلوكية الكمية أو بين النظرية والسياسة الفعلية التي ينبغي اتباعها وبين المثالية والواقعية.

وإذا كنا قد تناولنا بالتحليل بعض الجوانب الكمية للرأي العام العالمي - وذلك عند دراستنا لاستطلاعات الرأي العام في الدول المختلفة والتأكيد على أننا لا نقارن شيئاً واحداً، عادة، في هذه الاستطلاعات – فسنحاول فيما يلي التركيز على مذهبي المثالية والواقعية في العلاقات الدولية، ودلالتهما بالنسبة للرأي العام العالمي.. وذلك في الاعتبارات التالية:

(أ) الرأي العام العالمي بين المثاليين والواقعيين:

لما كان الرأي العام العالمي يعتبر إحدى الظواهر السياسية للعلاقات الدولية، فيمكن أن تنسحب عليه النظريات المثالية والواقعية للعلاقات الدولية فالمثاليون يميلون إلى افتراض تمتع رجال الدولة بمدى واسع من حرية الاختيار في صناعة السياسة الخارجية[٢٠٦] كما يؤكد المثاليون على الالتزامات والحقوق الشرعية الدولية والتوافق الطبيعي للمصالح الوطنية harmony of national interests كوسيلة منظمة لحفظ السلام العالمي. هذا بالإضافة إلى اعتماد المثاليين على العقلانية والمنطق والثقة في وظيفة بناء السلام على "الرأي العام العالمي" وضوابطه.

ومن جهة أخرى يؤكد الواقعيون على القوة والمصلحة Power and Interest وليس على المثاليات – في العلاقات الدولية. والواقعية بالضرورة متحفظة تجريبية empirical حكيمة، تشك في المبادئ المثالية. وتحترم دروس التاريخ. وهي تميل إلى النظر إلى السياسة الدولية نظرة فيها من التشاؤم أكثر مما فيها من التفاؤل، والواقعيون يعتبرون القوة Power كفكرة أساسية في العلوم الاجتماعية (كما هو الحال بالنسبة للطاقة energy في الفيزياء) وإن كانوا يعترفون بأن علاقات القوة تغلف بمصطلحات

---

(206) Walfers, Arnold "Statesmanship and Moral Choice". World Politics, 1 (January 1949). 175-195.

خلقية وأدبية وشرعية، وعلى ذلك فالاعتماد على الرأي العام وعلى المنطق هي وسائل ضعيفة لحفظ السلام[٢٠٧].

ونحن من جانبنا نرى أنه إذا كان المثاليون يتجاهلون دروس التاريخ فالواقعيون غالباً ما يقرؤون التاريخ بتشاؤم كبير، وإذا كان المثاليون يبالغون في حرية الاختيار بالنسبة لرجل الدولة، فإن الواقعيين يبالغون في إحالتهم المشاكل كلها إلى أسباب محددة ثابتة وحتمية، وإذا كان المثاليون يخلطون ما بين الصالح الوطني والمبادئ الأخلاقية العالمية، فإن الواقعيين يعرضون أنفسهم لخطر اليأس والشك والقنوط.

وعلى أي حال فنحن مع الذين يرون أن النظريات السياسية السليمة تحتوي على عناصر المثالية التي تشدنا إلى المستقبل والأمل، وعناصر الواقعية التي لا تجعلنا نعيش في أحلام الجهل والغفلة، لقد حاول الكيميائيون - في مرحلة من مراحل التطور العلمي - أن يستخرجوا الذهب من الرصاص، ولما باءت محاولاتهم بالفشل، ركزوا على اختيار الحقائق بعناية أكبر.. وكان ميلاد العلم الحديث[٢٠٨].

وعلى ذلك فنحن مع حقائق الحياة لا مع الأحلام والأوهام، مع القوة والمصلحة ومع القيم الأخلاقية كذلك، ولكن إيماننا بالضوابط الأخلاقية والمعنوية في السياسة الدولية - ومنها الرأي العام العالمي - لا يزيد على نسبة (١٠٪) بينما تكون القوة والمصلحة نسبة (٩٠٪) في العلاقات الدولية. ويجب أن أضيف بأن الدولة التي تسعى للحصول على نسبة (١٠٪) هذه لا تستطيع بلوغها إلا باكتساب احترام الدول الأخرى بقوتها الذاتية المادية والخلقية، وصياغة مصلحتها بطريقة تتطابق مع أكبر عدد من الدول. ويمكن أن يدور تحليلنا للرأي العام العالمي على ضوء هذه الفكرة الأساسية.

---

(207) Carr, Edward. The twenty-Years Crisis. 1919-1039. **An Introduction to the Study of International Relations.** London, Torchbooks, 1964, pp. 92.

(208) Dougherty, J.E. and others. **Contending Theories of International Relations** New Yew, Lippincott Co., 1971, pp. 6-8.

(ب) الولاء الوطني والولاء للإنسانية:

إن أحد الأخطاء الخطيرة والشائعة في مجال التفكير في السياسة الدولية هو اعتبار المجتمع الدولي World Society صورة مشابهة للمجتمع الوطني. لقد طرحت مشروعات كثيرة تهدف إلى إنقاذ الجنس البشري، لكن هذه المشروعات باءت بالفشل نظراً لأنها قد بنيت على هذه المقارنة الزائفة.

هذا وتستمد الدولة – باعتبارها المجتمع الوطني المنظم – بقاءها في التحليل النهائي من المشاعر العميقة المشتركة بين المواطنين، والتي يعبر عنها عادة بالتماسك والتضامن الوطني.

وإذا لم تكن هذه المشاعر أقوى من الولاءات الدينية أو الأيديولوجية أو المهنية أو الطائفية المحلية Local وأقوى من المنافسة بين الجماعات المختلفة داخل الوطن الواحد، فان الدولة تكون معرضة لخطر التمزق والانحلال. فشعور المواطنين إذن بأن ولاءهم الأعلى والأسمى للدولة يعتبر الركن النفسي الأساسي الذي يبني عليه البناء السياسي الحديث. كما أن الدولة الحديثة تلائم بين معتقدات مواطنيها ومصالحهم حتى تتجنب الدولة الهزات العنيفة والثورات وترتكز بذلك على الأحاسيس والمشاعر العميقة للتماسك والتضامن الوطني.

هذا ويلتزم المواطنون بالقواعد القانونية والأدبية بناء على اقتناعهم الذاتي بوجوب طاعة هذه القوانين الوطنية.. كما يدعم هذا الاقتناع خوف المواطنين من سلطة الدولة وعقابها. وإن كانت الدولة - في المجتمعات المستقرة – لا تستخدم أساليب القهر والقوة بالنسبة لمواطنيها إلا عند الضرورة.

كما تنظم الدولة الحديثة تحت إمرة حكومة واحدة: فهي التي تضع وتطبق السياسات جميعها، الداخلية والخارجية، كما تحتكر قوة القهر الداخلية والخارجية أيضاً. وتعتبر الثورة - وهي الاستخدام غير المسموح به للقوة ضد الحكومة إحدى علامات الخلل

أو المرض على الصعيد الوطني، ومع ذلك فان الثورة الشعبية على السلطة - في بعض الأوقات - تعتبر علامة صحة كما حدث في مصر عام ١٩٥٢.

وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للمجتمع الوطني، فإننا بالمقارنة سنتردد في استخدام اصطلاح "المجتمع الدولي" لنصف به الوضع الحاضر للإنسانية.. ذلك لأن المصالح المتصادمة والآمال والطموحات المتعارضة هي التي تعبر عن مجتمع الدول المعاصر و كما يفتقد عالم اليوم مقومات المجتمع المشتركة بين مواطني ذلك "المجتمع الدولي".

وإذا افترضنا أن بعض الأفراد أحسوا بمشاعر قوية واضحة نحو الإنسانية بوجه عام (وهذا لا يحدث إلا قليلاً)، فإن هؤلاء الأفراد سوف لا يؤثرون " المجتمع الدولي" بولائهم الأعلى إذا تعارض هذا الولاء مع ولائهم للدولة التي ينتمون إليها.

وإذا ما تم تحويل الولاء الأعلى من الدولة إلى الإنسانية - فسيعتبر ذلك ثورة في التفكير الحديث. ولكن جميع علامات هذه الثورة - على ما يبدو - لا تزال بعيدة المنال. ويوم تتحقق هذه الثورة سيتحقق أمل المثاليين في وجود الرأي العام العالمي كحقيقة فاعلة مؤثرة.

(جـ) عالم واحد أو " عوالم" متعددة:

إن عالمنا اليوم، يمكن أن نراه عالماً واحداً علمياً وتكنولوجياً ذلك لأن العلم هو التراث المشترك الثمين المتاح للإنسانية كلها.. ويمكن أن نراه عالماً واحداً أيضاً إذا كان هذا المفهوم مستمداً من ثورة التحديث Modernization Revolution التي تسير فيها وتتجه إليها جميع الدول على اختلاف أيديولوجياتها ومصالحها.

ولكن عالمنا نفسه - في ذات الوقت - مجزأ إلى "عوالم" متعددة بالنسبة لجميع الجوانب الأخرى، لأن هذه الجوانب تصدر عن المصالح الوطنية المتعارضة، والتي تزيدها الأيديولوجيات المتنافسة حدة وشدة.

وتعتبر الدولة فوق ذلك مركزاً احتكاريا للقوة يتميز عن غيره من المراكز الأخرى في رسمه لسياستها التي تعبر عن مصالحه وليس هناك دولة مستعدة للتنازل أو التضحية بسيادتها أو بجزء منها لمنظمة عالمية. وحتى الدول الشيوعية التي توحدها أيديولوجية ديناميكية واحدة ـ رغم اختلاف التفسيرات الوطنية لم تحاول أن تكون اتحادا تحت سيطرة حكومية واحدة، على الرغم من أن هذا الاتحاد يعتبر جزءاً أساسياً من برامج لينين.

وإذا كان المجتمع الاقتصادي الأوروبي (السوق الأوروبية المشتركة) الذي تم إنشاؤه بعد الحرب الثانية يعتبر الاستثناء الناجح بالنسبة للحد من السيادة الوطنية ـ فان الحافز وراء هذا الاتحاد الاقتصادي يشير إلى المشاعر الوطنية القومية للدول المشتركة فيه ورغبتها الجماعية في الحصول على درجة أكبر من التأثير الدولى، لاتستطيع أن تحققه أى دولة منها بمفردها. كما يجب أن نشير إلى أن هذا المجتمع الاقتصادي لم يؤد إلى المجتمع السياسي المتجانس Political Community ركيزة الحكومة الواحدة التي تحتكر استخدام القوة المسلحة بهذه الدول ويكون لها سلطة وضع السياسات التي تتقيد بها هذه الدول.

إن الصورة الحالية التي نراها لعالم اليوم هي تلك التي تدل على عالم مقسم. وإذا كانت هيئة الأمم المتحدة هي المنظمة العالمية الوحيدة التي تضم مختلف الدول، فان هذه الهيئة نفسها ليست إلا تجمعاً غير مترابط لدول مستقلة.

إن التنظيم المركزى للدولة ليس له نظير على المستوى الدولى .. كما يرتكز السلم الدولى ـ بصورته المعاصرة المحفوفة بالخطر ـ على خوف الدول كبيرها وصغيرها من مخاطر الحرب النووية، وعلى رسم سياستها الخارجية على هذا الأساس، بل إن هذا المجتمع الدولى الذى يتسم بعدم الاستقرار والذى تتفاعل بداخله ـ بصفة مستمرة ـ اتجاهات ثورة متباينة إنما يعتبر مجتمعاً غير متجانس وغير صالح لانتقال ولاء الأفراد الأعلى فيه من الدولة إلى الإنسانية كلها ..

(د) الرأي العام العالمى وهيئة الأمم المتحـدة :

وأخيراً فهناك صدع آخر فى فكرة الرأى العام العالمى وهو : عدم وجود الاجهزة والمؤسسات الفعالة التى تضع قرارات هذا الرأى العام موضع التنفيذ فى حالة الوجود الفعلى لهذا الرأي.

وربما قال قائل بان صوت الإنسانية يمكن أن تكشفه فى هيئة الأمم المتحدة، ولكن هذه الهيئة هى ساحة يتم التعبير من منبرها عن أصوات متنافرة متناقضة لا تخدم إلا مصالحها الوطنية، وتتخذ من هذا المنبر وسياستها الدعائية لخدمة تلك المصالح.

إن أكثر وكالات الأمم المتحدة تمثيلا هى الجمعية العمومية، وهى هيئة تضم مندوبين معينين عن طريق الحكومات المختلفة، وهؤلاء المندوبون ليسوا أحرارا فى التحدث طبقاً لما تمليه عليهم ضمائرهم الشخصية، ولكنهم جاءوا إلى الهيئة للدفاع عن مصالحهم الوطنية طبقاً للتعليمات الصادرة لهم من حكوماتهم.

أى أنه ليس هناك تركيب سياسى مسئول بالنسبة للرأى العام العالمى يكون مشابها لذلك الذى يوجد فى التجمعات الوطنية، حتى يتخذ الرأى العام فى إطاره سبيله للتأثير على السياسة العامة.

الفصل الواحد والثلاثون

الرأي العام العالمي وقضايانا المصيرية

تقديم:

هناك قضايا كثيرة بالنسبة لبلادنا يمكن أن ينطبق عليها وصف القضايا المصيرية، ومن أهم هذه القضايا: قضية التنمية والتطوير الاقتصادي بما تتضمنه هذه القضية من جوانب التعليم والبحث والتخطيط وغيرها. كما أن هذه القضية نفسها لها جوانب سياسية واقتصادية تتأثر من غير شك بمشاكل الأمن والإنفاق العسكري. وهناك أيضاً قضية النظام السياسي النابع من مصالحنا وإيديولوجياتنا، ذات الأصالة والعراقة، في عالم اشتدت فيه حدة الصراع الأيديولوجي. وتعتبر الدول النامية بالذات مسرح هذا الصراع، إذ تعمل الدعاية الدولية على جذبها لهذا المعسكر أو ذاك، أى أن الدعاية الدولية تقوم باستحالة الرأى العام العالمي للسياسة الوطنية والأيديولوجية الوطنية. وعلى كل حال فسنحاول التركيز في هذا الفصل على قضية صراعنا مع إسرائيل ودور الرأي العام العالمي في هذا المجال.

إسرائيل وحرب عام ١٩٦٧:

لقد أدى انتصار إسرائيل العسكري في حرب يونية سنة ١٩٦٧ إلى زيادة تعاطف الرأي العام في العالم الغربي بدرجة هائلة مع إسرائيل. وفي استعراض لاتجاهات الرأي العام الغربي من عام ١٩٦٤ إلى عام ١٩٧٠ كما أظهرتها استفتاءات حوالي ١٧ معهداً من معاهد قياسات الرأي العام[٢٠٩] في أوروبا الغربية والولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية حيث ظهرت زيادة هذا التعصب، وكانت الاستفتاءات تدور حول القضايا الثلاث التالية:

---

(٢٠٩) وأهم هذه المعاهد هي: معهد جالوب للرأي العام، سانت باولو البراز يل (BGI). معهد الرأي العام، ميلانو إيطالية (DOXA) معهد جالوب الأرجنتيني، بوينس ايرس، الأرجنتين (EGA) معهد الرأي العام بيلفد، ألمانيا الاتحادية، (GALLUP) معهد جالوب لتحليل السوق، كوبنهاجن، الدنمارك (GMA) معهد هاريس نيويورك أمريكا (HARIS) معهد الرأي العام الفرنسي، باريس فرنسا (IFOP).. معهد جالوب النرويجي أوسلو النرويج (NGI) معهد الرأي العام الهولندي، أمستردام هولندا (NIPO) المعهد الوطني لقياس الرأي، لندن إنجلترا (NOP). المركز الوطني لبحوث الرأي، شيكاغو أمريكا (NORC) معهد بحوث الرأي العام في إسرائيل، تل أبيب (PORI).

١ – تعاطف الرأي العام بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي.

٢ – من المسئول عن النزاع؟

٣ – الرأي بالنسبة للأرض؟

ومن العسير في هذا المقام أن نشير إلى جميع الاستفتاءات التي قامت بها هذه المعاهد بالنسبة للقضايا السابقة، ويمكن للباحث أن يرجع إلى تفصيلاتها[٢١٠] في مصادرها، وما يهمنا في هذا الصدد هو أن نشير إلى بعض هذه الاستفتاءات لدلالتها بالنسبة لموضوع الرأي العام العالمي وقضايانا المصيرية.

١ – في الاستفتاء الذي أجراه معهد جالوب في ١٩ نوفمبر ١٩٤٧ لعينة من الشعب الأمريكي حول السؤال التالي: إذا قامت الحرب بين العرب واليهود في فلسطين فأي جانب يتعاطف معه؟ كانت الإجابة ما يلي:

تعاطف مع اليهود ١٤٪	مع العرب ١٢٪	= ٣٦٪
لا يتعاطف مع أي جانب ٣٨٪	لا رأي له ٢٦٪	= ٦٤٪

٢ – وفي يونيو سنة ١٩٦٧.. كانت الإجابات التي تلقاها معهد جالوب على نفس السؤال تقريباً كما يلي: – وذلك بالنسبة للرأي العام المطلع:

تعاطف مع اليهود ٥٦٪	تعاطف مع العرب٤ ٪	= ٦٠٪
لا يتعاطف مع أي جانب ٢٥٪	لا رأي له ١٥٪	= ٤٠٪

٣ – أجرى معهد الرأي العام الفرنسي استفتاء بين الشعب الفرنسي حول تعاطفه مع كل من العرب وإسرائيل في النزاع بينهما وكانت الإجابة كما يلي:

	مع إسرائيل	مع العرب	ليس مع أي منهما	لا رأي له
في سبتمبر ١٩٦٧	٦٨	٦	١٦	١٠
		= ٧٤		= ٢٦
في يناير ١٩٦٩	٣٥	٧	٣٩	١٩
		= ٤٢		= ٥٨

(210) Erskine, Hazel. The polls. Western Partisanship in the Middle East. Public Opinion Quarterly. Vol. 33 No. 4, 69-70 pp. 627-640.

٤ – كانت النتائج التي وصل إليها معهد الرأي العام بالبرازيل ممثلة للرأي العام في عام ١٩٦٧ كما يلي:

مع إسرائيل	مع العرب	ليس مع أي منهما أو لا رأي له
٢٨	١٤	٥٨

٥ – وجه معهد الرأي العام الإسرائيلي السؤال التالي لعينة من اليهود في إسرائيل في يوليو سنة ١٩٦٧: ما هي الأراضي التي يجب على إسرائيل أن تحتفظ بها من الأراضي التي استولت عليها في حرب يونيو سنة ١٩٦٧ وكانت نتائج الاستفتاء كما يلي:

	الاحتفاظ بها	إجابات حرة
القدس	٩١	٩
المرتفعات السورية	٨٥	١٥
قطاع غزة	٧٣	٢٧
الضفة الغربية	٧١	٢٩
شرم الشيخ (مضايق تيران)	٧١	~~٢٩~~
شبه جزيرة سيناء	٥٢	٤٨

ومن الملائم أن نشير إلى نتائج استطلاع الرأي في إسرائيل بعد انسحابها من سيناء في الخامس والعشرين من إبريل عام ١٩٨٣ حسب اتفاقيات السلام إذ أعرب أكثر من ٥٢٪ من الإسرائيليين عن تأييدهم للانسحاب الذي تم خلال الأسبوع الماضي من سيناء. جاء ذلك في آخر استطلاع للرأي نشر في إسرائيل أمس وقد عارض الانسحاب ٢٦,٨٪ فقط بينما امتنع ٢٠,٩٪ عن إبداء رأي محدد.

وفي نفس الوقت أعرب ٥٢,٥٪ عن اعتقادهم بأن العلاقات بين مصر وإسرائيل سوف تستمر على درب السلام بينما قال ٣٨,١٪ أن هذه العلاقات سوف تتدهور وامتنع ٩,٤٪[٢١١]

تحليل نتائج استفتاءات الرأي العام السابق الإشارة إليها:

أولاً: بالنسبة للاستفتاءات التي قام بها معهد جالوب الأمريكي يمكن أن نقول:

(أ) إن إدراك الرأي العام المطلع لمشكلة فلسطين عام ١٩٤٧ تمثل في تصوره لفريقين متنازعين على أرض واحدة وهي فلسطين، وعلى العكس من ذلك فإدراك الرأي العام الأجنبي للمشكلة عام ١٩٦٧، تمثل في تصوره إسرائيل تواجه العرب جميعاً (لا الفلسطينيين وحدهم) أي تواجه هذا الخصم البشري العربي الهائل (من المحيط إلى الخليج) الذي انتصرت عليه إسرائيل انتصاراً عسكرياً حاسماً[٢١٢] ومن هنا كانت الزيادة الكبيرة إلى جانب إسرائيل.

(ب) الرأى العام العالمى (والأمريكى جزء منه) له طريقته الخاصة التى يكف بها نفسه للانتصارات العسكرية والانجازات السياسية الناجحة، ولا ينبغى أن نخدع أنفسنا بأن نتصور بأن الرأى العام الأجنبى يحس نفس أحاسيسنا بالنسبة لأرضنا. والانطباعات العاطفية والآراء الشخصية لبعض أولئك الذين يسافرون للخارج ويعودون لنا بهذه الأحاسيس لاينبغى أن تصرفنا عن التحليل العلمى.. وخلاصة هذا كله أن انتصارنا

---

(٢١١) جريدة أخبار اليوم القاهرية، ١/٥/١٩٨٢.

(٢١٢) على الرغم من أهمية الجهد الدعائي الإسرائيلي خلال العشرين سنة الماضية لتكريس هذا التصور لدى الرأي العام الأجنبي واستمالته، فنحن مقتنعون بأن أهم ما تصبوا إليه إسرائيل ليس هو زيادة تعاطف الرأى العام العالمى إلى جانبها بقدر ما تهدف زيادة التفكك الداخلي للقوى العربية وزيادة ما يسمى بالتمزق الداخلي Cross Pressure بين هذه القوى. فهي تأمل باحتلالها للأرض العربية بعد عام ١٩٦٧ أن تتوزع وتتناقض أهداف السياسة الخارجية لهذه الدول بين استرجاع الأرض المحتلة بعد عام ١٩٦٧ (المصالح الوطنية التي لا يمكن التنازل عنها) وبين الأهداف القومية المتعلقة بأرض فلسطين وحقوق الفلسطينيين: أي أن تتصارع القوى العربية وتنهك في هذا الصراع قواها.

السياسى والعسكرى (مادام دفاعا عن أرضنا) سيؤدى إلى أن نكيف الرأى العام العالمى لهذا الانتصار، فالرأى العام العالمى يكون نتيجة لهذه الانتصار وليس الرأى العام العالمى سبب هذا الانتصار أو بدايته.

(جـ) صحيح أنه يمكن أن نعلل هذه النتائج.. وتحولها الكبير على مدى عشرين عاما إلى النشاط الإيجابى للدعاية الإسرائيلية خصوصا بالنسبة لوقوف كثير من الشخصيات ذوى النفوذ Key Persons فى المجالات الفكرية والحكومية والإعلامية إلى جانبها، وصحيح أن ذلك قد تم، جزئيا، لغياب الإعلام أو الدعاية العربية -ولكن الأخطر من هذا كله أن الإعلام العربى لم يكن يعبر عن سياسة واحدة بل كان يعبر عن متناقضات سياسات الدول العربية. وليس هناك إعلام ناجح يصدر عن سياسة فاشلة.

كما ينبغى أن نشير إلى أن إسرائيل تستغل التناقضات العربية أكبر استغلال كما أن بعض الدول الكبرى يهمها تكريس هذه التناقضات واستمرارها تدعيما لمصالحها والحيلولة دون وجود دولة عربية موحدة فى المنطقة.

(د) رغم الزيادة الكبيرة فى نسبة الذين يتعاطفون مع إسرائيل (من ٢٤٪ عام ١٩٤٧ إلى ٥٦٪ عام ١٩٦٧) ورغم النقص المستمر فى نسبة الذين يؤيدون العرب (من ٢١٪ إلى ٥٪)، فيجب ألا يغيب عن بالنا بأن مجموع نسبة الذين لا رأي لهم ولا يتعاطفون مع أي جانب مازالت مرتفعة (٤٠٪) وهذه النسبة في رأي كثير من خبراء الرأي العام (٢١٣) تجعل من العسير الوصول إلى نتائج سليمة وقاطعة بالنسبة للمؤيدين والمعارضين الفعليين وبالتالي عن الحالة الصحيحة للرأي العام، ولسنا بذلك نريد أن نخدع أنفسنا بل أن نتبين بأن الأمر من الناحية النظرية - غير ميئوس منه على كل حال.

---

(213) Katz, Daniel. The Interpretation of survey Findings, Journal of Social Issues, (1964, V. 43, pp. 289-374 (p. 331).

انظر أيضا تحليل الرأي العام المؤيد لإسرائيل في المقال التالي: تحسين محمد بشير. الإعلام العربي والرأي العام الأمريكي. السياسة الدولية القاهرة: أكتوبر ١٩٦٩-٨-٩.

ثانياً: بالنسبة لنتائج استفتاء معهد الرأي العام الفرنسي:

لقد كانت نسبة التعاطف مع إسرائيل بعد حرب يونيو ١٩٦٧ مرتفعة (٦٨٪) ومع قيادة ديجول (ومن بعده بومبيدو) وسياستهما غير المتحيزة.. انخفض هذا التعاطف إلى النصف تقريباً (٣٥٪) في يناير ١٩٦٩ وارتفعت نسبة من لا رأي له ومن لا يتعاطفون مع أي جانب (٥٨٪). وأعتقد أن غاية ما تستطيعه السياسة العربية ومن بعدها الإعلام العربي هو تحييد neutralize الرأي العام الأجنبي مثلما تشير اتجاهات الرأي العام الفرنسي.

ثالثاً : نتائج استفتاء معهد الرأي العام بالبرازيل:

هذه النتائج تهمنا نحن العرب بدرجة كبيرة، نظراً لارتباطنا بدول العالم الثالث ضد الإمبريالية وتعاطف هذه الدول في مجموعها مع بعضها البعض والبرازيل أكبر دول أمريكا اللاتينية مساحة وسكاناً وربما ثروة كذلك، واهتمام الصهيونية مبكراً بالقارة الأمريكية (دعاية ومالاً وفكراً وتنظيماً) أمر يجب أن نتنبه له.. وإذا كان التعاطف مع إسرائيل (٢٨٪) ضعف التعاطف مع العرب (١٤٪) إلا أن نسبة من لا رأي لهم ومن لا يتعاطفون مع أي جانب نسبة كبيرة (٥٨٪)، وهذا يدلنا على أن هناك لدول أمريكا اللاتينية دوراً كبيراً على الدبلوماسية الرسمية والشعبية أن تؤديه.

رابعاً: نتائج استفتاء معهد الرأي العام الإسرائيلي:

تدل على الهدف السياسي والدعائي الذي يقصده المعهد. فمن المعروف أن مثل هذه النتائج يمكن الحصول عليها عن طريق الأسئلة الإيحائية ثم التلاعب بالنتائج الإحصائية(٢١٤)، وذلك بغرض التأثير بهذه النتائج على الحكومات وعلى الرأي العام الأجنبي ليتبنى وجهة النظر الإسرائيلية.

---

(214) See for example: Doob, Leonard, **Public Opinion and Propaganda.** Archon Books, 1966, p. 169.

وليس معنى ذلك حساسية إسرائيل للرأي العام العالمي، وذلك لأنها تهتم به مادامت تستطيع تطويعه وجعله يتبنى موقفها وتفسيرها للأحداث، ولكنها لا تعبأ بهذا الرأي العام العالمي، إذا تعارض مع ما تراه كمصالحها الوطنية ومع حيرتها في اتخاذ قراراتها السياسية(٢١٥).

ولعلنا نلاحظ أن حكومة مناحم بيجين، قد أعلنت عام ١٩٧٧ تطبيقها للقوانين الإسرائيلية في الأراضي المحتلة واعتبارها أرض إسرائيل المحررة، على الرغم من أن الرأي العام الإسرائيلي قد أعلن في الاستفتاء سابق الذكر، أن قطاع غزة والضفة الغربية ذات أهمية أقل من المرتفعات السورية، حيث نالت الضفة والقطاع حوالي ٧٠٪ في مقابل ٨٥٪ للاحتفاظ بالمرتفعات السورية، ومعنى ذلك أن إسرائيل تحاول تطويع استفتاءات الرأي العام الإسرائيلي لخدمة أهدافها الثابتة والمتحركة سياسياً ودعائياً واغتصاب الأرض دون سند من القانون والحق أو حتى الرأي العام وأن اسرائيل ترى فى تطويع استفتاءات الرأى العام الاسرائيلى أهمية لخدمة أهدافها.

بعض النتائج والتوصيات العامة بالنسبة للرأي العام العالمي:

عندما نتحدث عن الرأي العام العالمى فنحن لا نعني ما نقول، وما يمكن أن نشير إليه هو عدد من الآراء العامة الوطنية National Public Opinions التي تتفق أو تختلف مع سياسة بعينها. بناء على ذلك يمكن أن نلاحظ ما يلي:

١ – أن الرأي العام في الدول الأجنبية هو عامل واحد فقط من بين عوامل متعددة يجب أن تدخل في تقرير السياسة الخارجية وحساباتها. كما يجب ألا نفترض مسبقاً أن رد فعل الرأي العام في بلد أجنبي، يجب أن يحسب على أساس أنه أهم العناصر والعوامل

---

(٢١٥) في مقال للسيد محمود درويش نشرته الأهرام بتاريخ ٢-٦-٧٢ تحت عنوان " ظاهرة تثير القلق، من الانغلاق التام إلى الانفتاح التام" أشار السيد درويش إلى أنه كان يعمل محرراً بصحيفة "الاتحاد" الصادرة في حيفا ولاحظ مع زملائه أن الرقيب العسكري يحذف أخبار عادية. ولكنه يسمح بنشر أخبار مثيرة عن عمليات التعذيب الوحشية لرجال المقاومة ويحلل ذلك بقوله ((لقد واجه العقل الإسرائيلي في هذه الحالة اختيارين إما أن يختار السمعة السيئة دولياً وأما أن يختار الاعتبار " الأمني" ولقد اختار الثاني لأنه يحتل الأولوية ولأنه يؤثره على ردود أفعال الرأي العام العالمي.

فيجب دراسة كل موقف على حدة وبالتالي فالوزن والحساب الذي يعطى للرأي الأجنبي سيتغير تبعاً للظروف المختلفة.

٢ – قد نتصور أن الرأي العالمي يتعاطف مع قضايانا، لأنها تكاد واضحة في أذهاننا، بالتالي فقد تمتنع حكوماتنا – بناء على حساسيتها الزائدة نحو الرأي العام الداخلي والخارجي – عن اتخاذ قرارات سياسية بناءة فيها مبادرة وحزم نظراً لخشيتها من غضبه أو رد فعل الرأي العام.

ومع ذلك فالرأي العام ليس شخصية ذات كيان ثابت، تضع القيود على السياسة الخارجية داخل حدود لا يمكن مناقشتها. على العكس من ذلك فالسياسة الخارجية تستجيب للقيادة الرشيدة لزعيم أو زعماء وطنيين. وينطبق هذا علينا وعلى أعدائنا، فقد قيل بأن الله في جانب أقوى الكتائب المقاتلة. ومهما اختلف الرأي حول صحة هذا الرأي وصوابه، فمما لا شك فيه أن الرأي العام له طريقته الخاصة التي يكيف بها نفسه للإنجازات السياسية الناجحة. فالرأي العام في دول كثيرة كان معارضا للتدخل السوفيتي في المجر أو في تشيكوسلوفاكيا ومعارضاً لغزو الصين لمنطقة التبت، ولكن نجاح هذا التدخل أدى بالرأي العام في هذه الدول إلى أن يلائم نفسه مع هذه الإنجازات.

٣ – تثير قرارات السياسة الخارجية الوطنية عادة، ردود فعل إيجابية وسلبية من الرأي العام بالخارج. وهذا أمر لابد منه، نظراً لاختلاف المصالح الوطنية والقيم التي تعتنقها الشعوب الأخرى، وكذلك اختلاف الظروف وتباينها.

وإذا كان صانع السياسة يهتم برد الفعل السلبي – وخصوصاً عندما يتصور أنه رد فعل شديد – فيجب على صانع السياسة أن يتشجع برد الفعل الإيجابي وإدخاله في حسابه كذلك، فهناك إذن آراء عامة متباينة في الخارج، وعلى صانع السياسة ألا يعطيها جميعاً وزناً وثقلاً متساوياً، ذلك لأن الآراء الخارجية ليست كلها جديرة بالاحترام المتساوي فالرأي الخارجي ليس رأياً صائباً دائماً عند مقابلته بمصالحنا وقيمنا نحن.

أي أنه بدلا من خشية هذا الرأي العام العالمي – الذي لا وجود له في الحقيقة بهذا التصور – فيجب أن نركز أولا على بعض الآراء العامة الوطنية

في الدول المختلفة، خصوصاً الرأى العام الاسرائيلى نفسه والرأى العام الأمريكى والأوروبى وهو عنصر يجب أخذه في الحسبان على كل حال.

وإذا كانت لدينا مقننات واضحة في سلوكنا السياسي فان جذور هذا السلوك يجب أن تنمو في تربة المصالح الوطنية وأن تصدر عن القيم التي ندافع عنها، وأن يكون لنا في جميع الأحوال الحركة والإرادة التي تتفق مع روح العصر الذي نعيش فيه. وإذا ما تحقق ذلك فسيكون الاحترام متبادلا بيننا وبين الشعوب الأخرى التي تعكس من غير شك مصالحها وقيمها كذلك.

٤ – إذا كان المواطنون في هذا العالم يشتركون في صفات إنسانية واحدة، فان هذه الصفات المشتركة ترشح Filtered وتلون وتنتقل وتتحول عن طريق مجتمعاتهم الوطنية الخاصة التي ينتمون إليها، وهكذا تقف الوطنية والقومية في مكان ما بين آمال الإنسانية "والرأي العام العالمي". ويمكن أن نتعرف على ذلك بالنسبة لموقف الإنسانية من الحرب، فهناك شبه اتفاق عام يشير إلى وجود رأي عام عالمي ضد الحرب وأهوالها.. ولكن هذا مظهر مخادع، ذلك لأن الإنسانية موحدة في معارضتها للحرب مادامت هذه المعارضة تعبر عن نفسها في إطار المصطلحات الفلسفية والضوابط الأخلاقية أو الآمال السياسية المثالية، ولكن هذا الرأي العالمي الظاهر ينقسم إلى مكوناته الوطنية والقومية، عندما تصبح المسألة لا مسألة حرب بالمعنى المجرد للكلمة، ولكن عندما تكون الحرب هنا وعلى الأبواب. عندئذ ستكيف كل دولة موقفها وانحيازها نحو هذه الحرب، طبقاً لمصلحتها هي وبناء قوتها الذاتية حيال أعدائها.

٥ – ينبغي أن نكون مع حقائق الحياة لا مع الأحلام والأوهام، مع القوة والمصلحة ومع القيم الأخلاقية كذلك. إن إيماننا بالضوابط الأخلاقية والأدبية في السياسة الدولية ومنها الرأي العام العالمي – لا يزيد على نسبة (١٠٪) بينما تكون القوة والمصلحة نسبة (٩٠٪) في العلاقات الدولية.ويجب أن أضيف بأن الدولة التي تسعى للحصول على نسبة الـ (١٠٪) هذه لا تستطيع بلوغها إلا باكتساب احترام الدول الأخرى بقوتها الذاتية المادية والخلقية، وصياغة مصلحتها بطريقة تتوافق – إن لم تتطابق – مع أكبر عدد من الدول.

٦ - إذا كان الرأي العام العالمي لا وجود له، أو لا وجود على الوجه الذي ينبغي أن يكون، فهل نتجاهله تماما بالنسبة لقضايانا؟ نحن لا نوصي بذلك، ولكننا ندعو إلى إعلام عربي ديناميكي متناسق يتفهم هذه الحقائق العلمية السابقة الذكر، ويعد المسرح الدولي لاتخاذ القرارات السياسية الوطنية الصادرة عن إرادتنا الحرة، ثم تطبيقها وتفسيرها بما يتلائم مع روح العصر ومتطلباته.

ببليوجرافيا مختارة
في الاعلام الدولى

المصادر العربية :

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ إبراهيم امام

الإعلام والاتصال بالجماهير، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩ ـ ٤٦٥ص.

٣ ـ إبراهيم سعد الدين

"الإعلام العربى بين المثالية والفلسفة العملية"، مجلة دراسات عربية، المجلد الخامس (كانون الأول ١٩٦٨).

٤ ـ أحمد بدر

الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧.

٥ ـ أحمد بدر

الرأي العام: طبيعته وتكوينه ودوره في السياسة العامة. القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٧.

٦ ـ أحمد بهاء الدين

إسرائيليات وما بعد العدوان. ط ٤ـ القاهرة، دار الهلال ١٩٦٩ ـ ٢٦٣ص.

٧ ـ تحسين محمد بشير

النشاط الإعلامي العربي في الولايات المتحدة. بيروت، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٩ ـ ٥٥ ص.

٨ ـ جيهان أحمد رشتى

الإعلام ونظرياته في العصر الحديث. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧١.

٩ ـ جيهان أحمد رشتي

الإعلام الدولى بالراديو والتليفزيون. دار الكتاب الحديث، ١٩٨٠.

١٠ ـ حامد ربيع

فلسفة الدعاية الإسرائيلية. بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية.

١١ ـ خالد قشطينى

الحكم غيابيا، القضية الفلسطينية في نظر العالم الغربي، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٩ ـ ١١٤ ص. (أبحاث فلسطينية ـ ١١).

١٢ـ سامى هداوى

الإعلام العربى والقضية الفلسطينية. بيروت مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، (سلسلة أبحاث فلسطينية ـ١٢).

١٣ـ سلوى حبيبى

الصحف الإسرائيلية. بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية (سلسلة حقائق وأرقام ـ ٨).

١٤ـ سهير عبد الغنى بركات

الإذاعة الدولية. الكويت، مؤسسة الصباح، ١٩٧٩.

١٥ـ شرام ولبور

أجهزة الإعلام والتنمية الوطنية، دور الإعلام فى البلدان النامية، ترجمة محمد فتحى. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠.

١٦ـ شريف الحسينى

مواجهة النشاط الصهيونى على الصعيد الطلابى. بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث، ١٩٦٨ ـ ١٤٣ ص (حقائق وأرقام ـ ١٤).

١٧ـ صلاح نصر

الحرب النفسية. القاهرة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٧. جزءان.

١٨- عبد الرحمن عبد الله الزامل

أزمة الإعلام العربى، معضلات وحلول. بيروت، الدور المتحدة للنشر، ١٩٧٤ ـ ٢٩٨ ص.

١٩- عقيل هاشم

تخطيط الإعلام العربى. بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية. ١٩٦٩ (سلسلة دراسات فلسطينية ـ ٤٥) ١٦٧ ص.

٢٠- فاضل زكى محمد

الدعاية العربية أمام التحديات الصهيونية. بغداد، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٦٨.

٢١- لويس كامل مليكه

أنماط الاتصال والتأثير فى مجتمع ريفى. سرس الليان، مركز التربية الأساسية فى العالم ـ ٣٠، ٦ ص.

٢٢- محمد فتحى

عالم بلا حواجز فى الإعلام الدولى. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢

٢٣- محمد عبد القادر حاتم

الإعلام والدعاية. القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٢.

٢٤- محمود محمد الجوهرى

الصحافة والحرب. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥.

٢٥- محيى الدين عبد الحليم

الدعوة الإسلامية والإعلام الدولى. القاهرة : دار الفكر العربى، د.ت.

٢٦- مختار التهامى

الصحافة والسلام العالمى. القاهرة. دار المعارف. ١٩٦٨ ـ ٤٢٠ ص.

٢٧- معهد الصحافة الدولى ـ زيورخ

أخبار الشرق الأوسط فى الصحافة العالمية، ترجمة عبد اللطيف حمزه ووليم المسيرى. القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٠ ـ ١٧٥ ص.

٢٨- منذر عنتباوى

أضـواء علـى الإعـلام الإسـرائيلى. بـيروت، مركــز الأبحــاث، منظمــة التحريــر الفلسطينية، ١٩٦٨. (سلسلة دراسات فلسطينية - ٣١) ١٨٩ ص.

٢٩- تحتوى مجلـة المستقبل العربـى التـى يصدرهـا مركــز دراســات الوحــدة العربيــة علـى دراسـات وأبحـاث عديدة فـى الإعـلام مـن بينهــا العــدد الثــانى عشــر فــبراير سنة ١٩٨٠. كما تصـدر أجهزة الإعـلام المختلفـة التابعــة لجامعــة الــدول العربيــة العديــد مــن الدراســات والبحــوث وخصوصـــاً تقـــارير اللجنـــة الدائمـــة للإعـــلام وتقـارير اللجنـة الفنيـــة لخــبراء الإعــلام العربـــى ومجلــس وزراء الإعــلام وكذلــك لجـان الإعـلام التابعـة لمجلـس التعـاون الخليجــى.

المصادر الأجنبية :

1- Ainslie, Rosalynde.

The Press in Africa. New York, Walker and Co., 1966.

2- Almend, Gbriel A.

The Appeals of Communism. Princeton Univ., 1954.

3- American Institute of Political Communication.

Domestic Communications aspects of Middle East Crisis. July 1967.

4- Arora, S.K. and Lasswell, H.D.

Political Communication: The Public Language of Political Elites in India and the United States, HR and W.

5- Brghoorn, Frederick C.

The Soviet Cultural Offensive. The Role of Cultural Diplomacy in Soviet Foreign Policy. Princeton Univ., 1960.

6- Barghoorn, Frederick A.

Soviet Foreign Propaganda. Princeton, New Jersey, Princeton Univ. Press. 1964.

7- Barnays, Edward L.

The Case for Reappraisal of U.S. Overseas Information Policies and Programs. New York, Frederick A. Praeger, 1971.

8- Bell, J. Bowyer.

Power, Public Opinion and Diplomacy, 1958.

9- Carr, Edward Hallett.

Propaganda in International Politics. New York, Farrar and Rinehart, 1939.

10- Cohen, Bernard C.

The Press and Foreign Policy. Princeton, New Jersey, Princeton Univ. Press. 1963.

11- Comstock, Anthony.

Traps for the Young. Harvard Univ., 1967.

12- Coombs, Philio H.

The Fourth Dimension of foreign ploicy. New York,. Harper and Row, 1964.

13- Crabb, Cecil V. Jr.

American Foreign Policy in the Nuclear Age. New York Harper and Row, 1960.

14- Dahl, Robert A.

Congress and Foreign Policy. New York, Harcourt, Brace and Co., 1950.

15- Daughtery, W.E. and Janowitz, Morris.

A Psychological Warfare Casebook. Johns Hopkins, 1958.

16- Davison, W. Philips.

International Political Communication. New York, Frederick A. Praeger, 1965.

17- De Vos, Ton Pieter.

A Field Study in the Effectiveness of the United States Information Service in the Netherlands. Unpublished Ph.D. dissertation. Univ. of Oklahoma, 1961.

18- Douglas, S.A

Political Socialization and Student Activitism in Indonesia. University of Illinois, Studies in the social sciences, 1970.

19- Dunn, Erederick S.

War and the Minds of Men. Shoe String.

20- Egyptian Society of International Law.

Egypt and the United Nations, New York, Manhattan Publishing Co., 1957.

21- **Elder, Robert E.**

The Information Machine : The United States Information Agency and American Foreign Policy, Syracuse, N.Y., Syracuse Univ. Press, 1968.

22- **Emery, Walter B.**

National and International Systems of Broadcasting Their History. Operation and Control. Michigan State Univ. Press, 1969.

23- **Flscher, Heinz-Dietrich and Merril, John C. eds.**

International Communication. New York, Hastings House, House, 1970.

24- **Frankel, Charles.**

The Neglected Aspect of Foreign Policy. Washington, D.C. The Brookings Institution, 1966.

25- **Frost, J.M. ed.**

How to Listen to the World. Pontllanfraith Wales, Pendragon Press, 1971.

26- **Guback, Thomas H.**

The International Film Industry. Bloomington, Indiana Univ., 1968.

27- **Handel, Leo A.**

Hollywood Looks at its Audience. Univ. of Illinois Press 1950.

28- **Harighurst, Clark C. et al.**

International Control of Propaganda. Dobbs Ferry N.Y. Oceania Pub., 1967.

29- **Henderson, H.**

The United States Information Agency. New York, Frederick A. Praeger, 1969.

30- **Hero, Alfred O.**

Mass Media and World Affairs. World Peace Foundation, 1959.

31- Hoffman, A.S. ed.

International Communication and the New Diplomacy. Indiana University Press.

32- Inkeles, Alex.

Public Opinion in the soviet Union, A Study in Mass Persuasion. Haward Univ. Press, 1950.

33- International Congress of Applied Psychology and International Affairs. Can we contribute? Copenhagen, Munksgaard, 1962.

34- International Press Institute.

The Flow of News : A Study by the International Press Institute. Zurich I.P.I., 1953.

35- International Press Institute.

La Presse Dans Les Etats Authoritaires, Zurich, I.P.I., 1959.

36- International Symposium on Communications Theory and Research.

Communication, Theory and Research, C.C. Thomas, 1971.

37- Kerr, Malcolm.

The Arab Cold War 1958-1964 : Study of Ideology in Politics. London, Oxford Univ Press Amen House, 1965.

38- Laskin, Paul L.

Communicating by Satellite, New York, 20th Century Trend, 1969.

39- Lasswell, Harold D.

Propaganda Technique in the World War. New York, Smith, 1938.

40- Laurd.

International Protection and Human Rights. Thames and H.

41- Lee, John, ed.

The Diplomatic Persuaders : New Role of the Mass Media in International Relations. New York, John Wiley and Sons, 1968.

42- **Lerner, Daniel.**

Psychological Warfare against Nazi Germany Cambridge, Mass. M.I.T. Press, 1971.

43- **Marke, Lester.**

Public Opinion and Foreign Policy. New York, Harper and Brothers, 1949.

44- **Martin, L. John.**

International Propaganda : Its Legal and Diplomatic Control. Minneapolis, Minnesota, Univ. of Minnesota Press, 1968.

45- **MeClelland, Charles.**

Theory and the International System. New York, MacMillan Co., 1966.

46- **McDonald, Robert W.**

The League of Arab States: A Study in the Dynamics of Regional Organization. Princeton, New Jersey, Princeton Univ. Press, 1965.

47- **Murty, B.S.**

Propaganda and World Public Order: The Legal Regulation of the Ideological instrument of Coersion, 1971.

48- **New Haven Committee on the Middle East Crisis.**

America and thhe Middle East, March, 1968.

49- **Pfaltzgraff, Robert.**

Politics and the International System. Philadelphhia, Lippincott Co., 1969.

50- **Pye, Lucien W., ed.**

Communication and Political Development. Princeton. New Jersey, Princeton Univ. Press, 1963.

51- **Qualter, Terence H.**

Propaganda and Psychological Warfare. New York. Random House, 1962.

52- Rao, Y.

Communication and Development: A Study of two Indian Villages. Minneapolis, Univ. of Minnesota Press, 1966.

53- Rosenau, James (ed.).

Conference on Public opinion and Foreign Policy. Domestic Sources of Foreign Policy. Free Press, 1967.

54- Rosenau,. James N.

National Leadership and Foreign Policy. Princeton, New Jersey, Princeton Univ. Press, 1968.

55- Rosenau, James N.

Public Opinion and Foreign Policy. New York, Random House, 1961.

56- Roy, Prodipto and Others.

The Impact of Communications on Rural Development Paris, Paris, Unesco and India. Institute of Community Development, 1969.

57- Rubin, Ronald I.

The Objectives of the United States Information Agency: Controversies and Analysis. New York, Praeger, 1986.

58- Sapin, Burton M.

The Making of U.S. Foreign Policy. New York, Praeger, 1966.

59- Schramm, Wilbur.

Mass Media and National Development: The role of Information in the Developing Countries. Stanford Univ. 1964.

60- Schuman, Frederick Lewis.

International Politics: An Introduction to the Western State System. 2nd ed. New York, McGraw Hill, 1937.

61- Shands, Marley C.

War with Words: Structure and Transcendence. Humanities.

62- Sington, Derrick and Weidenfeld, Arthur.

The Goebbel Experiment. New Haven, Com. Yale Univ. Press, 1943.

63- Smith, Bruce, L. and Smith C.

International Communication and Political Opinion: A Guid to the Literature. Princeton Untv., 1956.

64- Thomson, Charles A.H.

Overseas Information Services of the U.S. Government. Washington, D.C. The Brookings Institution, 1948.

65- Todd, Judith.

The Big Sell: Structure and Strategy of the Mass Media: Radi, and Television, Press, Cinema, Advertising. Law and Wishart,, 1961.

66- Unesco.

Communication in the Space Age: The Use of Satellites by the Mass Media. Unesco, 1968.

67- Unesco.

World Communications, Paris, 1964, and Later editions.

68- Unesco.

World Pres; Newspapers and Nes Agencies. 1964.

69- Unesco.

World Radio and Television. 1965.

70- United States Information Agency.

The Agenry in Brief. Washington, D.C. U.S.A, 1969.

71- Whitaker, Urbana George, ed.

Propaganda and International Relations. San Franscisco: H. Chandler, 1960.

72- White L.W. and Leigh, Robert D.

Peoples speaking to Peoples. Univ. of Chicago, 1946.

73- Whitton, John B. and Larson, Arthur.

Propaganda: Toward Disarmament in the War of Words. Dobbs Ferry, New York, Oceana Pub., 1964.

74- Whitton, J.B ed.

Propaganda and the Cold War. Princeton Univ. Symposium, Washhington, Public Affairs Press, 1963.

75- Wiener, N.

The Human Use of Hhuman Beings. Boston, Houghton Mifflin, 1960.

76- Wright, Quincy.

The Study of International Relations. New York, Appleton-Century. Crofts, 1953.

المقالات :-

(1) Badeau, John S. "Understanding the Arab World" The Arab World, December, 1959, pp. 11-14.

(2) Beeley, Sir Harold. "The Changing Role British International Propaganda." The Annals of the Ametrican Academy of Political and Social Science, Vol. 398 (November 1971), pp. 124-129.

(3) Berding, Andrew. "Balance Sheet in the War of Ideas." In Urbana G. Whitaker, Jr. ed. Propaganda and International Relations. San Francisco. H. Chandler, 1960.

(4) Bogart, L. "Is there a world public opinion?" Polls, 1 (3), Spr. 66: 1-9.

(5) Bogart, Lew. "Measuring the Effectiveness of an Overseas Information Campaign: A Case Study." Public Opinion Quarterly, Vol. 19 (Winter, 1955-1956), pp. 369-378.

(6) Boulding. Kenneth. "National Images and International Systems." Journal of Conflict Resolution, Vol. 3, No. 2 (1959); pp. 120-132.

(7) Chejne, Edward G. "Egyptian Attitude Toward Plan Arabism." Middle East Journal, Vol. 21 (1957). pp. 260-268.

(8) Cleland, Wndell. "The League of Arab States After Fifteen Years." World Affairs, Vol. 122 (Summer, 1960), pp. 49-52.

(9) Cleveland, Ray L. "Some Middle East Experts More Dangerous Than Non-Professionales." The Arab World, December, 1968, pp. 10-14.

(10) Davison, W. Phillips. "Political Communication as an Insturument of Foreign Policy." Public Opinion Quarterly, Vol. 27 (Spring, 1963.) pp. 28-36.

(11) Davison, W. Phillips. "Some Trends in International Propaganda," The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 398 (November, 1971). pp. 1-13.

(12) Davison, W. Pillips, and Geogre, Alexander. "An Outline for the study of International Political Communication." Public Opinion Quarterly, Vol. 16 (Winter, 1952-1953). pp. 501-512.

(13) Fagen, R.R. "Some assessment and uses of public opinion in diplomacy, "Public Opinion Quarterly, 24 (3), Fall 60. 448-457.

(14) Freed, Rita. "The Middle East Conflict: An Anti-Imperialist View." The Arab World, July-August, 1970, pp. 26-32.

(15) Gamson, W.A. "Knowledge and foreign policy opinions: rome models for cosideration, Publ-opin Quart, 30 (2) Sum. 66: 187-199.

(16) Glass, Andrew J. "Foreign Policy Report: Nixon Gives Israel Massive Aid But Reaps Jewish Political Harvest," The Link, May-June, 1972, p. 10.

(17) Goodfriend, Arthur. "The Milemma of Cultural Propaganda: "Let It Be" The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 398 (November, 1971), pp. 104-112.

(18) Goss, Bert and Durbin, William A. "How Effective is the United States" Overseas Information Program?" Callenge, Vol. 11 (November, 1962), pp. 18-21.

(19) Grispi, Irving. "Public Rection to the Eichman Trial." Public Opinion Quarterly, Vol. 28 (Spring, 1964), pp. 91-103.

(20) Herbrichs, Gerard. "On Theories of Public Opinion and International Organization." Public Opinion Quarterly, Vol. 30 (Winter, 1966-1967), pp. 624-636.

(21) Hester, H.B. "On Foreign Policy and Propaganda." J. Hum. Relat. 10 (1), Aut. 61: 9-20.

(22) Jabara, Abdeen. "Thhe American Left and the June Conflict." The Arab World, October-November, 1968, pp. 73-80.

(23) Janovitz, Morris. "Mass Persuasion and International relations." Public Opinion Quarterly, Vol. 24, No. 3 (1961), pp. 560-571.

(24) Jervis, R. R. " Hypothhesis on States misperception of thhers intentions." World Polit., 20 (3). Apr. 68. 454-479.

(25) Lerner, Daniel. "Is International Persuasion Sociologically Feasible?" The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 398 November, 1971), pp. 44-49.

(26) Martin John L. "Effectiveness of International Propaganda." The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol, 398 (November, 1971), pp. 61-70.

(27) McClelland, Charles. "International Aspects of Political Communication." The International Encyclopedia of the Social Sciences, 1968. Vol. 3.

(28) Meter, David. :Liberals Should Rethnik Support for Israel." The Arab World, January-February, 1969, pp. 9-10.

(29) Murrow, Edward R. "U.S.I.A Today and Tomorrow." Foreign Sevice Journal, Vol. 40 (July, 1963), pp. 21-22.

(30) Nagorski, Zygmurnt, Jr. "Soviet International Propaganda: Its Role, Effectiveness and Future." The Annals of the American Academy of Political and Social Science,, Vol. 398 (November, 1971), pp. 130-139.

(31) Pool, Ithiel de sola. "Information Goals." foreign Service Journal. Vol. 40 (July, 1963), pp. 20-21.

(32) Raw, Y.V. Lakshmana. "Propaganda Through the Printed Media in the Developing Countries." The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 398 (November, 1971), pp. 93-103.

(33) Rice, Michael. "The Need for an Understanding of the Arab Case in the Conflict With Israel." Middle Wast Forum, Vol. 45, No. 1 and 2 (1968), pp. 51-61.

(34) Ronalds, Francis S., Jr. "The Future of International Broadcasting." The Annals of the American Academy of Political and Social Social Science, Vol. 398 (November, 1971), pp. 71-80.

(35) Rubin, Bernard. "International Film and Television Propaganda: Campaigns of Assistance." The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 398 (November, 1971), pp. 81-92.

(36) Sparks, Kenneth R. "Selling Uncle Sam in the Seventies." The Annals of the American Academy of Political and Social Science. Vol. 398 (november, 1971), pp. 113-123.

(37) Tanaka, Yasumasa. "Psychological Factors in international Persuasion." The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 398 (November, 1971), pp. 50-60.

(38) Taylor, Edward. "How the Russians Wage Political Warfare." The Reporter, Vol. 26 (May 10, 1962), pp. 16-20.

(39) Van Dyke. Vernon. "The Responsibility of States of International Propaganda." American Journal of International Law, Vol. 34 (1940), pp. 58-73.

(40) White, Ralp K. "Propaganda: Morality Questionable and Morality Unquestionable Techniques." The Annals of the American Academy of Political and Socias Science, Vol. 398 (November, 1971), pp. 26-35.

(41) White, Ralph K. "The New Resistance to International Propaganda." Public Opinion Quarterly, Vol. 16 (Winter 1952-1953), pp. 539-551.

(42) Wedge, Pryant. "International Propaganda and Statecraft." The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 398 (November, 1971), pp. 36-43.

(43) Whitton, Johhn B. "Hostile International Propaganda and International Law." The Annals of thhe American Academy of Political and Social Science, Vol. 398 (November, 1971), pp. 14-25.

(44) Whitton, John B. "United Nations Conference on Freedom of Information and the Movement Against International Propaganda." American Journal of International Law, Vol. 43 (1949).

(45) Whitton, J.B. (ed). "Propaganda and the Cold War. Amer. J. int, Law 58 (4), Oct. 64: 1050.

(46) Zionist Colonialism in Palestine and the Failure of Arab-Israeli Relations: An Interview With Dr. Maxime Rodinson." The Arab World, March-April, 1968, pp. 5-7.

الرسالات العلمية :

(1) Akhavi, Shahrough. The Egyptian Image of the Soviet Union, 1954-1968: A Study in Press Communication. (Ph.D. 1969 Columbia University) 414 p. 31/05-A. p. 2449.

(2) Blackburn, Paul Pritchard, Communications and National Development in Burma, Malaysia, and Thailand: A Comparative Systemic Analysis. (Ph.D. 1971. Thhe American University 440 p. 32/04-A, p. 2149.

(3) Borthwick, Bruce Maynard. The Islamic Sermon as a Channel of Political Communication in Syria, Jordan and Egypt. (Ph.D. 1965 The University of Michigan) 218 p. 26/11, p. 6821.

(4) Larkin, James Michael. Political Socialization: A Study of Decisionmaking Behavior Among Groups of Children. (Ph.D. 1970 University of Maryland) 153 p. 31/08-A., p 4231.

(5) Nathan James A. The International Socialization of Children. (Ph.D. 1972 The Johns Hopkins University) 685 p. 33/04-A., p. 1805.

(6) Remy. Richard Charles. International Socialization: A Comparative Analysis of the Development of Pre-Adult Orientations Toward National and International Systems. (Ph.D. 1972 1972 Northwestern University) 446p. 33/06-A, p. 2993.

(7) Smith, Bruce Lannes. International and Intercultural Communication: A Theoretical Model. (Ph.D. 1957 University of Chicago X) 1957, p. 151.

(8) Tolley, Howard Boyd, Jr. Children and War: Political Socialization to International Conflict. (Ph.D. 1972 Columbia University X) 1972.

المحتويات

مقدمة ٧

الباب الأول

تاريخ وتطور أساليب الاتصال الدولى

الفصل الأول : تطور الاتصال والاعلام الدولى عبر التاريخ ١١

الفصل الثانى : أساليب الاتصال الدولى وفنونه ١٩

الباب الثانى

الإعلام الدولى وقضايا الحرية والثقافة

والعلم والتنظيم والمعلومات

الفصل الثالث : العوامل السياسية والتعليمية والاقتصادية وعلاقتها

بحرية الإعلام ٣١

الفصل الرابع : رحلة المعاناة مع صحافة العصر الحاضر وجهود

الأمم المتحدة ٤١

الفصل الخامس : الإعلام الدولى وتحديات الاتصال الثقافى ٥٧

الفصل السادس : الإعلام العلمى الدولى وتأثير العلم على العلاقات الدولية ٥٦

الفصل السابع : التهديدات الكونية لتدفق المعلومات بين الدول

المتقدمة والنامية.. ٨٧

الفصل الثامن : واقع النظام العالمى والإعلامى المعاصر ٩٣

الفصل التاسع : النظام العالمى الإعلامى الجديد وبعض مقومات إنشائه ١٠٣

الباب الثالث

الهيئات والنشاطات الدولية

فى مجال الإعلام الدولى

الفصل العاشر : اليونسكو والسلام العالمى بين النظرية والتطبيق ١١٧

الفصل الحادى عشر : أنشطة اليونسكو فى مجال الاتصال الدولى ١٤٨

الفصل الثانى عشر : معهد الصحافة الدولى .. إنشاؤه وتطوره ١٥٩

الفصل الثالث عشر : وكالات الأنباء فى عالم اليوم ٤٦٧

الفصل الرابع عشر : نحو البث التليفزيونى العالمى ١٨٥

الباب الرابع

الدعاية الدولية والحرب النفسية

الفصل الخامس عشر : الدعاية الدولية : وظيفتها وتعريفها وأهدافها وأساليبها ٢٠٧

الفصل السادس عشر : الاتصال الدولى والعلاقات الدولية ٢١٥

الفصل السابع عشر : الأساليب الأخلاقية والأساليب غير الأخلاقية

فى الدعاية الدولية ٢٢٥

الفصل الثامن عشر : الدعاية الدولية العدائية والقانون الدولى ٢٣١

الفصل التاسع عشر : تأثيرات الدعاية الدولية ٢٣٧

الفصل العشرون : الحرب النفسية وأسلوب تحطيم الروح المعنوية للعدو ٢٤٥

الباب الخامس

نماذج من الدعاية والدعاية الدولية

الفصل الواحد والعشرون : الدعاية النازية ومبادئ جوبلز فى الدعاية ٢٦٣

الفصل الثانى والعشرون : استراتيجية الدعاية السوفيتية ٢٧١

الفصل الثالث والعشرون : الدعاية الدولية كأداة للسياسة الخارجية
الأمريكية والإسرائيلية ٢٨٥
الفصل الرابع والعشرون : الإعلام العربى المتناسق والتحدى الحضارى
المعاصر ٣٠١

الباب السادس
الرأى العام العالمى
بين الواقع والاستخدام الدعائى

الفصل الخامس والعشرون : الرأى العام العالمى كأحد الضوابط التى تحد
من السلوك السياسى للدولة ٢٣٢
الفصل السادس والعشرون : توفر المعلومات عن القضايا الدولية
والسلوك السياسى للرأى العام الوطنى ٣٣١
الفصل السابع والعشرون : استطلاعات الرأى العام فى الدول المختلفة
وتكوين الرأى العام العالمى ٣٣٧
الفصل الثامن والعشرون : النماذج الجاهزة الوطنية وتجارب منح
الرأى العام على المستوى العالمى ٣٤٥
الفصل التاسع والعشرون : تكنولوجيا الاتصال الدولى والقيود المفروضة
على الإعلام الوطنى ٢٥٩
الفصل الثلاثون : الرأى العام العالمى بين المثاليين والواقعيين ٣٦٩
الفصل الحادى والثلاثون : الرأى العام العالمى وقضايانا المصيرية ٣٧٧
بعض النتائج والتوصيات العامة بالنسبة للرأى العام العالمى ٣٨٤
المصادر العربية ٣٨٩
المصادر الأجنبية ٣٩٣

هذا الكتاب

الإعلام الدولى هو أول كتاب يصدر بهذا العنوان فى الوطن العربى، وقد قام المؤلف بتدريسه بكلية الإعلام جامعة القاهرة منذ منتصف السبعينيات فضلاً عن تدريسه فى بعض الجامعات العربية، وقد قام المؤلف بمراجعات متصلة لتحديث الكتاب .. وهو يحتوى على ستة أبواب تتناول الموضوعات التالية : تاريخ وتطور أساليب الاتصال الدولى، علاقة الإعلام الدولى بحرية الإعلام مع ثورة الاتصال الكونية، تحديات الاتصال الثقافى فى العصر الألكترونى وتأثيراتها خصوصاً على الدول النامية، الدعاية الدولية والحرب النفسية باعتبارهما أساليب اتصال تختلف عن الأساليب الأخرى فى الدرجة لا فى النوع حيث تهدف جميعها لمحاولة السيطرة على سلوك الشعوب الموجه إليها فضلا عن خدمة المصالح الوطنية للدولة المصدر، نماذج عن الدعاية الخارجية لألمانيا النازية والاتحاد السوفيتى وأمريكا وإسرائيل والجامعة العربية، الرأى العام العالمى. والكتاب بذلك يعالج مختلف جوانب الإعلام الدولى ويسد فراغاً واضحاً فى الإنتاج الفكرى.

عبده غريب